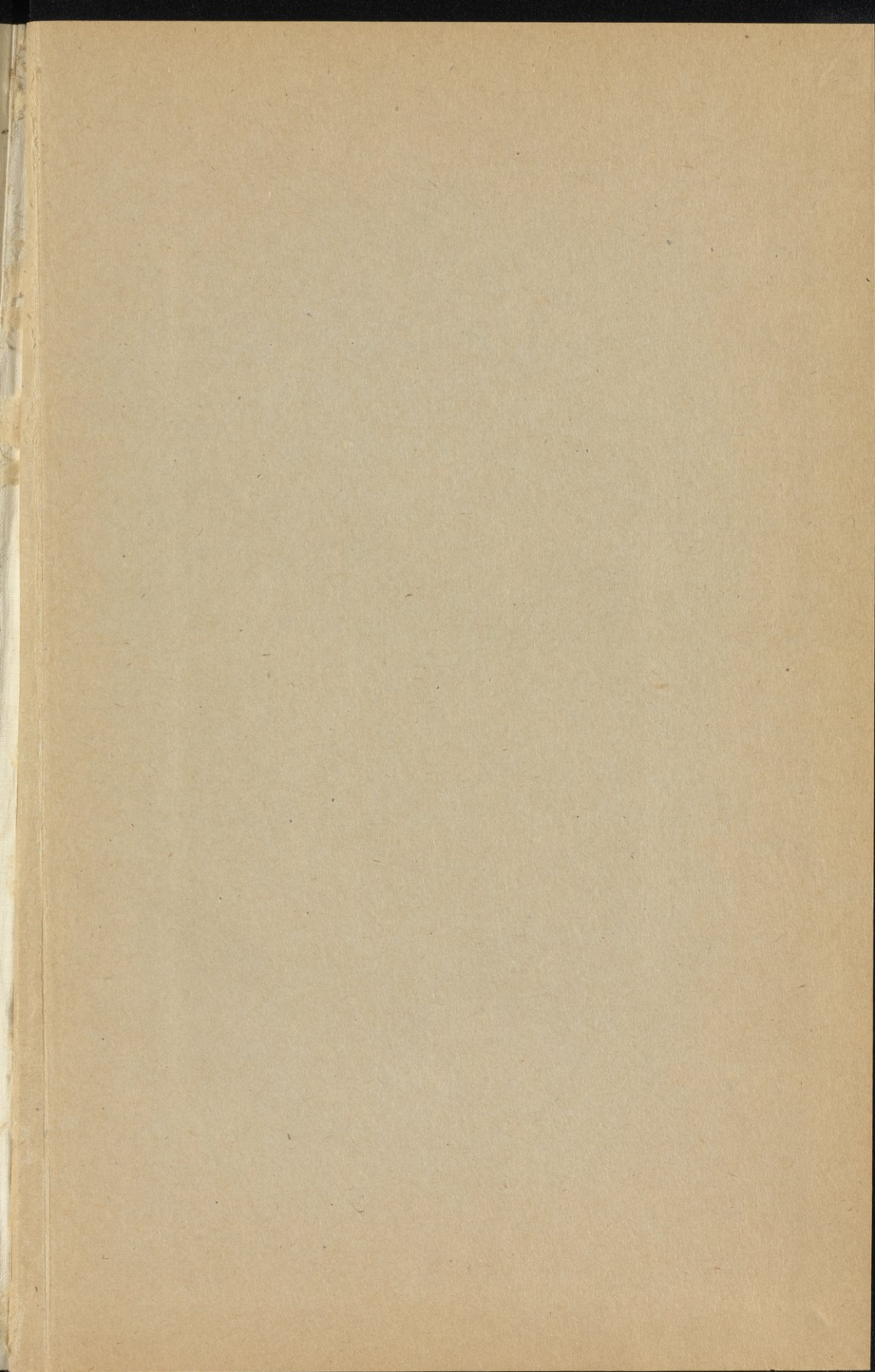


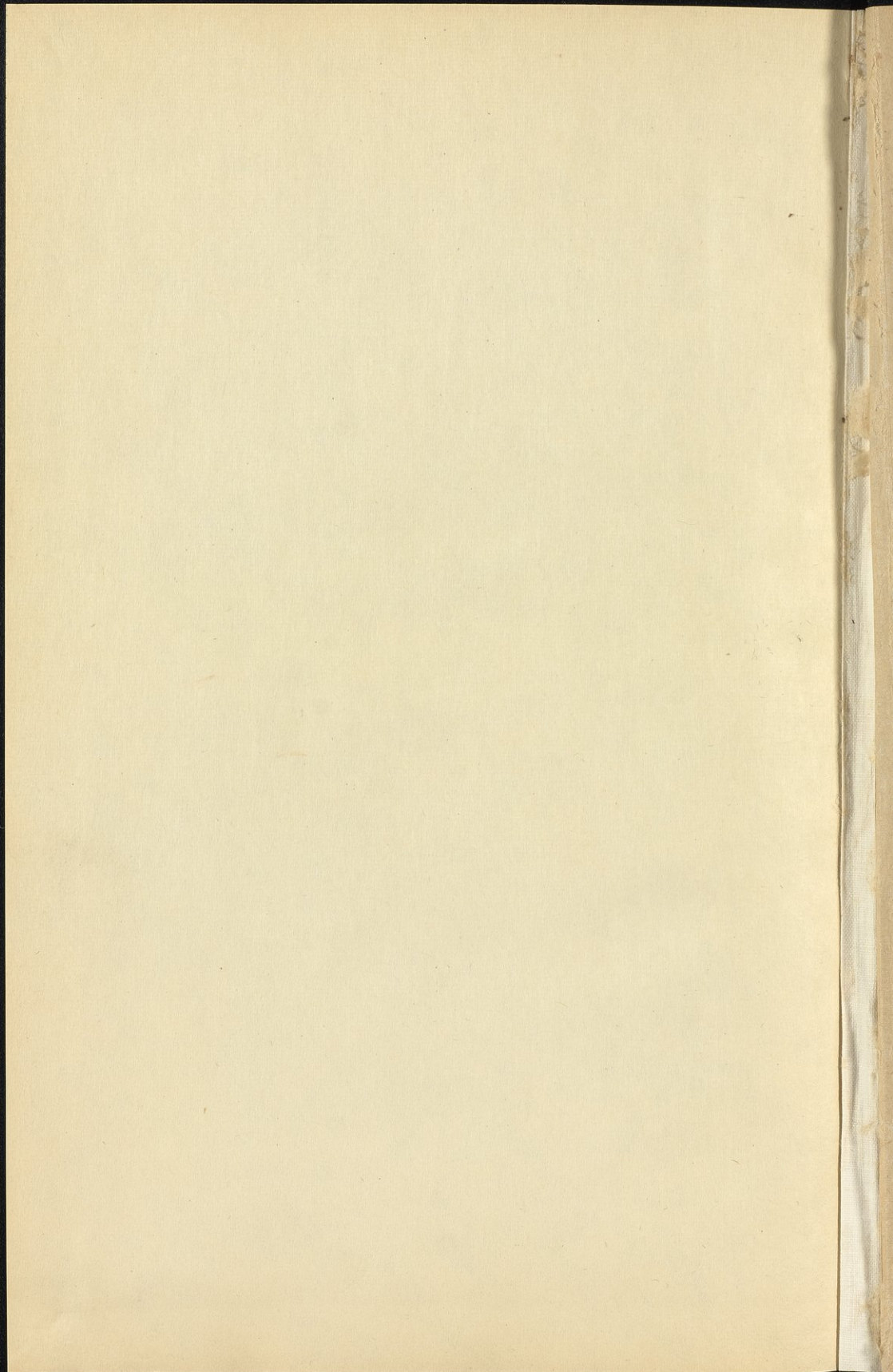
Columbia University  
in the City of New York

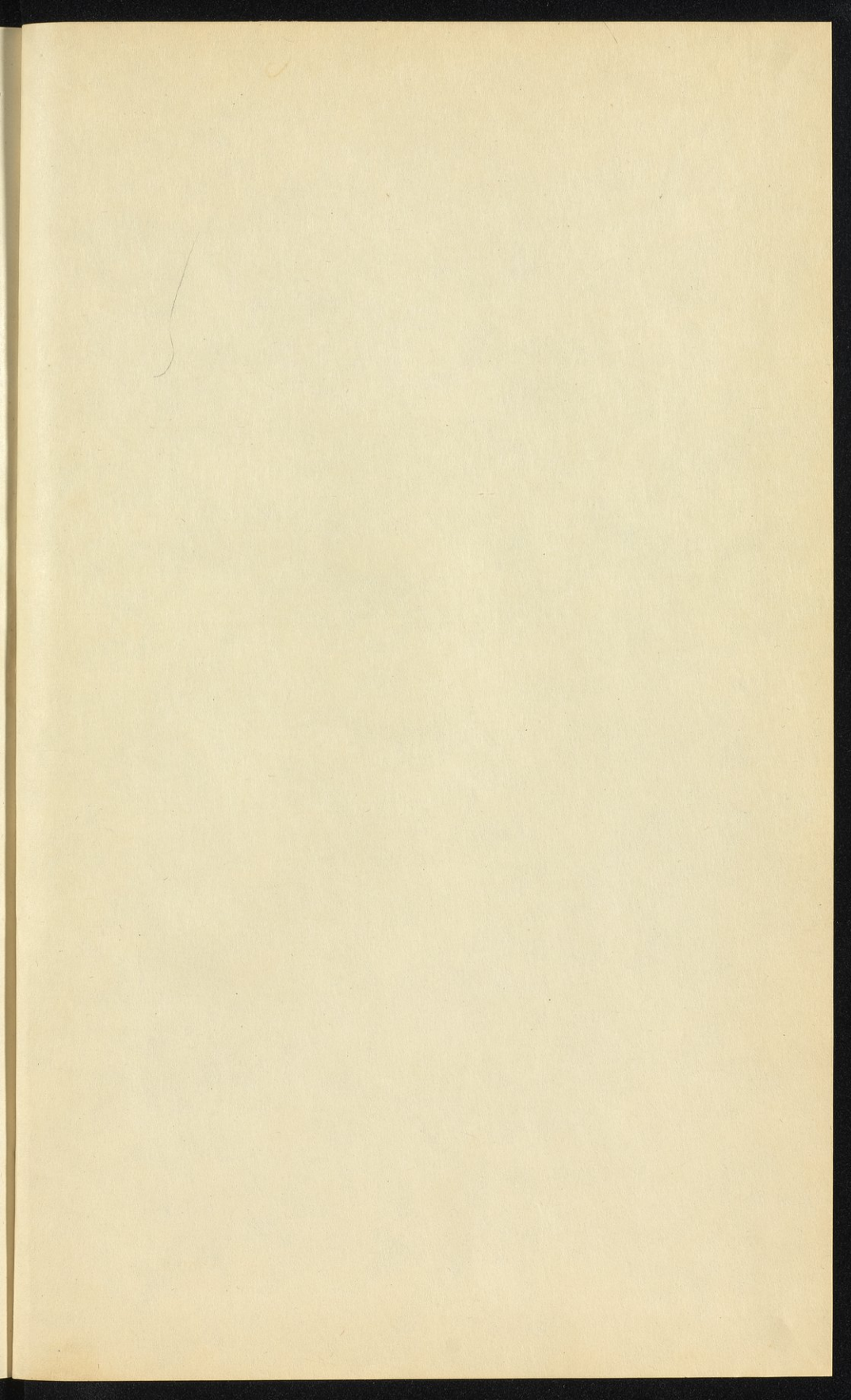
THE LIBRARIES











# قصر العرب

تأليف

محمد خير جارا المولى البكري  
مفتش أول اللغة العربية

محمد أبو الفضل العمير  
المدرس بالدارس الأميرية

علي محمد الجاوي  
المدرس بالدارس الأميرية

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين

الطبعة الأولى

١٩٣٩ هـ - ١٣٥٨ م

طبع بمطبعة عيسى السباي الحلبي وشركاه بمصر

893.78

Q48

V.1

45-3914 1

COLUMBIA  
UNIVERSITY  
LIBRARY



## مراجع هذا الجزء

- |                                      |                        |
|--------------------------------------|------------------------|
| أخبار الأذكياء                       | : لابن الجوزي          |
| أدب الدنيا والدين                    | : للماوردي             |
| أسواق العرب                          | : لسعيد الأفغاني       |
| الأصنام                              | : لابن الكلبي          |
| الأغاني                              | : لأبي الفرج الأصفهاني |
| أمالى الزجاجي                        |                        |
| أمالى أبي علي القالي                 |                        |
| أنباء نبياء الأبناء                  | : لابن ظفر الصقلي      |
| بحر الآداب                           | : للمسيو بلاج          |
| بدائع البدائه                        | : لعلي بن ظافر الأزدي  |
| البداية والنهاية                     | : لابن كثير            |
| بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب      | : للألوسي              |
| التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح | : للزبيدي              |
| تاريخ الأمم والملوك                  | : لابن جرير الطبري     |
| ثمار القلوب في المضاف والمنسوب       | : للثعالبي             |
| ثمرات الأوراق                        | : لابن حجة الحموي      |
| الجمهرة                              | : لأبي زيد الخطابي     |

للبيغدادى :	خزانة الأدب
للحصرى :	ذيل زهر الآداب
للحصرى .	زهر الآداب
لابن هشام :	السيرة النبوية
لنور الدين بن برهام الحلبي :	السيرة الحلبية
لابن عبد الحكم :	سيرة عمر بن عبد العزيز
للمرصفي :	شرح ديوان الحماسة
للخالدين :	شرح المختار من شعر بشار
لابن أبي الحديد :	شرح نهج البلاغة
للدكتور فريد الرفاعي :	عصر المأمون
لابن عبد ربه :	العقد الفريد
للأبي سالم محمد بن أبي طلحة :	العقد الفريد للملك السعيد
للأبي الحسن علي بن هذيل :	عين الأدب والسياسة
لابن قتيبة :	عيون الأخبار
للأبي إسحق الوطواط :	غرر الخصاص الواضحة
للتنوخى :	الفرج بعد الشدة
لابن الأثير :	الكامل في التاريخ
لمبرد :	الكامل في الأدب
للأب لويس شيخو :	مجانى الأدب
للميداني :	مجمع الأمثال
للجاحظ :	الحاسن والأضداد
للميهقي :	الحاسن والمساوى

- محاضرات الأبرار : لابن عربي  
المختار من نوادر الأخبار (مخطوط) : لمحمد بن أحمد الأنباري  
مروج الذهب : للمسعودي  
المستطرف في كل فن مستظرف : للأبشيهي  
المطالعة العربية : للمسترو . رايت بالمتحف البريطاني  
المطالعة العربية للمدارس الثانوية : تأليف لجنة من وزارة المعارف  
معجم الأدباء : لياقوت الحموي  
معجم البلدان : لياقوت الحموي  
معاهد التنصيص : لبدر الدين العباسي  
المنتقى من أخبار الأصمعي  
مهدب الأغاني : للشيخ الخضري  
النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي  
نفح الطيب : للمقري  
نقائض جرير والفرزدق : لأبي عبيدة  
نهاية الأرب : للنويري  
الوزراء والكتاب : للجهشياري  
وفيات الأعيان : لابن خلكان

## مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

- أساس البلاغة : للزمخشري  
تاريخ آداب اللغة العربية : لجورجى زيدان  
تاريخ الأمم الإسلامية : للخضري  
رغبة الآمل من كتاب الكامل : للمرصفي  
شرح ديوان الحماسة : للمرصفي  
شرح الأمالي : للبكري  
طبقات الشعراء : لابن سلام  
طبقات الشعراء : لابن قتيبة  
الفاخر في الأمثال : للضبي  
فهرس خريطة الممالك الإسلامية : لأمين بك واصف  
القاموس : للفيروز آبادي  
لسان العرب : لابن منظور  
المعارف : لابن قتيبة  
معجم البلدان : لياقوت الحموي  
وفيات الأعيان : لابن خلكان

# فهرس القصص

## الباب الأول

فى القصص التى تستبين بها مظاهر حياتهم ، وأسباب مدينتهم ؛ بذكر أسواقهم  
وأجلاب تجارتهم ، والمسكن التى كانت تُؤويهم ، وسائر ما كان على عهدهم من  
دلائل الحضارة ووسائل المعاش :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
قوس حاجب بن زرارة	٢	١
فتكة البراض	٤	٢
حياة آل جفنة	٦	٣
الأعشى والحلق	٨	٤
احتكام الشعراء فى عكاظ	١٠	٥
عند كسرى	١٢	٦
عند النجاشى	١٤	٧
رسول الله فى سوق عكاظ	١٦	٨
الكريم طروب	١٨	٩
الأعراب فى جهدهم وضمنك عيشهم	٢٠	١٠
حفل غناء	٢٢	١١

العنوان	الصفحة	رقم القصة
الغناء يحيي القلب	٣٢	١٢
ضرب من التمثيل	٣٤	١٣
وفود ابن مسجح على عبد الملك بن مروان	٣٦	١٤
دعاية للوطن	٣٩	١٥
أى الأمم أعقل ؟	٤٠	١٦
قران العلية	٤٢	١٧
في قصور بني أمية	٤٧	١٨
في دار الفضل بن الربيع	٤٩	١٩
المعتصم في يوم عيد	٥٥	٢٠
رسُل الروم عند الناصر	٥٩	٢١
ليلة بما لقة	٦٢	٢٢

## الباب الثاني

في القصص التي تتضمن معتقداتهم وأخبار كهانهم وكواهنهم ، وتبسط ما كانوا يعرفون من حقائق التوحيد والبعث ، والدار الآخرة ، وما كانوا يتوسلون به من إقامة الأوثان ، وتعهدا بألوان الزلفى والقربان :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
قوم عاد يستسقون بمكة	٦٦	٢٣
زيد بن عمرو يتلمس الدين الصحيح	٦٨	٢٤

العنوان	الصفحة	رقم القصة
النعمان بن المنذر يتنصر	٦٩	٢٥
طريقة الكاهنة	٧٠	٢٦
عُفراء ومرثد بن عبد كلال	٧٤	٢٧
كاهنة بنى سعد	٧٨	٢٨
كهانة سطيح	٨١	٢٩
مصرع العزى	٨٤	٣٠
أمية بن أبي الصلت ورؤيا شق الصدر	٨٥	٣١
أم العوام	٨٧	٣٢
عمارة بن الوليد والسواحر	٨٩	٣٣
في حفر زمزم	٩٢	٣٤
سيف بن ذى يزن والبشارة برسول الله	٩٥	٣٥
بشارة بحيرى	٩٩	٣٦
في بعثة رسول الله	١٠١	٣٧
تطيّر المنصور	١٠٤	٣٨
المنصور تنعى إليه نفسه	١٠٦	٣٩
رؤيا الرشيد	١٠٧	٤٠
تطيّر الأمين	١٠٩	٤١
ذنب لا يطمع صاحبه في غفرانه	١١١	٤٢
طيرة ابن الرومى	١١٢	٤٣
تطيّر الرشيد بن المعتمد	١١٤	٤٤
رؤيا	١١٦	٤٥

### الباب الثالث

القصص التي تجلو علومهم ومعارفهم ، وتوضح منها ثقافتهم ، وما كان متداولاً بينهم من مسائل العقل والنقل التي هدتهم إليها فطرهم أو أنهتها إليهم  
تجارهم :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
فراصة أبناء نزار	١١٨	٤٦
ارعى واحذرى	١٢١	٤٧
طب الحارث بن كلدة	١٢٢	٤٨
حديث قس بن ساعدة مع ملك الروم	١٢٧	٤٩
أعرابي في سفر	١٣٣	٥٠
في موت رسول الله	١٣٤	٥١
عيافة لهب	١٣٦	٥٢
أبو النشاش وهب	١٣٨	٥٣
غراب يبشر بموت الحجاج	١٣٩	٥٤
صدق الزاجر	١٤٠	٥٥
علم المأمون وسعة معارفه	١٤٢	٥٦
وفود الفارابي على سيف الدولة	١٤٤	٥٧



## الباب الرابع

القصص التي يُرى بها ما كانوا يتغنون به من المكارم والمفاخر ، وما كانوا يتذمّمون به من المناقص والمعرات ؛ سواء أكان ذلك فيما يتعلق بكل منهم في نفسه ، أم فيما يتصل بالأقربين من ذويه ، أم فيما يضم أهل قبيلته ، أم فيما يشمل الناس جميعا :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
سبق السيف العذل	١٤٨	٥٨
إيثار ابن مامة الإيادي	١٥١	٥٩
وفاء السموع	١٥٢	٦٠
لاخرّ بوادي عوف	١٥٣	٦١
مروءة حاتم	١٥٥	٦٢
ماوية تتحدث عن كرم حاتم	١٥٧	٦٣
بين حاتم وماوية	١٥٩	٦٤
مروءة ووفاء	١٦١	٦٥
مكرمة	١٦٥	٦٦
أجاره من الموت	١٦٨	٦٧
يزيد بن عبد المدان عند الحارث بن جفنة	١٦٩	٦٨
إغاثة	١٧٣	٦٩
سفانة بنت حاتم	١٧٦	٧٠
زعيم العجم وعمر بن الخطاب	١٧٨	٧١
أبو سفيان عند هرقل	١٧٩	٧٢

العنوان	الصفحة	رقم القصة
إسلام أبي ذر	١٨٣	٧٣
جود عثمان بن عفان	١٨٥	٧٤
لمبيد والوليد بن عقبة	١٨٦	٧٥
الخطيئة والزبرقان بن بدر	١٨٨	٧٦
قدوم الخطيئة على عتبية بن النہاس	١٩٥	٧٧
قمير عند سعيد بن العاص	١٩٧	٧٨
قصر سعيد بن العاص	١٩٩	٧٩
معاوية وسعيد بن العاص	٢٠١	٨٠
كرم معاوية	٢٠٣	٨١
معاوية يعفو	٢٠٤	٨٢
الوفى	٢٠٨	٨٣
أسخى من البحر إذا زخر	٢١٠	٨٤
يجود على مقدار نفسه	٢١١	٨٥
من حيل الكرماء	٢١٣	٨٦
يد عند عميد الله بن العباس	٢١٤	٨٧
لو بدأت بي	٢١٥	٨٨
اختبار الأجواد	٢١٧	٨٩
إنّ هذا لأسخى منى	٢١٩	٩٠
إنا نزل الضيف ولا نرحله	٢٢٠	٩١
الأخطل محبوس في كنيسة	٢٢١	٩٢
عمارة الفقيه وعبد الملك بن مروان	٢٢٢	٩٣
بين الحجاج الثقفي ويزيد بن المهلب	٢٢٤	٩٤

العنوان	الصفحة	رقم القصة
زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب	٢٢٦	٩٥
احتكموا وأكثروا	٢٢٨	٩٦
أنت أخو الندى وحليفه	٢٣٠	٩٧
ما كذب مذ شدد عليه إزاره	٢٣٢	٩٨
أعطيك مالى إن شئت	٢٣٣	٩٩
الشمعة والسراج	٢٣٤	١٠٠
حديث عمر بن عبد العزيز مع ابنه عبد الملك حين احتضر	٢٣٥	١٠١
عفة جرير وفجور الفرزدق	٢٣٦	١٠٢
خالد القسرى وزيد بن عبيد الله	٢٣٨	١٠٣
الفقر خصم لجوج	٢٤٠	١٠٤
يشتكى الفقر	٢٤١	١٠٥
حدثني عن أغرب مامر بك	٢٤٢	١٠٦
المنصور وأهله	٢٤٤	١٠٧
هذا بغية أمير المؤمنين	٢٤٦	١٠٨
معن بن زائدة والأسود	٢٤٨	١٠٩
عقيد المجد والجود	٢٥٠	١١٠
مثلك يُصطنع	٢٥١	١١١
نعمة عدوك قلادة في عنقي	٢٥٢	١١٢
جود عبد الواحد بن سليمان	٢٥٣	١١٣
أبو حنيفة يرعى الجوار	٢٥٥	١١٤
يربى الله الصدقات	٢٥٦	١١٥

العنوان	الصفحة	رقم القصة
العرق دساس	٢٥٨	١١٦
إن بعد العسر يسرا	٢٦٠	١١٧
لا أسأل سواك ولو سفت التراب	٢٦٥	١١٨
تيمه وكرم	٢٦٧	١١٩
لكل جديد لذّة	٢٦٩	١٢٠
جود البرامكة	٢٧٠	١٢١
حسن العفو	٢٧٦	١٢٢
واعظ الرشيد	٢٧٩	١٢٣
أموى عند الرشيد	٢٨٣	١٢٤
يواسى بعضهم بعضاً	٢٨٧	١٢٥
وفى للبرامكة	٢٨٨	١٢٦
أفضل الأصحاب	٢٩٤	١٢٧
ما ولدت العرب أكرم منك	٢٩٥	١٢٨
الأصمعى يطلب القرى	٢٩٧	١٢٩
لقد أمكنك الله من الوفاء	٢٩٨	١٣٠
إبراهيم بن المهدي والمأمون	٣٠٤	١٣١
من جود أبي دلف	٣١١	١٣٢
عبد الله بن طاهر والحصى	٣١٢	١٣٣
حسن المكافأة	٣١٥	١٣٤
رجوتك دون الناس	٣١٨	١٣٥
المأمون يعفو عن الحسين بن الضحاک	٣١٩	١٣٦
وفاء كافر	٣٢١	١٣٧

العنوان	الصفحة	رقم القصة
درس يُلقى على حاسد	٣٢٣	١٣٨
عمّة الشريف الرضى	٣٢٦	١٣٩
أمين	٣٢٨	١٤٠

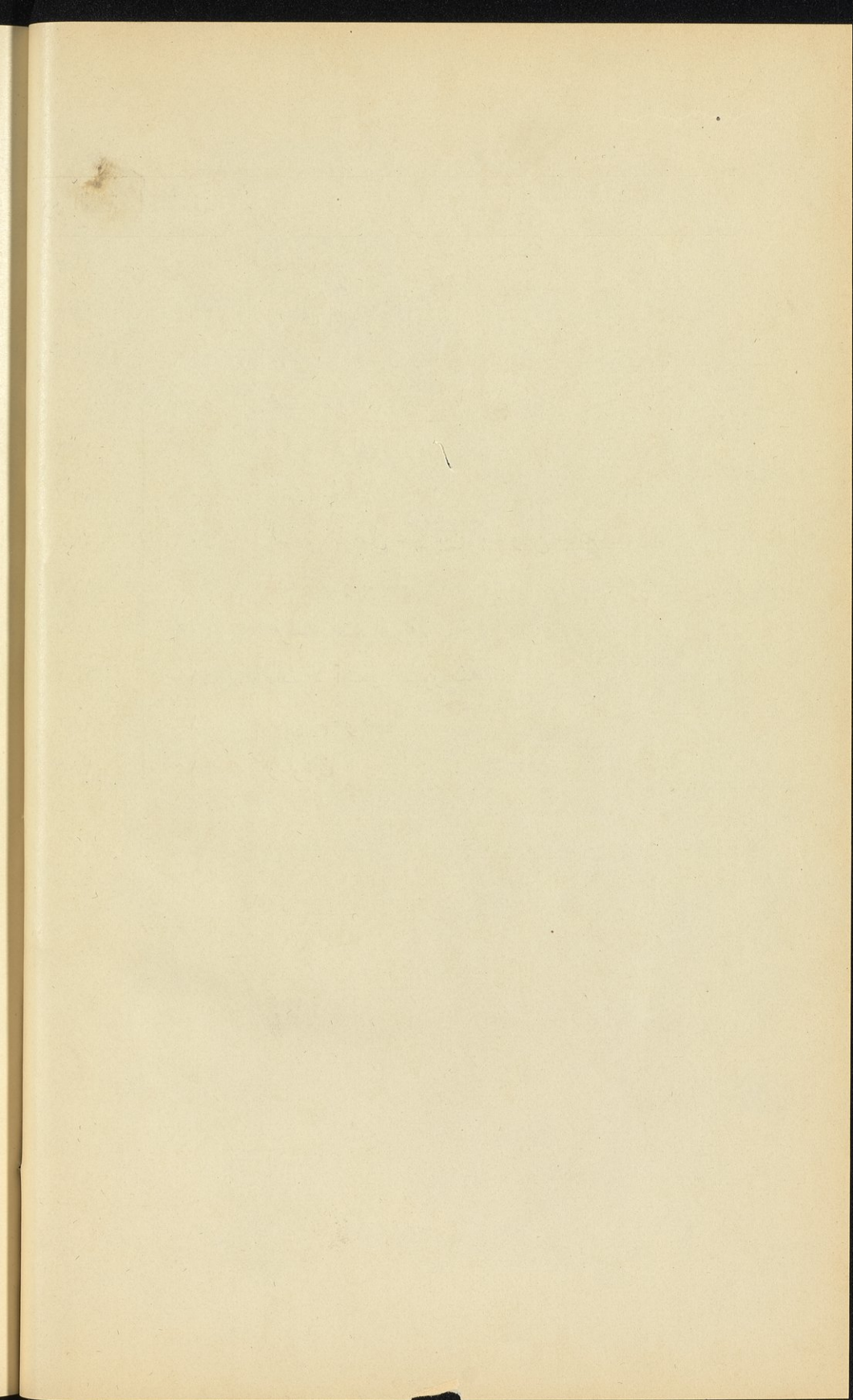
### الباب الخامس

القصص التي تعدد غرائزهم وخصالهم ، فتكشف ما طبعوا عليه من وفرة العقل ،  
وحدة الذكاء ، وصدق الفراسة ، وقوة النفس ، وما أهلتهم له طبيعة بلادهم ،  
وأسلوب حياتهم من شريف السجايا ، وممدوح الخصال :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
غم من نجا من الموت	٣٣٢	١٤١
وافق شنّ طبقة	٣٣٤	١٤٢
لن يبرح العبد ان حتى يقتلا	٣٣٦	١٤٣
النذير	٣٣٧	١٤٤
حديث عن امرى القيس	٣٣٨	١٤٥
صحيفة المتلمس	٣٤١	١٤٦
إن العصا قرعت لذى الحلم	٣٤٤	١٤٧
فطرة	٢٤٦	١٤٨
حذب على إخوته	٣٤٧	١٤٩

العنوان	الصفحة	رقم القصة
نافرني إلى فتاك فإنه نجيب	٣٤٩	١٥٠
أنا أعلم بقريش من قريش	٣٥١	١٥١
أو قد جئتي سالماً	٣٥٣	١٥٢
الأحنف يفحم معاوية	٣٥٤	١٥٣
نوطى عليه يامزين التما	٣٥٥	١٥٤
ذكاء ابن عباس	٣٥٧	١٥٥
عمران بن حطان يتنقل في القبائل	٣٥٨	١٥٦
دهاء عمارة بن تميم اللخمي	٣٦٢	١٥٧
كيف رأيتم فراستي في الأعرابي	٣٦٤	١٥٨
من بدائه الشعراء	٣٦٦	١٥٩
قوة حجة	٣٦٨	١٦٠
إياس في مجلس القضاء	٣٦٩	١٦١
من ذكاء إياس	٣٧٠	١٦٢
أدبتي فتأدبت	٣٧١	١٦٣
مروءة وذكاء	٣٧٣	١٦٤
حذر إبراهيم بن هرمة	٣٧٥	١٦٥
المنصور ودليله بالمدينة	٣٧٦	١٦٦
فطنة كاتب المنصور	٣٧٨	١٦٧
حيلة طريفة	٣٨٠	١٦٨
الأمين والمأمون بين يدي الرشيد	٣٨٣	١٦٩
قرا مجد وفرعا خلافة	٣٨٥	١٧٠
قرتا عين	٣٨٩	١٧١

العنوان	الصفحة	رقم القصة
حيلة وال	٣٩٢	١٧٢
أعطني عليّ قدرى	٣٩٤	١٧٣
طاهر بن الحسين والمأمون	٣٩٦	١٧٤
همت بالأوطان وجداً بها	٣٩٨	١٧٥
فراصة أعرابي	٤٠٢	١٧٦
ثابت الجنان	٤٠٤	١٧٧
إسحق الموصلي حكم بين أبيه وابن جامع	٤٠٦	١٧٨
البحترى وأبو تمام	٤٠٨	١٧٩
فراصة عضد الدولة	٤٠٩	١٨٠
ملك لا تعصم الطيور منه	٤١١	١٨١
صبي يهجو صديقاً	٤١٣	١٨٢
رسولان	٤١٥	١٨٣





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُفَدَّة

تُعدُّ القِصَّةُ أفدَر الآثَار الأدبِيَّةِ عَلَى تَمثِيلِ الْأَخْلَاقِ، وَتصَوِيرِ الْعَادَاتِ، وَرَسْمِ خُلُجَاتِ النَفُوسِ؛ كَمَا أَنهَا - إِذَا شَرَفَ غَرَضُهَا، وَنَبَلُ مَقْصَدُهَا، وَكَرَمَتِ غَايَتُهَا - تُهْدِبُ الطَّبَاعَ، وَتُرَقِّقُ الْقُلُوبَ، وَتَدْفَعُ النَّاسَ إِلَى الْمُثَلِّ الْعَلِيَا: مِنَ الْإِيمَانِ وَالْوَجَابِ وَالْحَقِّ وَالتَّضَعُّبِ وَالكَرَمِ وَالشَّرَفِ وَالْإِيثَارِ.

وَقَدْ كَانَتِ الْقِصَّةُ - وَلَا تَزَالُ - ذَاتَ الشَّانِ الْأَسْمَى فِي آدَابِ الْأُمَمِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا؛ فَقَدْ وَرَدَتِ فِي التَّوْرَةِ، وَجَاءَتِ فِي الْإِنْجِيلِ، وَزَخَرَتْ بِهَا آيُ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. ثُمَّ هِيَ فِي شَعْرِ الْإِغْرِيْقِ، وَمُخَلَّفَاتِ الرُّومَانِ، وَآثَارِ الْمَصْرِيِّينَ الْقَدَمَاءِ. وَالْعَرَبُ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي أَخَذَتِ بِنَصِيْبِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ الْجَمِيلِ، وَأَثَرُهَا فِيضٌ مِنْ ذَلِكَ الْأَدَبِ الرَّفِيعِ؛ بَيْدَ أَنْ بَعْضًا مِنَ الْبَاخِثِينَ الْمَحْدَثِينَ قَدْ جَحَدُوا نَصِيْبَهُمْ مِنْ هَذَا الْفَنِّ، وَهَضَمُوهُمُ حَقَّهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَابِ، وَوَصَمُوهُمُ بِالْخِيَالِ الْعَقِيمِ، وَعَابُوا عَلَيْهِمُ الْفِكْرَ الْقَرِيبَ؛ وَلَكِنْ الْمُنْصِفِينَ مِنْهُمْ قَدْ هَالَهُمْ هَذَا الْجُحُودُ، وَلَمْ يَرْقَهُمْ ذَلِكَ النِّكْرَانُ، فَاعْتَرَفُوا لِلْعَرَبِ بِالْقِصَصِ الَّتِي تَرْجُمُوهَا عَنِ الْفَرَسِ وَالْمَنُودِ، وَتَزِيدُوا عَلَيْهَا فِي الْقَاهِرَةِ وَبَغْدَادَ، وَتَحَدَّثُوا لِلنَّاسِ عَنِ قِصَصِ عَنْتَرَةَ وَذَاتِ الْهَمَّةِ، وَجَلَّوْا عَلَيْهِمْ أَلْفَ لَيْلَةٍ وَأَخْبَارَ ابْنِ ذِي يَزْنَ.

وَهَذِهِ الْقِصَصُ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ نَجَحَتْ نَجَاحًا تَامًا فِي تَصَوِيرِ الْعُصُورِ الَّتِي وَضَعَتْ

فيها ، وَوَسَّمت لنا البيئَةُ التي نبتت منها ، كثير منها تافه الغرض ، مبهم القصد ، ردىء اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جحد للأدب العربية فضلها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلفاء وسوامر الأمراء ، وملأت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء ؛ وما منع الناس أن يردوا شريعتها ، أو يجنوا أطايبها إلا ما منيت به هذه الكتب من اضطراب الترتيب ، وردىء الطبع ، وتحريف الناسخين .

وكتابتنا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما انتبذ منها وما شرد ، وألفنا ما تنافر وافترق ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كل قصة إلى مثلها ، وضممنا كل طرفة إلى شبهها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عرض شامل لحياة العرب : مدنيتهم وحضارتهم ، وعولمهم ومعارفهم ، وأديانهم وعقائدهم ، وذكريات لعوائدهم وشمائلهم ، وما طبعوا عليه من كريم الغرائز ، وحدة الذكاء ، ثم ما كان للمرأة عندهم من سامى المكانة وعظيم المنزلة ، وما أثر عنهم من أخبار صوروا بها جبههم العفيف وغزلم الرقيق وعشقهم الشريف ، ولم يخلُ كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ومطايبات ومناقلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك ، وطرف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب ، وغير هذا مما سيعرض مفصلاً في أبواب الكتاب .

ولم نقف في اختيار القصة على تعريف خاص ، أو حدٍّ مرسوم ، ففما اخترناه ما ذكره من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضعوه مصورين به المجالس والأشخاص ، وما صنعوه على أسنة الطير والحيوان ، وما تحيّلوه من أخبار الشياطين والجان ؛ إذ كان الغرض تنقيف الأذهان بذكر الطرائف ، والشراح الصدور بعرض اللطائف ،

مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .  
ولعل القارئ يروقه ما تدسى فيها من شريف الخصال فيحتذئها ، أو تعجبه  
كرائم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء  
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قويمه لمن يريد أن ينشئ  
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .  
وكان من ههنا أن نحرص على اختيار القصص كما وضعوها ؛ إلا ما كان من  
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تغيير لـكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف  
عبارات لا غناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعاني ، وتراجم  
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ومنهله عذباً ،  
وورده سائغاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به على ما صدقنا في النية ، ورجونا من الخير ما

المؤلفون

ربيع الآخر سنة ١٣٥٩  
( مايو سنة ١٩٣٩ )

بها يرد له بالكلية في شارة اياها  
 حجة بآء البرية والخطا من شارة  
 ايهما - الخلق بالحيطة مشورة  
 زهوان اذ يبرر بها حجة رسا  
 وتبراه تالوا وتوا من شارة  
 رة ذاك كماله يشتم كانه  
 رفة بأر بانه كالات  
 براسة كاشرة

بما ان رطالون بشارته  
 آية طرية بشارته  
 تلبس كانه حجة

بشارته لا يوجد في شارة  
 ١١١١  
 ١١١١

## الباب الأول

---

في القصص التي تستبين بها مظاهر حياتهم ، وأسباب  
مدنيتهم ؛ بذكر أسواقهم وأجلاّب تجارتهم ، والمسكن  
التي كانت تؤويهم ، وسائر ما كان على عهدهم من دلائل  
الحضارة ووسائل المعاش .

---



## الباب الأول

---

في القصص التي تستبين بها مظاهر حياتهم ، وأسباب  
مدنيتهم ؛ بذكر أسواقهم وأجلاّب تجارتهم ، والمساكن  
التي كانت تؤويهم ، وسائر ما كان على عهدهم من دلائل  
الحضارة ووسائل المعاش .

---

١ — قوس حاجب بن زرارة\*

توالت على مُضِر الجدوبة والقَحْطُ سبع سنين حتى كادوا يَهْلِكُونَ ، فلما رأى حاجب<sup>(١)</sup> بن زُرارة الجَهْدَ والجَدْبَ على قومه جمع بني زُرارة فقال : إني قد أزمعتُ على أن آتِيَ المَلِكَ فأطلبَ إليه أن يأذنَ لقومنا فيكونوا تحتَ هذا البحرِ<sup>(٢)</sup> حتى يُحْيُوا ؛ فتلَكْنَا بعضهم عليه ، وقال بعضهم : رَشَدْتَ فافعلْ ، غيرَ أَنَا نخافُ عليك بكَر بن وائلِ لِمَا كانَ بيننا وبينهم ، ولا بدَّ لك من وُرودِ مياهم . فقال : مامِنُهُمْ وَجَهٌ من الناسِ ولا شريفٌ إلاَّ ولى عنده يدُ خَضْرَاءِ إلا ابن الطَّوِيلَةَ التيمي ، وأنا أرجو أن أداريه ، ثم ارتحل .

فجعل لا يأتي على ماء لبكرٍ إلا أكرمه سيدهم ، ونحَرَ له وقرأه ، حتى نزل قُصْوَان<sup>(٣)</sup> ، وعليه ابنُ الطويلة التيمي ، فلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ ، وناديهم قريب من منزل حاجب الذي حلَّ فيه ، دعا حاجبُ بِنَطْعٍ ، ثم أمر فُصْبَ عليه التمر ، ثم نادى : حَيَّ على الغدَاءِ . فنظر ابن الطويلة ، فاذا هو بحاجب ، فقال لأهل المجلس : أجيئوه فإنه سيدُ قومه ، فأتوه فأكلوا ، وأهدى إليه ابنُ الطويلة جزوراً وشيأها ، فنحروا وأكلوا وأطعموا .

ولما أراد حاجب أن يرتحل قال له ابن الطويلة : إني معك حتى تبلغ مأمنك ؛

\* نقائض جريرو الفرزدق ص ٦٢ ، ج ١ طبع ليدن ، بلوغ الأرب ص ١٢٣ ج ١ ، المقد الفريد ص ١٧٥ ج ١ (١) هو سيد بني تميم ، وكان من نفر الذين أرسلهم النعمان بن المنذر إلى كسرى بعد أن سمع منه تنقص العرب وتهجين أمرهم . أدرك الإسلام وأسلم ، توفي سنة ٣ هـ (٢) البحر : الريف (٣) قصوان : موضع في ديار تميم الله بن نعلبة .



فإني لا أدري ما يعرض لك أمأمك . فقال حاجب : ليس أممي أحد أخافه على .  
وارتحل حاجب حتى أتى كسرى ؛ فلما شكك إليه الجهد في أنفسهم وأموالهم ،  
وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حد بلاده حتى يعيشوا ويحيوا قال له : إنكم -  
معشر العرب - غدُر حُرُصاء على الفساد ، فإن أذنتُ لهم أفسدوا البلاد وأغاروا على  
الرعيّة وآذوهم . قال له حاجب : فإني ضامنٌ للملك ألا يفعلوا ، قال : ومن لي  
بأن تَقِي بما تقول ؟ قال : أرهنتك قوسي بالوفاء بما ضمنتُ لك .

ولما جاء حاجب بقوسه ضحك القوم الذين كانوا حول الملك لما رأوا قوسه ،  
وقالوا : بهذه العصا تقي للملك بما ضمنت له ! فقال الملك لهم : ما كان ليُسَلِّمَها شيء  
أبدًا وأمرهم فقبضوها ، وأذن للعرب في أن يدخلوا الريف<sup>(١)</sup> .

ومكث بنو زرارة في الريف مدة ، ثم مات حاجب ، وبعدها زال القحط ،  
وخرج أصحاب حاجب إلى بلادهم ، وارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى ليطلب  
قوس أبيه ؛ ولما دخل عليه وكلمه في القوس قال له كسرى : ما أنت بالذي وضعتها  
عندي ، قال : أجل ! أيها الملك ما أنا بالذي وضعتها . قال : فما فعل الذي وضعها ؟  
قال : هلك ، وهو والدي ، وقد وُفِّي لك أيها الملك بما ضمن لك عن قومه ووفى  
هو بما قال للملك ؛ قال كسرى : ردُّوا عليه قوسه ؛ وكساه !

(١) الريف : الارض فيها الزرع والحصب .

٢ — فتكة البرّاض \*

كان البرّاضُ بنُ قيس الكِنَانِي رجلاً فاتكاً خليعاً<sup>(١)</sup> ، يجنى الجنائيات على أهله ، فخلعه قومه ، وتبرءوا من صنيعه ، ففارقهم ، وقدم مكة ، فحالف حرب بن أمية ، ثم نبأ به المقام بمكة أيضاً ، ففارق أرض الحجاز إلى أرض العراق ، وقدم على النعمان بن المنذر الملك - وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة<sup>(٢)</sup> للتجارة إلى عكاظ<sup>(٣)</sup> تباع له كل عام هناك - فقال يوماً ، وعنده البرّاض وعروة بن عتبة ابن جعفر المعروف بالرحّال<sup>(٤)</sup> : من يجيزُ لي لطيمتي هذه حتى يُبائغها عكاظُ ؟ فقال البرّاض : أبيت اللعن ! أنا أجيزها على كِنانة ، فقال النعمانُ : إنما أريدُ منُ يجيزها على كِنانة وقيس ، فقال عروة : أكلبُ خليعُ يجيزها ! أبيت اللعن ! أنا أجيزها على أهل الشّيح والقيصوم<sup>(٥)</sup> من أهل تهامة وأهل نجد ! فقال البرّاض - وغضب - وعلى كِنانة<sup>(٦)</sup> تجيزها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم !

فدفع النعمانُ اللطيمةَ إلى عروة الرحّال ، وأمره بالمسير بها ، وخرج البرّاض يتبعُ أثره ، وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه ، حتى إذا كان عروة بين ظهراني قومه أدركه البرّاض بن قيس ، فأخرج قِداحه يَسْتَقْسِمُ<sup>(٧)</sup> بها في قتل عروة ، فمَرَّ به

\* المضاف والمنسوب ص ١٠١ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٢٣ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٣٦٠ ج ١  
(١) كان يضرب المثل بفتكته ، فيقال : «أفتك من البرّاض» (٢) اللطيمة : العبر التي تحمل الطيب ووز التجار (٣) عكاظ موضع كان بين نخلة والطائف (٤) لقب بالرحال لكثرة رحلته إلى الملوك (٥) الشّيح والقيصوم : نباتان مما يطعم في السهل . (٦) كِنانة هم قوم البرّاض . (٧) الاستقسام : كانوا إذا أراد أحدهم سفراً أو تزويجاً أو نحو ذلك من المهام ضرب بالقداح ، وكان على بعضها مكتوب : أمرني ربي ، وعلى بعضها الآخر : نهاني ربي ، والباقي غفل ، فان خرج أمرني ربي مضى لشأنه ، وان خرج نهاني ربي ، أمسك ، وان خرج الغفل أجالها ، وضرب بها أخرى إلى أن يخرج الأمر أو النهي .

عروة فقال : ماتنصع يا براض ؟ فقال : أستقسّم في قتلك ، أيؤذن لي أم لا ؟ فقال عروة : همّتُك أضعف من ذلك ، فوثب إليه البرّاض بالسيف فقتله .

فلما رآه الذين يقومون على العير والأحمال قتيلا انهزموا ، فاستاق البرّاض العير ، وسار على وجهه إلى خيبر ، وتبعه رجلان ليأخذه : أحدهما غنويّ والآخر غطفانيّ ، وسارا حتى لقيهما البراض بخيبر ، فقال لهما : من الرجلان ؟ قالا : من قيّس قد منّا لنقتل البراض ؛ فأنزلهما وعقل راحتيهما ، ثم قال : أيكما أجزأ عليه وأجود سيفاً ؟ قال الغطفاني : أنا ، فأخذه ومشى معه ليُدّه - بزعمه - على البراض ، ثم قال للغنوي : احفظ راحتيكما ففعل .

وانطلق البراض بالغطفاني حتى أخرجه إلى خربة<sup>(١)</sup> في جانب خيبر ، وقال له : هو في هذه الخربة يأوى إليها ، فأمهاني حتى أنظر أهو فيها ؟ فوقف ، ودخل البراض ؛ ثم خرج فقال : هو فيها وهو نائم ، فأرني سيفك حتى أنظر إليه : أضراب هو أم لا ؛ فأعطاه سيفه ، فصر به به حتى قتله ، ثم أخفى السيف وعاد إلى الغنوي ؛ فقال له : لم أر رجلاً أجبن من صاحبك ، تركته في البيت الذي فيه البراض وهو نائم فلم يقدم عليه ! فقال : انظر لي من يحفظ الراحتين حتى أمضى إليه فأقتله ، فقال : دعمها وهما على ، ثم انطلقا إلى الخربة ، فقتله وسار بالعير إلى مكة !

(١) الخربة : موضع الحراب .

٣ - حياة آل حفنة\*

قال خَارِجَةُ بن يزيد : دُعِينَا إِلَى مَادُبَةٍ (١) ، فَحَضَرْتُهُمَا وَحَسَانُ (٢) بنُ ثَابِتٍ  
قَدْ حَضَرَهَا ، فَجَلَسْنَا جَمِيعًا عَلَى مَائِدَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ قَدْ ذَهَبَ بِبَصْرِهِ ، وَمَعَهُ  
ابْنُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَكَانَ إِذَا أَتَى طَعَامَ سَأَلَ ابْنَهُ أَطْعَامَ يَدِيَّ أَمْ يَدَيْهِ ؟ ( يَعْنِي بِالْيَدِ  
التَّرِيدِ وَبِالْيَدَيْنِ الشُّوَاءَ لِأَنَّهُ يُنْهَسُ مُهْشًا ) فَذَا قَالَ : طَعَامَ يَدَيْهِ أَمْسِكْ يَدَهُ .  
فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الطَّعَامِ أَتَوْا بِجَارِيَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا رَائِقَةٌ ، وَالْأُخْرَى عَزَّةٌ ، فَجَلَسْنَا  
وَأَخَذْنَا مِرْزَهْرِيهِمَا (٣) وَضَرَبْنَا ضَرْبًا عَجِيبًا ، وَغَنَّتَا بِقَوْلِ حَسَانِ :

انظُرْ خَلِيلِي بِبَطْنِ جِلْقٍ هَلْ تُونِسُ (٤) دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ

فَسَمِعَ حَسَانَ يَقُولُ : قَدْ أَرَانِي بِهَا سَمِيعًا بَصِيرًا ، وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانُ ؛ فَذَا سَكَّتَا  
سَكَتَ عَنْهُ الْبُكَاءُ ، وَإِذَا غَنَّتَا بِكِي ، فَكُنْتُ أَرَى ابْنَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذَا سَكَّتَا  
يَشِيرُ إِلَيْهِمَا أَنْ تَغْنِيَا فَيَبْكِي أَبُوهُ !

فَلَمَّا انْقَلَبَ حَسَانٌ مِنَ الْمَادِبَةِ إِلَى مَنْزِلِهِ اسْتَلْقَى عَلَى فِرَاشِهِ ، وَوَضَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ  
عَلَى الْأُخْرَى ، وَقَالَ : لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي رَائِقَةً وَصَاحِبَتَهَا أَمْرًا مَا سَمِعْتَهُ أُذْنَائِي بَعِيدَ  
لِيَالِي جَاهِلِيَّتِنَا مَعَ جَبَلَةَ بنِ الْأَيْهَمِ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ وَجَلَسَ فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ عَشَرَ قِيَانٍ ،  
خَمْسٌ رُومِيَّاتٌ يَغْنِينُ بِالرُّومِيَّةِ بِالْبَرَابِطِ (٥) ، وَخَمْسٌ يَغْنِينُ غِنَاءَ أَهْلِ الْخَيْرَةِ أَهْدَاهُنَّ

\* الْأَغْنَى ص ١٦ ج ١٤

- (١) الْمَادِبَةُ كُلُّ طَعَامٍ يُصْنَعُ لِدَعْوَةٍ أَوْ عَرَسٍ (٢) هُوَ شَاعِرٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَدْ نَشَأَ فِي  
الْجَاهِلِيَّةِ وَنَبَهُ شَأْنُهُ فِيهَا ، وَعَاشَ طَوِيلًا فِي الْإِسْلَامِ وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ سَنَةَ ٤٥ هِجْرِيَّةً .  
(٣) الْمَزْهَرُ : عَوْدٌ يُضْرَبُ بِهِ (٤) تُونِسُ : تَبَصَّرَ (اللسان مادة « عجب » ومادة « بلق » )  
(٥) الْبَرَابِطُ : الْعَوْدُ .

إليه إياس بن قبيصة ، وكان يَفِدُ إليه من يَغْنِيهِ من العرب من مكةَ وغيرها ، وكان إذا جلس للشربِ فُرِشَ تحتَه الآسُ والياسمينُ وأصنافُ الرياحين ، وضرب له العنبر والمسك في صحافِ الفضة والذهب ، وأُتِيَ بالمسك الصحيح في صحافِ الفضة ، وأوقد له العود المُنَدَسِي إن كان شاتياً . وإن كان صائفاً أُتِيَ هو وأصحابه بكِسَاءٍ<sup>(١)</sup> صيفية يتفضلون<sup>(٢)</sup> بها ، وفي الشتاء يُؤْتَى بفراء الفَنَكِ<sup>(٣)</sup> وما أشبهه ، ولا والله ما جلستُ معه يوماً قط إلا خلع عليَّ ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غيري من جلسائه ، هذا مع حِلْمٍ عمن جهل وضحك ، وبَدَلٍ من غير مسألة ، مع حُسْنِ وجهه ، وحسن حديثه ، ما رأيت منه خناً قط ولا عَرَبَدة ، ونحن يومئذ على الشُّرك . فجاء الاسلام فَحَمَّا الكفر وتركنا الحُمر وما كَرِه . وأتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر ، والفضيخ<sup>(٤)</sup> من الزهر والرطب ، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتى يذهب بعقله ودينه ، أفلا تنتهون !

(١) الكِسَاء : جمع كسوة (٢) التفضل : التوشح ، وأن يخالف المرء بين أطراف ثوبيه .  
(٣) الفَنَك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء وأشرفها (٤) الفضيخ : شراب يتخذ من يسر .

٤ - الأعمى والملق \*

قال بعض أهل البادية :

كان لأبي الملحق<sup>(١)</sup> شرفٌ فمات وقد أتلف ماله، وبقى الملحق وثلاث أخوات له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وبرددين كان يشهدُ فيهما الحقوق .

فأقبل الأعمى<sup>(٢)</sup> من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة ، فنزل الماء الذي به الملحق ، فقرأه أهل الماء وأحسنوا قراه . ثم أقبلت عمّة الملحق ، فقالت : يا ابن أخي ؛ هذا الأعمى قد نزل بمائنا وقد قرأه أهل الماء ، والعرب تزعم أنه لم يمدح قومًا إلا رفعهم ، ولم يهج قومًا إلا وضعهم ، فانظر ما أقولُ لك ، واحتلّ في زِقِّ من خمر من عند بعض التجار، وأرسل إليه بهذه الناقة والزقِّ وبرددي أبيك ؛ فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه، ونظر إلى عطينه في البردين ، ليقولن فيك شعراً يرفعك به . قال : ما أملك غير هذه الناقة ، وأنا أتوقع رسلها<sup>(٣)</sup> .

ثم أقبل يدخل ويخرج ويهيم ولا يفعل ؛ فكما دخل على عمته حضته ؛ حتى دخل عليها فقال : قد ارتحل الرجل ومضى . قالت : الآن والله أحسن ما كان القرى ! تتبعه ذلك مع غلام أبيك - وهو مولى له أسود شيخ - فإذا لحقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إياه ، وأنت لما وردت الماء فعلمت

\* أغاني ص ١١٣ ج ٩ ، بلوغ الأرب ص ١٦٢ ج ٢

(١) الملحق : لقب عبد العزى بن حنم من كلاب بن ربيعة ، ولقب بذلك يوم عضه حصان في وجته فترك بها أثراً على شكل الحلقة (٢) هو أعمى قيس ، واسمه ميمون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم ، وهو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصى البلاد ، أدرك الإسلام ولكنه لم يسلم . توفي سنة ٧ هـ (٣) الرسل : اللين .

أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه ؛ فإن هذا أحسن لموقعه عنده ؛ ولم تزل تحضه حتى أتى بعض التجار فكلمه أن يقرضه ثمن زقٍ خمير ، وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه . ثم وجّه بالناقاة والخمر والبُردين مع مولى أبيه ، فخرج يتبعه ؛ فكلما مرّ بماء قيسل : ارتحل أمس عنه ، حتى صار الى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة ؛ فوجد عنده عدة من الفتيان قد غدّاهم بغير لحم ، وصبّ لهم فضيخاً<sup>(١)</sup> فهم يشربون منه ، وقرع الباب فقال : انظروا من هذا ؟ فخرجوا فإذا رسول الحلق يقول كذا وكذا ؛ فدخلوا عليه وقالوا : هذا رسول الحلق الكلابي أتاك بكيت وكيت . فقال : ويحك ! أعرابي والذي أرسل إلي لا قدر له ! والله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوف لأقوان فيه شعراً لم أقل قط مثله . فواتبه الفتيان وقالوا : غبت عنا فأطلت الغيبة ، ثم أتيناك فلم تطعمنا لحمًا وسقيتنا الفضيخ ، واللحم والخمر بيباك ، لا نرضى بذا منك . فقال : ائذنوا له ؛ فدخل فأدّى الرسالة ، وقد أناخ الجزور بالباب ، ووضع الزق والبُردين بين يديه ؛ فقال : أقره السلام ، وقل له : وصَلَّتْ رَحِمٌ ، سيأتيك ثناؤنا .

وقام الفتيان إلى الجزور فنحروها وشقوها خاضرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ، ثم جاءوا بهما ، فأقبلوا يشؤون ، وصبوا الخمر فشربوا ، وأكل معهم وشرب ؛ ولبس البردين ، ونظر إلى عطفية فيهما ؛ فأنشأ يقول :

أرقتُ وما هذا السهادُ المورقُ      وما بي من سقمٍ وما بي معشق<sup>(٢)</sup>

وفيهما يقول :

نقى الذم عن آل الحلقِ جفنة<sup>(٣)</sup>      كجافية<sup>(٤)</sup> الشيخ العراقي تمهق<sup>(٤)</sup>

(١) الفضيخ : شراب يتخذ من بسر (٢) معشق : عشق (٣) الجافية : حوض ضخم (٤) فهق الإناء : امتلاء .

ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل دَرَدَقُ<sup>(١)</sup>  
لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرة إلى ضوء نار باليقاع<sup>(٢)</sup> تَحَرَّقُ  
تُشَبُّ لِحَمْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وبات على النار الندى والمالح  
رضيعة لبان تَدِي أُمَّ تَحَالَفَا بِأَسْحَمِ<sup>(٣)</sup> داجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ  
ترى الجودَ يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان مَتَنَ الْهِنْدُوَانِي رَوْتَقُ<sup>(٤)</sup>  
يداهُ يداً صِدْقٍ ، فكفُّ مَبِيدَةٌ وكفُّ إذا ما ضُنَّ بالمالِ تنفُقُ  
وسار الشعر وشاع في العرب . فما أتت على المخلق سنة حتى زوّج أخواته  
الثلاث كل واحدة على مائة ناقة ، فأيسرَ وشرف .

### ٥ - احتكام الشعراء في عكاظ\*

حكى عن نابغة<sup>(٥)</sup> بنى ذُبْيَانُ أَنَّهُ كَانَتْ تُضْرَبُ لَهُ قَبَّةً مِنْ أَدَمٍ بِسُوقِ  
عُكَاظٍ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِيهَا الشُّعْرَاءُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعِنْدَهُ الْأَعَشَى ، وَقَدْ  
أَنْشَدَهُ شِعْرَهُ ، وَأَنْشَدَتْهُ الْخَنَسَاءُ قَوْلَهَا :

قَدَى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ<sup>(٦)</sup> أُمُّ ذَرَقَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

(١) الدردق : الصبيان الصغار (٢) اليقاع : التل (٣) الأسحَم : الاسود والمراد الليل ،  
ودجا الليل أظلم . وعوض : أبداً (٤) روتق السيف : ماؤه وحسنه .

\* أغاني ص ٣٤٠ ج ٩ (٥) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد فحول شعراء الجاهلية  
وحكمتهم بعكاظ ، ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجاة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير ، وهو  
من أشرف ذبيان وعمرطويلاومات قبيل البعثة (٦) عوار : كل ما أعل العين ، وذرفت : قطرت .



حتى انتهت إلى قولها :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّهُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ<sup>(١)</sup> فِي رَأْسِهِ نَارُ  
وَإِنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو<sup>(٢)</sup> لَنَحَارُ  
فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ<sup>(٣)</sup> أَنَشَدَنِي قَبْلَكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ أَشْعَرُ النَّاسِ ! أَنْتِ  
وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْ كُلِّ أَثَى ! قَالَتْ : وَاللَّهِ وَمِنْ كُلِّ رَجُلٍ .

فَقَالَ حَسَانٌ : أَنَا وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْكَ وَمِنْهَا . قَالَ : حَيْثُ تُقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ :  
حَيْثُ أَقُولُ :

لَنَا الْجَفْنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعَنَّ بِالضُّحَا وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرُنَّ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا  
وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنُ مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمُ بَنَى خَالًا وَأَكْرَمُ بَنَى ابْنَمَا  
فَقَالَ : إِنَّكَ شَاعِرٌ لَوْلَا أَنَّكَ قُلْتَ : « الْجَفْنَاتُ » فَقُلْتَ الْعَدَدُ ، وَلَوْ قُلْتَ :  
« الْجِفَانُ » لَكَانَ أَكْثَرَ . وَقُلْتَ : « يَلْمَعَنَّ فِي الضُّحَا » وَلَوْ قُلْتَ : « يَبْرُقَنَّ  
بِالدُّجَا » لَكَانَ أَبْلَغَ فِي الْمَدِيحِ ؛ لِأَنَّ الضَّيْفَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرُ طُرُوقًا ، وَقُلْتَ :  
« يَقْطُرُنَّ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا » فَدَلَلْتَ عَلَى قِلَّةِ الْقَتْلِ ، وَلَوْ قُلْتَ : « يَجْرِينَنَّ » لَكَانَ  
أَكْثَرَ لِأَنَّ صِيبَ الدَّمِ ، وَفَخَرَّتْ بَيْنَ وَكَلَّتْ ، وَلَمْ تَفْخَرْ بَيْنَ وَكَلَّتْ .  
فَقَامَ حَسَانٌ مِنْكَسِرًا مَنْقَطَعًا !

(١) العلم : الجبل (٢) شتا القوم : أجدبوا في الشتاء (٣) أبو بصير : كنية الأعشى .

٦ - عند كسرى\*

خرج أبو سفیان فی جماعةٍ من قریش ، يريدون العراق بتجارة ؛ فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفیان ؛ فقال لهم : إنا من مسيرنا هذا لعلی خطرٌ ؛ فقد قدّمنا علی ملك جبّار ، لم يأذن لنا فی القدوم علیه ، وليست بلادُهُ لنا بمتجرّ ، ولكن أيُّكم يذهبُ بالعبير ، فان أُصيبَ فنحنُ برآءٍ من دمه ، وإن غنمَ فله نصفُ الربح . فقال غيلان<sup>(١)</sup> بن سالمَة : دعوني إذنُ فأنا لها .

فلما قدّمَ بلادَ كسرى تخلق<sup>(٢)</sup> ولبسَ ثوبين أصفرين ، وشهرَ أمره ، وجلس بباب كسرى حتى أُذنَ له ، فدخل عليه ، وخرج إليه التُّرجمان وقال له : يقولُ لك الملك : ما أدخلكَ بلادى بغيرِ إذنِي ؟

فقال : قل له : لستُ من أهلِ عداوةٍ لك ، ولا أتيتك جاسوساً ليُصدِّ من أضدادك ؛ وإنما جئتُ بتجارةٍ تستمتعُ بها ؛ فان أردتهاً فهيَ لك ، وإن لم تُردّها ، وأذنتَ في بيعِها لرعيّتكِ بعثها ؛ وإن لم تأذن في ذلك رددتها ؛ وجعل يتكلم ، فإذا سمع صوتَ كسرى سجد . فقال له التُّرجمان : يقولُ لك الملكُ : لم سجدت ؟ فقال : سمعتُ صوتاً عالياً ، حيث لا ينبغي لأحد أن يعلو صوتُهُ إجلالاً للملك ؛ فعلمتُ أنه لم يُقدّم علي رفع الصوتِ هناك غيرُ الملك ؛ فسجدتُ إعظاماً له . فاستحسنَ كسرى ما فعل ؛ وأمره له بِمِرْفَقَةٍ<sup>(٣)</sup> توضع تحته . فلما أُتي بها

\* بلوغ الأرب ص ٣٢٠ ج ١ ، العقد ص ١٧٥ ج ١

(١) غيلان بن سلمة الثقفي شاعر جاهلي ، كانت له ثلاثة أيام : يوم يحكم فيه بين الناس ، ويوم ينشر فيه شعره ، ويوم ينظر فيه الى جماله وأسلم بعد فتح الطائف (٢) تخلق : تطيب (٣) المرفقة : الخدّة .

رأى عليها صورةَ الملك ؛ فوضعها على رأسه ؛ فاستجبهه كسرى واستحمله . وقال  
للترجمان : قل له : إنما بعثنا بهذه لتجلس عليها . قال : قد علمت ، ولكني لما أتيتُ بها  
رأيتُ عليها صورةَ الملك ، فلم يكن حقَّ صورته على مثلي أن يُجلَسَ عليها ! ولكن  
كان حقُّها التعظيم ؛ فوضعها على رأسي ؛ لأنه أشرف أعضاءي وأكرمها على !  
فاستحسنَ فعله ، ثم قال له : ألك ولد ؟ قال : نعم ! قال : فأيهُم أحبُّ إليك ؟  
قال : الصغير حتى يكبرُ ، والمريضُ حتى يبرأ ، والغائبُ حتى يئوب . فقال كسرى :  
زَهْ ! ما أدخلك على ، ودللك على هذا القول والفعل إلا حظُّك ! فهذا فعلُ  
الحكماء وكلامهم ، وأنت من قومٍ جُفأة لا حكمة فيهم ؛ فما غداؤك ؟ قال : خبز البرِّ .  
قال : هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر .

ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكساه ، وبعث معه من الفرس من  
بني له أطمًا<sup>(١)</sup> بالطائف ، فكان أول أطمٍ بُني بها .

(١) الأطم : القصر وجمعه أظام .

٧ - عند النجاشي \*

قال عمرو <sup>(١)</sup> بن العاص :

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأبي ،  
ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون - والله - أني أرى محمدًا يعلو الأمور علوًّا منكرًا ،  
وإني لقد رأيت أمرًا فأترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق  
بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، وإن ظهر  
قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا لرأى ! قلت :  
فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم .

فجمعنا له أدمًا كثيرًا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه  
عمرو بن أمية الضمري - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن  
جعفر <sup>(٢)</sup> وأصحابه ، قال : فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، قال : فقلت لأصحابي :  
هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه ، فضربت  
عنقه ! فاذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .  
قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبًا بصديقي ،  
أهديت إلى من بلادك شيئًا ؟ قلت : نعم أيها الملك ؛ قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا ؛  
ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ؛ إني قد رأيت رجالًا خرج

✽ الروض الأنف ص ٢١١ ج ٢ (١) هو عمرو بن العاص بن وائل أحد دهاة العرب  
وفصحائهم وساستهم وفتح مصر على عهد عمر بن الخطاب . توفي سنة ٤٣ هـ (٢) هو جعفر بن  
أبي طالب ، وكان قد هاجر إلى الحبشة .

من عندك ، وهو رسول رجلٍ عدوِّ لنا ، فأعطينيه لأقتله ؛ فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

قال : فغضب ، ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلتُ فيها فرقاً منه ! ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتك . قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟ قلتُ : أيها الملك ؛ أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ! أطمعني واتبعه ؛ فإنه والله لعلي الحق ، وليظهرنَّ على من خلفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ، وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابي إسلامي . ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيتُ خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبلٌ من مكة ، فقلت : أين يا أبا ساجان ؟ قال : والله لقد استقام الميسم ، وإن الرجلَ لنبى ؛ اذهب والله فأسلم فحتى متى ؟ قلت : والله ماجئتُ إلا لأسلم .

قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدَّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجبُ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجبُ ما كان ، فبايعته ثم انصرفت !

٨ — رسول الله في سوق عكاظ\*

روى عبدُ الرحمن العامري عن أشياخٍ من قومه ، قالوا :

أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونحنُ بسوقِ عُكاظ (١) ، فقال : ممنُ القوم ؟ قلنا : من بني عامر بن صعصعة ! قال من أيِّ بني عامر ؟ قلنا : بنو كعب بن ربيعة . قال : كيف المنعةُ فيكم ؟ قلنا : لا يُرام ما قبلنا ، ولا يُصطلى بنا رنا ! فقال : إني رسولُ الله ، فإن أتيتكم تمنعوني حتى أبلغَ رسالةَ ربي ، ولم أكرِه أحدًا منكم على شيء ؟ قالوا : ومن أيِّ قريش أنت ؟ قال : من بني عبد المطلب ! قالوا : فأين أنت من بني عبد مناف ؟ قال : هم أولُ من كذَّبني وطردني ! قالوا : ولكننا لانظرُدك ولا نُؤمن بك ، ولا نمنعك أن تبليغَ رسالةَ ربك .

فنزِل إليهم والقوم يتسوقون (٢) إذ أتاهم بُجرةُ بن قيس القشيري ، فقال : من هذا الذي أراه عندكم أنكره ؟ قالوا : هذا محمدُ بن عبد الله القرشي . قال : وما لكم وله ؟ قالوا : زعم لنا أنه رسولُ الله ويطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغَ رسالةَ ربه . قال : فماذا ردَّدتُم عليه ؟ قالوا : قلنا : في الرحب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ، ونمنعك مما نمنع منه أنفسنا . قال بُجرة : ما أعلم أحدًا من أهل هذه السوق يرجع بشيءٍ أشرَّ من شيءٍ ترجعون به ؛ بدأتم لتنابدكم الناس ، وترميكم العرب عن قوس واحدة ؛ قومه أعلمُ به ، لو أنسوا منه خيرًا لكانوا أسعدَ الناس به ، تعمدون إلى مرهقٍ (٣) قد طرده

\* أسواق العرب ص ٢١٧ (١) كانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وكان يجتمع بها أكثرُ اشراف العرب للمتاجرة ، ومفاداة الأُمري ، والتحكيم في الخصومات والمفاخرة والمنافرة بالشعر والخطب (٢) تسوق القوم : إذا باعوا واشتروا (٣) فلان مرهق : أي متهم بسوء وسفه .

قومه وكذبوه ، فتؤونه وتنصرونه ! فبئس الرأي ما رأيتم !

ثم أقبل على رسول الله فقال : قم ؛ إلحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومي  
الضربت عنقك ! فقام رسول الله إلى ناقته فركبها ، فغمزها بـجيرة<sup>(١)</sup> فقمصت برسول  
الله فألقته ؛ وعند بني عامر يومئذ ضباعة بنت عامر بن قُرط ، وكانت من النسوة  
اللاتي أسلمن مع رسول الله بمكة ، جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت : يا آل عامر ؛  
أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم ! فقام ثلاثة نفر من بني عمها  
إلى بـجيرة وثلاثة أعانوه ، فأخذ كل رجل منهم رجلا ، فجلد<sup>(٢)</sup> به الأرض ، ثم  
جلس على صدره ؛ فقال رسول الله : اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كان أدركته السن حتى  
لا يقدر أن يوافق معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك  
الموسم ؛ فلما قدموا عليه سألهم عن من كان في الموسم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ،  
ثم حدث أنه أحد بني عبد المطاب ، يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ،  
ونخرج به معنا إلى بلادنا ! فوضع الشيخ يده على رأسه ، ثم قال : يا بني عامر ! هل  
لها من تلاف ؟ هل لذنابها<sup>(٣)</sup> تطلب ؟ فوالذي نفس فلان بيده ماتتوها إسماعيلي  
قط ؛ ألا إنها الحق ، فأين كان رأيكم ! ؟

(١) في تاريخ الطبري صفحة ٢٣٢ من الجزء الثاني ببجيرة بن فراس (٢) جلد به الأرض :

ضربها (٣) أصل الذنابي : الذنب .

٩ — الكريم طروب \*

قدم عبدُ الله بنُ جعفر<sup>(١)</sup> على معاوية بالشام ، فأنزله في دار عياله ، وأظهر من إكرامه ما يستحقُّه ؛ فعاظ ذلك زوج معاوية مَ ثم سمعتُ ذات ليلة غناءً عند عبد الله ابن جعفر ؛ فجاءت إلى معاوية ، وقالت : هلمَّ فاسمع ما في منزل الذي جعلته من لحمك ودمك ، وأنزلته بين حرَمِك !

فجاء معاوية ؛ فسمع شيئاً حرَّكه وأطربه ؛ فقال : والله إنى لأسمع شيئاً تكاد الجبال تخزُّ<sup>(٢)</sup> له ! ثم انصرف .

فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر ، وهو قائم يصلي ، فنبه زوجته ، وقال لها : اسمعي مكان ما أسمعني ! هؤلاء قومي ملوكٌ بالهار ، ورهبانٌ بالليل !

ثم إن معاوية أرق ذات ليلة ، فقال لخادمه : اذهب فانظر مَنْ عند عبد الله ابن جعفر وأخبره أنى قادم عليه .

فذهب وأخبره ؛ فأقام عبد الله كلَّ مَنْ كان عنده ؛ فلما جاء معاوية لم يرَ في المجلس غير عبد الله ؛ فقال : مجلس مَنْ هذا ؟ قال عبد الله : هذا مجلس فلان يأمر المؤمنين . فقال معاوية : مرّه فليرجع إلى مجلسه حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد قال : مجلس مَنْ هذا ؟ قال : مجلس رجل يداوى الآذان يأمر المؤمنين ! قال :

\* المستطرف ص ١٤٩ ج ٢ ، العقد الفريد ص ٤٩ ج ٢

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريماً جواداً يحب البذل ويرتاح للعطاء ، ويميل إلى سماع الغناء ، وأخباره في الكرم والسماع كثيرة وتوفى سنة ٩٠ هـ (٢) تخز : تسجد .



إن أذني عليّة؛ فمرّه أن يرجع إلى مجلسه ، وكان مجلس بديح المغني ، فأمره عبد الله بن جعفر ، فرجع إلى موضعه ، فقال له معاوية : داوِ أذني من علّتها ، فتناول العود وغنى ، وقال :

ودّع هُريرةَ إنَّ الركبَ مُرْتَجِلٌ وهل تطيقُ وداعاً أيها الرجلُ <sup>(١)</sup>  
فحرك عبد الله بن جعفر رأسه ، فقال له معاوية : لم حركت رأسك يا بن جعفر؟ قال : أريحية أجدها يأمر المؤمنين ! لو لقيتُ عندها لأبليتُ ، ولو سئلتُ لأعطيت .

وكان معاوية قد خَصَبَ ؛ فقال ابن جعفر لبديح : غنّ غير هذا - وكان لمعاوية جارية أعزُّ جواريه عليه ، وكانت تتولى خضابه - فغنى بديح وقال :

أليس عندك شكرٌ للتي جعلتُ ما يبيضُ من قادماتِ <sup>(٢)</sup> الرأسِ كالْحَمِّ <sup>(٣)</sup>  
وجددتُ منك ما قد كان أخلقه صرفُ الزمانِ وطولُ الدهرِ والقدمِ

فطرب معاوية طرباً شديداً ، وجعل يحرك رجله ؛ فقال له ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتكَ ، وأنا أسألك عن تحريك رجلك ؟ فقال : كل كريم طروب .

ثم قام ، وقال : لا يبرح أحدٌ منكم حتى يأتيَ له إذنِي ، ثم ذهب فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته ، وإلى كل رجل منهم بألف دينار ، وعشرة أبواب .

(١) هُريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قريب له ؛ والبيت من قصيدة لأعشى قيس (٢) أصل القوادم : أربع ريشات في مقدم الجناح والواحدة قادمة ، ويريد مقدم الشعر (٣) اللحم : الفحْم .

١٠ — الأعراب في جهدهم وضحك عيشهم\*

قال زيادٌ لغيلان بن خرشة: أحبُّ أن تحدِّثني عن العرب وجهدها، وضحك عيشها؛ لنحمد الله على النعمة التي أصبَحْنَا بها؛ فقال غيلان: حدِّثني عمي قال: توات على العرب سنون تسعُ في الجاهلية حطمت كل شيء، فخرجتُ على بكرٍ لى في العرب؛ فمكثت سبعاً لا أطعمُ إلا ما ينالُ منه بعيري، أو من حشرات الأرض؛ فشددت على بطني حجراً من الجوع، حتى دفعتُ في اليوم السابع إلى حواء<sup>(١)</sup> عظيم؛ فاذا ببت جحش<sup>(٢)</sup> عن الحى؛ فمِلتُ إليه، فخرجتُ إلى امرأة طوالة حسانة<sup>(٣)</sup>؛ فقالت: من؟ قلتُ: طارقُ ليل، يلتمسُ القرى! قالت: لو كان عندنا شيء لآثرناك به، والدالُّ على الخير كفاعله؛ حس<sup>(٤)</sup> هذه البيوت، ثم انظر إلى أعظمها فإن يك في شيء منها خيرٌ فقيه.

ففعلت حتى دفعتُ إليه، فرحبَ بي صاحبه، وقال: من؟ قلتُ: طارقُ ليل، يلتمسُ القرى. فقال: يا فلان؛ فأجابه، فقال: هل عندك طعام؟ فقال: لا؛ فوالله ما وقر<sup>(٥)</sup> في أذنى شيء كان أشدَّ علىَّ منه.

قال: فهل عندك شراب؟ قال: لا. ثم تأوّه، فقال: قد بقينا في ضرع الفلانة<sup>(٦)</sup> شيئاً لطارقٍ إن طرَّق، قال: فأْتِ به. فأْتى العطن<sup>(٧)</sup> فأبتعها، فما

\* المحاسن والمساوى ص ٩٩ ج ٢ طبعة ليبزج، عيون الاختيار ص ٤٤ ج ٣

(١) الحواء: جماعة البيوت المتدانية (٢) جحش: نحى وأبعد عن البيوت (٣) حسانة: حسناء

(٤) حس: تعرف أحوالها (٥) وقر: ثقل (٦) الفلانة والفلان بالتعريف: كناية عن غير الآدميين

(٧) العطن: مناخ الابل حول وردها.

سمعتُ شيئاً قطُّ كان أشد من شخب تيمك الناقة في تلك العلبة ؛ حتى إذا  
ملاها ، وفاضت من جوانبها ، وارتفعت عليها رغوّة كجمّة الشيخ ، أقبل بها  
يهوى نحوى ، فعتّر بعود أو حجر ، فسقطت العلبة من يده ؛ فإصبّت بمصيبة أفزع  
لقلبي ، ولا أعظم موقماً عندى من انكفاء تلك العلبة على مثل الحال التي كنت فيها .  
فلما رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهراً سيفه ؛ فبعث الإبل ، ثم نظر إلى  
أعظمها سناماً ، ودفع إليه مديّة ، وقال : يا عبد الله اصطلِّ واحتمل .  
فجعلت أهوى بالبيضة<sup>(١)</sup> إلى النار ، فإذا بلغت إناها<sup>(٢)</sup> أكلتها ، ثم مسحت  
مافي يدي من إهالتها<sup>(٣)</sup> على جلدي ، وقد كان قحج<sup>(٤)</sup> على عظمي ، حتى كأنه  
سنن<sup>(٥)</sup> ، ثم شربت شربة ماء ، وخررت مغشياً علىّ ، فإفقت إلى السحر .  
وقطع زيادُ الحديث ، وقال : لا عليك ألاّ تخبرنا بأكثر من هذا ؛ فمّن  
المنزولُ به ؟ قلت : عامرُ بنُ الطفيل .

(١) البيضة : القطعة من اللحم (٢) بلغ اناه : نضجه وادراكه (٣) الأهالة : الشحم أو الأذيب  
من الشحم (٤) قحج : يبس (٥) السن : القرية الخلق الصغيرة .

١١ - حفل غناء\*

خرجت جميلة<sup>(١)</sup> حاجة؛ فخرج معها من الرجال المغنين ، والنساء والأشراف وغيرهم جماعة ، وحجَّ معها من القيان مُشيعات لها ومعظّمات لِقَدْرِها وإِحْقَها خمسون قينةً ، وَجَهَ بهنّ موالهنّ معها ؛ وَأَعْطَوْهُنَّ النَفَقَاتِ وَحَمَلُوهُنَّ عَلَى الإِبِلِ فِي الهِوَادِجِ وَالقِبَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَأَبَتْ جَمِيلَةٌ أَنْ تُنْفِقَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ دَرَاهِمًا فَمَا فَوْقَهُ حَتَّى رَجَعْنَ . وَتَحَايِرَ مَنْ خَرَجَ مَعَهَا فِي اتِّخَاذِ أَنْوَاعِ اللِّبَاسِ العَجِيبِ الظَّرِيفِ وَالهِوَادِجِ وَالقِبَابِ ؛ فَلَمْ يَرِ أَهْلُ المَدِينَةِ مِثْلَ ذَلِكَ الجَمْعِ سَفَرًا طَيِّبًا ؛ وَحُسْنًا وَمَلَاحَةً .

ولما قاربوا مكة تلقّاهم سعيدُ بن مسجح وابنُ سُرَيْجٍ والغَرِيضُ وأَبْنُ مُحَرِّزٍ وَالأَهْدَلِيُّونَ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ المَغْنِينِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَبِقِيَانٍ كَثِيرٍ ، وَمِنْ غَيْرِ المَغْنِينِ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَالحَارِثُ بْنُ خَالِدِ المَخْزُومِيِّ وَالعَرَجِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَافِ فَدَخَلَتْ جَمِيلَةٌ مَكَّةَ وَمَا بِالحِجَازِ مُغْنٍ حَازِقٌ وَلَا مَغْنِيَةٌ إِلَّا وَهُوَ مَعَهَا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَافِ مِمَّنْ سَمِينَا وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ . وَخَرَجَ أَبْنَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى جَمْعِهَا وَحُسْنِ هَيْئَتِهِمْ .

فلما قضت حجها سألها المكِّيُّونَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ مَجْلِسًا . فقالت : للغناءم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلطَ جدًّا بهزُل ، وأبت أن تجلسَ للغناء ! فقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمتُ على مَنْ كان في قلبه حبٌّ لاسْتِمَاعِ

\* أغاني ص ٢٠٩ ج ٨ ، ونهاية الأرب ص ٤٣ ج ٥

(١) هي جميلة مولاة بني سليم ، كانت أصلاً من أصول الغناء ، وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وغيرهم من المغنين والمغنيات توفيت سنة ١٢٥ هـ تقريباً .

غنائها إلا خرج معها إلى المدينة فإني خارج ، فعزم القوم كلهم على الخروج ؛  
فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة .

فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرفهم من الرجال والنساء ، فدخات بأحسن  
مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم  
ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ،  
ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسكينين ، وما أستنكف من  
ذلك كبير ولا صغير .

فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جاست للغناء ؛ فقالت لعمر بن أبي ربيعة : إني  
جالسة لك ولأصحابك ، وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم ؛ فقصت الدار  
بالأشرف من الرجال والنساء ، فابتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر (١) :

هيات من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف (٢) البحر من عدن  
وأحتل أهلك أجياداً (٣) وليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن  
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته من أن تغرد قمرى على فنن  
إذن رأت غير ما ظنت بصاحبها وأيقنت أن لاجباً (٤) ليس من وطني  
مأنس لأنس يوم الخيف (٥) موقفها وموقفي وكلانا ثم ذو شجن  
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سنن (٦)

(١) كان الحارث بن أبي ربيعة ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه ، فأعطاه ألف دينار  
على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحج وأبين مخافة أن يهبجه مقامه بمكة على  
قول الشعر ، فطرب يوماً فقال هذا الشعر (٢) سيف البحر : ساحله (٣) أجياد : موضع  
بمكة (٤) لحج : مخلاف باليمن (٥) الخيف : موضع بمكة (٦) ذو سنن : ذو طرائق .

باللهِ قولى له فى غير مَعْتَبَةٍ : ماذا أَرَدْتَ بِطولِ المَكْثِ فى اليمَنِ ؟  
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعِمْتَ بها فما أصبْتَ بِتَرْكِ الحِجِّ من ثَمَنِ  
فكلهم أَسْتَحْسَنَ الغِناءِ وَصَحَّ القومُ من حُسْنِ ما سَمِعُوا . وَدَمَعَتْ عَيْنُ عُمَرَ  
حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته ؛ ثم أَقْبَلْتُ على أبنِ سُرَيْجٍ فقالت : هاتِ ؛  
فاندفع يُغْنَى ورفعَ صوتَه بِشعرِ عمر :

أَلَيْسَتْ بِالتى قالتُ لمولاةٍ لها ظَهْرًا  
أَشِيرى بِالسَّلامِ لَهُ إِذا هُوَ نَحَوْنَا نَظْرًا  
وقولى فى مُلاطفَةٍ لَزَيْنَبَ نَوَلَّى عُمَرَا  
وهذا سَجَرَكَ النَّسْوا نَ قد خَبَّرَ نَتَى الخَبْرَا

فَسَمِعَ من أبنِ سُرَيْجٍ فى هذا اللَّحْنِ من الحَسَنِ ما يُقالُ إِنَّه ما سَمِعَ مثله .  
ثم قالت لسعيد بن مسجع : هات يا أبا عثمان ، فاندفع فغنى :

قد قُلْتُ قَبْلَ البَينِ لَمَّا خَشِيتهُ لَتُعَقِبَ وَدًّا أو لتَعَلَّمْ ما عِنْدى  
لَكَ الخَيْرُ هَلْ من مَصْدَرٍ تَصْدُرِيهٗ (١)  
فلما سَكَوتُ الحَبَّ صَدَّتْ كَأَنَّمَا  
شَكَوتُ الذى أَلْقَى إلى حَجَرٍ صَلَدِ

فأستحسن ذلك منه وبرع فيه . ثم قالت : يامعبد هاتِ ؛ فغنى :

أَحارِبُ مَنْ حاربتَ من ذى عداوةٍ وَأَحْسِ مالى إن غَرِمْتَ فَأَعْقِلْ (٢)  
وَإِنى أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أَحُلْ  
إن أَبْزَاكَ (٣) خَصْمٌ أو نَبَا بكَ مِنْزِلُ

(١) يقال : صدر هو وصدور غيره وأصدره (٢) يريد فأعقل عنه، وعقل عنه : إذا غرم ما لزمه  
من دية (٣) لم أحل : لم أنغير ، أبزك خصم : قهرك ، والشعر لمن بن أوس وهو شاعر فحل  
من مخضرمي الجاهلية والاسلام .

سَتَقَطُّ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينِكَ فَاظْطَرُّ أَيْ كَفِّ تَبَدُّلُ

قالت جميلة : أحسنت يامعبدُ اختيار الشعر والغناء .

ثم قالت : هاتِ يا بنَ مُحْرِرِزِ ؛ فاني لم أُؤخِّرَكَ لخِساسَةِ بكِ ؛ ولا جهلاً بالذي يجبُ في الصنعةِ ؛ ولكنني رأيتُك تحبُّ من الأمورِ كلِّها أوسطها وأعدلها ، فجعلتُك حيثُ تحبُّ واسطةً بينَ المسكينينَ والمدنينِ . فغَنِّي .

ثم قالت للغريص : هاتِ ؛ فاندفعَ يغني بشعرِ عمرو بنِ شَأْسِ الأبياتِ وفي

آخرها :

فَوَانَدَمِي عَلَى الشَّبَابِ وَوَانَدَمُ نَدِمْتُ وَبَانَ الْيَوْمَ مِنِّي بَغِيرَ ذَمِّ

وَإِذَا إِخْوَتِي حَوَّلِي وَإِذَا أَنَا شَائِخُ وَإِذَا لَا أُجِيبُ الْعَاذِلَاتِ مِنَ الصَّعَمِ

أَرَادَتْ عَرَارًا<sup>(١)</sup> بِالهُوَانِ وَمَنْ يُرِدُ عَرَارًا لِعَمْرِي بِالهُوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ

قالت جميلة : أَحْسَنَ عَمْرُو بْنُ شَأْسٍ وَلَمْ تَحْسُنْ ؛ إِذَا فَسَدَتْ عَنَاءُكَ بِالتَّعْرِيزِ ؛  
وَاللَّهُ مَا وَضَعْنَاكَ إِلَّا مَوْضِعَكَ وَلَا نَقَصْنَا مِنْ حِظِّكَ ! فَمَا ذَا أَهْنَاكَ !

ثم أقيبت على الجماعة فقالت : يا هؤولاء ، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه ؛  
فأقبل القوم عليه ، وقالوا له : قد أخطأت إن كنت عرّضت . فقال : قد كان ذلك  
ولستُ بعائدٍ . وقام إلى جميلة فقبلَ طرفَ ثوبها واعتذر ، فقبلتُ عُذْرَهُ ،  
وقالت له : لا تعدُّ .

ثم أقيبت على ابنِ عائشة فقالت : يَا أَبَا جَعْفَرِ هَاتِ ؛ فَتَغْنِيَّ بِشِعْرِ النَّابِغَةِ

الذي فيه :

(١) هو عرار بن عمرو بن شأس وهو من أمة لعمر وسوداء ، وكان بينه وبين زوج أبيه نزاع  
وخصام ، فقد كانت تؤذيه وتعيبه وتشتمه ، وحاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها .

سقى الغيث قبرا بين بصرى<sup>(١)</sup> وجاسمٍ عليه من الوسمى جودٌ ووابلٌ  
قالت جميلة : حَسَنٌ ما قات يا أبا جعفر . ثم أقبلت على نافع و بديح فقالت :  
أحب أن تُغَنِّياني صوتاً واحداً فغَنِّيا جميعاً بصوتٍ واحدٍ ولحنٍ واحدٍ :

ألا يا مَنْ يَومُ على التصابي أفاقُ شيئاً لتسمعَ من جوابي  
بكرتَ تلوَمُنِي في الحبِّ جهلاً وما في حبٍّ مثلي من معابِ  
أليسَ من السعادة غيرَ شكِّ هوى متواصلين على اقترابِ  
كريمٍ نال وُدّاً في عفافٍ وسرٍّ من مُنعمَةٍ كعابِ<sup>(٢)</sup>

فقالت جميلة : هو أكما والله واحد وغنا كما واحد ، وأتما نُحْتَمَا من بقية الكرم  
وواحدٍ الشرف : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

ثم أقبلت على الهذليين الثلاثة فقالت : غَنُّوا صوتاً واحداً ؛ فاندفعوا فغَنُّوا  
بشعر عنترَةَ العبسي :

حِيَّتَ من طَلَلٍ تقادَمَ عهدُهُ أقوى وأقفرَ بعدَ أمِّ المهيمِ  
كيفَ المزارُ وقد ترَبَّعَ أهلُها بعُنيزَ تينٍ وأهلُنا بالغيَلمِ<sup>(٣)</sup>  
إن كنتِ أزمعتِ الفراقَ فإنما زُمَّتِ<sup>(٤)</sup> ركابكم بليلى مُظلمِ

قالت : ما رأيتُ شيئاً أشبهَ بغنائكم من اتفاقِ أرواحكم .

ثم أقبلت على نافع بن طنبُورة فقالت : هاتِ يانقَشَ العَصَارِ<sup>(٥)</sup> وياحَسَنَ  
اللسان ؛ فاندفع يعنى :

(١) بصرى وجاسم : موضعان بالشام (٢) ناهدة الثدي (٣) عنيزتين : موضع . والغيلم :  
موضع في ديار بني عبس (٤) زم البعير : خطمه (٥) العصار : الطين اللازج الاخضر وهو  
لقب له .



يَاطُولُ لَيْلِي وَبِتُّ لَمْ أَتَمِّمْ - وَسَادِيَ النَّهْمِ مُبْطِنٌ سَقَمِي  
أَنْ قُتْمْتُ يَوْمًا عَلَى الْبَلَاطِ<sup>(١)</sup> فَأَبُو : صرْتُ رَقَاشًا وَلَيْتَ لَمْ أَقْمِمْ  
فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : حَسَنٌ وَاللَّهِ .

ثم قالت : يمالك هاتِ ؛ فإنني لم أؤخركِ لأنك في طبقة آخرهم ، ولكنني أردتُ أن أختم بك يومنا تبركا بك ، وكى يكون أولُ مجلسنا كآخره ، ووسطه كطرفه ، فإنك عندي ومعبدًا لى طريقة واحدة ومذهب واحد ، لا يدفع ذلك إلا ظلمًا ، ولا ينكره إلا عاضل<sup>(٢)</sup> ، الحق أقول ، فمن شاء فليُنكر ؛ فسكت القوم كلهم إقرارًا لما قالت . واندفع يغنى :

عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَتْ وَسَلِمٌ لِسَلْمِهَا      وَمَنْ قَرَّبَتْ سَلَمِي أَحَبَّ وَقَرَّبَا  
هَبِينِي امْرَأً إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ      وَإِمَّا مُسِيئًا تَابَ بَعْدُ وَأَعْتَبَا  
أَقُولُ - التَّمَّاسَ الْعَذِرَ لَمَّا ظَلَمْتَنِي      وَحَمَلْتَنِي ذَنْبًا وَمَا كُنْتُ مُذْنِبًا :  
لِيَهْمِنُكَ إِشْمَاتُ الْعَدُوِّ بِهَجْرِنَا      وَقَطَعُكَ حَبِلَ الْوَصْلِ حَتَّى تَقْضَبَا<sup>(٣)</sup>

قالت جميلة : ليت صوتك يمالك قد دام لنا ودُمنا له ! وقطعت المجلس وانصرف عامة الناس وبقى خواصهم .

فلما كان اليومُ الثاني حضر القوم جميعاً ، فقالت لطويس : هاتِ يا أبا عبد النعيم ، فابتدأ طويس فغنى :

قَدْ طَالَ لَيْلِي وَعَادَ لِي طَرَبِي      مِنْ حُبِّ خَوْدٍ<sup>(٤)</sup> كَرِيمَةِ الْحَسْبِ  
غَرَاءٌ مِثْلَ الْمَلَالِ آنَسَةٌ      أَوْ مِثْلِ تَمَالِ صُورَةِ الذَّهَبِ

(١) البلاط : الأرض ، وقيل الأرض المستوية للساء (٢) العاضل : المنع (٣) تقضب : تقطم

(٤) الخود : الحسنة الخلق الشابة .

صادت فؤادى بجيدٍ مُغزَلَةٍ (١) ترعى رياضاً مُلتَفَةً العُشبِ

فقلت جميلة : حسنٌ والله يا أبا عبد النعيم .

ثم قالت للدلال : هات يا أبا يزيد ؛ فاندفع فغنى :

قد كنتُ آملُ فيكمُ أملاً والمرءُ ليس بمدرِكِ أملهُ

حتى بدأ لي منكمُ خُفٌ فجزرتُ قلابي فازعوى جهلهُ

ليسَ الفتي بمُخلدٍ أبداً حياً ، وليسَ بفائتِ أجلهُ

قالت : حسنٌ والله يا أبا زيد . ثم قالت لهيبت : إنا نُجلكَ اليومَ أكبرِ

سَنكٍ ورقَّةٍ عظيمك . قال : أجل !

ثم قالت ليردِ الفؤادِ ونومةِ الضحى : هاتيا جميعاً لحناً واحداً فغنياً :

إني تذكرتُ فلا تلحنِي لؤلؤةٌ مكنونةٌ تنطقُ

فقلت جميلة : أحسبنا .

ثم قالت لفندٍ ورحمة وهبة الله : هاتوا جميعاً صوتاً واحداً فإنكم متفقون في

الأصوات والألحان ، فاندفعوا فغنوا :

أشاقك من نحو العقيقِ بُروقُ لوامعُ تحفى تارة وتشوقُ

وما لي لا أهوى جوارى بربرٍ وروحي إلى أرواحهن تتوقُ

لهنَّ جمالٌ فائقٌ وملاحةٌ ودلٌّ على دلِّ النساءِ يفوقُ

وكان بربرٌ حاضراً ؛ فقال : جوارى والله على ما وصفتُم ؛ فمن شاء أقرّ ومن

شاء أنكر . فقلت جميلة : صدق . ثم غنتُ جميلةً بشعر الأعمشى :

بانَتْ سعادٌ وأمسى حبلها أنقطَماً وأحتلتِ الغورُ فالجدنين (٢) فالفرعاً

(١) المغزلة : الظبية ذات الغزال (٢) الجدان والفرع : موضعان .

واستنكرتني وما كان الذي نكرتُ  
من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعاً  
تقولُ بنتي وقد قرّبتُ مرّتحلاً:  
ياربّ جنبّ أبي الأوصابِ والوجعاً  
وكان شيءٌ إلى شيءٍ فغيره  
دهرٌ مُلحٌ على تفرّيقِ ما جمعاً  
فلم يُسمعْ شيءٌ أحسنُ من أبتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني ، وقطعت  
المجلسَ ؛ فانصرف قوم وأقام آخرون .

فلما كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ ، فضربتُ ستارةً وأجلست الجوارى  
كلهن فضرَبَنَ وضربَتُ ؛ فضرَبَنَ على خمسين وترّاً ، فنزلتِ الدارُ ؛ ثم غنّت  
على عودها ، وهنَّ يضربن على ضربها بهذا الشعر :

فإن خنيتُ كانتُ لعينك قرّةً      وإن تبدُ يوماً لم يُعممك<sup>(١)</sup> عارُها  
من الخفّراتِ البيضِ لم ترَ غلظةً      وفي الحسب الضخمِ الرفيعِ نجارُها  
فما روضةٌ بالحزنِ طيبةُ الشرى      يمجحُ الندى جنبجائها<sup>(٢)</sup> وعرارُها  
بأطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً      وقد أوقدتُ بالمندلِ الرطبِ نارُها  
فدمعتُ أعينُ كثيرٍ منهم حتى بلّوا ثيابهم وتنفسوا الصعداء ، وقالوا : بأنفسنا  
أنتِ يا جميلة ! ثم قالت للجوارى : اكفُفْنَ فكففنَ ؛ وقالت يا عزُّ غنى ؛  
فغنّت بشعرٍ لعمري :

تذكرتَ هنداً وأعصارها<sup>(٣)</sup>      ولم تقضِ نفسك أوطارها  
تدكرتِ النفس ما قد مضى      وهاجتُ على العينِ عوارها<sup>(٤)</sup>

(١) لم يعممك : لم يلحقمك (٢) الجنبجاء : من أحرار الشجر له زهرة صفراء طيبة ، والعرار  
نبت طيب الريح وهو النرجس البري (٣) الأعصار : جمع عصر ، يريد الاوقات التي كان يجتمع  
معها فيها (٤) العوار : ما عار في العين من الغدى والرمد فأوجعها .

لَتَمْنَحَ رَامَةً مِّنَّا الْهَوَىٰ وَتَرَعَىٰ لِرَامَةٍ أَسْرَارَهَا  
إِذَا لَمْ نَزُرْهَا حِذَارَ الْعِدَا حَسَدْنَا عَلَى الزُّورِ زُورَهَا  
فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : يَا عَزَّ ؛ إِنَّكَ لِبَاقِيَةٌ عَلَى الدَّهْرِ ، فَهِنِيئًا لَكَ حَسَنٌ هَذَا الصَّوْتُ  
مَعَ جَوْدَةٍ هَذَا الْغَنَاءُ .

ثُمَّ قَالَتْ لِحَبَابَةَ وَسَلَامَةَ : هَاتِيَا لِحَنًا وَاحِدًا ؛ فَغَنَّتَا :  
كَفَى حَزْنَا أَنِي أُغِيبُ وَتَشْهَدُ وَمَا نَلْتَقِي وَالْقَلْبُ حَرَّانٌ مُّقْصَدٌ  
وَمَنْ عَجِبَ أَنِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَنِي أَقُومُ مِنَ الشُّوقِ الشَّدِيدِ وَأُقْعِدُ  
أَحْنُ الْيَسْكَمِ مِثْلَ مَا حَنَّ تَأْتِقُ إِلَى الْوَرْدِ عَطْشَانَ الْفُؤَادِ مَصْرَدٌ (١)  
وَلِي كَبِدٌ حَرَّى يَعْذِبُهَا الْهَوَىٰ وَلِي جَسَدٌ يَبْلَى وَلَا يَتَجَدَّدُ  
فَاسْتَحْسَنَ غَنَاؤُهُمَا .

ثُمَّ أَقْبَاتَ عَلَى خَلِيدَةَ فَقَالَتْ لَهَا : بِنَفْسِي أَنْتِ ! غَنِي ؛ فَغَنَّتْ :

أَلَا يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى التَّصَابِي أَفْقٌ شَيْئًا لِتَسْمَعِ مِنْ جَوَابِي  
بَكَرْتَ تَلُومُنِي فِي الْحُبِّ جَهْلًا وَمَا فِي حُبِّ مِثْلِي مِنْ مَعَابِ  
أَلَيْسَ مِنَ السَّعَادَةِ غَيْرَ شَكِّ هَوَى مُتَوَاصِلِينَ عَلَى اقْتِرَابِ  
كَرِيمٌ نَالَ وَدًّا فِي عَفَافٍ وَسَتَرَ مِنْ مُنْعَمَةٍ كَعَابِ  
فَاسْتَحْسَنَ مِنْهَا مَا غَنَّتْ . ثُمَّ قَالَتْ لِعَقِيلَةَ وَالشَّمَّاسِيَةَ : هَاتِيَا فَغَنَّتَا :

هَجَرْتَ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ فِي غَيْرِ مَا جَتَرْتُمْ وَقَطَعْتِ مِنْ ذِي وَدَكِ الْحَبْلِ فَانصَرَمْتُمْ  
أَطَعْتَ الْوَشَاةَ الْكَاشِحِينَ وَمَنْ يُطِيعُ مَقَالَةَ وَاشٍ يَقْرَعُ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ

(١) التصريد . سفى دون الرى .

ثم قالت لفرعة وبلبله ولذة العيش : هاتين فغنين ؛ فاندفعن بصوت واحد :  
لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى      بغى سقما إني إذن لسقيم  
على دماء البدن إن كان حبها      على النأي في طول الزمان يريم  
تلم ملات فينسين بعدها      ويذكر منها العهد وهو قديم  
فأقسم ما صافيت بعدك خلّة (١)      ولا لك عندي في الفؤاد قسيم  
قالت : أحسنن وهو لعمري حسن .

وقالت لسعدة والزرقاء غنيا فغنتا ؛ فاستحسن غناؤهما .  
ثم قالت للجماعة غنوا جميعاً ؛ فغنوا ، وانفضّ المجلس وعاد كل إنسان إلى  
وطنه . فما رئي مجلس ولا جمع أحسن من هذه الأيام الثلاثة !

١٢ — الغناء يحيى القلب \*

حدّث من يفهم الغناء ، قال :  
بلغني أن جميلةً قعدت يوماً على كرسيِّ لها وقالت لأذنتيها : لا تحجبي عنا  
أحدًا اليوم ، واقعدى بالباب ، فكلُّ من يمرُّ بالباب فأعرضى عليه مجلسي ؛ ففعلت  
ذلك حتى غصت الدارُ بالناس ؛ فقالت جميلة : اصعدوا إلى العلالِيِّ<sup>(١)</sup> ،  
فصعدت جماعةٌ حتى امتلأت السطوح .

فجاءتها بعضُ جواريتها فقالت لها : ياسيدتي ، إن تمادى أمرُك على ما أرى  
لم يبقَ في دارك حائطٌ إلا سقط ؛ فأظهرى ما تريدن . قالت : اجلسي !  
فلما تعالَى النهار واشتد الحر استسقى الناسُ الماء فدعت لهم بالسويق<sup>(٢)</sup> ؛ فشرب  
من أراد ؛ ثم قالت : أقسمتُ على كل رجل وامرأة دخل منزلي إلا شرب ؛ فلم  
يبق في سُفلِ الدار ولا علوها أحدٌ إلا شرب ، وقام على رؤوسهم الجوارى بالمناديل  
والمرايح الكبار ، وأمرت جواريتها فقمُن على كراسيِّ صغارٍ فيما بين كل عشرةٍ  
نقرٍ جاريةٌ تُروِّح .

ثم قالت لهم : إني قد رأيت في منامِي شيئاً أفزعني وأرعيني ، ولستُ أعرفُ  
ما سببُ ذلك ، وقد خفتُ أن يكون قرب أجلي ، وليس ينفعني إلا صالحُ عملي ،  
وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةً أن يُلحَقني منه شيء عند ربي !

فقال قوم منهم : وقلِّك الله وثبت عزمك ! وقال آخرون : بل لا حرجَ عليكِ  
في الغناء . وقال شيخٌ منهم ذو سنٍّ وعلمٍ وفقهٍ وتجربة : قد تكلمت الجماعة ، وكلُّ

\* الأغانى ص ٢٢٤ ج ٨

(١) العلالِي . جمع عليّة : وهي الغرفة (٢) السويق : شراب يتخذ من الخنطة والشعير .

حزبٍ بما لديهم فَرِحُونَ ، ولم أعترض عليهم في قولهم ، ولا شَرِكتُهُمْ في رأيهم ؛  
فاسْتَمِعُوا الآنَ لقولي ، وأنصِتُوا ولا تَشْغِبُوا <sup>(١)</sup> إلى وقتِ انقضاءِ كلامي ؛ فمن  
قَمَلَ قولي فإلله مَوْفِقُهُ ، ومن خالفني فلا بأسَ عليه إذ كنتُ في طاعةِ ربي .

فسكت القومُ جميعاً ؛ وتكلم الشيخ فحمدَ الله وأثنى عليه وصلى على محمد  
النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يامعشرَ أهلِ الحجاز ؛ إنكم متى تخاذلتم فشلتُم  
ووثبَ عليكم عدوُّكم ، وظنرَ بكم ، ولا تُفْلِحُوا بعدها أبداً . . . إلى أن قال : إن  
الغناء من أكبر اللذات ، وأسرُّ للنفوس من جميع الشهوات ، يُحبي القلب ، ويزيد  
في العقل ، ويسرُّ النفس ويفسِّحُ في الرأي ، ويتيسر به العسيرُ ، وتفتَّح به الجيوشُ ،  
ويدالُّ به الجبارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه ، ويبرئ المرضى ومن مات  
قلبه وعقله وبصره ؛ ويزيد أهلَ الثروة غنىً وأهلَ الفقر قناعةً ورضاً باستماعه ؛  
فيعزُّ فؤن عن طاب الأموال . من تمسك به كان عالماً ، ومن فارقه كان جاهلاً ؛ لأنه  
لامنزلة أرفعُ ، ولا شيء أحسنُ منه ؛ فكيف يُستصوبُ تركه ، ولا يستعان به على  
النشاط في عبادةِ ربنا عزَّ وجل ؟! وكلام كثيرٍ غير هذا .

فإردَّ عليه أحدٌ ولا أنكرَ ذلك منهم بشرُّ ، وكلُّ عادٍ بالخطأ على نفسه ،  
وأقرَّ بالحق له .

ثم قال لجميلة : أوعيتِ ماقتُ ؟ ووقع من نفسك ما ذكرتُ ؟ قالت : أجل !  
وأنا أستغفرُ الله . قال لها : فاختمى مجلسنا وفرَّقى جماعتنا بصوت فقط ؛ فغنت :  
أفي رَسْمِ دارِ دُمْعِكَ المترقِّقُ سَفَاهًا ! وما استنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ

(١) شغبت على القوم : هيجت الشر عليهم .

بِحَيْثُ التَّقَى جَمْعٌ وَأَقْصَى مُحَسَّرٌ (١) مَعَانِيهِ قَدْ كَادَتْ عَنِ الْعَهْدِ تَخْلُقُ  
مُقَامٌ لَنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ وَمَنْزَلٌ بِهِ لَمْ يَكْدِرْهُ عَلَيْنَا مُعَوَّقٌ  
فَأَحْسَنُ شَيْءٍ كَانَ أَوَّلُ لَيْلِنَا وَآخِرُهُ حُزْنٌ إِذَا تَفَرَّقَ  
فَقَالَ الشَّيْخُ : حَسَنٌ وَاللَّهِ ! أَمْثَلُ هَذَا يُتْرَكُ ! لَا وَاللَّهِ وَلَا كِرَامَةٌ لِمَنْ خَالَفَ  
الْحَقَّ . ثُمَّ قَامَ وَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَفْرِقْ جَمَاعَتَنَا عَلَى الْيَأْسِ مِنَ  
الْغِنَاءِ وَلَا جُحُودِ فَضِيلَتِهِ ، وَسَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ يَا جَمِيلَةَ .

١٣ — ضَرْبٌ مِنَ التَّمْثِيلِ \*

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : جَلَسْتُ جَمِيلَةَ يَوْمًا وَلَبِسْتُ بُرْنُسًا (٢) طَوِيلًا ، وَأَلْبَسْتُ  
مَنْ كَانَ عِنْدَهَا بَرَانِسَ دُونَ ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ ابْنُ سُرَيْجٍ ، وَكَانَ قَبِيحَ  
الصَّلَعِ ، قَدْ اتَّخَذَ وَفْرَةَ (٣) شَعْرٍ يَضَعُهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَأَحْبَبْتُ جَمِيلَةَ أَنْ تَرَى صَلَعَتَهُ ،  
فَلَمَّا بَلَغَ الْبُرْنُسُ إِلَى ابْنِ سُرَيْجٍ قَالَ : دَبَّرْتُ عَلَى رَبِّ السَّكْبَةِ ! وَكَشَفَ صَلَعَتَهُ  
وَوَضَعَ الْقُلْنَسِيَّةَ (٤) عَلَى رَأْسِهِ ، وَضَحَكَ الْقَوْمُ مِنْ قُبْحِ صَلَعَتِهِ .

ثُمَّ قَامَتْ جَمِيلَةٌ وَرَقَصَتْ وَضَرَبَتْ بِالْعُودِ وَعَلَى رَأْسِهَا الْبُرْنُسُ الطَّوِيلُ ، وَعَلَى  
عَاتِقِهَا بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ ، وَعَلَى الْقَوْمِ أَمْثَالُهَا ، وَقَامَ ابْنُ سُرَيْجٍ يَرْقُصُ وَمَعْبُدٌ وَالغَرِيضُ

(١) جمع : علم للزدانفة ، ووادي محسر : موضع بين منى والمزدانفة

\* الأغانى ص ٢٢٦ ج ٨

(٢) البرنس : قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أو جبة أو ممطرأ (٣) الوفرة :

الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الأذنين منه (٤) الفلنسية : الفلنسة : ما يلبس في الرأس .



وابن عائشة ومالك، وفي يد كل واحدٍ منهم عودٌ يضربُ به على ضربٍ جميلة ورَقصياً؛ فَعَنَّتْ وَغَنَّتْ القوم على غنائها:

ذهب الشبابُ وليته لم يذهبِ وعلا المَفارقَ وقع شَيْبٍ مُعْرَبٍ (١)  
والغانياتُ يُرْدُنَ غيرك صاحباً وَيَعِدُنكَ الهجرانَ بعد تقربِ  
إني أقول مقالةً بتجاربِ حقاً، ولم يُشْبِرَكَ مثلُ مُجْرَبٍ:  
صَافِ الكريمِ وكن لِعَرْضِكِ صائناً وعن اللئيمِ ومثله فتنكَبِ  
ثم دعت بثياب مُصَبَّغَةً ووفرة شعرٍ مثلِ وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها،  
ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا، ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها،  
وغَنَّتْ وَغَنَّتْ وغنوا بغنائها بصوت واحد:

يَمْشِين مَشَى قَطَا البِطَاحِ تَأْوِدًا (٢) قُبَّ (٣) البَطُونِ رَوَاجِحِ الأَكْفَالِ  
فِيهِنَّ آنَسَةُ الحَدِيثِ حَيِّيَّةٌ لَيْسَتْ بِفَاحِشَةٍ وَلَا مِتْفَالٍ (٤)  
وَتَكُونُ رِيْقُهَا (٥) إِذَا نَهَبَتْهَا كَالْمَسْكِ فَوْقَ سُلَافَةِ الجَرِيَالِ (٦)  
ثم نَعَرَتْ وَنَعَرَ القومُ طرباً، ثم جَلَسَتْ وَجَلَسُوا وَخَلَعُوا ثِيَابَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى  
زِيَّهِمْ، وَأَذِنَتْ لِمَنْ كَانَ بِيَابِهَا فَدَخَلُوا؛ وَانصَرَفَ المَغْنُونُ وَبَقِيَ عِنْدَهَا مِنْ  
يَطَارِحِهَا مِنَ الجَوَارِي!

(١) مغرب: أبيض (٢) تأود الشيء: تعوج، وتثنى (٣) قب البطون: القباء الضامرة البطن  
(٤) المتفال: المتغيرة الريح لترك التطيب (٥) الريق: ماء النقم غدوة قبل الأكل ويؤث في الشعر  
(٦) الجريال: من أسماء الحجر.

١٤ — وفود ابن مسجح على عبد الملك بن مروان\*

قال دحان الأشقر: كنتُ عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة، فمضى إليهِ أن رجلاً أسودَ يقال له: سعيدُ بنُ مسجح<sup>(١)</sup> أفسدَ فتيانَ قريش وأنفقوا عليه أموالهم؛ فكتب إليَّ: أن أقبض ماله وسيِّره، ففعلتُ.

فتوجه ابنُ مسجح إلى الشام؛ فصحبهُ رجلٌ له جوارٌ مُعنيَّاتٌ في طريقه، فقال له: أين تُريد؟ فأخبره خبره، وقال له: أريدُ الشام، قال له: فتكونُ معي؟ قال: نعم.

فصحبهُ حتى بلغا دمشق، فدخلا مسجدها، فسألا: مَنْ أخصَّ الناسُ بأمير المؤمنين؟ فقالوا: هؤلاء النفرُ من قريش وبنوعمه، فوقف ابنُ مسجح عليهم وسلَّم، ثم قال: يافتيانُ هل فيكم من يُضيفُ رجلاً غريباً من أهل الحجاز؟ فنظر بعضهم إلى بعض - وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها «برقُ الأفق» - فتنقلبوا به إلا فتى منهم تَدَمَّم<sup>(٢)</sup>؛ فقال: أنا أُضيفك. وقال لأصحابه: انطلقوا أنتم، وأنا أذهب مع ضيفي، قالوا: لا، بل تجيء أنت وضيفك.

فذهبوا جميعاً إلى بيت القينة؛ فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد: إني رجل أسود ولعل فيكم من يقدرني<sup>(٣)</sup>، فأنا أجالسُ وأكلُ ناحية وقام. فاستحيوا منه،

\* الاغانى ص ٢٨٢ ج ٣

(١) سعيد بن مسجح: أحد الموالى، مكى أسود، مغن، متقدم، كان أول من غنى الغناء العربى بمكة وهو الذى علم ابن سريج والغريص (٢) تدمم: خشى الذم واللوم (٣) قدرت الشيء: استقدرته وكرهته.

وبعثوا إليه بما أكل ؛ فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ؛ ففعلوا به كما فعلوا في الماء كل ؛ وأخرجوا جاريتين فجلستا على سريرٍ قد وُضِعَ لهما ، فغنتا إلى العشاء ، ثم دخلتا ، وخرجت جارية حسنة الوجه والهيمّة ، وهما معها ، فجلست على السرير وجلستا أسفلَ منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح : فتمثّلتُ هذا البيت :

فقلت أشمسُ أم مصابيحُ بيعةٍ <sup>(١)</sup> بدتْ لك خلف السجف <sup>(٢)</sup> أم أنتِ حالمُ

فغضبت الجارية ، وقالت : أ يضرب هذا الأسود بي الأمثال ! فنظروا إلى نظرا مُنكرًا ، ولم يزالوا يسكنونها ، ثم غنت صوتًا . فقلت : أحسنتِ والله ! فغضب مولاها ، وقال : أمثلُ هذا الأسود يُقدِّمُ على جاريتي ! فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فانصرف إلى منزلي ؛ فقد تكلّمت على القوم ، فذهبتُ أقوم فتندمّ القوم ، وقالوا لي : بل أقم وأحسن أدبك ، فأقمت وغنت . فقلت : أخطأتِ والله وأسأتِ ؛ ثم اندفعتُ فعزيتُ الصوت ، فوثبت الجارية وقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمان سعيدُ بن مسجح ، فقلت : إني والله أنا هو ، والله لا أقيم عندكم ، فوثب القرشيون . فقال هذا : يكونُ عندي . وقال هذا : يكونُ عندي . وقال هذا : بل عندي ! فقلت : والله لا أقيم إلا عند سيّدكم - يعني الرجل الذي أنزله منهم .

ثم سألوه عما أقدمه ، فأخبرهم الخبر . فقال له صاحبه : إني أسمرُ الليلة مع أمير المؤمنين ؛ فهل تحسبن أن تتحدو ؟ قال : لا ! ولكني أستعملُ حُداء . قال : فإن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين ؛ فإن وافقتُ منه طيبَ نفسٍ أرسلتُ إليك .

(١) البيعة : كنيسة النصارى (٢) السجف بالفتح ويكسر : الستر .

ومضى إلى عبد الملك ، فلما رآه طيَّب النَّفْسَ أرسل إلى ابن مسجح ، وأخْرَجَ رأسه من وراء شَرْفِ القصر ، ثم حدا :

إِنَّكَ يَا مُعَاذُ يَا بَنَ الْفُضْلِ    إِنَّ زُلْزَلَ الْأَقْدَامُ لَمْ تَزَلْ  
عن دين موسى والكتاب المنزل    تُقِيمُ أَصْدَاغَ (١) الْقُرُونِ الْمَيْلِ  
للحقِّ حتى يَنْتَحُوا لِلْأَعْدَلِ

فقال عبد الملك للقرشي : مَنْ هَذَا ؟ قال : رجل حجازي قَدِمَ عَلَيَّ ! قال : أحضره . فأحضره وقال له : أَحَدٌ مُجَدِّدًا ، ثم قال له : هل تغني غناء الرُّكبان ؟ قال : نعم . قال : غنِّه . فتغنى . فقال له : فهل تغني الغناء الْمُتَمِّن . قال : نعم ، قال : غنِّه . فتغنى .

فاهتزَّ عبد الملك طَرَبًا . ثم قال له : أُقْسِمُ إِنَّ لَكَ فِي الْقَوْمِ لِأَسْمَاءَ كَثِيرَةً ! من أنت ؟ وملك ! قال له : أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن مسجح قبضَ مَالِي عَامِلُ الْحِجَازِ وَنَفَاقِي . فتبسَّم عبد الملك . ثم قال له : قد وضح عُذْرُ فتيان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالهم ، وأمنَّه ووصله ؛ وكتب إلى عامله بردَّ ماله عليه وَالْأَلَّ يَعْرِضُ لَهُ بِسُوءِ .

(١) الصدغ : ما بين العين والأذن والقرنان : جانبا الرأس ، أو الصدغ : الميل ، ومنه « لأقبحن صدغك » أي ميلك .

١٥ - دعاية للوطن\*

كان بعضُ ولاةِ الكوفةِ يذمُّ الحيرةَ في أيَّامِ بنى أميةَ ، فقال له رجل من أهلها - وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضربُ المثلُ في الجاهلية والإسلام ! قال : وبماذا تُمدِّحُ ؟ قال : بصحةِ هوائِها ، وطيبِ مائها ، ونزُهَةِ ظاهرها ، تصلُحُ للخُفِّ ، والظِّلِّ ، سهلٌ وجبيلٌ ، وباديةٌ وبُستانٌ ، وبرٌّ وبحرٌ ، محلُّ الملوكِ ومزارُهُم ، ومسكنُهُم ومَمَواهُم ، وقد قَدِمَتِها - أصاحك اللهُ - خُفماً فرجعتْ مُثَقَلاً ، ووَرَدَتِها مُقَلاً فأصارتْكَ مُكَبِّراً ؛ قارِ : فكيف نَعْرِفُ ما وصَفَتِها به من الفضل ؟ قال : بأن تصيرَ إلىَّ ، ثم ادعُ ما شئتَ من لذاتِ العيشِ ، فوالله لا أجوزُ بك الحيرةَ فيه !

قال : فاصنع لنا صنيعاً ، واخرُج من قولك ؛ قال : أفعل ؛ فصنعَ لهم طعاماً وأطعمهم من خُبزِها وسمَكِها وما صيدَ من وَحشِها : مِن ظِبَاءٍ وَنَعَامٍ وَأُرانبَ وَحُبَابِزِي<sup>(١)</sup> ، وسقاهم ماءها في قِلاها ، وأجاسَهُم على رَقَمِها<sup>(٢)</sup> ، ولم يستخدم لهم حُرّاً ولا عبداً إلا من مَوْلِدِها ومولِداتِها من خدَمِ ووصائفِ ووصفاءِ كأنهم اللؤلؤُ ، لِعَنُهم لَعَةً أَهْلِها ، ثم غَنَّاهم حُنِينٌ وَأصحابُهُ في شِعْرِ عَدِيِّ بنِ زَيْدِ شاعِرِهم وأعشى هَمْدانٍ لم يتجاوزَها ، وحيَّاهم بِرِياحِينِها ، ونَقَلَهُم<sup>(٣)</sup> على شِرابِها ، وقد شربوا بفواكِها ؛ ثم قال له : هل رأيتني استعنتُ على شيءٍ مما رأيتَ وأكلتَ وشربتَ

\* الأغاني ص ٣٥١ ج ٢ ، نهاية الأرب .

(١) طائر طويل العنق رمادي اللون (٢) الرقم : الوشي المخطط (٣) نقلهم : أطعمهم النقل .

وافترشتَ وشمتَ وسمعتَ وبغيتَ ما في الحيرةِ؟ قال: لا والله، ولقد أحسنتَ صفةَ بلدك، ونصرتَه فأحسنتَ نُصرتَه والخروجَ مما تضمنتَه، فباركَ اللهُ لكم في بلدكم.

### ١٦ — أَيُّ الأُممِ أعقل؟\*

قال شبيب<sup>(١)</sup> بن شيبَةَ أحدَ بلغاء العرب وجليس الملوك:  
كنا وقوفاً بالعربِ بَد<sup>(٢)</sup>، وكان المِرْبَدَ مَأْنَفَ الأشرافِ؛ إذ أقبل ابن المفقع<sup>(٣)</sup>  
فبششنا به، وبدأناه بالسلام، فردَّ علينا السلام ثم قال: لو مِئْتُم إلى دار نيروز  
وظلَّها الظليل، وسورها المديد، ونسيمها العجيب، فعودتُم أبدانكم تمهيدَ الأرض،  
وأرحتُم دوابكم من جَهْدِ الثقل، فإن الذي تطلبونه لم تفتوه، ومهما قضَى اللهُ لكم  
من شيء تناوله.

\* أسواق الذهب ص ٤٠٠، بلوغ الأرب ص ١٥٩ ج ١

(١) هو شبيب بن شيبَةَ بن عبد الله المنقري التميمي خطيب البصرة في زمانه نشأ في البصرة  
وامتاز ببلاغة نفس، وسخاء كف، وحسن تواضع ونزاهة لسان. وعرف شبيب أبا جعفر المنصور  
قبل خلافته، ثم اتصل به بعدها، فجعله في حاشية ولي عهده المهدي، وبقي كذلك حتى ولي  
المهدي الخلافة فصار من خيرة سماره وجلسائه إلى أن مات سنة ١٧٠ هـ (٢) مربد البصرة:  
هو في الأصل متسع للإبل تعرض فيه للبيع، ثم أصبح على عهد الأمويين سوقاً عاملةً تتخذ فيه  
الجالس وتتعدد الحلقات يتوسطها الشعراء والرجاز ويؤمها الأشراف فيتناشدون ويتفاخرون  
ويتهاجون ويتشاورون (٣) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب  
ولد سنة ١٠٦ هجرية ونشأ بالبصرة، وكان أبوه مجوسياً يجمع خراج فارس للحجاج بن يوسف،  
وبقي ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية، ثم أسلم في آخر عمره، وتعلم صناعة الكتابة،  
وبرع في ذلك، وكتب لكثير من الأمراء، وكان غايبة في الذكاء، اشتهر ببلاغته ورشاقته عبارته،  
وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين، ومات مقتولاً سنة ١٤٢ هـ.

فقبلنا وملنا، ولما استقر بنا المسكان قال لنا: أيُّ الأمم أعقل؟ فنظر بعضنا إلى بعض! فقلنا: لعله أراد أصله من فارس، فقلنا: فارس، فقال: ليسوا بذلك؛ إنهم ملكوا كثيراً من الأرض، ووجدوا عظيماً من الملوك، وغلبوا على كثير من الخلق، ولبت فيهم عمدة الأمر، فما استنبطوا شيئاً بعقولهم، ولا ابتدعوا باقى حكمهم في نفوسهم . . .

قلنا: فالروم، قال: أصحاب صنعة، قلنا: فالصين، قال: أصحاب طرفة، قلنا: فالهند، قال: أصحاب فلسفة، قلنا: فالسودان، قال: شر خلق الله، قلنا: فالترك، قال: كلاب مختلصة. قلنا: فالخزر، قال: بقر سامة، قلنا: فقل، قال: العرب!

فضحكنا جميعاً؛ فقال: أما إنى ما أردتُ موافقتكم، ولكن إذ فاتني حظي من النسبة، فلا يفوتني حظي من المعرفة؛ إن العرب حكمت على غير مثال لها، ولا آثار أثرت، أصحاب إبل وغنم، وسكان شعر وأدم، يوجد أحدهم بقوته، وينتفضل بمجهوده، ويشارك في ميسوره ومعسوره، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة، ويفعله فيصير حجة، ويحسن ما شاء فيحسن، ويقبح ما شاء فيقبح، أدبهم أنفسهم ورفعتهم همهم، وأعلتهم قلوبهم وأسنتهم، فلم يزل حياءً الله فيهم، وحباًؤهم في أنفسهم حتى رفع لهم الفخر، وبلغ بهم أشرف الذكر، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم، قال سبحانه: «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» .

فَمَنْ وَضَعُ حَقْمَهُ خَسِرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَهُمْ خُسِمَ<sup>(١)</sup>، وَدَفَعُ الْحَقَّ بِاللِّسَانِ أَكَبَّتْ لِلْجَنَانِ .

(١) خصم: غلب بالحجة .

١٧ — قرآن العلية\*

قال خادم أمير المؤمنين المأمون<sup>(١)</sup>: طلبني أمير المؤمنين ليلة ، وقد مضى من الليل ثلثه ، فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً وسمّاهما : أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم ، واذهب مسرعاً لما أقوله لك ؛ فإن أصحاب الأخبار قد أكثرُوا في أن شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار البرامكة ، وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً جميلاً ، ويندبهم ويبكي عليهم ، ثم ينصرف . فامض الآن أنت وعليّ ودينار حتى تردوا هذه الخربات ، فاستترُوا خلف جدار من هذه الجُدُر ، فإذا رأيت الشيخ قد جاء وبكى وندب ، وأنشد شيئاً فأتوني به .

قال : فأخذتهما ومضينا حتى وردنا الخربات ، وإذا نحن بغلام قد أتى ، ومعه بساط وكرسي جديد ، وإذا شيخ وسيم ، له جمال وعليه مهابة وصلف ، فجلس يبكي وينتحب ويقول :

وَأَمَّا رَأَيْتُ السِّيفَ جَلَّلَ جَعْفَرَا      وَنَادَى مَنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى  
بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَأَيَّقَنْتُ أَنَّهُ      قُصَارَى الْفَتَى يَوْمًا مَفَارِقَةَ الدُّنْيَا  
أَجْعَفُ إِنْ تَهَلَّكَ فَرُبَّ عَظِيمَةٍ      كَشَفْتِ وَنُعْمَى قَدْ وَصَلَتْ بِهَا نُعْمَى  
فَقُلْ لِلَّذِي أَبْدَى لِي حَيِّي وَجَعَفُ      شِمَاتَهُ : أَيْسُرُ لَتَأْتِيَهُمُ الْعُقْبَى

\* العقد الفريد للملك السعيد ص ٨٩ ، المحاسن والمساوي ص ١٢٢ طبع ليبزج .  
(١) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة العامة بعد مقتل الأُميين سنة ١٩٨ هـ . كان ميالاً للعفو مطبوعاً على الخير ، راغباً في العلم ، محباً للجدل ، وأخباره في كل هذا مشهورة مأثورة ، توفي سنة ٢١٨ هـ .



لَتَنْزَالِ غُصْنُ الْمَلِكِ عَنِ آلِ بَرْمَكٍ      فما<sup>(١)</sup> زالَ حَتَّى أَثْمَرَ الْغُصْنُ وَاسْتَعْلَى  
 وَمَا أَلْدَهْرُ إِلَّا دَوْلَةٌ بَعْدَ دَوْلَةٍ      تَبَدَّلَ ذَا مُلْكٍ وَتَعَقَّبَ ذَا بُلُوَى  
 عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ تَدُومُ لِأَهْلِهَا      ولو أَنهَا دَامَتْ لَكُنْتُمْ بِهَا أَوْلَى  
 بَنِي بَرْمَكٍ كُنْتُمْ نُجُومًا مُضِيئَةً      بِهَا يَهْتَدِي فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مَنْ أَسْرَى  
 لِكُلِّكُمْ أَبْكِي بَعِينَ غَزِيرَةً      وَقَلْبٍ قَرِيحٍ لَا يَمُوتُ وَلَا يَحْيَا

قال : فترأينا له<sup>(٢)</sup> لما فرغ ، ثم قبضنا عليه ؛ فجزع وفرع ، وقال : مَنْ أتم ؟  
 فقلت له : حاجب أمير المؤمنين ، وهذا فلان وفلان ، قال : وما تريدون مني ؟  
 فأعلمته ما أمر به أمير المؤمنين من أخذه إلى مجلسه ، فقال : ذرني أوصي وصيةً  
 فإني لا آمن العطب ، ثم تقدم إلى بعض الدكاكين ، وأخذ ورقة ، وكتب فيها  
 وصية دفعها إلى غلامه ، ثم سرنا به .

فلما دخل إلى المجلس ومثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له : مَنْ أنت ؟  
 وبماذا استوجب منك البرامكة ما تفعله في خربات دورهم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛  
 للبرامكة عندي أياد خضراء ، أفتأذن لي أن أحدثك عن حالهم ؟ قال : قل .  
 قال : أنا يا أمير المؤمنين المنذر بن المغيرة من أهل دمشق ، كنت بها من أولاد  
 الموك ، فزالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال ، فلما ركبتني الديون ، واحتججت إلى  
 بيع مسقط رأسي ورءوس آبائي ، أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة ، فخرجت  
 من دمشق ومعني نيف وثلاثون امرأة وصبيًا وصبية ، وليس معنا ما يباع ولا ما يرهن

(١) الجواب للشرط مع تقدم القسم ، وهو قليل ، وإليه أشار ابن مالك في قوله :

وربما رجح بعد قسم شرط بلاذى خير مقدم

وهو مذهب الفراء ، ويرى الجمهور أن مثل البيت اللام فيه زائدة (٢) تراءى له : تصدى .

حتى دخلنا بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد ، فدعوت بتياب لي كنت قد أعددتها لأستريح بها الناس فلبستها ، وخرجت وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ، ودخلتُ شوارع بغداد أسألُ عن دُور البرامكة ، فإذا أنا بمسجد مزخرف ، وفيه مائة رجل بأحسن زى وزينة وبزة ، وعلى الباب خادمان .

فطمعتُ في القوم وولّجت المسجد ، وجلست بين أيديهم ، وأنا أقدم وأوخر ، والعرق يسيل مني ؛ لأنها لم تكن صناعتي ، وإذا بخادم قد أقبل فحدثت الخادمين ؛ فدخلوا وأزعجوا القوم فقاموا وأنا معهم .

فدخلونا دار يحيى بن خالد ، ودخلت معهم ، فإذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان ، فسلمنا وهو يعدُّنا مائة وواحداً ، وبين يدي يحيى عشرة من ولده ، وإذا غلام أمرُّ حين عذر<sup>(١)</sup> خداه ، قد أقبل من بعض المقاصير ، بين يديه خدام مقرّظون<sup>(٢)</sup> في وسط كل خادم منقطة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ، ومع كل خادم مجرة من ذهب ، في كل مجرة قطعة من عود كهيئة الفهر<sup>(٣)</sup> ، قد ضمَّ إليه مثله من العنبر السلطاني ؛ فوضعه بين يدي الغلام ، وجلس الغلام إلى جنب يحيى .

ثم قال يحيى للزبرقي القاضي : تكلم فقد زوجت بنتي عائشة من ابن عمي هذا ، فخطب القاضي وزوج ، وشهدت أولئك الجماعة ، وأقبلوا علينا بالنتار<sup>(٤)</sup> وبنادق المسك والعنبر ، فالتقطتُ والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ، ونظرتُ وإذا نحن مائة واثنان عشر رجلاً ، فخرج إلينا مائة خادم واثنان عشر خادماً ، مع كل خادم صينية فضة عليها ألف دينار شامية ، فوضع بين يدي كل رجل منا صينيته ،

(١) عذر الغلام : نبت شعر عذاره (٢) القرطق كجندب : ضرب من اللباس (معرب كرته)

(٣) الفهر : الحجر ملء السكف (٤) النتار : ما تناثر من الشيء .

فرايت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ، ويقوم الأول فالأول حتى بقيتُ بين يدي يحيي لأجسُرُ على أخذ الصينية ، فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها ، وجعلت الذهب في كُمِّي ، وأخذتُ الصينية في يدي وقتُ ؛ فجعلتُ ألتفتُ ورأيتُ تخافة أن أُمْنَع من الذهب بها .

فبينما أنا كذلك في صحن الدار أكثر من الانتفات ويحيي يلحظني ، قال للخادم: اتنى بذلك الرجل . فرُدِدْتُ إليه ؛ فأمر فسكبتُ الدنانير والصينية وما كان في كُمِّي ، ثم أمرني بالجلوس فجلست ؛ فقال : بمن الرجل ؟ فقصصت عليه قصتي ، فقال : على بموسى ، فأُتِيَ به ، فقال : يا بني ؛ هذا الرجل غريب ، فخذهُ إليك واحفظه بنفسك ونعمتك .

فقبض موسى على يدي ، وأخذني إلى بعض دوره فأكرمني وعاشرني يومي ولياتي أكلًا وشربًا ؛ فلما أصبح دعا بأخيه العباس ، وقال : إنَّ الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى ، وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين ، فاقبضه إليك وأكرمه ، ففعل . فلما كان من الغد تسكمتُ أخوه ، ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني عشرة أيام ، لأعرفُ خبر عيالي وصبياني : أفي الأموات هم أم في الأحياء ؟ فلما كان في اليوم العاشر دُفعتُ إلى يد الفضل ، فعطف عليَّ وزاد في الكرامة ، فلما كان في اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم ، فقالوا : قم فأخرج إلى عيالك بسلام ، فقلت : واويلاه ! سلبتِ الدنانير والصينية ، وقد تمزقت ثيابي واتسختُ وأخرجُ إلى عيالي على هذه الحالة ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! فرفع الستر الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، ثم الخامس والسادس ، فلما رفع الخادم الستر السابع قال لي : تمنّ ماشئتُ ، وتقدّم إلى بقضاء جميع ما تأمر به . فلما رفع الستر رأيتُ حجرة كالشمس حسنًا ونورًا ،

استقبلتني منها رائحةُ الندِّ والعود ونفحاتُ المسكِ ، وإذا أنا بصبياني يتقلبون في  
الحرير والديباج ، وقد سُحِّلَ إليَّ ألف ألف درهم مبدرةً ، وعشرة آلاف دينار ،  
وقبالتان<sup>(١)</sup> بضيعتين ، وتلك الصينية فيها الدنانير والبنادق ؛ فبقيتُ يا أمير المؤمنين  
مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة ، لا يعلم الناسُ أمِنَ البرامكة أنا أم رجل  
غريب اصْطَفَوْنِي .

فلما جاءت القومُ البليةُ ، ونزلت بهم من أمير المؤمنين الرشيد النازلة ، قصدني عمرو  
ابن مسعدة والزمنى في هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفي دخلهما به ، فلما تحامل  
على الدهر كنتُ في أواخر الليل أقصد خربات القوم ، فأندبهم وأذكرُ حسنَ  
صنيعهم إليَّ ؛ وفاءً لهم على إحسانهم .

فقال المأمون : عليٌّ بعمرو بن مسعدة ، فلما أُتِيَ به قال له : ياعمرو ؛ أتعرفُ  
هذا الرجل ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، هو بعضُ صنائع البرامكة ، قال : كم ألزمته  
في ضيعتيه ؟ قال : كذا وكذا ، فقال : رد عليه كل ما استأديته<sup>(٢)</sup> إياه في مدته ،  
وأوغرُوا<sup>(٣)</sup> ضيعتيه تكونان له ولعقبه من بعده .

فعلانحيبُ الرجل ! ولما طال بكأؤه قال له المأمون : أحسننا إليك فلم تبكى ؟  
فقال : يا أمير المؤمنين ؛ وهذا أيضاً من صنيع البرامكة ! أرأيتك يا أمير المؤمنين لو لم  
أتِ خرباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري بأمر المؤمنين ففعل بي ما فعل ؛  
من أين كنتُ أصلُ إلى ما وصلتُ إليه .

قال إبراهيم بن ميمون : فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه ، واشتدَّ حزنه  
على القوم ، وقال : صدقت ! عمرى هذه أيضاً من صنائع البرامكة ؛ فعليهم فابك ، وإياهم  
فاشكر ، ولهم فأوف ، ولا إحسانهم فاذا كر !

---

(١) القبالة : السكفة الة (٢) استأداه مالا : إذا صادره وأخذ منه (٣) أوغر الملك الرجل  
الأرض : جعلها له من غير خراج .

١٨ — في قصور بني أمية \*

قال محمد بن أحمد المكي : حدثني أبي قال : دخلت إلى علويّه (١) أعوده في علّة اعتلّها ثم عوفي منها . فجرى حديث المأمون فقال : كدت — علم الله — أذهب دفعة ذات يوم وأنا معه ، لولا أن الله تعالى سلّمني ووهب لي حمّله . فقلت : كيف كان السبب في ذلك ؟ فقال : كنت معه لما خرج إلى الشام ، فدخلنا دمشق فطُفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتبع آثارهم ، فدخل صحناً من صحنهم فإذا هو مفروش بالرخام الأخضر كله ، وفيه برّكة ماء فيها سمك ، وبين يديها بستان على زواياه أربع سروات (٢) كأنها قُصّت بمقراض من التفافها ، أحسن ما رأيت من السروات قد أوقدراً .

فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح ، وقال : هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً ، فأتي به بين ماء وورد ، فأكل ودعا بشراب وأقبل على وقال : غني ونشطني ، فكان الله عز وجل أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت :

لو كان حولى بنو أمية لم تنطق رجالهم أراهم نطقوا

فنظر إلى مغضباً ، وقال : عليك وعلى بني أمية لعنة الله ! ويلاك ! أقلت لك سُؤني أو سرّني ! ألم يكن لك وقتٌ تذكُر فيه بني أمية إلا هذا الوقت ؟  
تعرض بي !

\* الأغاني ص ١٢٤ ج ١٠

(١) هو علي بن عبد الله بن سيف ، ويكنى علويه أباحسن ، كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدباً حسناً ، وضارباً متقدماً ، مع خفة روح ، وطيب مجالسة ، وملاحة نوادر ، علمه إبراهيم الموصلي وعنى به جدا ، فبرع ، وغنى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيام التتوكل (٢) السرو : شجرة واحدة سرورة .

فتحيَّلتُ<sup>(١)</sup> عليه ، وعلمتُ أني قد غلظت فقلت : أتلوُمُنِي على أن أذكركَ بنِي أمية !  
هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له ، ويملك ثلاثمائة ألف  
دينار وهبوها له سوى الخيل والضياع والرقيق . وأنا عندكم أموت جوعاً ! فقال :  
أولم يكن لك شيء تَدُّ كَرُنِي به نفسك غير هذا ؟ فقلت : هكذا حضرني حين  
ذكرته . فقال : اعدِلْ عن هذا وغنني . فأنساني الله كلَّ شيء أحسنه إلا هذا  
الصوت :

الحَيْنُ ساق إلى دمشق ولم أكن أرضي دمشق لأهلنا بلداً  
فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدح . وقال : قم عني إلى لعنة الله وحرِّ  
سقر . وقام فركب .

فكانت والله تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات .

قال : ثم قال لي : يا أبا جعفر كم تراني أحسنُ أغنني ؟ ثلاثة آلاف صوت ، أربعة  
آلاف صوت ، خمسة آلاف صوت ، أنا والله أغنني أكثر من ذلك . ذهب - علم  
الله - كله ، حتى كأني لم أعرف غير ما غنيت . ولقد ظننتُ أنه لو كانت لي ألفُ  
روح ما نجتُ منه واحدةً منها . ولكنه كان رجلاً حليماً وكان في العمر بقية !

(١) التحيل : الاحتيال .

١٩ — في دار الفضل بن الربيع \*

قال أحمد بن يحيى المكي: دَعَانِي الفضلُ<sup>(١)</sup> بن الربيع ودعا علويّه وُخَارِقَاءَ، وذلك في أيامِ المأمونِ بعد رجوعه ورضاه عنه، إلا أن حاله كانت ناقصةً مُتَضَعِّضَةً؛ فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق<sup>(٢)</sup> الموصلي يسأله أن يصيرَ إليه، ويُعلمه الحالَ في اجتماعنا عنده، فكتب إليهم: لا تنتظروني بالأكل؛ فقد أكلتُ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة.

فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُبَ العصر، ثم وافى إسحاقُ فجلس، وجاء غلامه بِقَطْرَمِيزٍ<sup>(٣)</sup> نبيذ، فوضعه ناحيةً، وأمرَ صاحبَ الشرابِ بِإِسْقَائِهِ منه، وكان علويّه يُعْنِي الفضلَ بنَ الربيعِ في لحنٍ اقترحه الفضلُ عليه وأعجبه، وهو: **فإن تَعَجَّبِي أو تَبْصِرِي الدهرَ طَمَنِي**<sup>(٤)</sup> **بأحدائه طَمَّ المقصصِ بالجلَمِ**<sup>(٥)</sup> **فقد أترك الأضيافَ تَدَدَى رِحَالَهُمْ** **وأكرمهم بالمحضِ والتامِكِ السَّمِ**<sup>(٦)</sup> فقال له إسحاق: أخطأتَ يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت، وأنا أصلحه لك.

\* الأغاني ص ٣٠٦ ج ٥

(١) كان الفضل بن الربيع وزيراً للرشيدي بعد زوال دولة البرامكة، وبعد موت الرشيد استوزر للأمين، ووقف معه ضد المأمون، وبعد قتل الأمين تشفع طاهر بن الحسين للفضل عند المأمون فرضى عنه، ومات سنة ٢٠٨ هـ (٢) إسحاق الموصلي: من أشهر ندماء الخلفاء تفرد بصناعة الغناء وكان علماً بالغة والموسيقا والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ورواية الشعر وحافظاً للأخبار توفي سنة ٢٣٥ هـ (٣) القطر ميز: قلة كبيرة من الزجاج (٤) طمني: غمرني (٥) الجلم: الذي يميز به الشعر والصفوف. والمقصص: الشيء الذي يقص (٦) المحض: اللبن الخالص بلا رغو، والتامك العظيم السنام من الابل، ومثله السم.

فَجَنَّ عَلْوِيَّوْهُ وَاغْتَاطَ ، وَقَامَتْ قِيَامَتُهُ . ثُمَّ أَقْبَلَ إِسْحَاقُ عَلَى عَلْوِيَّوَيْهِ فَقَالَ لَهُ :  
يَا حَبِيبِي ؛ مَا أَرَدْتُ الْوَضْعَ <sup>(١)</sup> مِنْكَ بِمَا قَلْتُهُ لَكَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ تَهْدِيَتِكَ وَتَقْوِيمَكَ ؛  
لَأَنَّكَ مَنْسُوبٌ الصَّوَابِ وَالْخَطَأُ إِلَى أَبِي وَإِلَيَّ ، فَإِنْ كَرِهْتَ ذَلِكَ تَرَكْتُكَ ، وَقَلْتُ  
لَكَ : أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ . فَقَالَ لَهُ عَلْوِيَّوَيْهِ : وَاللَّهِ مَا هَذَا أَرَدْتُ ، وَلَا أَرَدْتُ إِلَّا  
مَا لَا تَتْرُكُهُ أَبَدًا مِنْ سُوءِ عِشْرَتِكَ ! أَخْبَرَنِي عَنْكَ حِينَ تَجِيءُ هَذَا الْوَقْتُ لِمَا دَعَاكَ  
الْأَمِيرُ وَعَرَّفَكَ أَنَّهُ قَدْ نَشِطَ لِلْإِصْطِبَاحِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى التَّرَفُّعِ عَنْ مِثَابِ كَرْتِهِ <sup>(٢)</sup>  
وَخِدْمَتِهِ مَعَ صَنَائِعِهِ عِنْدَكَ ، وَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَشْغَلَكَ عَنْهُ شَيْءٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ ! ثُمَّ  
تَجِيءُهُ وَمَعَكَ قَطْرٌ مِيزُ نَبِيذٍ تَرْفَعًا عَنْ شِرَابِهِ ، كَمَا تَرْفَعْتَ عَنْ طَعَامِهِ وَمُجَاسَلَتِهِ إِلَّا  
كَمَا تَشْتَهِي وَحِينَ تَنْشِطُ ، كَمَا تَفْعَلُ الْكَفَاءَ <sup>(٣)</sup> ، بَلْ تَزِيدُ عَلَى فِعْلِ الْكَفَاءِ . ثُمَّ  
تَعَمَّدُ إِلَى صَوْتِ قَدِ اسْتَهَاهُ وَاقْتَرَحَهُ ، وَسَمِعَهُ جَمِيعٌ مِنْ حَضَرٍ ؛ فَمَا عَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ،  
فَتَعَبِيهِ لَيْتَمَ تَنْغِيصُكَ إِيَّاهُ لَذَّتَهُ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى أَوْ أَخُوهُ جَعْفَرٌ دَعَاكَ  
إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ ، بَلْ بَعْضُ أَتْبَاعِهِمْ لِبَادَرْتِ وَبَاكَرْتِ ، وَمَا تَأَخَّرْتَ  
وَلَا اعْتَدَرْتَ . قَالَ : فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنِ الْجَوَابِ إِعْجَابًا بِمَا خَاطَبَ بِهِ  
عَلْوِيَّوَيْهِ إِسْحَاقَ .

فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : أَمَا مَاذَكَرْتَهُ مِنْ تَأَخَّرِي عَنْهُ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي حَضَرَتْ فِيهِ ؛  
فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَتَأَخَّرُ عَنْهُ إِلَّا بِعَائِقٍ قَاطِعٍ ، إِنْ وَثِقَ بِذَلِكَ مِنِّي ، وَإِلَّا ذَكَرْتُهُ لَهُ  
الْحِجَةَ سِرًّا مِنْ حَيْثُ لَا يَكُونُ لَكَ وَلَا لِغَيْرِكَ فِيهِ مَدْخَلٌ . وَأَمَا تَرْفَعِي عَنْهُ ؛ فَكَيْفَ  
أَتَرْفَعُ عَنْهُ وَأَنَا أَتَسَبُّ إِلَى صَنَائِعِهِ ، وَأَسْتَمْنِعُهُ وَأَعِيشُ مِنْ فَضْلِهِ مَذْكَرًا ؟

(١) الوضع : الضعة (٢) باكره : أتاه بكره : غدوة (٣) الكفاء : النظراء المتماثلون .



وهذا تَضْرِيْبٌ<sup>(١)</sup> لا أبالي به منك . وأما حَمَلِي النَبِيْذِ مَعِي فَإِن لِي فِي النَبِيْذِ شَرْطًا  
مِن طَعْمِهِ وَرِيْحِهِ ، وَإِن لَمْ أُجِدْهُ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى الشَّرْبِ ، وَتَنَفَّصَ عَلَى يَوْمَيْدُ ، وَإِنَّمَا  
حَمَلْتُهُ لِيَتِمَّ نَشَاطِي وَيُنْتَفِعَ بِي ، وَأَمَّا طَعْنِي عَلَى مَا اخْتَارَهُ فَإِنِّي لَمْ أَطْعَنَ عَلَى اخْتِيَارِهِ ،  
وَإِنَّمَا أَرَدْتُ تَقْوِيْمَكَ ، وَلَسْتَ وَاللَّهِ تَرَانِي مُتَّبِعًا لَكَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ ، وَلَا مُقَوِّمًا شَيْئًا  
مِن خَطِيْئِكَ ، وَأَنَا أَعْنِي لَهُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - هَذَا الصَّوْتِ فَيَعْلَمُ وَتَعْلَمُ ، وَيَعْلَمُ مَنْ حَضَرَ  
أَنَّكَ أَخْطَأْتَ فِيهِ وَقَصَّرْتَ ؛ وَأَمَّا الْبِرَامِكَةُ وَمِلَازِمَتِي لَهُمْ فَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ أُجَدَّهَ ،  
وَإِنِّي لَحَقِيْقٌ فِيهِ بِالْمَعْذِرَةِ ، وَأَحْرَى أَنْ أَشْكُرَهُمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ ، وَأَنْ أُذِيعَهُ وَأَنْشُرَهُ ،  
وَذَلِكَ - وَاللَّهِ - أَقَلُّ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنِّي .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْفَضْلِ - وَقَدْ غَاضَهُ مَدْحُهُ لَهُمْ - فَقَالَ : اسْمِعْ مِنِّي شَيْئًا أَخْبِرُكَ بِهِ  
مِمَّا فَعَلُوهُ ، لَيْسَ هُوَ بِكَبِيْرٍ فِي صِنَائِهِمْ عِنْدِي وَلَا عِنْدَ أَبِي قَبْلِي ؛ فَإِن وَجَدْتُ لِي  
عُذْرًا وَإِلَّا فَلَمْ : كُنْتُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِي نَازِلًا مَعَ أَبِي فِي دَارِهِ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ  
يَجْرِي بَيْنَ غِلْمَانِي وَغِلْمَانِهِ وَجَوَارِيٍّ وَجَوَارِيَةِ الْخِصْمَةِ ، كَمَا تَجْرِي بَيْنَ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ  
فَيَشْكُونَهُمْ إِلَيْهِ ، فَاتَّبَعْنَا الضَّجْرَ وَالتَّنَكَّرَ فِي وَجْهِهِ ، فَاسْتَأْجَرْتُ دَارًا بَقْرُبِهِ ، وَانْتَقَلْتُ  
إِلَيْهَا أَنَا وَغِلْمَانِي وَجَوَارِيٌّ ، وَكَانَتْ دَارًا وَاسِعَةً ، فَلَمْ أَرْضَ مَامَعِي مِنَ الْآلَةِ لَهَا ، وَلَا  
لِمَنْ يَدْخُلُ إِلَيَّ مِنْ إِخْوَانِي أَنْ يَرَوْا مِثْلَهُ عِنْدِي .

فَفَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ وَكَيْفَ أَصْنَعُ ، وَزَادَ فِكْرِي حَتَّى خَطَرَ بَقْلِي قُبْحُ  
الْأَحْدُوْثَةِ مِنْ نَزْوْلِ مِثْلِي فِي دَارٍ بِأَجْرَةٍ ، وَأَنِّي لَا أَمْنُ فِي وَقْتٍ أَنْ يَسْتَأْذِنَ عَلَيَّ

(١) التَضْرِيْبُ : الْاِعْرَاءُ بَيْنَ الْقَوْمِ .

صاحبُ داري، وعندى من أحشم منه<sup>(١)</sup> ولا يعلم حالى فيقال : صاحبُ دارك ؛ أو  
يوجّه في وقتٍ فيطلب أجرة الدار، وعندى من أحشم منه ؛ فضاقت بذلك صدري  
ضيقتاً شديداً حتى جاوز الحدَّ .

فأمرتُ غلامى بأن يُسرج لى حماراً كان عندى ؛ لأمضى إلى الصحراء أتفرّجُ  
فيها مما دخل على قلبى ، فأسرجه وركبتُ برداءً ونعلٍ ؛ فأفضى بى المسيرُ وأنا مفسرٌ  
لا أُميّز الطريق التى أسلكُ فيها ، حتى هجم بى على بابِ يحيى بن خالد ؛ فتواثب  
غلمانهُ إلىّ ، وقالوا : أين هذا الطريق ؟ قلت : إلى الوزير ، فدخلوا فاستأذنوا لى ،  
وخرج الحاجبُ فأمرنى بالدخول ، وبقيتُ خَجِلاً ، قد وقعتُ فى أمرين فاضحين : إن  
دخلتُ إليه برداءً ونعل ، وأعلمتهُ أنى قصدته فى تلك الحال كان سوءُ أدب ، وإن  
قلتُ له : كنتُ مجتازاً ، ولم أقصدك فبجعتك طريقاً كان قبيحاً .

ثم عزمتُ فدخلتُ ، فلما رآنى تبسّم وقال : ما هذا الزى يا أبا محمد ! قد علمنا  
أنك جعلتنا طريقاً ، قلت : لا والله ياسيدى ، ولكنى أصدّقك . قال : هات .  
فأخبرتهُ القصةَ من أولها إلى آخرها ، فقال : هذا حقٌّ مستوٍ أفهدا شغلَ قلبك ؟  
قلتُ : إى والله ! وزاد فقال : لا تشغلْ قلبك بهذا ، يا غلام ، ردّوا حماره ، وهاتوا  
له خِلمةً . فجاءونى بخِلمة تامّةٍ من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلتُ ، ووُضع  
الذبيذ فشربتُ وشربُ فغنيتهُ ، ودعا فى وسطِ ذلك بدواة ورُقعة ، وكتب أربع  
رِقايع ظننتُ بعضها توقيعاً لى بجائزته ، فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع إليه الرِقايع  
وسارّه بشيء ، فزاد طمعى فى الجائزته ، ومضى الرجل وجلسنا نشرب ، وأنا أنتظرُ

(١) أحشم منه : استحياء .

شيئاً فلا أراه إلى العتمة<sup>(١)</sup> ثم اتكأ يحيى فنام . فقامت وأنا منكسر خائب ،  
فخرجت وقدم لي سحاري .

فلما تجاوزت الدار قال لي غلامى : إلى أين تمضى ؟ قلت : إلى البيت . قال :  
قد والله بيعت دارك وأشهد على صاحبها ، وابتيع الدرب كله ووُزِنَ ثمنه ، والمشتري  
جالسٌ على بابك ينتظرك ليعرفك ، وأظنه اشترى ذلك للسلطان ؛ لأنى رأيت الأمر  
فى استعجاله أمراً سلطانياً ؛ فوَقَعْتُ من ذلك فيما لم يكن فى حسابى ، وجمتُ وأنا  
لا أدرى ما أعمل ؛ فلما نزلتُ على باب دارى إذا أنا بالوكيل الذى سارّه يحيى قد  
قام إلى . فقال لى : ادخل - أيدك الله - دارك حتى أدخل لحاطبتك فى أمر احتاج  
إليك فيه ؛ فطابت نفسى بذلك ، ودخلتُ ، ودخل إلى فأقرانى توقيع يحيى :  
« يُطَلِّقُ لأبى محمد إسحاقَ مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها  
ويلاصقها » . والتوقيع الثانى إلى ابنه الفضل : « قد أمرت لأبى محمد إسحاق بمائة  
ألف درهم يُبتاع له بها داره ، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد  
وبناها على ما يشتهى » . والتوقيع الثالث إلى جعفر : « قد أمرت لأبى محمد إسحاق  
بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم ينفقها  
على بنائها وممرمتها على ما يريد ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يبتاع بها فرشاً  
لمنزله » . والتوقيع الرابع إلى محمد : « قد أمرت لأبى محمد إسحاق أنا وأخواك  
بثلثائة ألف درهم لمنزل يبتاعه ونفقة ينفقها عليه ، وفرش يبتدله<sup>(٢)</sup> ، فمره له أنت

(١) العتمة : وقت صلاة العشاء (٢) الابتدال : ضد الصيانة .

بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته . وقال الوكيل : قد حملتُ المال واشتريتُ كلَّ شيءٍ جاوركِ بسبعين ألف درهم ، وهذه كتبُ الِبتِيعاتِ باسمي والِإقرارِ لكِ ، وهذا المالُ بُوركِ لكِ فيه فاقْبِضِيهِ .

فقَبِضَتْهُ وأصْبَحَتْ أَحْسَنَ حَالاً مِنْ أَبِي فِي مَنْزِلِي وَفَرَشِي وَآلَتِي ، وَلَا وَاللَّهِ مَا هَذَا بَأْ كَبِيرِ شَيْءٍ فَعَلَّوْهُ لِي ، أَفَأَلَامَ عَلَى شُكْرِ هَؤُلَاءِ !

فَبَكَى الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَكُلُّ مَنْ حَضَرَ . وَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا تَلَامَ عَلَى شُكْرِ هَؤُلَاءِ . ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ : بِحِيَاتِي غَنَّ الصَّوْتِ ، وَلَا تَبْخُلْ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بَأَنْ تَقْوَمَهُ لَهُ ! فَقَالَ : أَفْعَلْ . وَغَنَّا فَتَبَيَّنَ عُلُوِّيهِ أَنَّهُ كَمَا قَالَ . فَقَامَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : أَنْتَ أَسْتَاذُنَا وَابْنُ أَسْتَاذُنَا وَأَوْلَى بِتَقْوِيمِنَا وَاحْتِمَالِنَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَرَدَّهُ <sup>(١)</sup> اسْحَقُ مَرَاتٍ حَتَّى اسْتَوَى لِعُلُوِّيهِ .

---

(١) رده : أعاده مثل ردهه .

## ٢٠ — المعتصم في يوم العيد\*

قال حمدون بن إسماعيل النديم : حضر العيد ؛ فعبى المعتصم <sup>(١)</sup> بالله خيله تعبية لم يُسمعَ بمثابها ، ولم يُرَ لأحدٍ من ولدِ العباسِ شبيه بها ، وأمر بالطريقِ فُسِحَ <sup>(٢)</sup> من باب قصره إلى المصلّى ، ثم قسم ذلك على القواد ، وأعطى كل واحد منهم <sup>(٣)</sup> مصافه .

فلما كان قبلَ الفِطْرِ بيوم حضر القوادُ وأصحابهم في أجمل زى وأحسن هيئة ؛ فلزموا مصافهم منذ وقت الظهر ، إلى أن ركب المعتصم بالله إلى المصلّى ؛ فكان الموضع الذى وقع لإبراهيم بن المهدي بعد الحرسِ <sup>(٤)</sup> بجذاء مسجد الخوارزمي ؛ وإبراهيم واقف وأصحابه في المصاف .

فلما أصبح المعتصم أمر القواد الذين لم يرتبوا في المصاف بالمصير إلى المصلّى على التعبئة التي حدّها ، ولبس ثيابه ، وجلس على كرسي ينتظرُ مضيَّ القواد . فلما انقضى أمرهم تقدّم إلى الرّجالة في المسير بين يديه ؛ فتقدم منهم سبعة آلاف ناشبٍ من الموالي ، كل ثلاثمائة منهم في زى مخالف لزي الباقين ، وأربعة آلاف من المغاربة ، وأمر الشيعة فكانوا وراءه بالأعمدة ، وعدّتهم أربعة آلاف ، وركبتُ

\* المحاسن والمساوىء ص ١٦٤

(١) هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ولقب بالمعتصم بالله في اليوم الذى دعى له بالخلافة سنة ٢١٨ هـ ، وكان شجاعاً مقداماً شديد البأس محباً للعمارة ، منصرفاً إلى الجيش ، وتوفى سنة ٢٢٧ هـ (٢) يقال : مسح الأرض ، أى ذرعها (٣) المصنف : موضع الصف ، وجمعه مصاف (٤) الحرسى : واحد حرس السلطان .

لا أدري منزلتي أين هي ، ولا أعرفُ مرتبتي ، ولم أعلم أين أسيرُ من الموكب .  
فلما وضع رجله في الركاب ، واستوى على سَرَجِه التفتَ إلى وقال : يا حمدون ؛  
كُنْ أَنْتَ خَلْفِي ، فلزمتُ مؤخَّرَ دابَّته ، فلما خرج من باب القصر تلقَّاهُ القواد  
وأصحابُ المصافِّ : يخرجُ الرجل من مصافِّه ، فإذا قرب نزل وسلمَّ عليه بالخلافة ،  
فيأمره بالركوب ويمضى ، حتى وصل إلى إبراهيم بن المهدي ، فنزل وسلمَّ عليه بالخلافة  
فردَّ عليه السلام ، فقال : كيف أنت يا إبراهيم ؟ وكيف حالك ؟ وكيف كنت في  
أيامك ! اركب فركب . فلما جاوزه التفت إلى ، وقال : يا حمدون ؛ قلت : لبيك  
يا أميرَ المؤمنين ! قال : تذكرُ ؟ قلت : إي والله ياسيدي ! وأمسك .

فنظرتُ فيما قال فلم أجدني أذكر شيئاً في ذلك الموضع مما يشبهه ما كنا فيه !  
فنعص على يومى ، وما رأيت من حسنه وسروره بالمرتبة التي أهَّاني بها ، وقلت :  
الخلفاءُ لا يعاملون بالكذب ، ولا يجوزُ أن يسألني عند انصرافي عن هذا الأمر ،  
فلا يكون له عندي جواب ولا حقيقة ! وتخوّفتُ أن ينالني منه مكروه ؛ فلم أزلُ  
واجماً في طريقي إلى وقت انصرافه ، ثم أجمعتُ على مغالطته إن أمكنني ، وإعمالِ  
الحيلة في التخلص إن يسألني .

فلما استقرَّ في مجلسه ، وبُسط السَّمَّاطُ <sup>(١)</sup> ، وجلس القواد على مراتبهم للطعام  
أقبلتُ أخدم وأختلف ، ليست لي همة غير ما كان قد قاله لي ، لا أغفل عن ذلك ،  
حتى انقضى أمر السَّمَّاط ، ورفع الستر ، ونهض أميرُ المؤمنين ، ودخل الحجرة ،  
ومضى إلى المرقد ، فلم ألبثُ أن جاء الخادم وقال : أجبُ أميرَ المؤمنين ، فضيت .  
فلما دخلتُ ضحك إلى ، وقال : يا حمدون ؛ رأيت ؟ قلت : نعم ياسيدي

(١) السَّمَّاط : ما يمد عليه الطعام .

قد رأيت ! فالحمد لله الذى بلغ بى هذا اليوم وأرانيه ؛ فما رأيتُ ولا سمعتُ لأحدٍ من الخلفاء والملوك بأجلَّ منه ولا أبهى ولا أحسن ؟ قال : ويحك ! رأيتَ إبراهيم ابن المهدي ؟ قلت : نعم ياسيدي ! قال : رأيتَ سلامه على وردى عليه ، ونزوله إلى ؟ قلت : نعم ! فقال : إنه لما كان من أمره ما كان - يعنى الخلافة - قسم الطريق في يوم عيدٍ من منزله إلى المصلّى كقسمتى إياه في هذا اليوم بين قواده ، فوقع موضعى منه الموضع الذى كان به هذا اليوم ، فلما حاذانى نزلتُ فسلمتُ عليه ، فردّ علىّ مثل ما رددتُ حرفاً حرفاً على ما قال لى .

فدعوتُ له وانفرج عنى ما كنت فيه ، وتخلّى عنى الغم والكرب . ثم قال : يا حمدون ؛ إني لم آكل شيئاً ، وأنا أنتظر أن تأكل معى ، فامضِ إلى حجرة الندماء ؛ فإنك تجدُ إبراهيم هنالك ، فاجلسْ إليه وعاتبه وضاحكه ، وأجر له هذا الحديث ، وقل له : إنك رأيتَه فى ذلك اليوم فعَل بى فعلى به فى هذا اليوم ، وانظرْ إلى وجهه وكلامه ، وما يكون منه فعرفنيه على حقيقته ، وأصدقنى عنه ، وعجلْ ولا تحتبس !

قلت : نعم ياسيدي ! فضيتُ ، وقد دُفعتُ إلى أعظم مما كنتُ فيه ؛ لعلمى بأن إبراهيم لو كان من حجَرَ لأثر فيه هذا القول وتغيّر ، وظهر منه ما يُكره ، وخفتُ أن يأتى بما يُسفكُ به دمه ، فضيتُ حتى دخلتُ الحجرة ، فجلستُ إلى إبراهيم ، وقلت ما أمرنى به ، وأنا مبادر خوفاً من خادم يلحقنى ، أورسول ، فلا يمكنى معه تحسين الأمر ، وما يظهر لى منه ؛ فقلتُ لإبراهيم : كيف رأيتَ ياسيدي هذا اليوم ؟ أمّا أعجبك حسنه ؟ وما كان من تعبئة أمير المؤمنين ؟ قال : بلى والله إنه أعجبنى ! فالحمد لله الذى بلّغنيهِ وأرانيه ، وأطنب فى الدعاء للمعتصم .

فلما أمسك قلت : ياسيدي ؛ أذكرك ، في أيامك ، وقد ركبتَ فعميتَ شبيهاً  
بهذه التعبية ، وقسمتَ الطريق مثل هذه القسمة ؛ فوقع لأمير المؤمنين الموضع  
الذي وقع لك ، واجتزتَ به ، فنزل إليك وسلّم ، فرددتَ عليه كرده عليك في هذا  
اليوم !

فوالله إن كان إلا أن قلتُ له ذلك حتى ار بدّ لونه ، وجفّ ريقه ، واعتقل لسانه ،  
وبقى لا يتكلم بحرف ملياً ، ثم قال بلسان ثقيل : لكأني في ذلك الموضع في ذلك  
اليوم ! فالحمد لله للذي رأيتُهُ لأمير المؤمنين ، فعل الله به وفعل !

فتغنمتُ<sup>(١)</sup> ذلك وقت ، وأنا ألتفتُ ، ونهضتُ حتى أتيت المعتصم ، فقال لي :  
هيه يا حمدون ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أتيتُ إبراهيم ، وقلتُ له ما أمرتني به ،  
فأظهر سروراً ودعاء ، وقال : كيت وكيت . فقال : والله قال ! بحياتي ! قلت :  
وحياتك يا أمير المؤمنين ! قال : فكيف رأيتَ وجهه ! فلم أدري ما أقول ، فقلتُ :  
يا أمير المؤمنين ؛ بالله لما تركتني من وجه عمك الذي لا يتبين فيه فرح ولا حزن !  
فاستضحك ، ثم أمسك ، ودعا بالطعام فأكلنا ، ثم رقد . فلما انتبه وجلس دعا  
بإبراهيم وسائر الندماء ، فشرّب وبرّ إبراهيم وأظفنه .

(١) تغنمه : انهب غنمه ، وعهه غنيمه .



٢١ — رسل الروم عند الناصر\*

رحل الناصر<sup>(١)</sup> لدين الله من قصر الزهراء<sup>(٢)</sup> إلى قصر قرطبة<sup>(٣)</sup> لدخول وفود الروم عليه ، وقعد لهم في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً ، وقعد عن يمينه ولى العهد من بنيهِ ، وقعد عن يساره منذر بن سعيد ، وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً ، ووقف الحجابُ من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالى وغيرهم ، وقد بسطَ صحنُ الدار أجمع بعِناقِ البُسْطِ ، وكرأَمِ الدرانك<sup>(٤)</sup> ، وظلَّتْ أبوابُ الدار وحناياها بغالى الديباج ورفيع الستور .

فوصل رسلُ ملك الروم حائرين مما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ، ودفَعوا كتابَ ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى ، وهو فى رَقِّ<sup>(٥)</sup> مصبوغ بلون سماوى ، مكتوب بالذهب بالخط الإغريقى ، وداخل الكتاب مُدْرَجَةٌ<sup>(٦)</sup> مصبوغة أيضاً مكتوبة بِفِضَّةٍ بَخَطِ إغريقى أيضاً ، فيها وصفٌ هديتهِ التى أرسل بها وعدُّها ، وعلى الكِتابِ طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل ، على وجهٍ منه صورةُ المسيح وعلى الآخر صورةُ الملكِ وصورةُ ولده .

\* نفخ الطيب ص ١٧٢ ج ١

(١) هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس ، وأول من تلقب بالخلافة منهم . وكانت أيامه أيام جهاد ، وكان عادلاً محسناً محباً للعلم ، شغوفاً بالعمارة ، توفي سنة ٣٥٠ هـ (٢) هى المدينة التى بناها الناصر (٣) قرطبة : حاضرة الخلافة بالأندلس ، وكانت أخت بغداد عزاً وعلواً وحضارة وفيها المسجد الجامع الذى بناه عبد الرحمن الأموى سنة ٧٩٢ م ، وهى الآن الكنيسة الكنتراية (٤) الدرانك : الطنافس (٥) الرق : ما يكتب فيه ، وهو جلد رقيق (٦) ادرجت الكتاب : طويته .

وكان الكتاب بداخل دُرْج<sup>(١)</sup> فضة منقوش ، عليه غطاء ذهب ، فيه صورة الملك من الزجاج الملون البديع ، وكان الدرج داخل جَعْبَة ملبّسة بالدباج . ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحبّ أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ليذكروا جلالته متعده ، وعظيم سلطانه ، ويصفوا ما تهبّأ من توطيد الخلافة في دولته .

وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه وليّ عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم الفقيه محمد بن عبد البر الكيسانى بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة ، وكان يدّعى من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره . وحضر المجلس السلطان ، فلما قام يحاول التكلم بما رأى هاله وبهره هولّ المقام وأبهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظه ، بل غشى عليه ، وسقط إلى الأرض .

فقيل لأبي على القالى - وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبجر اللغة - قم فارتفع هذا الوهى ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم انقطع القول بالقالى ، فوقف ساكناً مفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه . فلما رأى ذلك منذر<sup>(٢)</sup> بن سعيد قام ، فوصل افتتاح أبي على لأول خطبته بكلام عجيب ، ونادى من الإحسان في ذلك المقام كلّ مجيب ، يسّحه سجّاً كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذى انتهى إليه أبو على فقال<sup>(٣)</sup> :

---

(١) أصل الدرج : السفيط الصغير تضع فيه المرأة متاعها وطيبها (٢) كان إماماً فقيهاً خطيباً شاعراً فصيحاً ، ولى القضاء بقرطبة أيام عبد الرحمن ، وتوفى بقرطبة سنة ٣٣٥ هـ (٣) الخطبة بتمامها في نوح الطيب ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ طبع المطبعة الأزهرية .

أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثةٍ مقاماً، ولكل مقامٍ مقالاً، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإني قمتُ في مقام كريم بين يدي ملكٍ عظيم ، فأصغوا إليّ معشر الملائة بأسماعكم ، وألقوا إليّ بأفئدتكم ، إن من الحق أن يُقال له حَقٌّ صدقت ، ولم يبطل كذبت ، وإن الجليل تعالى في سمائه وتقدس بصفاته وأسماؤه أمرَ كلميه موسى أن يُذكَرَ قومه بأيام الله عز وجل عندهم، وفيه وفي رسولِ الله أسوةٌ حسنة، وإني أذكَرُكم بأيام الله عندهم، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين، التي لمتُ شعبتكم وأمنتُ سرِّبكم ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثرتكم، ومستضعفين فقواكم، ومستذلّين فنصركم . . .

واستمر كذلك بكلام عجيب بهر العقول جزالة ، وملاً الأسماع جلاله؛ فخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه، وبلاغة لسانه؛ وكان الناصرُ أشدَّهم تعجباً منه ؛ فأقبل على ابنه الحكم ؛ فسأله عنه ؛ فقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطي ! فقال : والله لقد أحسن ما شاء ، ولئن أخرجني الله بعدُ لأرفعنَّ من ذكره، فضع يدك يا حكمُ عليه واستخاضه وذكَرني بشأنه ، فما للصيغة مذهبٌ عنه .

ثم ولّاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء .

٢٢ — ليلة بمالقة \*

قال أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد التجيبي : كنتُ بمدينة مالقة<sup>(١)</sup> من بلاد الأندلس سنة ست وأربعمائة ، فاعتلت بها مدة انقطعتُ فيها عن التصرف ، ولزمتُ المنزل ، وكان يمرُّ ضني<sup>(٢)</sup> حينئذ رفيقان كانا معي ، يهَّمان من شعبي ، ويرفقان بي . وكنتُ إذا جنَّ الليل اشتدَّ سهري ، وحققتُ حولي أوتار العيدان والطناير والمعازف من كل ناحية ، واختلطت الأصواتُ بالغناء ؛ فكان ذلك شديداً عليّ ، وزائداً في قلبي وتألّمي ، فكانت نفسي تعافُ تلك الضروبَ طبعاً ، وتكره تلك الأصواتَ جيلاً ، وأود لو أجدُ مسكناً لا أسمعُ فيه شيئاً من ذلك ، ويتعذر عليّ وجودُه لغلبةِ ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم .

وإني لساهرٌ ليلةً بعد إغفائه في أول ليلتي ، وقد سكنتُ تلك الألفاظُ المكروهة ، وهذأت تلك الضروبُ المضطربة ، وإذا ضربُ خفي معتدلاً حسن لا أسمعُ غيره ، فكان نفسي أنست به ، وسكنتُ إليه ، ولم تنفرِ منه نفارها من غيره ، ولم أسمعُ معه صوتاً ، وجعل الضرب يرتفعُ شيئاً فشيئاً ، ونفسي تتبَّعه ، وسمعي يُصغى إليه ، إلى أن بلغ في الارتفاع إلى ما لا غاية وراءه ؛ فارتحتُ له ، ونسيتُ الألم ، وتداخلى سرور وطرب ، وخيلَ إليّ أن أرضَ المنزل ارتفعتُ بي ،

\* شرح المختار من شعر بشار ص ١٤

(١) مدينة بالأندلس كانت ثغراً حصيناً على بحر الروم ، أسسها الفينيقيون ، وكان لها شهرة أيام الرومان والقرطاجيين ، وكان بها بنو حمود من ملوك الطوائف (٢) مرضه : قام عليه في مرضه .

وأن حيطانه تمور<sup>(١)</sup> حولي ، وأنا في كل ذلك لا أسمع صوتاً .

فقلتُ في نفسي : أمّا هذا الضرب فلا زيادة عليه ؛ فليت شعري كيف صوتُ الضارب ! وأين يقع من ضربه ؟ ولم ألبثُ أن اندفعتُ جاريةً تغني في هذا الشعر بصوتٍ أُندي من الثَّوَّار ، غِبَّ القِطَّار<sup>(٢)</sup> ، وأحلى من البارد العَدْب ، على كبَد الهأم الصب ؛ فلم أملك نفسي أن قُمتُ ورفيقي نائمًا ، ففتحتُ الباب ، وتبعَت الصوتُ ، وكان قريباً مني ، فاطلعت من وسط منزلي على دار فسيحة ، وفي وسط الدار بستانٌ كبير ، وفي وسط البستان شَرِب<sup>(٣)</sup> نحو من عشرين رجلاً ، قد اصطفوا وبين أيديهم شراب وفاكهة ، وجوارٍ قيامٌ بعِيدانٍ وطنابير وآلاتٍ لَهُو ، ومزاميرٍ لا يجرُّ كنها ، وجاريةٌ جالسةٌ ناحية ، وعودُها في حجرِها ، وكلُّهُ يرمقها ببصره ، ويُوَعِيها سمعاً ، وهي تغني وتضرب ، وأنا قائمٌ بحيث أراهم ولا يرونني ، وكلما غنَّت بيتاً حفظته إلى أن غنَّت عدة أبيات وقطعت ؛ فعُدتُ إلى موضعي ، يشهدُ الله وكأما أنشِطتُ<sup>(٤)</sup> من عقال ، وكأن لم يكن بي ألم ، وقد وَعيتُ الأبيات وهي :

مابالُ أنجم هذا الليلِ حائرةً      أضلَّت القصدُ؟ أم لَيْسَتْ على فَلَكَ ؟  
 عادتُ سَواريه<sup>(٥)</sup> وقفاً لا حراكَ بها      كأنما جثتُ صرعى بمَعْتَرِكِ  
 هل من بشيرٍ بنورِ الصبح ، تنقِذني      بُسْراه من طُولِ وَجْدٍ غيرِ مَتَرِكِ

(١) تمور : تتحرك وتذهب وتجيء (٢) القطار : جمع قطر (٣) جمع شارب (٤) أنشط

من عقال : حل (٥) جمع سار .

فقد أجدّ التواءُ الليل لي شجنًا وأضجعتني تباريحي<sup>(١)</sup> على الحسك<sup>(٢)</sup>  
خذ ياشمول<sup>(٣)</sup> كئوسَ الراح مترعةً فسقنيها ولا تسأل عن الدرك  
وهيَّج بألحانك الطنبورَ إنَّ له على شجونِ المعنى سَطوَة المملك  
ثم انصرفت في صباح تلك الليلة ، فلقيتُ صديقاً لي من أهل العلم قرطبيّاً  
سكن مائقة ، فأخبرته الخبر ، وأشدته الشعر ، ووصفتُ له الدار ؛ فاغروقت عيناه  
وقال : الدارُ للوزير فلان ، والجارية فلانة البغدادية إحدى المحسنات من جوارى  
المنصور بن أبي عامر ؛ وصارت إلى هذا الوزير بعد موت المنصور ، وتمزَّق  
ملكه !

(١) تباريح الشوق : توهجه ، والتباريح : الشدائد (٢) الحسك : نبات ورقه كورق الرجلة  
وأدق وعند ورقه شوك صلب ذو ثلاث شعب (٣) شمول : اسم غلام صقلبي من صقالبة المنصور .

## الباب الثاني

---

في القصص التي تتضمن معتقداتهم ، وأخبار كهانهم  
وكواهنهم ، وتبسط ما كانوا يعرفون من حقائق التوحيد ،  
والبعث ، والدار الآخرة ، وما كانوا يتوسلون به من إقامة  
الأوثان ، وتعهدا بألوان الزلفى والقربان .

---

٢٣ - قوم عاد يستسقون بمكة\*

لما كذبت عادُ هوداً - عليه السلام - توالى عليهم ثلاثُ سنواتٍ ، لم يروا فيها مطراً ؛ فبعثوا من قومهم وفدًا إلى مكة ؛ ليستسقوا لهم ، ورأسوا<sup>(١)</sup> عليهم قَيْلَ بنِ عُنُقٍ ، ولُقَيْمَ بنَ هَزَّالٍ ، ولقمان بن عاد ، وكان أهل مكة إذ ذاك العماليق ، وكان سيدهم بمكة معاويةُ بن بكر .

فلما قدموا نزلوا عليه ، لأنهم كانوا أخواله وأصحابه ؛ فأقاموا عنده شهرًا ، وكان يكرمهم ، والجرادتان<sup>(٢)</sup> تُغنيانهم ؛ ففسدوا قومهم ؛ فقال معاوية : هلك أخوالى ، ولو قلت لهؤلاء شيئًا ظنوا بى بخلاً ، فقال شعراً ، وألقاه إلى الجرادتين ، فأنشدته ، وهو :

أَلَا يَا قَيْلُ وَيْحَكَ! قُمْ فَهَيِّجِ<sup>(٣)</sup> لَعَلَّ اللَّهَ يَبْعَثُهَا غَمَامًا  
فِي سَقَى أَرْضِ عَادٍ ؛ إِنْ عَادًا قَدْ أَمْسَوْا لِأَيِّبِنُونَ الْكَلَامَا  
مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ نَرْجُو بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْغَلَامَا  
وَقَدْ كَانَتْ نَسَاؤُهُمْ بَخِيرٍ فَقَدْ أَمْسَتْ نَسَاؤُهُمْ أَيَّامِي<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ الْوَحْشَ يَأْتِيهِمْ جَهَارًا وَلَا يَخْشَى لِعَادِيٍّ سَهَامَا  
وَأَنْتُمْ هَهُنَا فِيمَا اسْتَهَيْتُمْ نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ الْتِمَامَا<sup>(٥)</sup>  
فَقَبِّحْ وَفَدِّكُم مِّنْ وَفَدِّ قَوْمٍ وَلَا لَقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا

\* البداية والنهاية لابن كثير ص ١٢٦ ج ١ ، الامثال ص ١١٥ ج ١ ، السعوى ص ٣٢١ ج ١  
وص ٤٥٦ ج ٢

(١) رأسوه : جعلوه رئيساً (٢) الجرادتان : مغنيتان لمعاوية كانتا بمكة (٣) الهينة : الصوت الحقى والمراد الدعاء (٤) الأيامى : جمع الایم : وهى من لزوج لها (٥) التم : نزل .



فلما غنتهم الجرادتان بهذا ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ؛ إنما بعثكم قومكم  
يتغوثن<sup>(١)</sup> بكم !

فقاموا ليدعوا ، وتخلّف لقمان ؛ وكانوا إذا دعوا جاءهم نداء من السماء : أن  
سأوا ما شئتم ؛ فتعطون ما سألتهم ! فدعوا ربهم ، واستسقوا لقومهم ؛ فأنشأ الله ثلاث  
سحابات : بيضاء وحمراء وسوداء ؛ ثم نادى مناد من السماء : يا قَيْلُ ؛ اختر لقومك  
ولنفسك واحدة من هذه السحاب !

فقال : أما البيضاء فاجعل<sup>(٢)</sup> ، وأما الحمراء فعارض<sup>(٣)</sup> ، وأما السوداء فهُطل ،  
وهي أكثر ماء ؛ فاخترها ؛

فنادى مناد : قد اخترت لقومك رماداً<sup>(٤)</sup> رَمِدِداً ، لا تذر من عاد أحداً ،  
لا والداً ولا ولداً !

وسير الله السحابة التي اختارها إلى عاد ، ونودي لقمان : سيل ، فسأل عمر  
ثلاثة<sup>(٥)</sup> أنسر ؛ فأعطى ذلك !

وكان يأخذ فرخ النسر من وكّره ؛ فلا يزال عنده حتى يموت ! وكان آخرها  
لُبد ، وهو الذي يقول فيه النابغة :

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا      أخنى عليها الذي أخنى على لُبد

(١) غوث الرجل واستغاث : صاح واغوثاه (٢) الجمل : السحاب هراق ماءه ومضى (٣) العارض :  
السحابة المعترضة في الأفق (٤) الرممد بالكسر : المتناهي في الدقة (٥) يقال سبعة .

٢٤ — زيد بن عمرو يتامس الدين الصحيح\*

خرج زيد<sup>(١)</sup> بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقى عالماً من اليهود ، فسأله عن دينهم فقال : لعلّ أدين بدينكم فأخبرني به ؛ فقال اليهودي : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو : لا أفرُّ إلاّ من غضب الله ، وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ؛ فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ؛ قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ؛ فخرج من عنده وتركه .

فأتى عالماً من علماء النصارى . فقال له نحواً مما قال لليهودي ؛ فقال له النصراني : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، فقال : إني لا أحمل من لعنة ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ؛ فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قال اليهودي : لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ؛ فخرج من عندهما ، وقد رضى بما أخبراه واتقيا عليه من دين إبراهيم ؛ فلما برز رفع يده وقال : اللهم إني على دين إبراهيم .

\* الأغانى ص ١٢٦ ج ٣

(١) كان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحها ، وكان يقول : يا معشر قريش ، أيرسل الله قطار السماء ، وينبت بقل الأرض ويخلق السائمة فتعري فيه ، وتدبجوها لغيره ! توفي سنة ١٧ق . ه .

٢٥ — النعمان بن المنذر يتنصر \*

خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد معه عدى بن زيد ، فمروا بشجرة ، فقال له  
عدى بن زيد : أيها الملك ، أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا      يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ

عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَانْقَرَضُوا      وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

ثم جاوز الشجرة فمر بمقبرة ، فقال له عدى : أيها الملك ؛ أتدرى ما تقول هذه  
المقبرة ؟ قال : لا ، قال تقول :

أَيُّهَا الرُّكْبُ المَحْبُوثُ      نَ عَلَى الأَرْضِ المَجْدُونُ

فَكَمَا أَنْتُمْ كُنَّا (١)      وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ

فقال له النعمان : إن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان ، وقد علمت أنك إنما أردت  
عظمتي ، فما السبيل التي تدرك بها النجاة ؟ قال : تدع عبادة الأوثان ، وتعبد الله ،  
وتدين بدين المسيح عيسى بن مريم ، قال : أو في هذا النجاة ؟ قال : نعم ،  
فتنصر يومئذ !

\* الأغاني ص ٩٦ ج ٢

(١) جاء في الاغانى أن الشعر من مجزوء الرمل المسبغ وتقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن ، فيكون على هذا غير موزون .

٢٦ - - طَرِيفَةُ الْكَاهِنَةِ\*

كانت العمارة في أرض سبأ أزيد من مسيرة شهرين للراكب المجتهد ، وكان أهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر ؛ ثم مَزَقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ . وكان أولَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ مُزَيْقِيَاءَ<sup>(١)</sup> ؛ وكان سبب خروجه أنه كانت له زوجة كاهنة ، يقال لها طَرِيفَةُ الْخَيْرِ ، وكانت رأت في منامها : أَنَّ سَحَابَةً غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ ، فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ<sup>(٢)</sup> فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ؛ فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لَدُنْكَ فَرَعَاً شَدِيداً ، وَأَتَتْ الْمَلِكَ عَمْرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ، أزال عني النوم ، رأيتُ غَيْمًا أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ ، وَزَجَرَ وَأَصْعَقَ ، فَمَا وَقَعَتْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَ . فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخِلَهَا مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا .

ثم إن عمراً دخل حديقة له ، ومعه جاريقان من جواريه ، فبلغ ذلك طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ ، وَخَرَجَ مَعَهَا وَصَيْفٌ<sup>(٣)</sup> لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ؛ فَلَمَّا بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مُنَاجِدٍ<sup>(٤)</sup> مُنْتَصِبَاتٍ عَلَى أَرْجَلِهِنَّ ، وَاضَعَاتٍ أَيْدِيَهُنَّ عَلَى أَعْيُنِهِنَّ ، فَتَعَدَّتْ إِلَى الْأَرْضِ وَاضَعَةً يَدَيْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، وَقَالَتْ لَوْصِيْفَهَا : إِذَا ذَهَبْتَ هَذِهِ الْمُنَاجِدِ فَأَخْبِرْنِي . فَلَمَّا ذَهَبَتْ أَخْبَرَهَا ، فَانْطَلَقَتْ مُسْرِعَةً ، فَلَمَّا عَارَضَهَا الْخَلِيْجُ الَّذِي فِي

\* شرح مقامات الحريري ص ٢٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٢٨٣ ج ٣ ، مجمع الأمثال ص ٢٥٢ ج ١ ، السعودي ص ٣٤٤ ج ١ ، معجم البلدان ( مأرب ) .

(١) ملك اليمن ، ومزيقياء : لقبه ، فقد كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما بالعمشى ، يكره العود فيهما ، ويأنف أن يلبسهما غيره (٢) أصابت بصاعقة : وهي نار تسقط من السماء مع الرعد الشديد (٣) الوصيف : الخادم ، غلاماً كان أو جارية (٤) هي دواب تشبه اليرابيع ، واليربوع : دويبة نحو الفأرة ، لكن ذنبه وأذنيه أطول منها ، ورجليه أطول من يديه .

حديقة عمرو وَثَبَتْ من الماء سُلْحَفَاةٌ ، فوَقَعَتْ في الطَّرِيقِ على ظَهْرِهَا ، وَجَعَلَتْ تَرُومُ  
الانْتِقَابِ فَلَا تَسْتَطِيعُ ، وَتَسْتَعِينُ بِذَنْبِهَا فَتَحْتُوُ التَّرَابَ على بَطْنِهَا من جَنَابَاتِهِ ،  
وَتَقْدِفُ بالبُولِ قَدْفًا .

فلما رَأَتْهَا طَرِيفَةٌ جَلَسَتْ إلى الأَرْضِ ، فلما عَادَت السُلْحَفَاةُ إلى المَاءِ مَضَتْ  
طَرِيفَةٌ إلى أَنْ دَخَلَتْ على عمرو ، وَذَلِكَ حِينَ انْتَصَفَ النَّهَارِ في سَاعَةٍ شَدِيدِ حَرِّهَا ؛  
فإذا الشَّجَرُ يَتَكَفَّأُ<sup>(١)</sup> من غير رِيحٍ ، فلما رَأَاهَا اسْتَحْيَا مِنْهَا ، وَأَمَرَ الجَارِيَتَيْنِ  
بِالانْصِرَافِ إلى نَاحِيَةٍ ؛ ثُمَّ قال لَهَا : هَلُمَّ يَاطَرِيفَةُ ، فَكَهَنْتَ<sup>(٢)</sup> لَهُ ، وَقالَتْ :  
وَالنُّورِ وَالظَّلْمَاءِ ، وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ؛ إِنْ الشَّجَرُ لَهَالِكٌ ، وَلِيَعُودَنَّ المَاءُ كما كان في  
الزَّمَنِ السَّالِكِ .

قال عمرو : مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ؟ قالَتْ : أَخْبَرَنِي المُنَاجِدُ ، بِسُنَيْنِ شَدَائِدٍ ، يَقْطَعُ  
فِيهَا الوَلدُ الوالِدَ . قال : ما تَقْوَانِ ؟ قالَتْ : أَقولُ قولَ النَّدْمَانِ لَهْفًا ، لَقَدْ رَأَيْتِ  
سُلْحَفَاةً<sup>(٣)</sup> ، تَجْرِفُ التَّرَابَ جَرَفًا ، وَتَقْدِفُ بالبُولِ قَدْفًا ؛ فَدَخَلْتُ الحَدِيقَةَ ؛ فإذا  
الشَّجَرُ من غير رِيحٍ يَتَكَفَّأُ !

قال : ما تَرَيْنَ في ذَلِكَ ؟ قالَتْ : هِيَ دَاهِيَةٌ دَهِيَاءُ<sup>(٤)</sup> من أُمُورِ جَسِيمَةٍ ،  
وَمِصْأَبِ عَظِيمَةٍ ! قال : وما هُوَ ؟ وَيلَكَ ! قالَتْ : أَجَلُ ! إِنْ فِيهِ الوَيْلُ ! وَمالَكَ  
فِيهِ من قَيْلٍ<sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ الوَيْلُ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ السَّيْلُ !

فَألقى عمرو نَفْسَهُ عن فَرَّاشِهِ ، وَقال : ما هَذَا يَاطَرِيفَةُ ؟ قالَتْ : خَطْبُ جَلِيلٍ ،

(١) يميل (٢) كهن له : قضى له بالغيث (٣) السُلْحَفَاةُ (٤) داهية دهياء : شديدة

(٥) قال قتيلا : نام في الغائلة ، وهي نصف النهار ، والمراد الإقامة والمسكن .

وَحُزْنٌ طَوِيلٌ ، وَخَلَفٌ <sup>(١)</sup> قَلِيلٌ ! قَالَ : وَمَا عِلْمُهُ مَا تَذَكِّرِينَ ؟ قَالَتْ : اذْهَبْ إِلَى السِّدِّ ، فَإِذَا رَأَيْتَ جُرْذًا <sup>(٢)</sup> ، يُكَبِّرُ بِيَدَيْهِ فِي السِّدِّ الْخَفْرَ ، وَيَقْلِبُ بِرِجْلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الصَّخْرِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ غَمَرَ الْغَمْرِ <sup>(٣)</sup> ، وَأَنْ قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ .

قَالَ : وَمَا الَّذِي تَذَكِّرِينَ أَنَّهُ يَقَعُ ؟ قَالَتْ : وَعَدُّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَعَالَى نَزَلَ ، وَبَاطِلٌ بَاطِلٌ ، وَنَكَالٌ بِنَا نَسْكَالٍ ؛ فَبَغِيْرِكَ يَا عَمْرُو يَكُونُ الشَّكْلُ <sup>(٤)</sup> !

فَانطَلَقَ عَمْرُو فَإِذَا الْجُرْذُ يَقْلِبُ بِرِجْلَيْهِ صَخْرَةً مَا يَقْلِبُهَا خَمْسُونَ رَجُلًا ، فَرَجَعَ إِلَى طَرِيفَةٍ فَأَخْبَرَهَا الْخَبِيرَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَبْصَرْتُ أَمْرًا عَادَنِي مِنْهُ أَلَمٌ      وَهَاجَ لِي مِنْ هَوَاهُ بَرَحٌ <sup>(٥)</sup> السَّقَمُ  
مِنْ جُرْذٍ كَفَجَلِ خَنْزِيرِ الْأَجْمِ <sup>(٦)</sup>      أَوْ كَبَشِ صِرْمٍ <sup>(٧)</sup> مِنْ أَفَارِيقِ الْغَمِّ <sup>(٨)</sup>  
يَسْعَبُ صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدِ الْعَرَمِ      لَهُ مَخَالِبُ وَأَنْيَابٌ قَضَمٌ <sup>(٩)</sup>  
مَا فَاتَهُ سَحْلًا <sup>(١٠)</sup> مِنْ الصَّخْرِ قَضَمٌ <sup>(١١)</sup>

قَالَتْ طَرِيفَةٌ : وَإِنْ عِلْمُهُ ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتُهُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَتَأْمُرُ بِرِجَالِكَ فَتَوْضَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّ الرِّيحَ تَمْلُؤُهَا مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ مِنْ سَهْلَةٍ <sup>(١٢)</sup> الْوَادِي وَرَمَلُهُ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْجِنَانَ مُظْلَمَةٌ لَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ .

فَأَمَرَ عَمْرُو بِرِجَالِكَ فَوَضَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَمْ تَمَسَّ إِلَّا قَلِيلًا ، حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنَ التَّرَابِ ، فَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهَا : مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ الْخَرَابُ الَّذِي يَحْدِثُ

(١) الخلف : ما استخلفته من شيء (٢) ضرب من الفيْران (٣) الغمر : الماء الكثير  
(٤) الشكل : كسب وقفل : الموت والهلاك (٥) البرح : الشدة (٦) الأجم : جمع أجمه ،  
وهي الشجر الكثير المنتف (٧) الصرم : الجماعة (٨) الأفاريق : الفرقة تجمع على فرق وجمعت  
في الشعر على أفارق وجمع الجمع أفراق وجمعه أفاريق (٩) قضم قضماً : أكل بأطراف أسنانه  
(١٠) سحله : قشره ونحته (١١) قضم : كسر (١٢) السهله : تراب كالرمل يجيء  
به الماء .

في السد؟ قالت: فيما بيني وبينك سبع سنين! قال: ففي أيها يكون؟ قالت:  
لا أعلم بذلك إلا الله تعالى، ولو علمه أحدٌ لعلمته، وإنه لا تأتي علي ليلة فيما بيني  
وبين سبع السنين إلا ظننت هلاكه في غدها أو في مساءها!

ثم رأى عمرو في منامه سيل العرم<sup>(١)</sup>، وقيل له: إن آية ذلك أن ترى  
الحصباء قد ظهرت في سعف النخل؛ فنظر إليها فوجد الحصباء قد ظهرت فيها،  
فعلم أنه واقع، وأن بلادهم ستخرب.

فكتم ذلك، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب، وأن يخرج منها  
هو وولده؛ ثم خشي أن تنكر الناس عليه ذلك، فأمر أحد أولاده إذا دعاه  
لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه<sup>(٢)</sup>، وأن يفعل ذلك به في الملاء من الناس؛ وإذا لطمه  
يرفع هو يده، ويلطمه.

ثم صنع عمرو طعاماً، وبعث إلى أهل مأرب: إن عمراً قد صنع طعاماً يوم  
مجد وذاكر، فاحضروا طعامه!

فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما قد أمره، فجعل يأمره  
فيتأبى عليه؛ فرفع عمرو يده فلطمه، فلطمه ابنه فصاح عمرو: واذللاه يوم فخر عمرو  
يربيجه صبي ويضرب وجهه! وحلف ليقتلنه، فلم يزالوا به حتى تركه، وقال:  
والله لا أقيم بموضع صنيع هذا بي فيه! ولأبيعن أموالى، حتى لا يرث بعدى  
منها شيئاً!

(١) العرم: السيل الذي لا يطاق، وقيل هو المطر الشديد، وقيل هو اسم واد (٢) تأبى  
عليه: امتنع.

: فقال الناس بعضهم لبعض: اغتتموا غصبة عمرو، واشتروا منه أمواله قبل أن يبرضى؛ فابتاع الناس منه كل ماله بأرض مأرب، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم، فقام ناس من الأزدي فباعوا أموالهم؛ فلما أكثروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا عن الشراء! فلما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن السيل وخرج، فخرج لخروجه منها بشر كثير.

٢٧ — عفيراء ومرثد بن عبد كلال \*

قفل مرثد<sup>(١)</sup> بن عبد كلال من غزاة غزاها بغنائم كثيرة؛ فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها بهنثونه؛ فرفع الحجاب عن الوافدين، وأوسعهم عطاءً، واشتد سروره بهم.

فبينما هو كذلك إذ نام يوماً؛ فرأى رؤيا في المنام أخافته وأذعرتة؛ فلما انتبه أنسيها، حتى لم يذكر منها شيئاً، وثبت في نفسه ارتياعه بها، فانقلب سروره حزناً، واحتجب عن الوفود، حتى أساءوا به الظن.

ثم إنه حشر الكهان؛ فجعل يخلو بكاهن بعد كاهن، ثم يقول له: أخبرني عما أريد أن أسألك عنه! فيجيبه الكاهن: بأن لا علم عندي! حتى لم يدع كاهناً علمه إلا كان إليه منه ذلك! فتضاعف قاتمته، وطال أرقه، وكانت أمه

\* بلوغ الأرب ص ٢٩٦ ج ٣، الأغاني ص ٢١ ج ١٠

(١) هو أخو تبع بن حسان لأمه، وكان ذا رأى وبأس وجود وملك إحدى وأربعين سنة.



قد تكهنّت<sup>(١)</sup>؛ فقالت له : أبيتَ اللعن أيُّها الملك ! إن الكواهن<sup>(٢)</sup> أهدى إلى ما تسألُ عنه ؛ لأنَّ أتباعَ الكواهن من الجانِ أطفُ وأظرفُ من أتباع الكهان .

فأمر بحشُر الكواهن إليه ، وسألهنَّ كما سأل الكهان ؛ فلم يجدْ عند واحدةٍ منهنَّ علماً مما أراد علمه ؛ ولما يئس من طلبتهِ سَلاً عنها ؛ ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ؛ فأوغل<sup>(٣)</sup> في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرُفعت له أبيات من ذرّاً<sup>(٤)</sup> جبل ، وكان قد لفحهُ<sup>(٥)</sup> الهجير ؛ فعدل إلى الأبيات ، وقصد بيتاً منها منفرداً عنها ؛ فبرزت إليه منه عجوز ؛ فقالت له : انزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجفنة<sup>(٦)</sup> المددعة ، والعلبة<sup>(٧)</sup> المترعة .

فنزل عن جواده ، ودخل البيت ؛ فلما احتجب عن الشمس ، وخفقت عليه الأرواح<sup>(٨)</sup> ، نام فلم يستيقظ حتى تصرَّم الهجير ؛ فجلس يمسح عينيه ؛ فإذا بين يديه فتاةٌ لم يرَ مثلها قوماً ولا جمالاً ؛ فقالت : أبيت اللعن ! أيُّها الملك الهام ! هل لك في الطعام ؟ فاشتد إشفاقه ، وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفته ، وتصامَّ عن كلمتها ؛ فقالت له : لا حدَر ، فدَاكَ البشر ، فجدُّك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر . ثم قرَّبت إليه ثريداً وقديداً وحيساً<sup>(٩)</sup> ، وقامت تذبُّ عنه حتى انتهى أكله ،

(١) تكهنّت : قضت بالغيب (٢) الكواهن : جمع كاهنة (٣) أوغل في طلب الصيد : بالغ في ذلك وأمعن (٤) ذرأ الجبل : كنفه وستره (٥) لفحه : أحرقه ، والهجير نصف النهار ، وشدة الحر (٦) الجفنة : القصة ، والمددعة : التي مائت بقوة ثم حركت حتى تراس مافيهما ، ثم ملئت بعد ذلك (٧) العلبة : إناء من جلد الإبل أو من خشب يحلب فيها . والمترعة : المملوءة (٨) الأرواح : جمع ريح (٩) القديد : اللحم المقدد ، والحيس : تمر وأقط وسمن .

ثم سقطته لبناً صريفاً<sup>(١)</sup> وضريباً؛ فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مُقبلةً مدبرة ؛ فلات عينه حسناً ، وقلبه هوّى ؛ فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عَفِيرَاءُ ! فقال لها : يا عفيرة من الذى دعوته بالملك الهمام ؟ قالت : مرثد العظيم الشان ! حاشر الكواهن والكهان ، لمعضلة<sup>(٢)</sup> بعد عنها الجان ! فقال يا عفيرة : أتعلمين تلك المعضلة ؟ قالت : أجل أيها الملك ! إنها رؤيا منام ، ليست بأضغاث أحلام !

قال الملك : أصبت يا عفيرة ! فما تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاصير<sup>(٣)</sup> زوايع ، بعضها لبعض تابع ، فيها لهبٌ لامع ، ولها دخان ساطع<sup>(٤)</sup> ، يقفوها نهرٌ مُتدافع ، وسمعت فيما أنت سامع دعاء ذى جرس<sup>(٥)</sup> صادع : هلموا إلى المشارع<sup>(٦)</sup> ؛ فروى جارع<sup>(٧)</sup> ، وغرق كارع<sup>(٨)</sup> !

فقال الملك : أجل ! هذه رؤياى ! فما تأويلها يا عفيرة ؟ قالت : الأعاصير الزوايع : ملوك تباع<sup>(٩)</sup> ، والنهر : علم واسع ، والداعى : نبى شافع ، والجارع : ولى تابع ، والكارع : عدو منازع !

فقال الملك : يا عفيرة ؛ أسلم هذا النبى أم حرب ؟ فقالت : أُسِّمُ برافع السماء ، ومُنزِلِ الماء من السماء<sup>(١٠)</sup> ؛ إنه لمَطْلُ<sup>(١١)</sup> الدماء ، ومُسْطَقُ<sup>(١٢)</sup> العقائل نُطقُ الإماء .

(١) الصريف : اللبن آن الحلاب يصرف عن الضرع إلى الشارب ، والضرب : اللبن الذى يجلب من عدة لقاح فى إناء واحد فيضرب بعضه ببعض (٢) المعضلات : الشدائد ، وبعد عنها الجان : لم يطقوها (٣) الأعاصير الزوايع : هى من الرياح ما يثير التراب فيعليه فى الجو ويديره . (٤) ساطع : مرتفع (٥) الجرس : الصوت (٦) المشارع : جمع مشرعة وهى التى ينحدر إليها الماء (٧) أى من شرب جرعاً روى (٨) أى ومن أممن فى الشرب غرق (٩) التتابع : جمع تبع ، وهو لقب للملك اليمن (١٠) السماء : السحاب الكثيف (١١) ظل دمه : هدر ، أو ألا يثار به (١٢) منطق العقائل : العقائل الكرائم من النساء ؛ أى يسبهن فيشددن النطق على أوساطهن كالإماء لهمنة والخدمة .

فقال الملك : إلام يدعو ياغفيرا ؟ قالت : إلى صلاةٍ وصيامٍ ، وصلةٍ أرحامٍ ،  
وكسرِ أصنامٍ ، وتعطيلِ أزلامٍ <sup>(١)</sup> ، واجتنابِ آثامٍ !

فقال الملك : ياغفيرا ؛ إذا ذبحَ قومُهُ فمن أعضاده <sup>(٢)</sup> ؟ قالت : أعضاده  
غَطَارِيفٌ <sup>(٣)</sup> يَمَانُونَ ، طَائِرُهُمْ به ميمون ، يُغزِيهِمْ فيغزُونَ ، وَيُدَمِّتُ <sup>(٤)</sup> بِهِمُ الْحَزُونَ  
وإلى نصره يَعْتَرُونَ .

فأطرق الملك يوامر <sup>(٥)</sup> نفسه في خِطْبَتِهَا ؛ فقالت : أبيت اللعن أيها الملك ! إن  
تالعي غَيُور ، ولأمرى صبور ، والكافُ بي ثُبُور <sup>(٦)</sup> .

فنهض الملك ، وحال <sup>(٧)</sup> في صهوة جواده وانطلق ؛ فبعث إليها بمائة ناقة  
كوما <sup>(٨)</sup> !

(١) الأزلام : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية أي يطالبون معرفة ما قسم لهم .  
(٢) الأعضاد : الأنصار أي اذا قطعوه وتركوا نصرته (٣) الغطاريف : السادة وتريد الأنصار  
وهم من أهل اليمن (٤) يدمت : يسهل (٥) يوامر نفسه : يشاور (٦) ثبور : هلاك  
(٧) حال : أي وثب واستوى ، والصفوة : مقعد الفارس من ظهر فرسه (٨) الكوما :  
الناقة العظيمة السنم .

٢٨ - كاهنة بنى سعد\*

نذر عبدُ المطلب بن هاشم أنه متى رُزق عشرة أولاد ذكوراً ، وراحم بين يديه رجالاً أن ينحراً أحدهم عند الكعبة شكراً لربه !  
فلما استكمل ولده العَدَد ، وصاروا له من أظهر العُدَد ، قال لهم : يا بني ؛ كنتُ نذرتُ نذراً علمتموه قبل اليوم ، فما تقولون ؟

قالوا : الأمرُ لك وإليك ! ونحنُ بين يديك ! فقال لينطلقُ كلُّ واحدٍ منكم إلى قِدْحِهِ<sup>(١)</sup> ، وليكتبْ عليه اسمه ، ففعلوا ؛ ثم أتوه بالقِدَاحِ فأخذها .  
ثم دعا بالأمين الذي يَضْرِبُ بالقِدَاحِ ، فدفَع إليه قِدَاحهم ، وقال : حرِّكْ ولا تَعْجَلْ .

وكان أحبُّ ولد عبد المطلب إليه عبدُ الله . فضرب صاحبُ القِدَاحِ السهم فخرج على عبد الله ؛ فأخذ عبد المطلب الشَّفْرَةَ<sup>(٢)</sup> ، وأتى بعبد الله وأضحجه بين إساف<sup>(٣)</sup> ونائلة .

وهمَّ بذبحه ، فوثب إليه ابنه أبو طالب ، وكان أخا عبد الله لأبيه وأُمِّه ، وأمسك بيده عن أخيه .

فلما سمعت بنو مخزوم بذلك - وكانوا أخواله - وثبوا إلى عبد المطلب ، فقالوا : يا أبا الحارث ؛ إنا لا نُسَلِّمُ إليك ابنَ أختنا للذبح ، فاذبحْ مَنْ شئتَ من ولدك غيره !

\* بلوغ الأرب ص ٤٦ ج ٣ ، ابن هشام ص ١٠٣ ج ١ ، الطبري ص ١٧٤ ج ٢  
(١) القِدَح : السهم (٢) الشفرة : السكين العظيم (٣) إساف ونائلة : صهنا كانا لقريش ، وضعهما عمرو بن لحي على الصفا والمروة ، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة .

فقال : إني نذرت نذراً ، وقد خرج القِدْحُ ، ولا بدّ من ذبحه ! قالوا : كلا ! لا يكون ذلك أبداً ، وفيينا روح ، وإنا لنفديه بجميع أموالنا من طارف وتآلد . ثم وثب السادات من قریش إلى عبد المطلب ، فقالوا : يا أبا الحارث ؛ إن هذا الذي عزمت عليه لعظيم ، وإنك إن ذبحت ابنك لم تتهنأ بالعيش من بعده ، ولكن تثبتت حتى نصير معك إلى كاهنة بنى سعد ، فما أمرتك من شيء فامتثلته . فقال عبد المطلب : لكم ذاك .

ثم خرج في جماعة من بنى مخزوم نحو الشام<sup>(١)</sup> إلى الكاهنة ، فلما دخلوا عليها أخبرها عبدُ المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده . فقالت الكاهنة : انصرفوا عنى اليوم ؛ فانصرفوا .

وعادوا من الغد ، فقالت : كم دية الرجل عندكم ؟ قالوا : عشر من الإبل . قالت : فارجعوا إلى بلدكم ، وقربوا هذا الغلام الذي عزمتم على ذبحه ، وقدموا معه عشرا من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعلى الإبل القِدَاح ، فإن خرج القِدْحُ على الإبل فانحروها ، وإن خرج على صاحبكم فزيدوا على الإبل عشرا عشرا حتى يرضى ربكم .

فانصرف القوم إلى مكة ، وأقبلوا عليه يقولون : يا أبا الحارث ؛ إن لك في إبراهيم أسوةً حسنة ، فقد علمت ما كان في عزمه من ذبح ابنه إسماعيل وأنت سيدُ ولدِ إسماعيل ، فقدّم مالك دون ولدك !

فلما أصبح عبدُ المطلب قرّب عبدَ الله وعشرا من الإبل ، ثم دعا بأمين القِدَاح

(١) في سيرة ابن هشام والطبري : فانطلقوا حتى قدموا المدينة .

وجعل لابنه قِدْحًا ، وقال : اضرب ولا تعجل ، فخرج القِدْحُ على عبد الله ؛ فجعلها عشرين فضرب فخرج على عبد الله ؛ فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله ؛ فجعلها أربعين ، . . . . . وكلما خرج القدح على ابنه زادها عشرة ، حتى جعلها مائة ، فضرب فخرج القِدْحُ على الإبل ، فكبّر عبد الله وكبّرت قريش ، وقالت : يا أبا الحارث ؛ إنه قد رضى ربك ، وقد نجى ابنك من الذبح .  
فقال : لا والله حتى أضرب عليه ثلاثاً ، فضرب الثانية فخرج على الإبل ، فضرب الثالثة فخرج على الإبل ؛ فعلم عبد المطلب أنه قد بلغ رضا ربه في فِدَاءِ ابنه .

فقرّبت الإبل ، وهى مائة من جِلَّةِ إبل عبد المطلب ؛ فنحرت كلها ؛ فداء عبد الله ، وتركت فى مواضعها ، لا يُصدُّ عنها أحد ينتابها ممن دب<sup>(١)</sup> ودرج ، وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحاً .

(١) درج : مشى ، ودب : مشى على هيئته ، والمتصود كل واحد .

٢٩ — كهانة سَطِيح\*

لما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله ارتجس<sup>(١)</sup> إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شُرْفَة ، وخذت ناراً فارس ؛ ولم تخدم قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلاصعاباً<sup>(٢)</sup> ، تقود خيلاً عرباً<sup>(٣)</sup> ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها .

فلما أصبح كسرى أفرغه مارأى ، فصبر تشجعاً ، ثم رأى الأياكتم ذلك عن وزرائه ومرآزبته<sup>(٤)</sup> ؛ فلبس تاجه ، وقعد على سريرهم وجمعهم إليه . فلما اجتمعوا أخبرهم بالذي بعث إليهم فيه ، فبينما هم كذلك إذ ورد عليه كتاب بخمود النار ؛ فازداد غمها إلى غمها ، فقال الموبدان<sup>(٥)</sup> : وأنا أصلح الله الملك - قد رأيتُ في هذه الليلة رؤيا ، وقص عليه الرؤيا في الإبل ؛ فقال : أى شيء يكون هذا يا موبدان ؛ وكان أعلمهم عند نفسه بذلك - فقال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلي عاملك بالحيرة يوجه إليك رجلا من علماءهم ؛ فإنهم أصحاب علم بالحديثان . فكتب عند ذلك : « من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد ، فوجه إلى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه » . فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن بقبيلة الغسانی .

\* السيرة الحلبية ص ٧٠ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٢٨١ ج ٣ ، العقد الفريد ص ١٠٨ ج ٢ ،  
الطبرى ص ١٣١ ج ٢  
(١) ارتجس : ارتجف (٢) بعير صعب : غير متقاد (٣) خيل عرب : عربية منسوبة الى العرب  
(٤) المرآزبة : جمع مرزيان : وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك (٥) الموبدان :  
للمجوس : كقاضي القضاة للمسلمين .

فلما قدم عليه، قال له: أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليُخبرني الملك، فإن كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه له، فأخبره بما رأى، فقال: علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام، يقال له سَطِيح، قال فأتته فأسأله عما سألتك وأتني بجوابه؛ فركب عبدُ المسيح راحلته حتى قدم على سَطِيح وقد أشفى على الموت؛ فسلم عليه وحيّاه فلم يجبه، وكلمه فلم يرد عليه، فقال:

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفٌ<sup>(١)</sup> الْيَمَنُ يَافِصِلَ الْخُطَّةَ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ  
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ أبيض فضفاض<sup>(٢)</sup> الرداء والبدن  
رسول قيل<sup>(٣)</sup> العُجْمِ يَهْوَى لِلوَتْنِ لا يرهَبُ الرعدَ ولا ريبَ الزَّمنِ

فلما سمع سَطِيح شعره رفع رأسه وقال: عبد المسيح، على جملٍ مُشِيح<sup>(٤)</sup>، جاء إلى سَطِيح، وقد أوفى على الضَّرِيح<sup>(٥)</sup>، بعثك ملك بنى ساسان، لا رتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المؤبدان: رأى إبلا صعباً، تقود خيلاً عراباً، قد اقتحمت في الواد، وانتشرت في البلاد، ثم قال: يا عبد المسيح: إذا كثرت التلاوة، وبُعث صاحبُ الهراوة<sup>(٦)</sup>، وفاض وادى السماء، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار الفرس، فليست الشام لسَطِيح شاما، يملك منهم ملوك ومملكات عدد الشرفات، وكل ماهوآت آت، ثم قال:

شمر فإنك ماضيهم شمير لا يفزع عنك تفریق وتغيير

(١) الغطريف: السيد الشريف (٢) فضفاض: واسع (٣) الفيل: الملك أو هو دون الملك  
الاعلى (٤) مشيح: جاد مسرع (٥) الضريح: القبر والمراد الموت (٦) الهراوة: العنقا، وصاحب  
الهراوة هو سيدنا محمد لانه كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه .



إِنْ يَكُ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ      فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارًا دَهَارِيرُ<sup>(١)</sup>  
فَرُبَّمَا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزِلَةٍ      تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاصِيرُ<sup>(٢)</sup>  
مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بَهْرَامٌ وَإِخْوَتُهُ      وَالهُزْ مُزَانٌ وَسَابُورٌ وَسَابُورُ  
وَالنَّاسُ أَوْلَادِ عِلَاتٍ<sup>(٣)</sup> فَمَنْ عَلِمُوا      أَنْ قَدْ أَقْلَّ فَمَهْجُورٌ وَمَحْقُورُ  
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ لَمَّا أَنْ رَأَوْا نَسَبًا      فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْمُوظٌ وَمَنْصُورُ  
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ<sup>(٤)</sup>      فَالْخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْدُورُ

فلمّا قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطيح؛ فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا، تكون أمور، ويدور الزمان؛ فملك منهم عشرة أربع سنين، وملك الباقيون إلى ملك عثمان بن عفان رضى الله عنه.

(١) أفرطهم: تركهم. والدهارير: تصاريف الدهر ونوائبه، مشتق من لفظ الدهر ليس له واحد من لفظه كهابيد (٢) المهاصير: جمع مهصار أو مهصير وهو الأسد (٣) أولاد العلات: أولاد أمهات شتى لرجل واحد (٤) القرن: الحبل.

٣٠ — مصرع العزّي \*

كانت العزّي شيطانةً تأتي ثلاث سمّرات<sup>(١)</sup> ببطن نخلة<sup>(٢)</sup>. فلما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد، فقال له: إيت بطن نخلة، فإنك تجد ثلاث سمّرات، فاعضد<sup>(٣)</sup> الأولى! فأتاها فعضدها. فلما جاء إليه — عليه السلام — قال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فاعضد الثانية! فأتاها فعضدها. ثم أتى النبي عليه السلام، فقال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فاعضد الثالثة! فأتاها؛ فإذا هو بحبشية نافسة شعرها، واضعة يديها على عاتقها، تصرف<sup>(٤)</sup> بأنيابها، وخلفها دُبِيَّة بن حرمي الشيباني — وكان سادنها<sup>(٥)</sup> — فلما نظر إلى خالد قال:  
أعزّاء شدّي شدة لا تكذبني      على خالد! ألقى الخمارَ وشمري!  
فإنك إلا تقملي اليومَ خالداً      تبوئي بذلّ عاجلاً وتنصري  
فقال خالد:

ياعزُّ كفرانك لاسبجانك      إني رأيتُ الله قد أهانك!

ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حُمّة<sup>(٦)</sup>. ثم عضد الشجرة، وقتل دُبِيَّة السّادن. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره. فقال: « تلك العزّي، ولا عزّي بعدها للعرب! أما إنها لن تُعبّد بعد اليوم! ».

\* الأصنام لابن الكلبي طبعة دار الكتب ص ٢٥

- (١) سمّرات: جمع سمرة، وهي نوع من الشجر (٢) بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة  
(٣) فاعضد: فاقطع (٤) تصرف: تصوت (٥) السادن: خادم الكعبة وبيت الاصنام  
(٦) الحُم: الفعم ووحده بهاء.

٣١ — أمية بن أبي الصلت ورؤيا شق الصدر\*

دخل يوماً أمية<sup>(١)</sup> بن أبي الصلت على أخته، وهي تهيئ أدماً<sup>(٢)</sup> لها، فأدركه النوم، فنام على سرير في ناحية البيت، ثم انشق جانب من السقف في البيت؛ وإذا بطائرَيْن قد وقع أحدهما على صدره، ووقف الآخر مكانه، فشقق الواقع صدره، فأخرج قلبه فشقه؛ فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى؛ قال: أقبل؟ قال: أبى، قال: فرد قلبه في موضعه؛ ثم نهض فأتبعهما أمية طرفه، وقال:

لبيكما لبيكما هأنذا لديكما

لابرى؛ فأعتر، ولا ذو عشيرة فانتصر.

فرجع الطائر فوق على صدره فشقه، ثم أخرج قلبه فشقه؛ فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى؛ قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض؛ فأتبعهما أمية بصره وقال:

لبيكما لبيكما هأنذا لديكما

لامالٍ يعنيني، ولا عشيرة تحميني. فرجع الطائر فوق على صدره فشقه، ثم أخرج

\* الاغانى ص ١٢٧ ج ٤

(١) كان أمية قد نظر في الكتب وقرأها قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. ولبس المسوح تبدأ، وحرم الحجر، وشك في الاوثان. ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أما كنت أرجو أن أكونه» ولم يسلم (٢) تهيئه وتقدره قبل القطع وتقيسه لتقطع منه مزادة أو قربة أو خفا.

قلبه فشقّه ، فقال الطائر الأعلى : أَوْعَى ؟ قال : وعى ؛ قال : أقبِلَ ؟ قال أبي ،  
ونهبض فأتبعهما أمية بصره وقال :

لبيكما لبيكما هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنعيم ، محوط من الرّيب . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه ، وأخرج  
قلبه فشقّه ، فقال الأعلى : أَوْعَى ؟ فقال : وَعَى ؛ قال : أقبِلَ ؟ قال : أبي . ونهبض  
فأتبعهما أمية بصره وقال :

لبيكما لبيكما هأنذا لديكما

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأَ (١)

قالت أخته : ثم انطبق السقف ، وجعل أمية يمسح صدره ، فقلت : يا أخي ،  
هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنني أجد حرّاً في صدري ، ثم أنشأ يقول :

ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي في قِنَانِ (٢) الجبالِ أُرعى الوُعُولَا

اجعل الموتُ نُصْبَ عينك واحذِرْ غَوْلَةَ الدهرِ إن للدهرِ غَوْلَا (٣)

---

(١) ألم : ارتكب اللام ، وهو صغار الذنوب (٢) القنان : أعالي الجبال ، واحدها قنة (٣) كل ما اغتال الانسان فأهلكه .

٣٢ — أم العوام ! \*

خرج ركبٌ من نَقيفٍ إلى الشام ، وفيهم أُمِيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ ، فلما قَفَلُوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشوا بَعْشاءَ ، إِذْ أَقْبَلَتْ عَظَايَةَ<sup>(١)</sup> حَتَّى دَنَتْ مِنْهُمْ ، فَحَصَبَهَا بِعَضُومِ بَشِيءٍ فِي وَجْهِهَا ، فَرَجَعَتْ ، وَكَفَتُوا<sup>(٢)</sup> مُسْفِرِينَ<sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ قَامُوا يَرْحَلُونَ مُمَسِّينَ ؛ فَطَلَعَتْ عَلَيْهِمْ عَجُوزٌ مِنْ وَرَاءِ كَثِيبٍ مُقَابِلِ لَهْمٍ تَتَوَكَّأُ عَلَى عِصَا ، فَقَالَتْ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَطْعَمُوا رَجِيمَةَ الْجَارِيَةِ الْيَتِيمَةِ ، الَّتِي جَاءَتْكُمْ عَشِيَّةً ! قَالُوا : وَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا أُمُّ الْعَوَامِ ، إِمْتُ<sup>(٣)</sup> مِنْذُ أَعْوَامَ ؛ أَمَا وَرَبُّ الْعِبَادِ ، لَتَفْتَرُقَنَّ فِي الْبِلَادِ ! وَضَرَبَتْ بِعِصَاهَا الْأَرْضَ ، ثُمَّ قَالَتْ : بَطَّئِي إِيَابَهُمْ ، وَنَفَّرِي رُكْبَهُمْ ؛ فَوَثَبَتِ الْإِبِلُ كَأَنَّ عَلَى ذِرْوَةِ كُلِّ بَعِيرٍ مِنْهَا شَيْطَانًا ، مَا يَمْلِكُ مِنْهَا شَيْءٌ ، حَتَّى افْتَرَقَتْ فِي الْوَادِي .

قال الراوى : فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نكد ، فلما أنخناها لئُرِحَها طاعت علينا العجوز ، فضربت الأرض بعصاها ، ثم قالت كقولها الأول ، فقعلت الإبلُ كفعالها بالأمس ، فلم نَجْمعها إلا الغدَ عشيَّةً ؛ فلما أنخناها لئُرِحَها أقبلت العجوز ، فقعلت كفعالها في اليومين ، ونفرت الإبل .

\* الأغانى ص ١٢٥ ج ٤

- (١) العظاية : دويبة ملساء ، تشبه سام أبرص ، من طبعها أنها تمشى مشياً سريعاً ثم تقف  
(٢) كفت الشيء : ضم بعضه الى بعض ، والسفرة ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره  
(٣) آمت المرأة : اذا فقدت زوجها .

فقلنا لأمية: أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك؟ فقال: اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني؛ فتوجه إلى ذلك الكتيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه، وهبط منه إلى واد؛ فإذا فيه كنيسة وقناديل، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية، مضطجع معترض على بابها؛ فلما رأى أمية قال: إنك لمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبك؟ قال: من أذني اليسرى؛ قال فبأى الثياب يأمرك؟ قال: بالسواد؛ قال: هذا خطيب الجن، كدت والله أن تكونه ولم تفعل؛ إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى، ويأمره بلباس البياض، فما حاجتك؟ فحدثته حديث العجوز؛ فقال: صدقت؛ وليست بصادقة، هي امرأة يهودية من الجن، هلك زوجها منذ أعوام، وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت. فقال أمية: وما الحيلة؟ فقال: جمعوا ظهركم<sup>(١)</sup>؛ فإذا جاءتكم فتملوا كما كانت تفعل فقولوا لها: «سبع من فوق وسبع من أسفل، باسمك اللهم». فان تضرركم.

فرجع أمية إليهم وقد جمعوا الظهر؛ فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرهم، فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت: قد عرفت صاحبكم، وليبيضن أعلاه، وليسودن أسفله؛ فأصبح أمية وقد برص في عذاريه واسود أسفله. فلما قد موا مكة ذكروا لهم هذا الحديث؛ فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة: «باسمك اللهم» في كتبهم!

(١) الظهر: الركاب التي تحمل عليها الأثقال في السفر.

٣٣ — عمارة بن الوليد والسواحر \*

كان عمارة<sup>(١)</sup> بن الوليد المخزومي - بعد ما مشت قريش به إلى أبي طالب - قد خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي - وكانا كلاهما تاجرين - إلى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووجهاً ، وكلاهما مشرك شاعر فاتك وهما في جاهليتهما ؛ وكان عمارة مُعجَباً بالنساء صاحبَ مُحَادَثَةٍ ، فركبا في السفينة ليالي . وحذر عمرو على زوجته من عمارة ، فجعل إذا شرب معه أقلَّ عمرو من الشراب ، وأرقَّ لنفسه بالماء ؛ مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله .

ثم إن عمراً جلس إلى ناحية السفينة ، فدفعه عمارة في البحر . فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بالقلس<sup>(٢)</sup> ، فارتفع فظهر على السفينة . فقال له عمارة : أما والله لو علمتُ يا عمرو أنك تحسن السباحة ما فعلت ؛ فاضطغنتها عمرو وعلم أنه أراد قتله . فضيا على وجهها ذلك ، حتى قدما أرض الحبشة ونزلاها ، وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص : أن أخلفني<sup>(٣)</sup> ، وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم . وذلك أنه خشي على أبيه أن يتبع بجريرته وهو يرصد<sup>(٤)</sup> العمارة ما يرصد . فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى في رجالٍ من قومه إلى بني المغيرة

\* الأغاني ص ٥٦ ج ٩

(١) عمارة بن الوليد : هو الذي دفعت به قريش إلى أبي طالب حين طلبوا إليه أن يسلم إليهم محمداً (ص) وبأخذه عوضاً عنه (٢) القلس : جبل غليظ من جبال السفن (٣) يقولون : إنا خلعنا فلاناً ، فلا تأخذ أحداً بجنابة تجني عليه ، ولا تؤاخذ بجناباته التي يجنيها (٤) رصده : رصداً : رقبه .

وغيرهم من بنى مخزوم ؛ فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم ، وكلاهما فاتك صاحب شر ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ؛ وإني أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته ، وقد خلعتُهُ .

فقاتلت بنو المغيرة و بنو مخزوم : أنت تخاف عمراً على عمارة ! وقد خلعنا نحن عمارةً وتبرأنا إليك من جريرته ؛ فخل بين الرجلين .

فقال السهميون<sup>(١)</sup> : قد قبلنا ؛ فابعثوا منادياً بمكة : إنا قد خلعناهما ، وتبرأ كل قوم من صاحبهم ومما جر عليهم ؛ فابعثوا منادياً ينادى بمكة بذلك . فقال الأسود ابن المطلب : بطلَ والله دمُ عمارة بن الوليد آخر الدهر !

فلما اطمانا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دبَّ لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلف إليها . وجعل إذا رجع يجبر عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أصدقك أنك قدرتَ على هذا الشأن ! إن المرأة أرفعُ من ذلك . فلما أكثر على عمرو بما كان يجبره قال له : إن كنت صادقاً فقل لها تدهنك من دهن النجاشي الذي لا يدهنُ به غيره فإني أعرفه ، لو أتيتني به لصدقتك ! ففعل عمارة فجاء بقارورة من دهنه ؛ فلما شمَّه عرفه . فقال له عمرو عند ذلك : أنت صادق ! لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحدٌ مثله قطُّ من العرب ، ونلت من امرأة الملك شيئاً ! ما سمعنا بمثل هذا — وكانوا أهل جاهلية — ثم سكت عنه ؛ حتى إذا اطمان دخل على النجاشي فقال : أيها الملك ! إن ابن عمى سفيهٌ ، وقد خشيتُ أن يعرّفني<sup>(٢)</sup> عندك أمره ، وقد أردتُ أن أعلمك شأنه . ولم أفعل حتى استثبت أنه

(١) السهميون : قوم عمرو بن العاص (٢) عره : لطيخه يعيب .



قد دَخَلَ على بعض نساءك فأكثر . وهذا من دُهْنِكَ قد أُعْطِيَهِ وَدَهَنَنِي مِنْهُ .  
فلما شمَّ النجاشي الدُّهْنَ قال : صدَقْتَ . هذا دُهْنِي الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ  
نِسَائِي . ثم دعا بِعُمَارَةَ ودعا بالسواحر فجزَّ دَوَهَ مِنْ ثِيَابِهِ فَنَفَخْنَ فِيهِ ، ثم خَلَّى سَبِيلَهُ  
فخرج هارباً .

فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمرَ بن الخطاب ؛ فخرج إليه  
عبد الله بن أبي ربيعة ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يَرِدُهُ مع الوحش  
فورداً ، فلما وجد ريح الأُنس هرب ، حتى إذا أجهده العطشُ ورد فشرب حتى  
تَمَلَّأَ (١) ، وخرجوا في طلبه .

قال عبد الله بن أبي ربيعة : فسعيتُ إليه فالتزمتُهُ ، فجعل يقول لي : يَا بَحِيرُ  
أُرْسِلْنِي ! يَا بَحِيرُ أُرْسِلْنِي . إني أموت إن أمسكتُمونِي .

قال عبد الله : وضغطتُهُ فمات في يدي مكانه . فواريتُهُ ثم انصرفت ، وكان  
شعرُهُ قد غطَّى على كل شيء منه .

(١) امتلأ (٢) كان اسم عبد الله في الجاهلية بحيراً ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عبد الله .

٣٤ - في حفر زمزم\*

قال عبدُ المطلب بن هاشم : إني لنأتم في الحجر<sup>(١)</sup> إذ أتاني آتٍ ، فقال :  
احفر طيبة<sup>(٢)</sup> ، قلت : وما طيبة ؟ فذهب عني . فلما كان من الغد رجعت إلى  
مضجعي ، فنمتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر برة<sup>(٣)</sup> ، فقلت : وما برة ؟ فذهب  
عني . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر المذنونة<sup>(٤)</sup> ،  
فقلت : وما المذنونة ؟ فذهب عني . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي ، فنمتُ  
فيه فجاءني ، فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟  
قال : لا تُنزفُ أبداً ولا تُدَمَّ<sup>(٥)</sup> ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرثِ  
والدم<sup>(٦)</sup> ، عند نقرة الغراب الأعصم<sup>(٧)</sup> ، عند قرية<sup>(٨)</sup> النمل .

قال ابن إسحاق : فلما بين له شأنها ، ودلّه على موضعها ، وعرف أنه قد صدق

\* سيرة ابن هشام ص ٩٨ ج ١ ، البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٤٤ ج ٢

(١) الحجر : ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال (٢) طيبة : اسم زمزم ، قيل  
سميت بذلك لأنها للطيبين والطيبات من أولاد اسماعيل (٣) برة : اسم لزمزم أيضاً . قال في  
الروض الأنف : هو اسم صادق عليها لأنها فاقت للأبرار (٤) المذنونة : سميت المذنونة ،  
لأنه ضن بها على غير المؤمنين (٥) لا تندم : من قول العرب : بئرذمة ، أى قليلة الماء ،  
والعنى أن ماءها لا يقطع أبداً (٦) روى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل  
ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم ، فبينما هو كذلك ندت بقرة من جازرها ، فلم يدركها حتى  
دخلت المسجد الحرام ، فحفرها في الموضع الذى رسم لعبد المطلب ، فسأل هناك الفرث والدم ، فحفر  
عبد المطلب حيث رسم له (٧) الغراب الأعصم : الذى فى جناحيه بياض (٨) شبة مكة مكان  
زمزم بقرية النمل ، التى يرد إليها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك  
وهى لا تحرث ولا تزرع بقرية النمل التى لا تحرث ولا تزرع ولا تبذر ، وتجلب إليها الحبوب  
من كل جانب .

غدا بمَعُولِه ، ومعه ابنُه الحَرث بن عبد المطلب ، ليس معه يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها .  
فلما بدا له الطَّوِيُّ<sup>(١)</sup> كَبَّر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ؛ فقاموا  
إليه ، فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بئرُ أئبنا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقًّا ؛ فَأَشْرِكْنَا  
معك فيها . قال : ما أنا فاعل ؛ إن هذا الأمر قد خُصِّصْتُ به دونكم ، وأُعطيته من  
بينكم ، فقالوا له : فَأَنْصَفْنَا ؛ فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى نَخَاصِمَكَ فِيهَا ، قال : فاجعلوا  
بينى وبينكم من أحاكمكم إليه . قالوا : كاهنة بنى سعد . قال : نعم — وكانت بالشام .  
فركب عبد المطلب ، ومعه نفرٌ من بنى أئبيه من بنى عبد مناف ، وركب  
من كل قبيلة من قريش نفرٌ — والأرض إذ ذاك مفاوز — فخرجوا حتى إذا كانوا  
ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه ؛ فظموا حتى  
أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم وقالوا : إنا بمفازة  
ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم .

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال :  
ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تبع لرأيك ؛ فمرنا بما شئت . قال : فإني أرى أن  
يُحْفَرَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بَكُمْ الْآنَ مِنَ الْقُوَّةِ ، فكلمنا مات رجلٌ  
دفعه أصحابه فى حفرة ، ثم واره حتى يكون آخركم رجلاً واحداً ؛ فضيعة رجل  
واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه . قالوا : نعم ما أمرت به ! فقام كل واحد منهم  
فحفر حفرة ، ثم قعد ينتظر الموت عطشاً .

(١) الطوى : البئر المطوية بالحجارة .

ثم إن عبدَ المطب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ،  
لا نضربُ في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا كَعِجْرًا ، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض  
البلاد ، ارتحلوا . فارتحلوا حتى إذا فرغوا - ومنَ معهم من قبائل قريش ينظرون  
إليهم ما هم فاعلون - تقدّم عبد المطب إلى راحته فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت  
من تحت خفيها عينٌ من ماء عذب ، فكبرَ عبد المطب وكبرَ أصحابه ، ثم نزل  
فشربَ وشربَ أصحابه ، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم .

ثم دعا القبائل من قريش ؛ فقال لهم : هلموا إلى الماء فقد سقانا الله ، فاشربوا  
واستقوا ! فجاءوا فاشربوا واستقوا ، ثم قالوا : قد والله قضى لك علينا يا عبد المطب ،  
والله لا نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي  
سقاك زمزم ! فارجع إلى سقايتهك راشداً ، فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة  
وخلوا بينه وبينها !

٣٥ — سيف بن ذى يزن والبشارة برسول الله \*

لما ظفر سيف<sup>(١)</sup> بن ذى يزن بالحبشة؛ أتى وفودُ العرب: خطبواؤها وأشرفها وشعراؤها تهنئته ومدحه، وذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه. وقدم إليه وفدُ قريش، وفيهم عبد المطلب بن هاشم، وأميمةُ بن عبد شمس، وعبدُ الله ابن جُدعان، وأسد بن خويلد بن عبد العزى فى ناس من أشرف قريش. فلما قدموا عليه وجدوه فى رأس قصرٍ يقال له (غمدان) فاستأذنوا عليه، فأذن لهم؛ فدخلوا عليه، فإذا الملك مضمخ بالعنبر<sup>(٢)</sup>، يُرى وبيض الطيب من مفرقه<sup>(٣)</sup>، عليه بردان مؤتزِرٌ بأحدهما، مُرتدٍ بالآخر، سيفه بين يديه، وعن يمينه وعن يساره الملوكُ وأبناءُ الملوك والمقاول<sup>(٤)</sup>.

فدنا عبدُ المطلب واستأذن فى الكلام. فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم، فقد أذنَّا لك، فقال عبد المطلب: إن الله أحلك - أيها الملك - محلاً رفيعاً صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنبئك منبتاً طابت أرومته<sup>(٥)</sup>، وعزّت جرثومته<sup>(٦)</sup>، وثبت أصله، وبسق فرعه<sup>(٧)</sup>، فى أكرم موطن، وأطيب معدن، وأنت - أبيت العن<sup>(٨)</sup> - ملكُ العرب وربيعها الذى به تخصب، وأنت - أيها الملك - رأسُ العرب

\* البداية والنهاية لابن كثير ص ٣٢٨ ج ٢، الاغانى ص ٧٥ ج ١٦ طبعة بولاق، العقد الفريد ص ١٧٥ ج ١، بلوغ الأرب ص ٢٦٦ ج ٢، المختار من نوادر الأخبار - مخطوط.  
(١) هو ملك اليمن من قبل كسرى أنوشروان، كان يكتبه ويصدر عن رأيه إلى أن قتل بيد الأبحاش قبيل الإسلام (٢) التضخيم: طابخ الجسم بالطيب حتى كأنه يقطر (٣) الوبيض: اللعان، ومفرق الرأس حيث يفرق فيه الشعر (٤) المقاول: جمع مقول، وهو الرئيس دون الملك. (٥) الأرومة: الأصل (٦) الجرثومة: الأصل (٧) بسق: طال (٨) من تحيات ملوك العرب فى الجاهلية.

الذى إليه تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى تلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، ولن يخملَ ذكرُ من أنتَ سلفه ، ولن يهلكَ من أنتَ خلفه ، ونحن - أيها الملك - أهلُ حرمِ الله ، وسدنةُ بيته ، أشخصنا إليك الذى أبهجننا ؛ لكشف الكرب الذى فدحنا ؛ فنحن وفدُ التهنئة لا وفدُ المرزئة<sup>(١)</sup> .

فقال ابن ذى يزن : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابنُ أختنا ؟ قال : نعم ابن أختكم . قال : اذنُ ، فأذناه وقال : مرحباً وأهلاً ، وناقاةً ورحلاً ، ومُسْتَنَاخاً سَهْلاً ، وملكا رِجْحَلاً<sup>(٢)</sup> ، يُعْطَى عطاءً جزلاً ، قد سمع الملكُ مقالَتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبيلَ وسيلتكم ، فأنتم أهلُ الليل والنهار ، لكم الكرامةُ ما أقمتم ، والحباءُ<sup>(٣)</sup> إذا ظعنتم . ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود ؛ فأقاموا شهراً لا يؤذن لهم ولا يصلون إليه .

ثم اتبته انتباهةً ؛ فأرسل إلى عبد المطلب فأخلاه<sup>(٤)</sup> وأذنى مجلسه ، وقال : يا عبد المطلب ؛ إني مُفَضٌّ إليك من سرِّي وعلمى ما لو كان غيرك لم أُبِحْ له ، ولكنى رأيتك معدنه ، وأطعمتك عليه ؛ فليكن عندك مطويّاً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره : إني أجدُ في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذى اخترناه لأنفسنا ، واحتجناه دون غيرنا خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرفُ الحياة ، وفضيلةُ الوفاة ، وهو للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

(١) رزاه ماله : أصاب منه شيئاً ، ورزاه رزءاً ومرزئة : أصاب منه خيراً ، أى لسنا وافدين للعطاء (٢) الرجل : الكثير العطاء (٣) الحباء : العطاء (٤) أخلاه : خلا به .

قال عبد المطلب : أيها الملك فمَن سَرَّ وِبرَّ ، فما هو ؟ فِذاك أهلُ الوِبرِ ،  
زُمرًا بعد زُمرٍ ؟ قال : إذا وُلِدَ بِتهامةِ غلامٍ ، بين كَتفِيهِ شامةٌ ، كانت له الإمامةُ ،  
ولكم به الزعامةُ ، إلى يومِ القيامةِ .

فقال له عبد المطلب : أبيتَ اللعنَ - لقد أتيتَ بِنَجْرٍ ما أتىَ بِمثلهِ وأفد ، فلولا  
هَيْبَةُ المَلِكِ وإِجلاله وإِعظامه لسألتهُ من كَشَفَ بشارتهِ إِيايَ ما أزدَادُ به سرورًا .  
قال ابن ذى يزن : نبيُّ هَذَا حينه الذى يولَدُ فِيهِ ، أو قد وُلِدَ ؛ اسمه أحمد .  
يَموت أبوه وأمه ، ويكفله جدُّه وعمُّه ، والله باعْثُه جِهارةً ، وجاعل منَّا له أنصارًا ،  
يُعزِّبهم أوليائه ، ويذِلُّ بهم أعداءه ، يكسر الأوثانَ ، ويخمد النيرانَ ، ويعبد الرحمنَ ،  
ويزجر الشيطانَ . قوله فصلٌ ، وحكمه عدلٌ . يأمر بالمعروفِ ويفعله ، وينهى عن  
المنكرِ ويبطله .

قال عبد المطلب : أيها الملك ! عزَّ جدك وعلا كعبك ، وطاب مُلْكُك ،  
وطال عمرك ؛ فهل الملك سارَى بإفصاح ، فقد أوْضَحَ بعضَ الإيضاحِ ؟  
فقال ابن ذى يزن : والبيتِ ذى الحِجَبِ ، والعلاماتِ والنَّصْبِ (١) ، إنك  
يا عبد المطلب ، لجدُّه غير الكذبِ . فخرَّ عبد المطلب ساجدًا ، ثم رفع رأسه ؛  
فقال له ابن ذى يزن : ارفع رأسك ، تَلجَّ صدرك ، وعلا أمرك . فهل أحسستَ  
شيئًا مما ذكرتُ لك ؟ فقال : نعم أيها الملك ! كان لى ابنٌ وكنْتُ عليه شفيقًا وبه  
رفيقًا ، فزَوَّجته كريمةً من كرائمِ قومي ، وهى آمنَةُ بنتُ وهبِ بنِ عبد منافٍ ؛  
فأتت بغلامٍ سمَّيتهُ محمدًا ، مات أبوه وأمه ، وكفلتهُ أنا وعمه ، بين كَتفِيهِ شامةٌ ،  
وفيه كلُّ ما ذَكَرَ المَلِكُ من علامةٍ .

(١) النَّصْبُ : كل ما عبد من دون الله ، جمعه أنصاب .

قال ابن ذى يزن : إن الذى قلتُ لك لـ كما قلتُ ؛ فاحتفظ بـ إنك ، واحذر عليه من اليهود ؛ فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سيلاً ، والله مظهرٌ دعوته ، وناصرٌ شيعته ؛ فاطو ما ذكرته لك دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنى لست آمنُ أن تُدأخِلهم النَّفَّاسَةَ<sup>(١)</sup> ، من أن تكون لك الرياسة ؛ فيبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، وهم فاعلون ذلك ، أو أبناؤهم ، ولو لا أنى أعلم أن الموتَ يحتاجنى قبل مبعثه لسرتُ بخبلى ورجلى حتى أصيرَ بيثرب دارِ ملكه ، فأكون أخاه ووزيره ، وصاحبَه وظهيره ؛ فإنى أجد فى الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، أن فى يثرب استحكامَ أمره ، وأهلَ نصرته ، وارتفاعَ ذكره ، وموضعَ قبره ، ولو لا الذمَّامة<sup>(٢)</sup> لأظهرتُ أمره ، وأوطأتُ العربَ كعبه ، على حداثة سنِّه ؛ ولكنى صارفٌ ذلك إليك ، عن غير تقصير بك .

ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد وعشر إماء سود ، وحلتين من حلل اليمن ، وخمسة أرتال ذهب وعشرة أرتال فضة ، وكرشٍ مملوءةٍ بالعنبر . ولعبد المطلب بعشرة أمثال ذلك .

وقال له : إذا حال الحول فأتنى بأمره ، وما يكون من خبره . فمات ابنُ ذى يزن قبل أن يحولَ الحول !

فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يامعشرَ قريش ؛ لا يغبطنى رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك ، وإن كان كثيراً ، فإنه إلى نفاذ ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره وشرفه .

فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقولُ لكم بعد حين !

(١) النفاسة : الحسد ، نفس عليك فلان ينفس نفساً ونفاسة : حسدك (٢) الذمَّامة : كل حرمة تلزمك - اذا ضيعتها - المذمة .



٣٦ — بشارة بحيرى \*

خرج أبو طالب <sup>(١)</sup> بن عبد المطاب في ركبٍ إلى الشام تاجراً ، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صبَّ <sup>(٢)</sup> به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون ، فرق له وقال : والله لأخرجنَّ به معى ولا يفارقتى ولا أفارقه أبداً ، فخرج به .

فلما نزل الركبُ بصرى <sup>(٣)</sup> مرّوا ببَحيرى <sup>(٤)</sup> ، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع <sup>(٥)</sup> لهم طعاماً كثيراً ، ثم أرسل إليهم فقال : إني قد صنعتُ لكم طعاماً يامعشر قريش ، فأنا أحبُّ أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرّمكم . قال له رجل منهم : والله يا بحيرى إن لك أشأناً اليوم ! ما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كُنّا نمرُّ بك كثيراً ! فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ماتقول ولكنكم صيف <sup>(٦)</sup> ، وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنعَ لكم طعاماً ، فتأكلوا منه كلكم .

فاجتمعوا إليه وتخاف رسول الله من بين القوم لحدائثة سنّه ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى في القوم ، ولم ير الصفة التي يعرفُ ويحدِّده عنده قال :

\* ابن هشام ص ١١٨ ج ١ ، البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٨٣ ج ٢

(١) كان أبو طالب هو الذى ولى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة جده عبد المطاب  
(٢) الصبابة : رقة الشوق ، يقال صببت (بكسر الباء أصب) ، وكانت سن رسول الله اذ ذاك تسع سنين فيما ذكر بعض من ألف في السير ، وقال الطبرى : كانت سنه اثنتى عشرة سنة (٣) بصرى : من أرض الشام (٤) كان بحيرى يقيم في صومعة له هناك وكان إليه علم أهل النصرانية (٥) زعموا أنه رأى رسول الله في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهرصت أغصان الشجرة على رسول الله حتى استظل تحتها (٦) الضيف : يطلق على الواحد والجمع .

يامعشر قريش، لا يتخلفن أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له: يا ببحيرى؛ ما تخاف عنك  
أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلاماً، وهو أحدثُ القوم سناً، فقال: لا تفعلوا،  
ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من قريش مع القوم: واللواتِ والعزى  
إن كان للوأم بنا أن يتخلفَ ابنُ عبد الله بن عبد المطاب عن طعامٍ من بيننا. ثم  
قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم.

فلما رآه ببحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده - وقد  
كان يجدها عنده من صفته - حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه ببحيرى؛  
فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه - وإنما  
قال له ببحيرى ذلك لأنه سمع قومَه يحلفون بهما.

قال الراوى: زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تسأئني باللات  
والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بغضهما! فقال له ببحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى  
عما أسألك عنه. فقال له: سلنى عما بدالك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله من  
نومه وهيئته وأموره؛ فجعل رسولُ الله يخبره فيوافق ذلك ما عند ببحيرى من  
صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى  
عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب، وقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى.  
قال له ببحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً! قال: فإنه  
ابنُ أخى. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به. قال: صدقت! فارجع  
بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود؛ فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبلغنه

شراً، فإنه لابن أخيك هذا شأنٌ عظيمٌ، فأَسْرِعْ به إلى بلاده . فخرج به أبو طالب سرياً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام!

٣٧ — في بعثة رسول الله \*

قال العباس بن عبد المطلب :

خرجتُ في تجارةٍ إلى اليمن ، في ركبٍ منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدِمْتُ اليمن فكنْتُ أصنعُ يوماً طعاماً وأنصرفُ بأبي سفيان والنَّفر ، ويصنعُ أبو سفيان يوماً ، فيفعلُ مثل ذلك . فقال لي في يومي الذي كنْتُ أصنعُ فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وترسلَ إلى غدائك ؟ فقلت : نعم . فانصرفتُ أنا والنَّفرُ إلى بيته وأرسلتُ إلى الغداء .

فلما تغدَّى القوم قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمتَ يا أبا الفضل أن ابنَ أخيك يزعمُ أنه رسولُ الله ؟ قلت : وأيُّ بني أخى ؟ قال أبو سفيان : إياي تكتم ! وأيُّ بني أخيك ينبغي له أن يقولَ هذا إلا رجلٌ واحد ! قلت : وأيُّهم هو على ذلك ؟ قال : محمد بن عبد الله . قلت : ما فعل ! قال : بلى قد فعل ! ثم أخرج إلى كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان : «إني أخبرك أن محمداً قام بالأبطح<sup>(١)</sup> غدوةً فقال : أنا رسولُ الله أدعوكم إلى الله » .

\* الأغانى ص ٣٤٩ ج ٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ص ٣١٨ ج ٢

(١) أبطح مكة : مسيل واديها .

قال : قلت : يا أبا حنظلة ، لعلة صادق ! قال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحبُّ أن تقولَ مثلَ هذا ، وإني لأخشى أن تكونَ على بَصَرٍ من هذا الأمر . ثم قال : يا بني عبدالمطلب ؛ إنه والله ما برحتُ قريشُ تزعمُ أن لكمُ يَمَنَةً وشؤمةً ، كل واحدةٍ منهما عامَّةٌ ، فنشدتُك الله يا أبا الفضل هل سمعتَ ذلك ؟ قلت : نعم . قال : فهذه والله إذا شؤمتمكم . قلت : فلعلها يُمنّنا !

فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدِمَ عبد الله بن حذافة السهميُّ بالخبر وهو مؤمنٌ ؛ ففشأ ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها ، وكان أبو سفيان يجلسُ إلى حَبْرٍ من أحبارِ اليمن ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر الذي بلغني ؟ قال : هو ما سمعت . قال : أينَ فيكم عمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صدقوا وأنا عمّه . قال اليهودي : أخو أبيه ؟ قال : نعم . قال : حدّثني عنه . قال : لا تسألني . فما كنتُ أحسب أن يدعى هذا الأمرُ أبداً ، وما أحبُّ أن أعيبه ، وغيره خيرٌ منه . قال اليهودي : فليس به أذى ، ولا بأس على يهودٍ وتوراةٍ موسى منه .

قال العباس : فتأدّى إلى الخبرِ فحميتُ ، وخرجتُ حتى أجلسَ إلى ذلك المجلس من غدٍ ، وفيه أبو سفيان والحَبْرُ . فقلت للحَبْرِ : بلغني أنك سألتَ ابنَ عمي هذا عن رجلٍ منّا يزعمُ أنه رسول الله ، فأخبرك أنه عمُّه ، وليس بعمّه ، ولكنه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه .

فأقبل على أبي سفيان فقال : أصدّق ؟ قال : نعم صدّق . قال : فقلت : سألني عنه ، فإن كذبتُ فليردد عليّ . فأقبل عليّ فقال : أنشدك الله ، هل فشيتَ لابن أخيك صَبَوَةَ أو سَفَهَةَ ؟ قال : قلت : لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان ، وكان

اسمُه عند قريش الأيمن. قال : فهل كتبَ بيده؟ قال عباس : فظننتُ أنه خيرٌ له أن يكتبَ بيده، فأردتُ أن أقولها، ثم ذكرتُ مكانَ أبي سفيان، وأنه مُكذِّبٌ وراذُّ عليٍّ، فقلت : لا يكتب. فذهب الحَبْرُ وتركَ رداءَه وجعل يصيح : ذُبِحَتْ يهود ! قُتِلَتْ يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إن اليهوديَّ لفرَّعُ من ابن أخيك . قلت : قد رأيتَ مارأيتَ ! فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمِّنَ به ، فإن كان حقًّا كنتَ قد سبَّقتُ ، وإن كان باطلاً فمعك غيرُك من أكَفائِك؟ قال : لا والله ماؤمِّنُ به حتى أرى الخيلَ تطعُ من كداء<sup>(١)</sup> ! فقلت : ماتقول ؟ قال : كلمةٌ والله جاءت على فمى ما ألقيتُ لها بالاً ، إلا أنى أعلم أن الله لا يتركُ خيلاً تطعُ من كداء .

قال العباس : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء ، قات : يا أبا سفيان ، أتذكرُ الكلمةَ ؟ قال لي : والله إنى لذا كرُّها ! فالحمد لله الذى هدانى للإسلام !

(١) كداء : جبل بمكة .

٣٨ — تطير المنصور \*

قال الربيع <sup>(١)</sup> : نام المنصور <sup>(٢)</sup> ليلة — وكان في قصره في بغداد — فانتبه مرعوباً ، ثم عاوده النوم فانتبه كذلك فزِعاً مرعوباً ، ثم راجع النوم فانتبه كذلك ؛ ثم قال : ياربيع ! فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : لقد رأيتُ في منامى عجباً ، قال : ما رأيتَ ؟ جعلني الله فداك ! قال : رأيتُ كأنَّ آتياً أتاني ، فهَيِّمَ <sup>(٣)</sup> بشيء لم أفهمه ، فانتبهت فزِعاً ، ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء ، ثم عاودني يقوله حتى فهمته وحفظته وهو :

كأني بهذا القصرِ قد بادَ أهلهُ      وعُرِّي منه أهلهُ ومنزلهُ  
وصار رئيسُ القومِ من بعد هِجَةٍ      إلى جدِّتِ تُبْنِي عليه جنادِلهُ

وما أحسبني ياربيعُ إلا وقد حانتْ وفاتي ، وحضر أجلي ، ومالي غيرُ ربي ، قمُّ ، فاجعل لي غُسلاً <sup>(٤)</sup> ، ففعلتُ فاغتسل وصلى ركعتين ، وقال : أنا عازم على الحج ، فهَيِّئْ لي آلةَ الحج ، فخرج وخرجنا ، حتى إذا انتهى إلى الكوفة ، ونزل

\* محاضرات الأبرار ص ١٤ ج ٢

(١) هو الربيع بن يونس ، كان يخدم المنصور ، ثم تدرج في المناصب عنده الى أن استوزره ، وكان جليلاً نبيلاً عارفاً بخدمة الخلفاء ، مات سنة ١٧٠ هـ (٢) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً ويقظة وثباتاً . توفي سنة ١٥٨ هـ (٣) الهينة : الصوت الخفي (٤) الغسل : الماء القليل الذي يغتسل به .

النَّجْفَ (١) أقام أياماً ، ثم أمر بالرحيل ، فتمتدّت جنودُه ، وبقيتُ أنا وهو  
بالقصر ، فقال لي : ياربيع ، جئني بفحمة من المطبخ ، وقال لي : اخرج فكن  
مع دابتي إلى أن أخرج ، فلما خرج وركب رجعت إلى المكان كأني أطلب شيئاً ؛  
فوجدته قد كتب على الحائط بالفحمة :

المرء يهوى أن يعيش وطول عيشٍ قد يضره  
تَفَنَّى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره  
وتخونه الأيام حتى ما يرى شيئاً يسره  
كم شامت بي إن هلكت وقائل : لله درّه !

---

(١) النجف : التل . أو النجفة التي يظهر الكوفة ، وهي تمنع السيل أن يعلو منازل الكوفة .  
وفيورها . والنجفة أيضاً : مرضع بين البصرة والبحرين .

٣٩ — المنصور تنعى إليه نفسه\*

قال الفضل بن الربيع : كنتُ مع المنصور في السفر الذي مات فيه ؛ فنزل منزلاً من المنازل ، فبعث إليّ ، وهو في قبة ، ووجهه إلى الحائط ، فقال لي : ألم أنهك أن تدع العامة يدخلون هذه المنازل ، فيكتبوا مالاَ خير فيه ؟ !

قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما ترى على الحائط مكتوباً :

أبا جعفرٍ حانت وفاتُك ، وانقضت سنوك ، وأمرُ الله لا بدّ نازلُ

أبا جعفر هل كاهنٌ أو منجمٌ يردُّ قضاء الله أم أنت جاهلٌ

فقلت : والله ما أرى على الحائط شيئاً ! وإنه لنتقُ أبيض ! قال : إنها والله إذنُ

نفسى نعت إلىّ ، الرّحيل ! بادرْ بي إلى حرم ربى وأمنه ، لأهربَ من ذنوبى ،

وإسرأفى على نفسى . فرحلتنا وقد ثقل ، حتى إذا بلغنا بئر ميمون توفى بها !



٤٠ - رؤيا الرشيد\*

قال جبريل بن جَحْتِشُوع :

كنت مع الرشيد <sup>(١)</sup> بالرقّة <sup>(٢)</sup> وكنتُ أولَ من يدخل عليه في كل غداة ، فاتَّهَرَفَ حاله في ليلته ، فإن كان أنكر شيئاً وصفه ، ثم يَنْبَسِطُ فيحدثني بحديث جواريه وما عمل في مجلسه ، ثم يسألني عن أخبار العامة وأحوالها ؛ فدخلتُ عليه في غداة يوم ، فسلمتُ فلم يكدر فرجه ، ورأيتُه عابساً مفكراً مهموماً ؛ فوقفت بين يديه ملياً من النهار ، وهو على تلك الحال .

فلما طال ذلك أقدمتُ عليه فقلت : ياسيدي ، جعلني الله فداك ! ما حالك هكذا ! أعلّة ؟ أخبرني عنها فلهله يكون عندي دواؤها ، أو حادثة في بعض من تُحب فذلك ما لا يُدفع ، ولا حيلة فيه إلا بالتسليم ، والغم لا درك فيه ؛ أو فتق وورد عليك في ملكك ، فلم تخلُ الملوك من ذلك ، وأنا أولى من أفضيت إليه بالخبر ، وتروّخت إليه بالمشورة .

فقال : ويحك يا جبريل ! ليس غمي وكرهني لشيء مما ذكرت ، ولكن لرؤيا رأيتها في لياتي هذه ، وقد أفزعتنى وملاّت صدري ، قلت : فرجبتَ غمي يا أمير المؤمنين ! فدنوتُ منه فقَبِلتُ رجله وقت : أهذا الغمُّ كله ؟ أالرؤيا إنما تكون من خاطر أو غيره ؟ وإنما هي أضغاثُ أحلام !

\* الطبري ص ١١٠ ج ١٠

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي ، كان ديناً محافظاً ، كثير الجهاد ، توفي سنة ١٩٣ هـ .  
وجبريل هو طبيب هارون الرشيد وجليسه توفي سنة ٢١٣ هـ (٢) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر لافرات بولاية حلب ، ويقال لها : الرقة البيضاء ، وبقرها كانت واقعة صفين المشهورة .

بعد هذا كله قال : فأقضها عليك : رأيتُ كأنى جالس على سريري هذا إذ بدت من تحتي ذراعٌ أعرِفها ، وكفٌ أعرِفها ، وأفهمُ اسمَ صاحبها ، وفي الكف تربةٌ حمراء ، فقال لى قائلُ أسمعه ولا أرى شخْصه : هذه التربةُ التى تُدفنُ فيها ؛ فقلت : وأينَ هذه التربة ؟ قال : بَطوس<sup>(١)</sup> . وغابت اليد وانقطع الكلام وانتهت . فقلت : ياسيدى هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة ، أحسبُك أخذتَ مضجعك ، ففكرتَ فى خراسان وحروبها ، وما قد وَرَدَ عليك من انتقاض بعضها . قال : قد كان ذلك . قلت : فإلذلك الفكر خالطك فى منامك ما خالطك ؛ فولدَ هذه الرؤيا ، فلا تحفلُ بها - جعلنى الله فداك - وأتبعَ هذا الغمَّ سروراً يخرجُه من قلبك حتى لا يولدَ علته . وما برحتُ أطيِّبُ نفسه بضروبٍ من الحِيلِ حتى سَلَا وانسط ، وأمرُ بإعداد ما يشتهيهِ ويزيدُ فى ذلك اليوم من لهُوه .

ومرَّت الأيام فنسىَ ونسينا تلك الرؤيا فما خطرتُ لأحدٍ منا ببال ، ثم قدر مسيره إلى خراسان حين خرج رافع<sup>(٢)</sup> ، فلما صار فى بعض الطريق ابتدأت به العلة ، فلم تزل تتزايد ، حتى دخلنا طوس ؛ فبينما هو يُمرِّضُ فى بستانٍ إذ ذكر تلك الرؤيا ؛ فوثب متحاملاً يقوم ويسقط ، فاجتمعنا إليه ، كل يقول : ياسيدى ما حالك ؟ وما دهالك ؟ فقال : يا جبريل ، تذكرُ رؤياى بالرقعة ؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور ، فقال : جئنى من تربة هذا البستان ؛ فمضى مسرور فأتى بالتربة فى كفه حاسراً عن ذراعه ، فلما نظر إليه قال : هذه والله الذراع التى رأيتها فى منامى ، وهذه والله الكف بعينها ، وهذه والله التربة الحمراء ، ماخرمتُ شيئاً ، وأقبل على البكاء والنحيب ، ثم مات بها - والله - بعد ثلاثة ، ودفن فى ذلك البستان !

(١) طوس . مدينة بخراسان ، وبها مات الرشيد (٢) هو رافع بن الليث ، خرج إليه الرشيد سنة ١٩٢ هـ حينما استفحل أمره بما وراء النهر .

٤١ — تطير الأمين\*

قال إبراهيم بن المهدي : خرج الأمين<sup>(١)</sup> ذات ليلة يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيه ، فصار إلى قصر له ، ثم أرسل إلى ، فحضرتُ عنده ، فقال : ترى طيبَ هذه الليلة ، وحسنَ القمر في السماء ، وضوءه في الماء على شاطئ دجلة ! فهل لك في الشرب ؟ فقلت : شأنك ! فشرب رطلا ، وسقاني آخر ، ثم غنّيته ما كنتُ أعلم أنه يحبّه ؛ فقال لي : ما تقولُ فيمن يضربُ عليك ؟ فقلتُ : ما أحوجني إلى ذلك !

فدعا بجارية متقدمة عنده اسمها « ضَعْف » ؛ فتطيرتُ من اسمها ونحن على تلك الحال<sup>(٢)</sup> ، فقال لها : غني ؛ فغننت بشعر الجعدي :

كليبُ عمري كان أكثرَ ناصراً      وأيسرَ جرماً منك ضريح بالدم  
فاشدد ذلك عليه ، وتطير منه ، وقال : غني غير ذلك ، فغننت :  
أبكي فراقهم عيني فأرقها      إن التفرق للأحباب بكاءُ  
ما زال يعدو عليهم ريبُ دهرهم      حتى تفانوا — وريبُ الدهرِ عداءُ

\* الطبري ص ١٩٥ ج ١٠ ، المحاسن والساوي ص ٣٦١ طبع ليزج ، السعودي ص ٣٠١ ج ٢  
(١) الأمين : هو محمد بن هارون الرشيد ، اتخذ الفضل بن الربيع وزيراً ، فأغرى الفضل بينه وبين المأمون فنصب محمد ابنه موسى لولاية العهد بعده ، وأخذ له البيعة ، وجعله في حجر على ابن عيسى ، وأمر علياً بالتوجه إلى خراسان لمحاربة المأمون سنة ١٩٥ هـ . ووجه المأمون طاهر ابن الحسين ، فالتقيا بالري فاقتتلوا ، ولم يزل القتال بينهما حتى قتل الأمين سنة ١٩٨ هـ (٢) كان الأمين قد حاصره طاهر بن الحسين من قبل المأمون .

فقال لها : لعنك الله ! أما تعرفين من الغناء غيرَ هذا ؟ فقالت : ما تغنيتُ  
إلا ما ظننتُ أنك تُحِبُّهُ ! ثم غنّت :

أما وربّ السكونِ والحركِ      إن المنايا كثيرةُ الشَّرِكِ  
ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ، وما      دارت نجومُ السماءِ في الفلكِ  
إلا لنقلِ النعيمِ من مَلِكٍ      قد زال سلطانهُ إلى مَلِكِ  
وملِكُ ذِي العرشِ دائمٌ أبداً      ليس بفانٍ ولا بمشترِكِ

فقال لها : قومي غضب الله عليك ولعنك !

وكان له قدحٌ من بَلُورٍ حَسَنِ الصَّنعةِ ، وكان موضوعاً بين يديه ، فعثرت  
الجارية به فكسرتُه ، فقال : ويحك يا إبراهيم ! أما ترى ما جاءت به هذه الجارية ؟  
ثم ما كان من كسرِ القدحِ ! والله ما أظن أمرى إلا قد قرب . فقلت : يَدِيُمُ اللهُ  
مُلُكك ، ويعزّ سلطانك ، وَيَكْبِتُ عدوك ! فما استتمَّ الكلامَ حتى سمعنا صوتاً :  
« قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » . فقال : يا إبراهيم ؛ أما سمعتَ ؟ قلتُ :  
ما سمعتُ شيئاً ، وكنتُ قد سمعتُ ؛ قال : تسمع حساً ! فدنوت من الشط فلم أرَ  
شيئاً ، ثم عاودنا الحديث ، فعاد الصوت بمثله .

فقام من مجلسه مُعْتَمِئاً إلى مجلسه بالمدينة . فما مضى إلا ليلة أو ليلتان  
حتى قُتِل !

٤٢ — ذنبٌ لا يطمعُ صاحبه في عُفْرَانِهِ\*

قال يوسف الكوفي - وكان قد روى الأشعارَ والأحاديثَ :  
حججْتُ ذاتَ سنةٍ ؛ فإذا أنا برجلٍ عند البيت ، وهو يقول : اللهم اغفرْ لي  
وما أراك تفعل ! فقلت : يا هذا ، ما أعجبَ يأسك من عَفْوِ الله ! قال : إن لي ذنباً  
عظيماً ! فقلت : أخبرني .

قال : كنتُ مع يحيى بن محمد بالموصل ، فأمرنا يومَ جمعة ، فاعترضنا المسجد ،  
فقتلنا ثلاثين ألفاً ، ثم نادى مناديه : من علق سَوْطَهُ على دار فالدارُ وما فيها له ،  
فعلق سوطي على دار ودخلتها ، فإذا فيها رجلٌ وامرأةٌ وابنان لهما ، فقدَّمتُ  
الرجلَ فقتلته ، ثم قلتُ للمرأة : هاتي ما عندك ! وإلا ألحقتُ ابنيك به ، فجاءتني  
بسبعة دنانير . فقلتُ : هاتي ما عندك ، فقالت : ما عندي غيرها ، فقدَّمتُ أحد  
ابنيها فقتلته ، ثم قلت : هاتي ما عندك وإلا ألحقتُ الآخر به ، فلما رأَت الجدَّ مني  
قالت : ارْفُقْ ! فإن عندي شيئاً كان أوْدعنيهِ أبوهما ، فجاءتني بدرعٍ مُذهبةٍ  
لم أر مثلاً في حسنِها ، فجعلتُ أقلبها فإذا عليها مكتوب بالذهب :

إذا جارَ الأميرُ وحاجباه وقاضى الأرضِ أسرفَ في القضاء  
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضى الأرضِ من قاضى السماء  
فسقط السيفُ من يدي وارتعدتُ ، وخرجتُ من وجهي إلى حيث ترى !

٤٣ — طيرة ابن الرومي \*

قال علي بن ابراهيم : كنت بدارى جالساً ؛ فإذا حجارةٌ سَقَطَتْ بالقرب منى ،  
فبادرتُ هاربا ، وأمرتُ الغلام بالصعود إلى السَّطْح ، والنظرِ إلى كلِّ ناحيةٍ ؛ من  
أين تأتينا الحجارة ؟ فرجع إلىّ ، وقال لى : امرأةٌ من دار ابن الرومي <sup>(١)</sup> الشاعر !  
قد تشوّفت <sup>(٢)</sup> ، وقالت : اتقوا الله فينا ، واستقونا جرّةً من ماء ! وإلاّ هلكنا ؛  
فقد مات من عندنا عطشاً !

فتقدّمتُ إلى امرأةٍ عندنا ذاتِ عقلٍ ومعرفةٍ : أن تصعدَ إليها وتخطبها ؛  
ففعاتُ وبادرتُ بالجرة ، وَأَنْ تَبْعَمَهَا شَيْئاً من الطعام ، ثم عادتُ إلىّ فقالت : ذكرتُ  
المرأةُ أن البابَ عليها مقفلٌ منذ ثلاثة أيام بسببِ تطيرِ ابنِ الرومي ، وذلك أنه  
يلبسُ ثيابه كلَّ يومٍ ويتعوّذُ ، ثم يصيرُ إلى الباب ، والمفتاحُ معه ، فيضعُ عينه على  
ثقبٍ فى خشبِ الباب ، فتقعُ على جارٍ له كان نازلاً بإزائه ، وكان أحدبٌ يقعدُ  
كلَّ يومٍ على بابه ؛ فإذا نظرَ إليه رجع ، وخلع ثيابه ، وقال : لا يفتح أحدُ الباب !  
فعجبتُ لحديثها ، وبعثتُ بخادم لى كان يعرفه ، فأمرته أن يجلسَ بإزائه -  
وكانت العينُ تميلُ إليه - وتقدّمتُ إلى بعض أعوانى أن يدعوَ الجار

\* زهر الآداب ص ١٧٧ ج ٢ ، ذيل زهر الآداب ص ٢٤٣ ، معجم الأدباء ص ٢٩٦ ج ١٣  
(١) هو أبو الحسن علي بن العباس الرومي ، ولد ببغداد وعاش فيها متأثراً بالأدب اليونانى وبالتقافة  
العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة فى الأدب العربى من حيث الابتكار والتنسيق المنطقى  
والاستقصاء فى أسلوب جزل متين ، ومات سنة ٢٨٣ هـ (٢) تشوّفت : نظرت وتناولت .

الأحذب ، فلما حضر عندي أرسلت وراء غلامي ؛ لينهض إلى ابن الرومي ،  
 ويستدعيه . فإني لجالس ، ومعى الأحذب ، إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسي ، ومعه  
 بردعة الموسوس ، صاحب المعتضد ، ودخل ابن الرومي ؛ فلما تخطى عتبة باب  
 الصحن عثر ، فانقطع شسع<sup>(١)</sup> نعله ؛ فدخل مدعوراً ! وكان إذا فاجأه الناظر  
 رأى منه منظراً يدل على تعبير حاله .

فدخل ، وهو لا يرى جاره المتطير منه ؛ فقلت له : يا أبا الحسن ؛ أيكون شيء  
 في خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ، ونظرك إلى وجهه الجميل ؟ فقال : قد  
 لحقني ما رأيت من العثرة ؛ لأنني فكرت أن به عاهة ! وهي قطع أنثييه<sup>(٢)</sup> !  
 قال بردعة : وشيخنا يتطير ؟ قلت : نعم ويُفِرط ! قال : ومن هو ؟ قلت :  
 علي بن العباس<sup>(٣)</sup> . قال : الشاعر ؟ قلت : نعم ! فأقبل عليه وأنشده :

ولما رأيت الدهر يُؤذِنُ صرفهُ      بتفريق ما بيني وبين الحباب<sup>(٤)</sup>  
 رجعتُ إلى نفسي فوطنتها على      ركوب جميل الصبر عند النوائب  
 ومن صحب الدنيا على جور حكامها      فأيامه محفوفة بالمصائب  
 فخذ خلسة من كل يوم تعيشه      وكن حذراً من كمينات العواقب  
 ودع عنك ذكر الفأل والزجروا طرح      تطير جارٍ أو تقاؤل صاحب !

فبقى ابن الرومي باهتاً ينظر إليه ! ولم أدر أنه قد شغل قلبه بحفظ ما أنشده ،  
 ثم نهض أبو حذيفة وبردعة معه .

(١) الشسع : أحد سيور النعل ، وهو الذي يدخل بين الأصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي  
 في صدر النعل المشدود في الزمام (٢) يعني أنه محبوب (٣) هو اسم ابن الرومي (٤) الحباب :  
 مفردة حببية .

فحلف ابن الرومي لا يتطير أبداً من هذا ولا من غيره ، وعجب من جودة الشعر ومعناه ، وحسن مآثاه ، فقلت له : لَيْتَنَا كَتَبْنَاهُ ؟ ! قال : ا كُتِبَهُ فَقَدْ حَفِظْتُهُ ؛ وَأَمْلَأَهُ عَلِيٌّ !

٤٤ — تطير الرشيد بن المعتمد \*

قال ابن اللبابة<sup>(١)</sup> : كنتُ بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلسٍ أُنْسِه ، فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة ، فنفجع وتلف ، واسترجع<sup>(٢)</sup> وتأسف ، وذكر قصر غرناطة ، فدعونا لتصره بالدوام ، ولما سلكه بترأخي الأيام ، وأمر عند ذلك أبا بكر الأشبيلي بالغناء ؛ فغنى :

يا دارِ مِيَةَ بالعِلياءِ فالسَنَدُ أَقْوَتُ<sup>(٣)</sup> وطالَ عليها سالفُ الأَمَدِ  
فاستَحالَتْ مسرته ، وتَجَهَّمَتْ أَسْرَتُهُ ، وأمر بالغناء من ستارته فغنى :  
إن شئتُ ألا ترى صَبْرًا المصْطَبِرِ فانظر على أي حالٍ أَصْبَحَ الطَّلَلُ  
فتأكِّد تطيُّره ، واشتدَّ اِرْبَادُ وجهه وتغيُّره ، وأمر مغنيةً أخرى بالغناء ؛  
فغنت :

يا لَهْفَ نَفْسِي على مالٍ أَفْرُوقُهُ على المُقْلينِ<sup>(٤)</sup> من أهلِ المِروءاتِ

\* نفع الطيب ص ٣٩٢ ج ٢

(١) هو أبو بكر الداني ، ويعرف بابن اللبابة ، وقد قال عنه في المطمح ص ٢٥٦ : المديد الباع ، الفريد الانطباع ، الذي ملك للمحاسن مقادراً ، وغدا له البديع منقاداً . . . (٢) استرجع عند المصيبة : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون (٣) أقوت : خلت (٤) أقل : افتقر .



إنَّ اعتذارى إلى مَنْ جاء يسأني      مالستُ أمْلِكُ، من إحدى المُصِيباتِ  
فتلافيتُ الحالَ بأنَّ قلتُ :

محل مكرمة لاهدَّ مبناه      وشمل مآثرة لا شئت اللهُ  
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا      أنَّ الرشيدَ مع المعتد رُكْنَاهُ  
ثاوٍ على أنجم الجوزاء مقعده      وراحلٌ في سبيل السعدِ مسْراه  
حتم على المَلِكِ أن يقوى وقد وصلت      بالشرق والغرب يميناه ويسراه  
فالعمرى لقد بسطت من نفسه ، وأعادت عليه بعض أنسه ، على أنى وقعتُ فيما  
وقعوا فيه لقولى : « البيت كالبيت » .

وأمر إثر ذلك أبا بكر بالغناء ، فغنى :

ولما قضينا من منى كلَّ حاجة      ولم يبق إلا أن تُزَمَّ (١) الرَّكائبُ  
فأيقنَّا أن هذا التطير يعقبه التغير !

(١) زم البعير : خطمه .

٤٥ — رؤيا \*

قال عبد الله بن المعلم : خرجنا من المدينة حجاجاً ، فإذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب ، قد رفض الدنيا ، وأقبل على الآخرة ؛ فجمعتني وإياه الطريق ؛ فأنستُ به ، وقلتُ له : هل لك أن تعادني<sup>(١)</sup> ؛ فإنَّ معي فضلاً من راحلتني ؟ ! فجزاني خيراً ، ثم أنسَ إليّ ، فجعل يحدثني ، فقال :

أنا رجل من وُلدِ العباس ، كنتُ أسكنُ البصرةَ ، وكنتُ ذا كِبَرٍ شديدٍ ، ونعمةٍ طائلةٍ ، ومالٍ كثيرٍ ، وبدخٍ زائدٍ . فأمرتُ يوماً خادماً لي أن يحشوا لي فراشاً من حريرٍ ، ومخدَّةً بوردٍ ثيرٍ ! ففعل .

فإني لنامم إذا بقمعٍ وردةٍ قد نسيه الخادم ؛ فقمْتُ إليه ، فأوجعته ضرباً ، ثم عدتُ إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة ، فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة ، فهزَّني ، وقال : أفق من غشيتك ، واتبه من رقدتك ، ثم أنشأ يقول :

ياخلِّ ، إنَّك إن تَوَسَّدَ لَيْناً  
وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صُمَّ الْجُنْدَلِ  
فامهدْ لِنَفْسِكَ صالحاً تسعدُ بهِ  
فَلتَسْتَدَمَنَّ غداً إذا لم تَفْعَلِ  
فانتبَهتُ مرعوباً ، وخرجتُ من ساعتى هارباً إلى ربي !

\* مجازي الأدب ص ٢٠ ج ٤

(١) عادله في المحمل : ركب مفعول.

## الباب الثالث

---

القصص التي تجلو علومهم ومعارفهم ، وتوضح منها  
ثقافتهم ، وما كان متداولاً بينهم من مسائل العقل والنقل التي  
هدتهم إليها فطرهم ، أو أنهتها إليهم تجاربهم .

---

٤٦ — فِرَاسَةُ أَبْنَاءِ نِزَارٍ\*

لما حضرت نزاراً الوفاةُ جمعَ بنيه : مُضَرَ وإياداً وربيعةً وأنماراً ، وقال لهم :  
يا بَنِي ، هذه القِبةُ الحمراء - وكانت من آدم<sup>(١)</sup> - لمضر ، وهذا الفرسُ الأدم<sup>(٢)</sup>  
والحِباءُ<sup>(٣)</sup> الأسود لربيعة ، وهذه الخادم - وكانت شمطاءً<sup>(٤)</sup> - لإياد ، وهذه  
الندوة<sup>(٥)</sup> والمجلسُ لأنمار يجلس فيه ؛ فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأتوا  
الأفعى الجرهمي ، ومنزلهُ بنجران<sup>(٦)</sup> ؛ فلما ماتَ تشاجرُوا في ميراثه ، فتوجهوا إلى  
الأفعى الجرهمي .

فبينما هم في مسيرهم إليه ، إذ رأى مُضَرَ أثرَ كَلالٍ قد رعى ، فقال : إن البعير  
الذي رعى هذا لأعور ! قال ربيعة : إنه لأزور<sup>(٧)</sup> ! قال إياد : إنه لأبتر<sup>(٨)</sup> ! قال  
أنمار : إنه لشروود<sup>(٩)</sup> !

ثم ساروا قليلاً فإذا هم برجل يُنشدُ<sup>(١٠)</sup> جملةً ، فسألهم عن البعير ، فقال مضر :  
أهو أعور ؟ قال : نعم ، قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم ، قال إياد :  
أهو أبتر ؟ قال : نعم ، قال أنمار : أهو شروود ؟ قال : نعم ! وهذه والله صفةُ  
بعيري فدلوني عليه ؛ قالوا : والله ما رأيناه ، قال : هذا والله الكذب ! وتعلق بهم ،  
وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ! فساروا حتى قدموا بنجران ،

\* مجمع الأمثال ص ١٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٢٦٤ ج ٣ ، المسعودي ص ٣٠٢ ج ١

(١) الأدم : الجلد (٢) الأدم : الأسود (٣) الحياء : يكون من وبر أو صوف أو شعر

(٤) شمطاء : برأسها شيب يخالط السواد (٥) الندوة : مجلس القوم نهاراً (٦) بنجران

مدينة شهيرة باليمن ، جرت فيها حوادث قصة « أصحاب الأخدود » (٧) الأزور : من يمشي

على شق (٨) الأبتَر : مقطوع الذنب (٩) الشروود : النافر (١٠) أنشد الضالة : طلبها .

فما نزلوا نادى صاحبُ البعير: هؤلاء أخذوا جملي، ووصفوا لي صفته، ثم قالوا: لم تره.

فاختصموا إلى الأفعى الجرهمي - وهو حكمُ العرب - فقال الأفعى: كيف وصفتُموه ولم ترّوه؟ قال مضر: رأيتُه رعى جانباً وترك جانباً؛ فعلمتُ أنه أعور. وقال ربيعة: رأيتُ إحدى يديه ثابتةً الأثر والأخرى فاسدته؛ فعلمتُ أنه أزور؛ لأنه أفسده بشدة وطئه لازوراره. وقال إياد: عرفتُ أنه أبتَر باجماعِ بعْره، ولو كان ذِيلاً<sup>(١)</sup> لمَصَع<sup>(٢)</sup> به. وقال أثمار: عرفتُ أنه شرود؛ لأنه كان يرمى في المكان الملتفّ نبتته، ثم يجوزه إلى مكانٍ أرق منه وأخبث نبتاً؛ فعلمتُ أنه شرود. فقال للرجل: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه!

ثم سألهم: من أنتم؟ فأخبروه؛ فرحب بهم، ثم أخبروه بما جاء بهم، فقال: أحتاجون إليّ وأنتم كما أرى! ثم أنزلهم، فذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر، وجلس لهم الأفعى، حيث لا يرى وهو يسمعُ كلامهم؛ فقال ربيعة: لم أر كاليوم لحمًا أطيبَ منه، لولا أن شأته غذيت بلبنِ كلبية؛ فقال مضر: لم أر كاليوم خمرًا أطيبَ منه لولا أن حُبَلتْها<sup>(٣)</sup> نبتت على قبر؛ فقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسرى<sup>(٤)</sup> منه لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له؛ فقال أثمار: لم أر كاليوم كلامًا أنفع في حاجتنا من كلامنا. وكان كلامهم يادُّنه، فقال: ما هؤلاء إلا شياطين!

ثم دعا القهْرمان<sup>(٥)</sup> فقال: ما هذه الخمر وما أمرها؟ قال: من حُبَلتْ غرْسُها

(١) ذِيلاً: له ذيل طويل (٢) مصع به: يقال مصعت النابتة بذنبها أي حركته

(٣) الحبلتة: الكرم أو أصل من أصواته (٤) السرو: المروءة في شرف (٥) القهرمان: القائم بأمر الرجل.

على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها ؛ وقال للراعي : ما أمرٌ هذه  
الشاة ؟ قال : هي شاةٌ صغيرة أرضعتها بلبن كلبة ، وذلك أن أمها كانت قد ماتت  
ولم يكن في الغنم شاةٌ وُلِدت غيرها .

ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال ، وكان  
لا يُؤلد له ، قالت : فخِفْتُ أن يموتَ ولا وُلدَ له فيذهبَ الملكُ !

فخرج الأفعى عليهم ، فقصَّ القومُ عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوهم ؛  
فقال : ما أشبهَ القبةَ الحمراء من مالٍ فهو مُضْرٌ ؛ فذهب بالدينانير والإبل الجمرُ ؛ فسمى  
مُضْرَ الحمراء لذلك ، وقال : أما صاحبُ الفرسِ الأدهمِ والخبياءِ الأسودِ فله كل شيء  
أسود ؛ فصارت لربيعة الخيلِ الدَّهْمُ ؛ ففيل : ربيعة الفرس ؛ وما أشبه الخادم  
الشمطاء فهو لإياد ، فصارت له الماشية البلق من الحَبَلَقِ (١) والنَّقْدِ (٢) ؛ فسمى إياد  
الشمطاء ؛ وقصَّى لأتمار بالدراهم وبما فَضَلَ ؛ فسمى أتمار الفضل ، وصدروا من عنده  
على ذلك !

(١) الحبلق : غنم صغار لانكبر ، أو قصار المعز ودماها (٢) النقد : جنس من الغنم يبيح  
الشكل .

٤٧ -- ارعَى واحذرى \*

خرج أعرابي مكفوفُ البصر، ومعه ابنة عم له لرَعَى غنمٍ لهما ، فقال الشيخ :  
أجدُ رِيحَ النسيمِ قد دنا ، فارفعى رأسك فانظري ؛ قالت : أراها كأنها رَبَّ رَبٍّ (١)  
معزى هَزَلِي ، قال : ارعَى واحذرى .

ثم قال لها بعد ساعة : إني أجدُ رِيحَ النسيمِ قد دنا ، فارفعى رأسك فانظري .  
قالت : أراها كأنها بغال دُهم ، تجرُّ جلاجلها ، قال : ارعَى واحذرى .

ثم مكث ساعة ، ثم قال : إني لأجدُ رِيحَ النسيمِ قد دنا فانظري . قالت :  
أراها كأنها بطنُ حمارٍ أضحَرَ (٢) ، فقال : ارعَى واحذرى ، ثم مكث ساعة ،  
فقال : إني لأجد رِيحَ النسيمِ فما ترين ؟

قالت : أراها كما قال الشاعر :

دَانِ مُسِفٌ (٣) فَوَيْقِ الْأَرْضِ هَيْدِبُهُ (٤)  
كَأَنَّهَا بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ  
رِيطٌ (٥) مُنْشَرَّةٌ أَوْ ضَوْءٌ مُصْبِحٌ  
فَمَنْ يَنْجُوْتِهِ (٦) كَمَنْ بَعْقُوْتِهِ (٧)  
يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ  
وَالْمُسْتَكِينُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاخِ (٨)

فقال : انجى ، لا أبالك ! فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما !

\* الأغانى ص ١٠ ج ٦

(١) الربرب : القطيع (٢) الصحرة : حمرة في غبرة (٣) المسف : الذى قد أسف على  
الأرض ، أى دنا منها (٤) الهيدب : السحاب يقرب من الأرض كأنه متدل (٥) الريط :  
جمع ريطه وهى كل ملاءة غير ذات لفقين ، كلها نسج واحد (٦) النجوة : المكان المرتفع الذى  
نظن أنه تجاؤك (٧) العقوة : ساحة الدار (٨) القرواخ : أرض قرواخ : واسعة ، والقرواخ  
أيضاً : البارز الذى لا يستره من السماء شيء .

٤٨ — طب الحارث بن كلدة \*

وفد الحارث<sup>(١)</sup> بن كلدة الثقفي على كسرى أنوشروان ، فأذن له بالدخول عليه ، فلما وقف بين يديه ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحرث بن كلدة الثقفي . قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب ، قال : أعرابي أنت ؟ قال : نعم من صميمها ، وبُجبوحة<sup>(٢)</sup> دارها ، قال : فما تصنع العرب بطبيبٍ مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها ؟ قال : أيها الملك ؛ إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يُصلحُ جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها<sup>(٣)</sup> ؛ فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه !

قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ؟ ولو عرفتِ الحلم لم تُنسب إلى الجهل !

فقال : أيها الملك ، العقل من قسم الله تعالى ، قسّمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم ، فكلُّ من قسّمته أصاب ، فمنهم مُثرٍ ومُعَدِم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقديرُ العزيزِ العليم ! فأعجب كسرى من كلامه .

ثم قال : فإلى الذي تحمّد من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحرث : أيها الملك ؛ لها أنفُسٌ سخية ، وقلوبٌ جريّة ، ولغةٌ فصيحة ، وألسنٌ بليغة ،

\* بلوغ الأرب ص ٣٢٨ ج ٣ ، العقد الفريد ص ٣٤١ ج ٤

(١) كان الحارث من الطائف ، وهو طبيب العرب في عصره سافر إلى فارس وتعلم الطب ، وعرف الداء والدواء ، وكان يضرب بالعود ، تعلم ذلك بفارس واليمن ، وبقى أيام رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية توفي نحو سنة ٥٠ هـ (٢) بُجبوحة : صميم (٣) الأمشاج : الأخطا.



وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يمرق<sup>(١)</sup> من أفواههم الكلام مرروق السهم  
من نبعة الرام<sup>(٢)</sup> ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسبيل المعين<sup>(٣)</sup> ؛  
مضمو الطعام في الجذب ، وضاربو الهام في الحرب ، لا يرأم عزهم ، ولا يضام  
جارهم ، ولا يستباح حریمهم ، ولا يذلل كريمهم ، ولا يقرؤن بفضل للأنام ،  
إلا للملك الهمام ، الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة<sup>(٤)</sup> ولا ملك !

فاستوى كسرى جالسا ، وسرر لما سمع من محكم كلامه ؛ وقال جلسائه :  
إني وجدته راجعا ، ولقومه مادحا ، وبفضيلتهم ناطقا ، وبما يورده من لفظه صادقا ؛  
وكذا العاقل من أحكمته التجارب ! ثم أمره بالجلوس فجلس ، فقال له : كيف  
بصرک بالطب ؟ قال : ناهيك !

قال : فما أصل الطب ؟ قال : ضبط الشفتين ، والرفق باليدين ، قال : أصبت !  
فما الداء الدوي ؟ قال : إدخال الطعام على الطعام ، هو الذي يفني البرية ،  
ويهلك السباع في جوف البرية ، قال : فما الجمرة التي تلهب منها الأدوية ؟ قال :  
هي التخمة ، إن بقيت في الجوف قتلت ، وإن تحللت أسقت ، قال : صدقت .  
فما تقول في الحجمة ؟ قال : في نقصان الهلال ، في يوم صحوا غيم فيه ،  
والنفس طيبة ، والعروق ساكنة ، لسرور يفاجتك ، وهم يباعدك ، قال : فما  
تقول في دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شعبان ، ولا تقم بالليل عريان ، ولا تقعد  
على الطعام غضبان ، وارفق بنفسك ، يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك ،  
يكن أهنا لنومك .

(١) يمرق : يخرج (٢) الرام : شجر (٣) السلسبيل : اللين الذي لاخشونة فيه ،  
والعين : الماء الجاري (٤) السوقة : خلاف الملك .

قال : فما تقول في الدواء ؟ قال : ما لزمتهك الصحة فاجتنبه ، فإن هاج دابة فاحسمه بما يرده قبل استحكامه ؛ فإن البدن بمنزلة الأرض : إن أصلحتها عمرت ، وإن تركتها خربت .

قال : فما تقول في الشراب ؟ قال : أطيبه أهناه ، وأرقه أمرأه ، وأعذبه أشهاه ، لا تشربه صِرْفًا فيورثك صداعًا ، ويشير عليك من الأدوية أنواعًا .  
قال : فأى اللّحمان أفضل ؟ قال : الضأن الفتي ؛ والتديد المالح مهلك للآكل ؛ واجتنب لحم الجزور والبقر .

قال : فما تقول في الفواكه ؟ قال : كلها في إقبالها وحين أوانها ، واطركها إذا أدبرت وولت وانقضى زمانها ؛ وأفضل الفواكه الرمان والأترج ، وأفضل الرياحين الورد والبنفسج ، وأفضل البقول الهندباء<sup>(١)</sup> والخس .

قال : فما تقول في شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن ، وبه قوامه ، ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة ، وشربه بعد النوم ضرر ، أفضله أمرأه ، وأرقه أصفاه .  
قال : فما طعمه ؟ قال : شيء لا يوصف ، قال : فالونه ؟ قال : أشتبه على الأبصار لونه ، لأنه يحكى لون كل شيء يكون فيه .

قال : فما النور الذي في العينين ؟ قال : مركب من ثلاثة أشياء : فالبياض شحم ، والسواد ماء ، والناظر ريح .

قال : فعلى كم جليل وطيمع البدن ؟ قال : على أربعة طباع : المرة السوداء وهي باردة يابسة ، والمرة الصفراء وهي حارة يابسة ، والدم وهو حار رطب ،

(١) بقلة ناعمة للمعدة والكبد والطحال .

والبغم وهو باردٌ رطب ؛ قال : فِيمَ لم يكن من طبع واحد ؟ قال : لو خُلِقَ من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ؛ ولم يمرض ولم يهلك ! قال : فمن طبيعتين ؟ لو كان اقتصر عليهما ! قال : لم يَجْزُ لأُنهما ضدان يقتتلان ! قال : فمن ثلاث ؟ قال : لم يصلح مُوافقانِ ومُخالف ! فالأربع هو الاعتدال .

قال : فأجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة ؟ قال : كلُّ خلو حار ، وكلُّ حامض بارد ، وكلُّ حريف حار ، وكلُّ مرٍّ معتدل ، وفى المرِّ حار وبارد ، قال : فأفضلُ ما عولج به المرة الصفراء ؟ قال : كل بارد ليين ، قال : فالمرة السوداء ؟ قال : كل حار ليين ، قال : فالبغم ؟ قال : كل حار يابس ، قال : فالدم ؟ قال : إخراجُه إذا زاد ، وتطفئته إذا سخن بالأشياء الباردة اليابسة ، قال : فالرياح ؟ قال : بالحقن اللينة ، والأدهان الحارة اللينة ، قال : أفتأمر بالحقنة ؟ قال : نعم ! قرأت فى بعض كتب الحكماء أن الحقنة تنقى الجوف ، وتكسح الأدواء عنه ، والعجب لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد ؛ وإن الجاهل من أكل ما قد عرف مضرته ، ويؤثرُ شهوته على راحة بدنه .

قال : فما الحمية ؟ قال : الاقتصادُ فى كل شيء ، فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ، ويسدُّ مسامها .

قال : فما تقول فى النساء<sup>(١)</sup>... وأيهن القاب إليها أميلُ ، والعينُ برؤيتها أسرُ ؟ قال : إذا أصبتها مديدة القامة ، عظيمة الهامة<sup>(٢)</sup> ، واسعة الجبين ، قنواء العرنين<sup>(٣)</sup> ،

(١) عبارات نائية فى الأصل حذفنا هنا (٢) الهامة : الرأس (٣) قنواء : بينة القنا وهو ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه وسبوغ طرفه ، والعرنين : الأنف كاه أو ماصب منه .

كحلاء<sup>(١)</sup> لعساء<sup>(٢)</sup>، صافية الخد، عريضة الصدر، مليحة النحر<sup>(٣)</sup>، في خدّها رقة،  
وفي شفّتها لعس، مقرونة الحاجبين، ناهدة الثديين، لطيفة الخصر<sup>(٤)</sup> والقدمين،  
بيضاء، فرعاء<sup>(٥)</sup>، جمّدة<sup>(٦)</sup>، غضة بضّة<sup>(٧)</sup>، تخالها في الظلمة بدرّاً زاهراً، تبسم عن  
أقحوان<sup>(٨)</sup>، وعن مبسم كالأرجوان<sup>(٩)</sup>، كأنها بيضة مكنونة، أئين من الزُّبد،  
وأحلى من الشهد، وأنزه من الفردوس والخُلْدِ، وأزكى ريحاً من الياسمين والورد،  
تفرحُ بقرُبها، وتسركُ الخلوّةُ معها.

فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه! وقال: لله دَرَكٌ من أعرابي!  
لقد أُعْطِيتَ علماً، وخصّصتَ فطنةً وفهماً! وأحسنَ صلته وأمرَ بتدوين  
ما نطقَ به.

---

(١) السكحاء: التي كأنها مكحولة ولم تسكجل (٢) لعساء: في شفّتها سواد (٣) النحر: أعلى الصدر (٤) الخصر: وسط الإنسان (٥) الفرعاء: التامة الشعر (٦) جمّدة: غير سبطة الشعر (٧) بضّة: ناعمة (٨) الأقحوان: نبت من نبات الربيع، له نور أبيض، كأنه نقر جارية حديثة السن (٩) الأرجوان: صبغ أحمر.

٤٩ - حديث قس بن ساعدة مع ملك الروم \*

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

حضرت مجلس المأمون ، فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أحدثك عن الفضل بن يحيى ؟ قال : بلى ! فقلت : دخلت دار الرشيد ، وإذا الفضل بن يحيى وإسماعيل ابن صليح ، وعبد الملك بن صالح في بعض تلك الأروقة يتحدّثون ؛ فلما بصرني الفضل أوماً إلى ، وقال : يا إسحاق ؛ انتظرناك منذ الغداة ؛ لتساعد على ما نحن فيه من المذكرة ! فقلت : يا سيدي ؛ أنا السكيت<sup>(١)</sup> إذا أُجريت الجياد ، وفاز السابق والمُصلّي ! فقال عبد الملك : مدحت نفسك ، ولما تكذّب .

ولما فرغ عبد الملك من حديثه قال الفضل : إن لقس<sup>(٢)</sup> حديثاً سمعته من الخليل بن أحمد ؛ فهل عند واحد منكم له ذكر ؛ فسكت القوم ، فقلت : يا سيدي ؛ ما نعرف له حديثاً إلا حديث خطبته بعكاظ ! قال : ذاك شيء قد فهمته العامة واختبرته الخاصة . ثم أطرق ساعة ؛ فقلنا : إن رأيت أن تحدّثنا ؟ فقال :

حدثني الخليل بن أحمد : أن قيصر ملك الروم بعث إلى قس بن ساعدة أسقف نجران - وكان حكيماً طيباً بليغاً في منطّقه ؛ فلما دخل عليه ، ومثل بين يديه حمد

\* الحامسن والساوي طبع لبيزج ص ٣٥١

(١) السكيت : الذي يجيء في الحجابة آخر الخبل (٢) هو قس بن ساعدة خطيب العرب ناطق ، والضروب به المثل في البلاغة والحكمة ، والموعظة الحسنة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب الى بند الأوثان ، في المحافل العامة ، ومواسم الأسواق وسمعه النبي قبل البعثة بخطب بعكاظ ، فعجب من حسن كلامه وأثنى عليه وعمر طويلاً ومات قبيل البعثة .

الله وأثنى عليه ، فأمره بالجلوس ، فجلس ورحب به ، وأدنى مجلسه ، وقال : ما زلتُ مشتاقاً إليك لِمَا سمعتُ من مُناظرتك في الطب .

فكان أول مأسأله عن الشراب ؛ فقال : أى الأشربة أفضل عاقبةً فى البدن ؟ قال : ما صفاً فى العين ، واشتدَّ على اللسان ، وطابت رأحتَه فى الأنف من شراب الكرم . قال : فما تقولُ فى مطبوخه ؟ قال : مرعى ولا كالسعدان <sup>(١)</sup> ! قال : فما تقولُ فى نبيذ الزبيب ؟ قال : ميت أحيى ، وفيه بعضُ المتعة ، وما كاد يقوى شىء بعد الموت ! قال : فما تقول فى نبيذ العسل ؟ قال : نعم شراب الشيخ للمعدة الفاسدة ! قال : فما تقول فى أنبذة التمر ؟ قال : أوساخ يطيبُ مذاقها فى اللِّهوات ، وتسوءُ عاقبتها فى البدن ، وتولد الأرواح فى البطن لرقبتها .

قال : فمن أى شىء يكون الثَّمَلُ الذى يُذهب النعمَ ويطيبُ النفس ؟ قال : زعموا أن العقل تصدده سورَةُ الشراب إلى الدماغ ؛ فإذا صعدت السورَةُ إلى الدماغ الذى هو أصله ، احتجب البصرُ بغير عمى ، والسمعُ بغير صمم ، واللسانُ بغير خرس ؛ فلا يزال العقل كذلك محتجباً حتى تفككه الطبيعة من إسار السكر ، إما بقوة فيعجل ، وإما بضعف فيبطىء .

قال : فمن أى شىء الخُمَارُ <sup>(٢)</sup> من بعد صحوِّ السكران ؟ قال : من إعياء الطبيعة عن مجاهدة السورَة فى افتكك العقل وتخلّصه ، حتى يردّها النوم إلى هدوء وما أشبهه . قال : الصِّرف أفضلُ أم المزوج ؟ قال : الصِّرف سلطانٌ جائرٌ ، والجائر مذموم . والمزوج سلطانٌ عادلٌ ، والعادل محمود .

(١) السعدان : نبت ذو شوكة ، وهو من أنجع الرعى ، وهذا مثل يضرب للشىء يفضل على أقرانه وأشكاله (٢) الخمار : بقية السكر .

قال : فصف لي الأظعمة . قال : الأظعمة كثيرة مختلفة . وجملة ما أمرك به الإمساك عن غاية الإكثار ؛ فإن ذلك من أفضل ما بلوانه من الأدوية ، ورأس ما تأمر به من الحمية . قال له : عمّن حملت الحكمة ؟ قال : عن عدّة من الفلاسفة . قال : فما أفضل الحكمة ؟ قال : معرفة المرء بقدره . قال : فما تقول في الحلم ؟ قال : حلم الإنسان ماءً وجهه . قال : فما تقول في المال وفضله ؟ قال : أفضل المال ما أعطى منه الحق . قال : فما أفضل العطيّة ؟ قال : أن تعطي قبل السؤال .

قال : فأخبرني عما بلوت من الزمان وتصرفه ، ورأيت من أخلاق أهله ؟ قال : بلوّنا الزمان فوجدناه صاحباً يخون صاحبه ، ولا يعتب من عاتبه ، ووجدنا الإنسان صورةً من صور الحيوان ، يتفاضلون بالعقول ، ووجدنا الأحساب ليست بالأباء والأمهات ، ولكنّها في أخلاق محمودة ، وفي ذلك أقول :

لقد حلّبتُ الزمانَ أشطُرُهُ      ثمَّ خخضتُ<sup>(١)</sup> الصريحَ<sup>(٢)</sup> من حلّابِ  
فلم أرَ الفضلَ والمعاليَ في      قولِ الفتى : إنني من العربِ  
حتى نرَى سامياً إلى خلقِ      يدوُدٍ محمودُهُ عن النَّسبِ  
ما ينفَعُ المرءَ في فكاهتِهِ      من عقلِ جدِّ مَضَى وعقلِ أبِ  
ما المرءُ إلا ابنُ نفسه فيها      يعرفُ عندَ التحصيلِ للثوبِ

ووجدنا أبلغَ العظااتِ النظرَ إلى محلِّ الأمواتِ ، وأحمدَ البلاغةَ الصمتَ ، ووجدنا لأهلَ الحزمِ حذاراً شديداً ، وبذلك نجوا من المكروه ، والكرمُ حسنُ الاصطبار ، والعزُّ سرعة الانتصار ، والتجربة طولُ الاعتبار .

(١) مخض اللبن : أخذ زبده (٢) الصريح : الخالص .

قال : خبرني هل نظرت في النجوم ؟ قال : ما نظرتُ فيها إلا فيما أردتُ به الهداية ، ولم أنظر فيما أردتُ به الكهانة ، وقد قلتُ في النجوم :

علمُ النجوم على العقول وبألٍ      وطِلابُ شيءٍ لا يُنالُ ضلالُ  
 ماذا طلابك علمُ شيءٍ أُغْلِقَتْ      من دونهِ الأفلاكُ ليس يُنالُ  
 هيماتُ ما أُحدُّ بغامضِ قدره      يدرى كم الأرزاقُ والآجالُ  
 إلا الذي فوق السماء مكانه      فلو جِههِ الإكرامُ والإجلالُ

قال : فهل نظرت في زجر<sup>(١)</sup> الطير ؟ قال : نحن معاشر العرب مولعون بزجر الطير . قال : فما أعجبُ ما رأيتَه منه ؟ قال : شخصتُ أنا وصاحبُ لي من العرب إلى بعض الملوك ، فألفيناهُ يريد غزو قوم كانوا على دين النصرانية ، فخرج حتى إذا كان على فراسخ من مدينته أمر بضرب فساطيطه وأرؤقته لتتوافي إليه جنوده ، وضرب له فسطاط على شاطئ نهر ، وأمر بجناء فُضرب لي ولصاحبي ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل طائران : أسود وأبيض ، وأنا وصاحبي نرُمقهما ، حتى إذا كانا على رأسه رَفَرَفَا ، ثم غابا ، ثم رجعا أيضاً ، حتى إذا كانا قريباً منه طوياه ، ثم أقبلنا نحونا فوقعا ، ثم رَتَعَا<sup>(٢)</sup> ، فقال صاحبي : ما رأيتُ كالليوم طائرين أعجبَ منهما ، فأيهما أنت مختار ؟ فقلت : الأسود . قال : الأبيض أعجبهما إليّ ، فما تأولتهما ؟ قلت : الليل والنهار يطويان هذا الرجل في سفره فيموت ، وتأولت اختيارك الأبيض أنك تنصرف بيد بيضاء مُحَفَقَةً من المال . فإذا هو قد غضب .

فلما جنَّ الليل بعثَ إلينا الملك لنَسْمُرَ عنده ، فإذا صاحبي قد أخبره بالخبر ،

(١) الزجر : ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سحوح طائر أو حيوان

(٢) الرتع : الأكل والشرب رغدا في الريف .



فسألني فأخبرته وصدقته . فغضب ، وقال : هذه حميةٌ منك لأهل دينك ! قلت :  
أما أنا فقد صدقتك . فأمر بحبسي ومضى لوجهه . فلم يتجاوز إلا قليلا حتى مات !  
فأوصى لي بعشرين ناقة ، وقال : قاتل الله قسًا ! لقد محضني النصيحة . فانصرفتُ  
من سفري ذلك بعدةً من الإبل ، وانصرف صاحبي مُخْفِقًا من المال .

قال الملك : وما رأيتَ أيضا من الزجر أعجب ؟ قلت : مارأيتُ مرةً عند الملك  
المام أبي قابوس ، وقد خرج عليه خارجٌ من مصر يريد مُلكه ، وقد حشد له ؛  
فبعث إلى بعض عماله في توجيهه أربعمائة فارس ، ووجهني مع الرسول ، وأمرنا بالشد  
على أيديهم في جمع الخيل والرجال - وكان الرسولُ شاعراً - فبينما نحن نسير إذ  
سنتحت لنا طباء فيها تيس (١) يقدمها ، وكان أبو قابوس يواعد للقائه في يوم كذا  
وكذا ، فنحن نقول : إن كان الملك خرج في يوم كذا فهو اليوم في موضع كذا ،  
وقد أقبلنا ، ونحن نقود جيشاً عرمرماً ، فأنشأ الرسول يقول :

الْأَلَيْتَ شِعْرِي مَا تَقُولُ السَّوَانِحُ      أَغَادِ أَبُو قَابُوسٍ أَمْ هُوَ رَائِحٌ ؟

قال : فنظرت إلى التيس عند فراغه من هذا البيت ، فوجدته قد دخل في  
مكَنِّسِهِ (٢) حتى توارى فيه ، فدخلني من ذلك ما لم أقدر على أن أمسك نفسي، حتى  
استرجعت ، فقال لي رفيقي : مالك ؟ قلت : إن صدق الزجر فصاحبك قد ثوى في  
التراب ، والتحفت عليه أطباقُ الترى ! قال : كيف ذلك ؟ قلت : وافق فراغك  
من البيت دخولُ التيس في مكَنِّسِهِ ؛ فأعرض عني .

فلما أصبحتُ في اليوم الذي واعدنا للقائه لم يواف ، ولم يكن بأوشك من أن  
أتانا الخبرُ بهلاكه وعود ابنه .

(١) التيس : الذكر من الطباء والمعز والوعول . (٢) المكَنِّس : موج الوحش من الطباء  
والبقر تستكن فيه من الحر .

فأكرمه قيصر وأحسن جائزته .

قلنا : أيد الله الوزير ! لقد بلغت ما بلغت باستحقاق ، ولقد حُزَّتْ قِصْبَةَ الرَّهَانِ فِي كُلِّ مَنَقِبَةٍ ؛ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : عَزَّ الشَّرِيفُ أَدْبَهُ ؛ وَإِذَا رَسُولُ الرَّشِيدِ قَدْ وَاوَاهُ فَهَضْضْ نَحْوَهُ ، وَتَصَدَّعْ الْمَجْلِسَ وَانصرفنا .

فلما مضى من الليل بعضه إذا أنا بطارق قد طرقتي ، وبين يديه غلمان على أعناقهم البدرُ ، وإذا رسول الفضل وقد حمل إلىّ مائة ألف درهم ، وقال : الوزير يقرأ عليك السلام . ويقول : ضجرتَ باستماع الأحاديث ، وأوجبتَ عليّ بذلك منّة ، وهذا عطاء وَتَحٍّ <sup>(١)</sup> في جنب قدرك عندي ، فخذْه ولا تعتدَّ به .

فقلت : سبحان الله الذي خلق هذا الرجل ! وَجَبَلَهُ عَلَى كَرَمٍ بَدَّ بِهِ مِنْ مَضَى وَمَنْ غَبَّرَ . وإذا هو قد وجهَّ إلى أصحابي الذين كانوا معي بمثل الذي وجهَّ به إليّ ؛ فغدوتُ إليه وأردت أن أشكره ؛ فقال : والله لئن ذهبتَ تكشِفُ ماسِئِرَ اللَّهِ لِأَجْفُونِكَ ! فكأنما ألقمني حجرا . واحتبسني عنده ، فطعمت وشربت ، ورُحْتُ وقد حماني على عدة أفراس بسروجٍ ولُجْمٍ مُدْهِبَةٍ ، ووجه معي بعشرة تحوت ثياب وعشر بدرٍ .

قال : فقال المأمون : وَيَحْكُ يَا إِسْحَاقُ ! ثوابُ حديثك ضعفُ ما أمرك به الفضل ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ؛ فقبضت ذلك وانصرفت !

(١) وتَحٍّ : قليل .

٥٠ — أعرابي في سفر\*

زعموا أن رجلا من كعب خرج في جماعة<sup>(١)</sup> ، ومعه سقاء<sup>(٢)</sup> من لبن ، فسار صدر يومه ، فعطش فأناخ ليشرب ؛ فإذا غراب<sup>(٣)</sup> ينعب<sup>(٤)</sup> ؛ فأثار راحلته ، ثم سار ، فلما أظهر<sup>(٥)</sup> أناخ ليشرب ، فنعب الغراب وتمرغ في التراب ؛ فضرب الرجل السقاء بسيفه ؛ فإذا فيه أسود<sup>(٦)</sup> ضخم فقتله .

ثم سار فإذا غراب<sup>(٧)</sup> واقع على سدر<sup>(٨)</sup> ، فصاح به فوقع على سلمته<sup>(٩)</sup> ، فصاح به ، فوقع على صخرة ؛ فانتهى إليها ، فأثار كنزاً .

فلما رجع إلى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟ قال : سرت صدر<sup>(١٠)</sup> يومي ، ثم أنخت<sup>(١١)</sup> لأشرب ؛ فنعب الغراب ، قال : أثرها ، وإلا فلست بابني ! قال : أثرتها ؛ ثم أنخت لأشرب ؛ فنعب الغراب ، وتمرغ في التراب ، قال : اضرب السقاء ، وإلا فلست بابني ! قال : فعلت ، فإذا أسود ضخم ، قال : ثم مه ! قال : ثم رأيت<sup>(١٢)</sup> غراباً على سدر<sup>(١٣)</sup> قال : أطره وإلا فلست بابني ! قال : فعلت ، فوقع على سلمته ، قال : أطره وإلا فلست بابني ! قال : فعلت ، فوقع على صخرة ، قال : أخبرني بما وجدت فأخبره .

\* نهاية الأرب ص ١٤٠ ج ٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٠٩ ج ٣

(١) السقاء : ما يوضع فيه اللبن (٢) نعب الغراب : صاح (٣) أظهر : سار في الظهر (٤) الأسود : العظيم من الحيات (٥) السدر : شجرة النبق (٦) السلم : شجر من العضاء الواحدة سلمة .

٥١ — في موت رسول الله \*

قال أبو ذؤيب<sup>(١)</sup> الهذلي : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ؛ فأوجس أهل الحى خيفةً عليه ، فبت بليلة ثابتة النجوم ، طويلاً الأناة ، لا ينجاب ديجورها<sup>(٢)</sup> ، ولا يطلّع نورها ، حتى إذا قرُب السحر غفوت ، فهتف لي هاتف يقول :

خَطْبُ أَجَلٍ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ      بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَعْقَدِ الْآطَامِ<sup>(٣)</sup>

قُبِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعَيُونُنَا      تُدْرِى الدَّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ<sup>(٤)</sup>

فوثبت من نومي فزعا ؛ فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الناج ؛ فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مات ، أو هو ميت من علته .

فركبت ناقتي وسرت حتى أصبحت فطلبت شيئاً أزجره ، فعن لي شيهم<sup>(٥)</sup> قد أرم<sup>(٦)</sup> على صل<sup>(٧)</sup> ، وهو يتلوى ، والشيهم يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك شيئاً مهماً ؛ فقلت : تلوى الصل : انقتال<sup>(٨)</sup> الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم إياه : غلبة القائم على الأمر .

\* بلوغ الأرب ص ٣١٥ ج ٣ ، نهاية الأرب ص ١٤٢ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ١٩٣ ج ١

(١) أبو ذؤيب الهذلي شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان في جند عبد الله بن سعد حينما فتح إفريقية وعاد إلى مصر ومات بها (٢) الديجور : الظلام (٣) الأطم : القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح جمعه آطام (٤) سجم الدمع : قطر وسال قليلاً أو كثيراً (٥) الشيهم : ذكر الثنافذ (٦) أرم عليه : عض (٧) الصل : الحية (٨) انقتل عن الشيء : انصرف .

فَحَدَّثْتُ نَاقِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْعَلِيَّةِ<sup>(١)</sup> زَجَرْتُ الطَّيْرَ فَأَخْبَرَنِي بِوَفَاتِهِ .  
وَنَعَبُ<sup>(٢)</sup> غَرَابٍ سَاحِحًا بِمِثْلِ ذَلِكَ ؛ فَتَعَوَّذْتُ مِنْ شَرِّ مَا عَنَّ لِي فِي طَرِيقِي ، ثُمَّ  
قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، وَأَهْلَهَا ضَجِيجٌ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ ، أَهْلُوا جَمِيعًا بِالْإِحْرَامِ ،  
فَقُلْتُ : مَهْ ! قَالُوا : قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ فَأَصْبَتُهُ  
خَالِيًا ؛ فَأَنْبَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَأَصْبَتُ بَابَهُ مُرْتَجًا<sup>(٣)</sup> ، وَقَدْ خَلَّابَهُ  
أَهْلُهُ ؛ فَقُلْتُ : أَيْنَ النَّاسُ ؟ فَمَقِيلٌ : فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ . صَارُوا إِلَى الْأَنْصَارِ .  
فَجِئْتُ السَّقِيْفَةَ فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرَ ، وَعَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ وَسَلْمًا ،  
وَجَمَاعَةً مِنْ قَرِيْشٍ ، وَرَأَيْتُ الْأَنْصَارَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ وَمَعَهُمْ شَعْرَاؤُهُمْ ،  
وَأَمَامَهُمْ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَكَعْبٌ ؛ فِي مَلَأُ مِنْهُمْ ، فَأَوَيْتُ إِلَى الْأَنْصَارِ ؛ فَتَكَلَّمُوا  
فَأَكْثَرُوا ، وَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَلِلَّهِ مِنْ رَجُلٍ لَا يُطِيلُ الْكَلَامَ ، وَيَعْلَمُ مَوَاضِعَ الْفَصْلِ .  
وَاللَّهُ لَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَمْ يَسْمَعْهُ سَامِعٌ إِلَّا أَنْقَادَ لَهُ ، وَمَالَ إِلَيْهِ . وَتَكَلَّمَ بَعْدَهُ  
عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكَلَامٍ دُونَ كَلَامِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ فَبَايَعَهُ ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ ، وَرَجَعْتُ مَعَهُ ؛ فَشَهِدْتُ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَهِدْتُ  
دَفْنَهُ !

(١) عليّة القوم : حلتهم (٢) نعب الغراب : صاح . والسائح : ما أتاك عن يمينك من ظي  
أو طائر أو غير ذلك . والعرب تختلف في العيافة ، فمنهم من ييمين بالسائح وينشأه بالبارح ومنهم  
من يخالف ذلك (٣) أرتج الباب : أغلقه .

٥٢ — عيافة لهب \*

تعشق كثير<sup>(١)</sup> امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويث ، فشبب بها فكرهت أن يسمع بها ويفضحها كما سمع بهزة ؛ فقالت له : إنك رجل فقير لآمال لك فابتغ مالا ، ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام ، قال : فاحلفي لي ووثقي أنك لا تزوجين حتى أقدم عليك ، فحلفت ووثقت له . فمدح عبد الرحمن بن إريق الأزدي وخرج إليه ؛ فلقى ظبياً سوانح<sup>(٢)</sup> ، ولقى غراباً يفحص التراب بوجهه ، فتطير من ذلك ، حتى قدم على حي من لهب<sup>(٣)</sup> ، فقال : أيكم يزجر<sup>(٤)</sup>؟ قالوا : كلنا ! فمن تريد؟ قال : أعلمكم بذلك ! قالوا : ذلك الشيخ المنحني الصلب ؛ فأتاه فقص عليه القصة فكره ذلك له ، وقال : قد ماتت أو تزوجت رجلا من بني عمها ؛ فقال كثير :

تيممت لهباً أبتغي العلم عندهم      وقد ردد علم العائنين إلى لهب !  
فيممت شيخاً منهم ذا بحالة<sup>(٥)</sup>      بصيراً بزجر الطير منحني الصلب !

\* نهاية الأرب ص ١٤٠ ج ٣ ، الأغانى ص ٣٤ ج ٩

(١) كثير بن عبد الرحمن من الشعراء الغزليين ولكنه كان دعياً في الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق نفاقه السياسي ، وتردده بين الشيعة وبنى أمية . أخذ يشهر بهزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها ، وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ (٢) السانح : ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك ، والبارح ما أتاك من ذلك عن يسارك (٣) لهب : قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة وزجر الطير (٤) الزجر : ضرب من التكهن ، وهو التيمن والتشاؤم بالطير وغيرها (٥) يبجله الناس ويعظمونه .

فقلتُ له : ماذا ترى في سَوَانِحِ  
وقال : جرى الطيرُ السَّنِيحُ بَيْنَهَا  
وصوتُ غرابٍ يفحصُ الوجّهَ بالترُّبِ ؟  
ونادى غرابٌ بالفراقِ وبالسَّلبِ  
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها  
سِوَاكَ خَلِيلُ بَاطِنٌ من بنى كَعْبِ  
ثم مدح الرجلَ الأزديَّ فأصاب منه خيراً ، ثم قدِمَ عليها ؛ فوجدها قد تزوجتُ  
رجلاً من بنى عمها ، فأخذهُ الهَلَسُ <sup>(١)</sup> ، فَكَشَحَ <sup>(٢)</sup> جنباه بالنار ، فلما اندمل من  
عَلْتِه ، ووضع يده على ظهره ، فإذا هو بِرَقْمَتَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : أخذك  
الهَلَسُ ، وزعم الأطباء ، أنه لا علاجَ لك إلا بِالكَشْحِ بالنار ؛ فَكَشَحْتَ بها  
فَأَنْشَأَ يقول :

عفا الله عن أمّ الحويرثِ ذنبها  
عَلامٌ تُعَنِّينِي وَتَكْمِي <sup>(٤)</sup> دَوَائِي ؟  
ولو آذَنُونِي قَبْلَ أَنْ يَرْقُمُوا بِهَا  
لَقَلْتُ لَهُمْ : أُمَّ الْحُوَيْرِثِ دَائِي

(١) الهلاس : الضمور ، أو مرض السل (٢) كشح : كوى (٣) المرقوم من الدواب  
التي يكون على أوظفته كيات صفار ؛ وكل واحدة منها رقمة . والمراد أنه وجد أثر كيتين  
(٤) كمي الشيء : ستره وكتمه .

٥٣ — أبو النشاش ولهب \*

كان أبو النشاش من لصوص بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ<sup>(١)</sup> من العرب بين طريق الحجاز والشام ، فيجتاحها ، فظفر به بعض عمال مروان ابن الحكم ، فحبسه وقيده مدة ، ثم استطاع أن يهرب في وقت غرة ، فهرب ، ومرّ بغراب على بانه<sup>(٢)</sup> ، ينتف ريشه وينعب ، فجزع من ذلك ، ثم مرّ بجي من لهب ، فقال لهم : رجل كان في بلاء وشر ، وحبس وضيق ، فنجنا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ، ينتف ريشه وينعب ! فقال له اللهم : إن صدقت الطير يُعادُ إلى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ويُقتل ويُصلب ، فقال له : بميك الحجر ، قال : لا ، بل بفيك ، وأنشأ يقول :

وسائلة أين الرحيل وسائلٍ      ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه ؟  
مذاهبه أن الفجاج عريضة      إذا ضنّ عنه بالنوال أقاربه  
إذا المرء لم يسرح<sup>(٣)</sup> سواماً ولم يرح      سواماً ولم ينسط له الوجه صاحبه  
فللموت خير للفتى من قعوده      عديماً ومن مولى تعاف مشاربه  
ودوية<sup>(٤)</sup> قفر يحار بها القطا<sup>(٥)</sup>      سرت بأبي النشاش فيها ركائبه

\* الأغاني ص ٤٢ ج ١١ ، ديوان الحماسة ، شرح المرصفي ص ٣١ ج ١  
(١) الشذاذ : الذين لم يكونوا في حيزهم ومنازلهم (٢) البان : شجر لب ثمره دهن طيب  
(٣) يقال : سرح الماشية سرحاً : أخرجها بالغداة الى المرعى ، والسوام والسائمة : الإبل  
أرسلت لترعى ، وأراح الماشية : ردها من العشى إلى مراحيها ليلاً (٤) الدوية : منسوبة إلى  
الدو وهو الغلاة البعيدة الأطراف (٥) يضرب المثل بالقطا في الهداية فيقال : أدل من قطاة .



ليدرك ثاراً أو ليكسب مغماً      ألا إن هذا الدهرَ تَتَرَى عَجَائِبَهُ  
فلم أرَ مثلَ الفقرِ ضاجِعَهُ الفتي      ولا كسواد الليل أخفقَ طالبُهُ  
فَعَشُّ مُعَدِّمًا<sup>(١)</sup> أو مت كريماً فإني      أرى الموت لا يُبقي على من يطالبُهُ

### ٥٤ — غراب يبشر بموت الحجاج \*

قال محدث : كنت في حبس الحجاج ؛ فحُجِسَ مَعَنَا رجل ، فأقام حينًا  
لا نسمعه يتكلمُ بكلمة ، حتى كان في اليوم الذي مات الحجاج في الليلة التي تليه ،  
أقبل غراب في عشيَّة ذلك اليوم ، فوقع على حائط السجن فنق<sup>(٢)</sup> ، فقال الرجل :  
ومن يقدرُ على ماتقدرُ عليه ياغراب ؟ ثم نطق الثانية فقال : مثلك من بشرَّ بخير  
ياغراب ! ثم نطق الثالثة فقال : من فيك إلى السماء ياغراب !  
فقلت له : ما سمعناك تكلمتَ مَذْجُبِسْت إلى الساعة ، فما دعاك إلى ما قلت ؟  
قال : إنه نطق فقال : إني وقعت على ستر الحجاج ، فقلت : ومن يقدرُ على ماتقدر  
عليه ؟ ثم نطق الثانية ، فقال : إن الحجاج أصابه وجع ، فقلت : مثلك من بشرَّ  
بخير ! ثم قال في الثالثة : الليلة يموت ! فقلت : من فيك إلى السماء .

ثم قال الرجل : إن انسأخ الصبحُ قبل أن أخرجَ فليس على بأس ، وإن  
دُعيتُ قبل الصبحِ فسْتُضْرَبُ عنقي ، ثم تلبثون ثلاثًا لا يدخل عليكم أحد ، ثم  
يُدْعَى بكم في اليوم الرابع ، فيهنف على رؤوسكم بالكفالة ، فمن وجد له كفيلا خلى  
سليله ، ومن لم يجد له كفيلا فويل له طويلا .

\* الفرج بعد الشدة ص ١١٤ ج ١

(١) المعدم : الذي افتقر (٢) نطق الغراب : نعب .

فلما دخل الليل سمعنا الصراخ على الحجاج ، ثم أُخْرِجَ الرجل قبل الصبح ،  
فَضْرِبَ عنقه ، ثم لم يدخل علينا أحد ثلاثاً ، ثم دُعِيَ بنا وطلب منا الكفالة ، ثم  
صار الأمر إلى ، فمكثتُ طويلاً ، حتى خِفتُ أن أُرَدَّ إلى الحبس ، ثم تقدم رجل  
فضمنني ، فقلت له : يا عبد الله ، من أنت حتى أشكرك ؟ فقال لي : اذهب ، ولست  
بمسئول عنك أبداً ، فانطلقت !

٥٥ - صدق الزاجر (١) \*

كان المنصورُ الأزَمَ خالدَ بنَ برمكٍ ثلاثة آلاف ألف درهم ، ونَدَّرَ دمه فيها ،  
وأجله ثلاثة أيام ، فقال خالدٌ ليجي ابنه : إني قد طُوبِتُ بما ليسَ عندي ، وإنما  
يُرَادُ بذلك دمي ، فانصرف إلى أهلك فما كنتُ فاعلاً بعد موتي فافعله ، ثم قال :  
يا بُنَيَّ ؛ ولا يمنعك ذلك من أن تلقى إخواننا ، فتعلمهم حالنا .

قال يحيى : فأتيتُ إخوانَ والدي ؛ فمنهم من جَبَنِي (٢) بالرد ، ثم بعثَ إلى  
بمالٍ جليلٍ ، ومنهم من لم يأذن لي ، وبعثَ بمالٍ في أثري لكيلا يُخْبِرَ به  
المنصور .

قال : فدخلتُ على عُمارة (٣) بنِ حمزة ، وهو متجه بوجهه إلى الحائط ، فسلمتُ

\* المحاسن والمساوي ص ٣٤٩

(١) الزجر : العيافة والتكهن (٢) جبني : رده عن حاجته واستقبله بما يكره (٣) عمارة  
ابن حمزة : من الولاة الأجواد الشعراء جمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة  
والبحرين ، وله في الكرم أخبار عجيبة وتوفي نحو سنة ١٨٠ هـ .

فردداً ضعيفاً ، فضاقت بي الأرضُ ، ثم كلمته فيما كنتُ أتيتُه فيه ، فقال : إن أمكننا شيء فسيأتيك ، فانصرفتُ عنه ، وصرتُ إلى أبي ، فأعلمته ذلك ، وقلتُ : أراك تثق من عمارة بما لا يوثق به .

فوالله إني لفي ذلك الحديث ، إذ طلع رسولُ عمارة بمائة ألف درهم ، ورسولُ صاحب المصلى بمائة ألف درهم ، ورسولُ مبارك التركي بمائتي ألف درهم ، فجمعنا في يومين ألفي ألف درهم ، وبقيت ثلاثمائة ألف درهم ، فتعذّر ذلك ، فوالله إني لما رثتُ بالجسر مهموماً مغموماً ، إذ وثب إليّ زاجرٌ ، فقال : قف أخبرك فلم أنفتُ إليه ، فلحقني وتعلق بي ، فقلت : ويحك ! اذهب عني ، فإني مشغولٌ عنك ، فقال : أنت والله مهموم ، ووالله ليُفرجنَّ همُّك ، ويمنّ باللواء غدا في هذا الموضع بين يديك ؛ فأقبلتُ أعجب من قوله ، فقال لي : إن كان ذلك فلي عليك خمسة آلاف درهم ! قلت : نعم ! ولو قال خمسين ألف درهم لقلت : نعم ؛ لبعُد ذلك عني !

ثم مضيتُ ؛ فوالله ما انصرفتُ حتى وردَ على المنصور الخبرُ بانتقاض أمر الموصل ، وانتشار الأكراد بها ؛ فقال المنصور : ويحك ! من لها ؟ - وكان المسيبُ <sup>(١)</sup> بن زهير عند المنصور . وكان صديقاً لخالد - فقال : عندي - والله - من يكفيك ، وأنا أعلمُ أنك ستلقاني بما أكره ، ولكني لا أدعُ على حالٍ نصحك ! فقال المنصور : ويحك ! قل ؛ فلستُ أردُّ عليك ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ ماترميها بمثل خالد : فقال المنصور : ويحك ! وتراه يصلحُ لنا بعد ما آتيناه به ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، وأنا زعيمه بذلك ، والضامن عليه .

(١) كان المسيب بن زهير على شرط المنصور والمهدى العباسيين ، وتوفي ببغداد سنة ١٧٥ هـ .

فتبسّم المنصور ، وقال : صدقت ، والله ما لها غيره ، فليحضر غداً ! فأحضر ،  
فصفح عما بقى عليه ، وعقد له .

قال يحيى : ففررنا والله بالزاجر ، واللواء بين يدي ، فلما رأني قال : أنا ها هنا  
أنتظرك منذ غدوة .

فتبسّم إليه وقلت : امض ، فمضى معي ، ودفعتُ إليه خمسة آلاف  
الدرهم !

### ٥٦ — علم المأمون وسعة معارفه\*

قال جعفر بن محمد الأنماطي :

لما دخل المأمون <sup>(١)</sup> بغداد ، وقرّ بها قراره ، أمر أن يدخُل عليه من الفقهاء  
والمتكلمين وأهل العلم جماعةً يختارهم لمجالسته ومحادثته ، وكان يقعد في صدرِ نهاره  
على لبود في الشتاء وعلى حصير في الصيف ، ليس معها شيء من سائر الفُرُش ،  
ويقعد للمظالم في كل جمعة مرتين ، لا يمتنعُ منه أحد .

واختير له من الفقهاء لمجالسته مائة رجل ، فما زال يختارهم طبقةً بعد طبقةٍ  
حتى حصل منهم عشرة ، كان منهم أحمد بن أبي دُواد ، وبِشرُ المرَيْسي ،  
وكنتُ أحدَهم .

\* عصر المأمون ص ٣٦٠ ج ١

(١) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، من أعاظم خلفاء بني العباس وعلماهم وحكامهم ،  
كان وافر الخلق ، عظيم الحلم ، محباً للعلم ، مؤثراً للحكمة ، توفي سنة ٢١٨ هـ .

فتغدّينا يوماً عنده ، فظننتُ أنه وضع على المائدة أكثر من ثلثائة لون ،  
فكلما وُضع لون نظر المأمونُ إليه ، فقال : هذا يصلح لكذا ، وهذا نافع لكذا ؛  
فمن كان منكم صاحبَ بَلْغَمٍ ورطوبة فليَجْتَنِبْ هذا ، ومن كان صاحبَ صفراء  
فليأْكُلْ من هذا ، ومن غلبتْ عليه السوداء فليأْكُلْ كل من هذا ، ومن أحبَّ  
الزيادة في لحمه فليأْكُلْ كل من هذا ، ومن كان قصده قلةَ الغذاء فليقتصر على هذا .  
فوالله إن زالت تلك حاله في كل لونٍ يُقدِّم ، حتى رُفِعَت الموائد .

فقال له يحيى بن أكرم : يا أمير المؤمنين ، إن خُضْنَا في الطب كنت جالينوس  
في معرفته ! أو في النجوم كنت هِرْمِس في حسابه ! أو الفقه كنت عليّ بن  
أبي طالب في علمه ! أو ذَكَرْنَا السخاء فأنت فوق حاتمٍ في جوده ! أو ذَكَرْنَا  
صِدْقَ الحديثِ كنتَ أبا ذَرٍّ في صدقِ لهجته ! أو الكرم كنتَ كعبَ بن مامة  
في إشارته على نفسه !

فسرّ بذلك الكلام ، وقال : يا أبا محمد ، إن الإنسان إنما فَضِّلَ على غيره  
من الهوامِّ بفعله وعقله وتمييزه ، ولو لا ذلك لم يكن لحم أطيبَ من لحم ، ولا دمُّ  
أطيبَ من دم !

٥٧ — وفود الفارابي على سيف الدولة\*

نزل أبو نصر<sup>(١)</sup> الفارابي بدمشق ، ودخل على سيف الدولة بن حمدان ، وهو إذ ذاك سلطانها ، ووقف بين يديه ؛ فقال له سيف الدولة : اجلس ! قال : أجلس حيث أنا أو حيث أنت ؟ فقال : حيث أنت ! فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مُسند<sup>(٢)</sup> سيف الدولة ، وزاحمه فيه ، حتى أخرجته عنه .

وكان على رأس سيف الدولة ممالك ؛ وله معهم لسان خاص يسارهم به ؛ فقال لهم بذلك اللسان : إن هذا الشيخ قد أساء الأدب ، وإني سأثله عن أشياء ، إن لم يعرفها ، فاخرجوا به !

فقال له أبو نصر بتلك اللغة : أيها الأمير ؛ اصبر ؛ فإن الأمور بعواقبها ؛ فعجب سيف الدولة منه ، وعظم عنده .

ثم أخذ يتكلم مع العلماء والحاضرين في كل فن ؛ فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل ، حتى صمتوا ، وبقى يتكلم وحده .

ثم أخذوا يكتبون ما يقول ؛ فصرههم سيف الدولة ، وخلا به ؛ فقال له :

\* ثمرات الأوراق للحموي ص ٩٧

(١) نشأ الفارابي بالشام واشتغل فيها ، وكان فيلسوفاً كاملاً ، بارعاً في كل فن ، وألف كتباً كثيرة في مواضع لم يسبقه إليها احد ، توفي سنة ٣٣٩ هـ (٢) كل شيء أسندت إليه شيئاً فهو مسند بالضم . وكذلك ما يسند إليه يسمى مسنداً بكسر الميم .

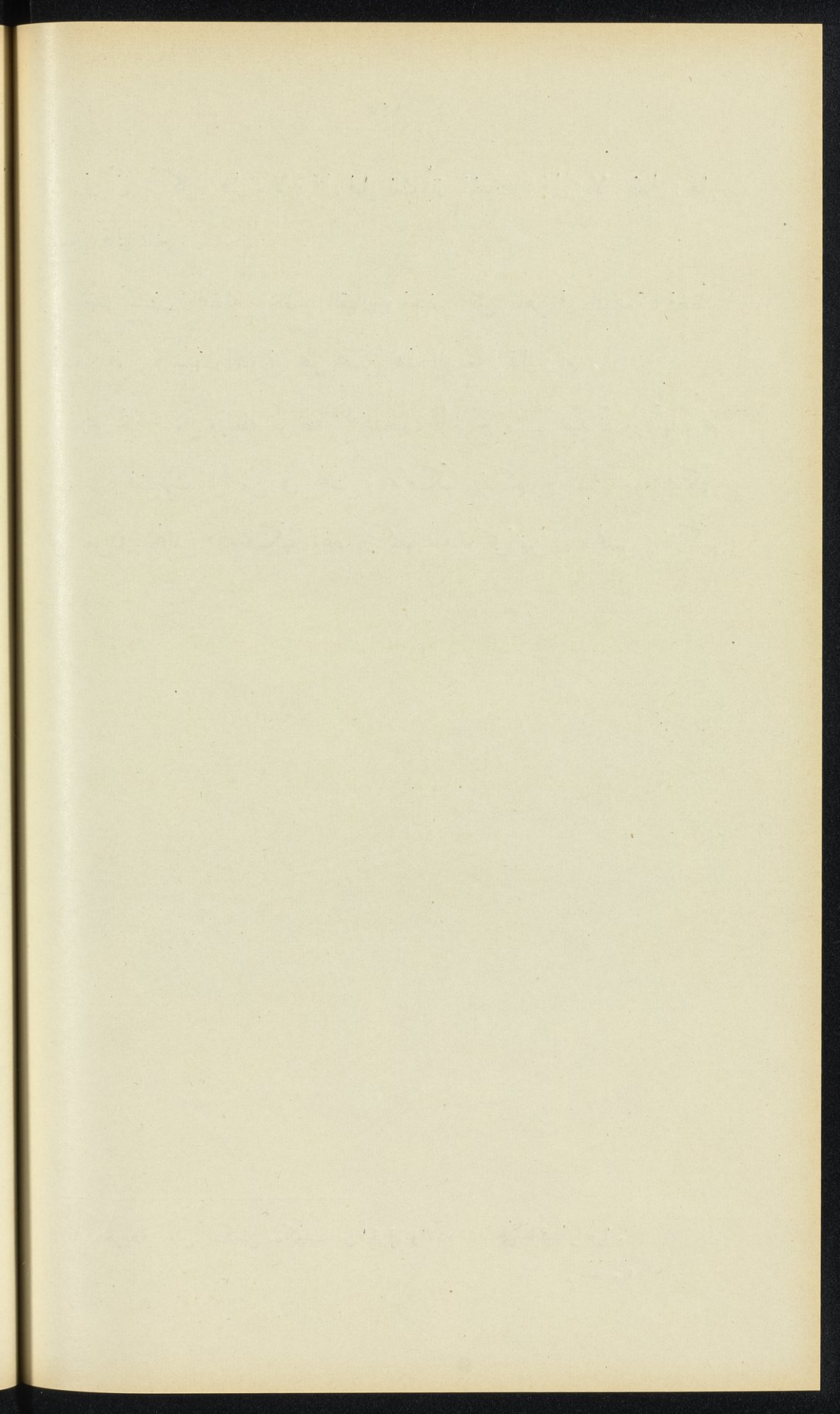
لك في أن تأكل؟ قال: لا؛ قال فهل لك أن تشرب؟ قال: لا. فقال: هل  
تسمع؟ قال: نعم.

فأمر سيفُ الدولة بإحضار القيان؛ فحضر كل ماهر في الصنعة، فخطَّ  
الجميع؛ فقال له سيف الدولة: هل تحسنُ هذه الصنعة؟ قال: نعم.

ثم أخرج من وسطه خريطة<sup>(١)</sup> ففتحها، فأخرج منها عيداناً وركبها، ثم  
لعب بها؛ فضحك كلُّ من في المجلس؛ ثم فكَّها وركبها تركيباً آخر؛ فبكى  
كلُّ من في المجلس؛ ثم فكَّها وغير تركيبها؛ فنام كلُّ من في المجلس؛ فتركهم  
نياماً وخرج!

---

(١) الخريطة: مثل الكيس تكوّن من الحرق والأدم تشد على ما فيها بالعرأ.





## الباب الرابع

---

القصص التي يرى بها ما كانوا يتغنون به من المكارم  
والمفاخر ، وما كانوا يتذمّون به من المناقص والمعرات ؛  
سواء أكان ذلك فيما يتعلق بكل منهم في نفسه ، أم فيما يتصل  
بالأقربين من ذويه ، أم فيما يضم أهل قبيلته ، أم فيما يشمل الناس  
جميعاً .

---

٥٨ - سبق السيفُ العَدْلُ \*

كان للنعمان بن ثَوَاب العبدى بنون ثلاثة : سعد وسعيد وساعدة ، وكان ذا شرفٍ وحكمة ، يوصى بنيه ، ويحملهم على أدبه .  
أما ابنه سعد فكان شجاعاً بطلاً من شياطين العرب ، لم تَمُنْهُ طَلِبَتُهُ قط ، ولم يفرَّ عن قرْن .

وأما سعيد فكان يُشْبِه أباه في شرفه وسُودَدِه .

وأما ساعدة فكان صاحبَ شرابٍ وندامى وإخوان .

فلما رأى الشيخُ حالَ بنيه دعا سعداً - وكان صاحبَ حرب - فقال : يا بَنِي ؛ إن الصارِمَ يَنْبُو ، والجوادُ يَكْبُو ، والأثرُ يَعْفُو ؛ فإذا شهدتَ حرباً ، فرأيتَ نارها تستعر ، وبطلها يَخْطُر ، وبجرها يَزْخَر ، وضعيفها يُنْصَر ، وجبانها يَجْسُر ؛ فأقللِ المكثَ والانتظار ؛ فإن الفِرارَ غيرُ عارٍ إذ لم تكن طالبَ ثأر ؛ وإياك أن تكونَ صيدَ رماحها ، ونطيحَ نطاحها .

وقال لابنه سعيد - وكان جواداً : يا بَنِي ؛ لا يَبْخُلُ الجوادُ ؛ فأبدلِ الطارِفَ والتلادَ ، وأقللِ التَّلَاحَ <sup>(١)</sup> ، تَدُكِرْ عندَ السَماحِ ، وأبلِ إِخْوانَكَ ؛ فإنَّ وفِيهم قليل ؛ واصنعَ المعروفَ عندَ مُحْتَمَلِه .

\* الأمثال ص ٦٤ ج ١

(١) التلاحى : التثام .

وقال لابنه ساعدة - وكان صاحبَ شرابٍ : يابني ؛ إن كثرةَ الشرابِ تُفسدُ القلبَ ، وتقللُ الكسبَ ، فأبصرَ نديمك ، واحمِ حريمك ، وأعنَ غريمك ، واعلم أن الظمأَ القامحَ (١) خيرٌ من الرّبيّ الفاضح ، وعليك بالقصدِ فإنّ فيه بلاغاً .  
ثم إن أباهم النعمان بن ثواب توفى ؛ فقال ابنه سعيد - وكان جواداً سيّداً :  
لأحدن بوصية أبي ، ولأبلون إخواني وثقائي .

فعمد إلى كبش فذبحه ، ثم وضعه في ناحية خبائه ، وغشاه ثوباً ، ثم دعا بعض ثقاته ؛ فقال : يا فلان ؛ إن أخاك من وفى لك بهديه ، وحاطك برّ فده ، ونصرك بؤده . قال : صدقت ! فهل حدث أمر ؟ قال : نعم ! إني قتلتُ فلاناً - وهو الذي تراه في ناحية الخبَاء - ولا بدّ من التعاون عليه ، حتى يُوارى ! فما عندك ؟

قال : يالها سواة وقعت فيها ! قال : فإني أريدُ أن تُعينني عليه حتى أُغيبه ! قال : لستُ لك في هذا بصاحب ! فتركه وخرج . فبعث إلى آخر من ثقاته ؛ فأخبره بذلك ، وسأله معونته ، فردّ عليه مثل ذلك ! حتى بعث إلى عدد منهم ، كلهم يردُّ عليه مثل جوابِ الأول .

ثم بعث إلى رجلٍ من إخوانه يقال له خزيم بن نوفل ، فلما أتاه ، قال له : يا خزيم ؛ مالي عندك ؟ قال : مايسرُّك ، وما ذاك ؟ قال : إني قتلتُ فلاناً ، وهو الذي تراه مُسججاً ! قال : أيسرُّ خطب ! فتريدُ ماذا ؟ قال : أريدُ أن تُعينني حتى أُغيبه ! قال : هانَ ما فرغت فيه إلى أخيك !

(١) الظمأ القامح : الشديد ، والمعنى : العطش الشاق خير من رى يفضح صاحبه ( اللسان )

وكان غلامٌ لسعيد قائماً بينهما، فقال خُزيم : هل اطلع على هذا الأمر  
أحدٌ غير غلامك هذا ؟ قال : لا ! قال : انظر ما تقول ! قال : ما قلت إلا  
حقاً ! فأهوى خُزيم إلى غلامه ، فضربه بالسيف فقتله ، وقال : ليس عبدٌ  
بأنح<sup>(١)</sup> لك .

فارتاع سعيد ، وفزِع لقتل غلامه ؛ فقال : ويحك ! ما صنعت ! وجعل  
يلومه ؛ فقال خُزيم : إن أخاك من وآسأك<sup>(١)</sup> !  
قال سعيد : فإني أردتُ تجربتك ! ثم كشف له عن الكبش ، وخبره بما  
لقى من إخوانه وثقاته ، وما ردوا به عليه ، فقال خُزيم : سبقَ السيفُ  
العدلَ<sup>(١)</sup> !

---

(١) ذهبت أمثالا .

٥٩ — إيثار ابن مامة الايادي \*

خرج كعب<sup>(١)</sup> بن مامة الايادي في قفلٍ، معهم رجلٌ من بني النمر بن قاسط، وكان ذلك في حرِّ الصيف ؛ فضلوا وشحَّ ماؤهم، فكانوا يتصافنون<sup>(٢)</sup> الماء - وذلك أن يُطرح في القعب<sup>(٣)</sup> حصاة، ثم يُصب فيه من الماء بقدر ما يعمرُ الحصاة ؛ فيشرب كلُّ واحدٍ منهم قدر ما يشرب الآخر .

ولما نزلوا للشرب، ودار القعب بينهم، حتى انتهى إلى كعب، رأى الرجل النمرى يحد النظر إليه ؛ فآثره بمائه على نفسه، وقال للساق: اسق أخاك النمرى ؛ فشرب النمرى نصيب كعب من الماء ذلك اليوم !

ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر، فتصافنوا ببقية ما معهم ؛ فنظر إليه كعب نظره أمس، وقال كعب كقولهِ أمس، وارتحل القوم، وقالوا: يا كعب ؛ ارتحل ؛ فلم يكن له قوة للذهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقالوا له: رد يا كعب ؛ إنك وارد، فعجز عن الجواب، ولما أسوا منه خيموا عليه بشوبٍ يمنعه من السبع أن يأكله، وتركوه مكانه؛ فمات ونجا رفيقه !

\* بلوغ الأرب ص ٨١ ج ١، المحاسن والمساوي ٢٠٥ طبعة ليبزج، الأمثال ص ١٦٧ ج ١  
(١) هو كعب بن مامة بن عمر بن ثعلبة الايادي، الذي يضرب المثل بجوده، وكان أبوه ملك إياد (٢) تصافنوا الماء: اقتسموه بالحصص (٣) القعب: الفدح يروى الرجل .

٦٠ — وفاء السموأل \*

لما أراد امرؤ القيس المضي إلى قيصر ملك الروم ، أودع عند السموأل (١) دروعا وسلاحا وأمتعة ، تساوى جملة كثيرة ؛ فلما مات امرؤ القيس ، أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل ؛ فقال السموأل : لأدفعها إلا إلى مستحقها ، وأبى أن يدفع إليه منها شيئا ؛ فعاوده ، فأبى ؛ وقال : لأعدير بدمتي ، ولا أخون أمانتي ، ولا أترك الوفاء والواجب على .

فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره ، فدخل السموأل في حصنه (٢) ، وامتنع به ؛ فحاصره ذلك الملك ، وكان ولد السموأل خارج الحصن ؛ فظفر به الملك ، وأخذه أسيرا ، ثم طاف حول الحصن ، وصاح بالسموأل ، فأشرف عليه من أعلى الحصن ؛ فلما رآه ، قال له : إن ولدك قد أسرته ، وهاهو ذا معي ، فإن سلمت إلى الدروع والسلاح ، رحلت عنك ، وسلمت إليك ولدك ؛ وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر ! فاختره أيهما شئت .

\* المستطرف ص ٢٠١ ج ١ ، الفرر ص ١٩ ، بلوغ الأرب ص ١٣٦ ج ١

(١) هو السموأل بن غريص بن عادياء شاعر جاهلي حكيم أشهر شعره لامتيه التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

ويضرب المثل بوفائه . توفي نحو سنة ٦٥ ق . هـ (٢) هذا الحصن يسمى الأبلق الفرد ، وقد بناه أبوه بتياء وفيه يقول السموأل :

لنا جبل يحتله من نجميره متيع يرد الطرف وهو كليل

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يهز على من رامه ويطول

رسا أصله تحت الثرى وسمايه إلي النجم فرع لاينال طويل

فقال له السموأل : ما كنت لأخبرَ ذِمَامِي ، وأبطلَ وَفَائِي ؛ فاصنعْ ماشئتُ !  
فذبح ولده ، وهو ينظر . ثم لما عجز عن الحصن رجع خائباً ، واحتسب السموألُ  
ذبح ولده ، وصبر محافظةً على وفائه ؛ فلما جاء الموسم ، وحضر ورثةُ امرئ القيس ،  
سلم إليهم الدروع والسلاح ، ورأى حفظَ ذمامه ، ورعاية وفائه أحبَّ إليه من حياة  
ولده وبقائه ! وقال في ذلك :

وفيتُ بأدْرُعِ السَكِنْدِيِّ إني إذا ماخانَ أقوامُ وفيتُ

٦١ — لأحرَّ بوادي عوف \*

لما مات لَيْثُ بن مالك أخذت بنو عبس فرسه وسكبه<sup>(١)</sup> ، ثم مالوا إلى خبيائه  
فأخذوا أهله ، وسلبوا امرأته خُمَاعَةَ بنتَ عَوْفِ بنِ مُحَلَّم ، وكان الذي أصابها  
عَمْرُو بن قارب وذُوْاب بن أسماء ؛ فسأها مروان<sup>(٢)</sup> القرظ بن زنباع : من أنتِ ؟  
فقلت : أنا خُمَاعَةُ بنت عوف بن محلم ، فاتزعا من عمرو وذوآب ؛ لأنه كان رئيسَ  
القوم ، وقال لها : غَطِّي وجهك ، والله لا ينظرُ إليه عربيٌّ حتى أردك إلى أبيك ،  
وضمَّها إلى أهله ! حتى إذا دخل الشهرُ الحرامَ أحسنَ كسوتها ، وأخدمها وأكرمها  
وحملها إلى عكاظ .

\* الأمثال ص ٢٩٩ ج ٢ ، بلوغ الأرب ص ١٢٥ ج ١

(١) السلب : ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون معه وعليه من سلاح ودابة  
(٢) سمي مروان القرظ : لأنه كان يغزو اليمن وهي منابت القرظ ، ويضرب به المثل في العز ،  
ينقال : أعز من مروان القرظ .

فلما انتهى بها إلى منازل بني شيبان قال لها : هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك ؟ فقالت : هذه منازل قومي ، وهذه قبة أبي ! قال : فانطلقى إلى أبيك ؛ فانطلقت فخبّرت بصنيع مروان .

ثم إن مروان غزا بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه ؛ فأسره رجل منهم ، وهو لا يعرفه ؛ فأتى به أمّه ؛ فلما دخل عليها قالت له أمّه : إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ ! فقال لها : وما ترتجّين من مروان ؟ قالت : عظم فدائه . قال : ومك ترتجّين من فدائه ؟ قالت : مائة بعير ! قال مروان : ذلك لك على أن تؤدّيني إلى خُماعة بنت عوف بن محم !

فمضت به إلى عوف<sup>(١)</sup> بن محم ، فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به . وكان عمرو وجد على مروان في أمر ، فألّى الألفو عنه حتى يضع يده في يده . فقال عوف - حين جاءه الرسول : قد أجارته ابنتى ! وليس إليه سبيل ؛ فقال عمرو بن هند : قد آليت الألفو عنه أو يضع يده في يدي . قال عوف : يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما ! فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك .

فجاء عوف بمروان فأدخله عليه ، فوضع يده في يده ، ووضع يده بينهما ؛ ففعا عنه . وقال عمرو : لآخر بوادى<sup>(٢)</sup> عوف .

(١) من أشرف العرب في الجاهلية ، كان مطاعا في قومه ، قويا في عصبيته ، وكانت تضرب له قبة في عكاظ توفى نحو سنة ٤٥ ق . ه . (٢) أى لاسيد به بناويه .



٦٢ - مروءة حاتم \*

كان عَبْدُ قَيْسِ بْنِ خُفَّافِ الْبُرْجُمِيِّ أْتَى حَاتِمَ طَيْئٍ<sup>(١)</sup> فِي دِمَاءِ حَمَلِهَا عَنْ قَوْمِهِ ، فَاسْلَمُوهُ فِيهَا ، وَعَجَزَ عَنْهَا ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَبْنَ مِنْ يَحْمِلُهَا عَنِي ، وَكَانَ شَرِيفًا شَاعِرًا شَجَاعًا .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ : إِنَّهُ وَقَعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي دِمَاءَ فَتَوَا كَلَوْهَا<sup>(٢)</sup> ، وَإِنِّي حَمَلْتُهَا فِي مَالِي وَأَهْلِي ؛ فَقَدِمْتُ مَالِي وَأَخْرَتُ أَهْلِي ، وَكُنْتُ أُمْلَى ، فَإِنْ تَحَمَّلْتَهَا فَرَبٌّ حَقٌّ قَدْ قَضَيْتَهُ ، وَهَمٌّ قَدْ كَفَيْتَهُ ، وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذُمَّ يَوْمَكَ ، وَلَمْ أَيْأَسْ مِنْ غَدِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَمَلْتُ دِمَاءَ لِلْبَرَّاجِمِ حِمَّةً      فَجَبْتُكَ لَمَّا أَسْلَمْتَنِي الْبَرَّاجِمُ  
وَقَالُوا سَفَاهًا : لِمَ حَمَلْتُ دِمَاءَنَا      قَقَلْتُ لَهُمْ : يَكْفِي الْحِمَالَةَ حَاتِمُ  
مَتَى آتَيْتَ فِيهَا يَقْلُ لِي مَرَّحِبًا      وَأَهْلًا وَسَهْلًا أَخْطَأَتْكَ الْأَشَائِمُ<sup>(٤)</sup>  
فِيحْمَابِهَا عَنِّي ، وَإِنْ شِئْتُ زَادَنِي      زِيَادَةً مَنَ حَمَلْتُ عَلَيْهِ الْمَكَارِمُ  
يَعِيشُ النَّدَى مَاعَاشَ حَاتِمِ طَيْئٍ      فَإِنْ مَاتَ قَامَتْ لِّلسَخَاءِ مَاتِمُ  
يُنَادِينِ : مَاتَ الْجُودُ مَعَكَ فَلَاتَرِي      مَجِيئًا لَهُ مَا حَامَ فِي الْجَوِّ حَاتِمُ

\* الأغانى ص ٢٤٦ ج ٨ ، ذيل الأملى ص ٢٢ ، السمط ص ١٢

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي من أشهر أجياد العرب في الجاهلية ، مات نحو سنة ٤٥ ق . هـ (٢) توارثوا : اتكل بعضهم على بعض (٣) أسلمه : خذله ، والبراجم : قوم من أولاد حنظلة بن مالك (٤) الأشائم : ضد الميامن .

وقال رجالٌ : أنهبَ العامَ ماله  
ولكنه يُعطى من أموال طيبي  
فيعطى التي فيها الغنى وكأنه  
بذلك أوصاه عدى وحشرج  
فقال له حاتم : إني كنت لأحبُّ أن يأتيني مثلك من قومك ، هذا مرِباعي<sup>(٤)</sup>  
من الغارة على بني تميم فيخذه وافرأ ؛ فإن وقى بالحمالة ، وإلا أكملتها لك ، وهو  
مائتا بعير سوى نديها وفضالها ، مع أني لأحبُّ أن تؤبَسَ<sup>(٥)</sup> قومك بأموالهم .  
فضحك أبو جبيل ، وقال : أيّ بعير دفعته إليّ ، وليس ذنبه في يد صاحبه  
فأنت منه برى ، فدفعها إليه وزاده مائة بعير ، فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه ؛  
فقال حاتم في ذلك :

أتاني البرجميُّ أبو جبيلٍ  
فقلت له : خذ المرباع منها  
على حالٍ ولا عودتُ نفسي  
فخذها إنها مائتا بعيرٍ  
فلا منَّ عليك بها ، فإني  
فأب البرجميُّ وما عليه  
يجرُّ الدليلَ ينفُضُ<sup>(٨)</sup> مذرويه  
إهمَّ في حمالته طويلٍ  
فإني لستُ أرضى بالقليلِ  
على علايتها عمَلُ البخيلِ  
سوى النابِ الرذية<sup>(٦)</sup> والفصيل<sup>(٧)</sup>  
رأيتُ المنَّ يزري بالجميلِ  
من أعباء الحمالة من فتيلِ  
خفيف الظهر من حملٍ ثقيلِ !

(١) جلف : ذهب به واستأصله (٢) جرم : مذنب (٣) القمام : جمع قمام وهو السيد العظيم ، وهؤلاء الذين وردوا في البيت هم أجداد حاتم (٤) الرباع : ما يأخذه الرئيس من الغنمة خاصة دون أصحابه وهو ربع الغنمة (٥) تؤبَس : تروع (٦) الرذية : الهزلة الضعيفة (٧) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه (٨) قال في القاموس : جاء ينفُض مذروبه : باغياً متهدداً . والمذروان : ناحيتا الرأس مثل الفودين ، ثم استعير للمكئين والاليتين والطرفين .

٦٣ — ماوية تتحدث عن كرم حاتم \*

قالت ماوية امرأة حاتم :

أصابتنا سمة أقشعرت لها الأرض ، وأغبر أفق السماء ، وراحت الإبل  
حذبا<sup>(١)</sup> حدايير ، وضنت المراضع على أولادها ، فما تبيض<sup>(٢)</sup> بقطرة ،  
وحلقت<sup>(٣)</sup> ألسنة المال ، وأيقننا بالهلاك . فوالله إنالفي ليلة صنبر<sup>(٤)</sup> ، بعيدة  
ما بين الطرفين ، إذ تضاغى<sup>(٥)</sup> صبيتنا جوعاً : عبد الله وعدى وسفانة . فقام  
حاتم إلى الصبيين ، وقت أنا إلى الصبية . وأقبل يعالني بالحديث . ففرفت  
مايريد ، فتناومت .

فلما تهورت<sup>(٦)</sup> النجوم ، إذا شئ قد رفع كسر البيت<sup>(٧)</sup> ثم عاد . فقال  
حاتم : من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء  
الذئاب ، فما وجدت موعولا إلا عليك يا أبا عدى . فقال : أعجلهم فقد أشبعك  
الله !

فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى بجانبها أربعة ، كأنها نعامة حولها رثالها<sup>(٨)</sup> .

\* العقد الفريد ص ١٠٨ ج ١ ، أمثال الميداني ص ١٢٣ ج ١

(١) الحدب : جمع أحذب وهو صفة للجمال عند الجوع ، والحدابير : جمع حدبار وهي الناقة الضامرة

(٢) تبض : تسيل قليلا قليلا (٣) التحليق : وجع يصيب الحلق وهو كناية عن الفقر

والمسفة (٤) صنبر : باردة (٥) تضاغوا : تصاحوا (٦) تهورت : انحدرت إلى المغرب

(٧) الكسر : الشقة السفلى من الحباء (٨) الرثال : أولاد النعام

فقام حاتمٌ إلى فرسه فوجأ<sup>(١)</sup> لَبَّتَهُ بِمَدْيَةِ فخرٍ . ثم كَشَطَهُ ودفَع المَدْيَةَ  
إلى المرأة ، فقال لها : شأنك ! فاجتمعنا على اللحم نَشْوَى وناكل . ثم جعل  
يمشى في الحى يأتهم بيتاً بيتاً فيقول : هُبُوا أَيُّهَا القوم ، عليكم بالنار ! فاجتمعوا .  
والتَفَعَّ وجلس في ناحية ينظر إلينا . فوالله إن ذاق منه مُزْعَةً<sup>(٢)</sup> وإنه لأحوجُ  
إليه منا ! فأصبحنا وما على ظهر الأرض من الفرس إلا عظم وحافر ؛ فأنشأ حاتم  
يقول :

مهلاً نَوَارَ أَقْلَى اللومِ والعذلا      ولا تقولى لشيءٍ فَاتَ : مافعلاً  
ولا تقولى لمالٍ كنتُ مُهْلِكُهُ      مهلاً وإن كنتُ أُعْطِى السهلَ والجبلاً  
يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً      إن الجوادَ يرى فى مالِهِ سُبُلًا

---

(١) وجأ : طعن (٢) مزعة : القطعة من اللحم ، وان نافية ، بمعنى ما .

٦٤ — بين حاتم وماوية \*

لما تزوج حاتم ماوية ، وكانت من أحسن النساء ، لبثت عنده زمناً ، ثم إن ابن عم له — يقال له مالك — قال لماوية :

مَا تَصْنَعِينَ بِحَاتِمٍ ؟ فَوَاللَّهِ لَنْ وَجِدَ شَيْئاً لِيُتَلَفَنَهُ ، وَلَنْ لَمْ يَجِدْ لِيَتَكَلَّفَنَّ ،  
وَلَنْ مَاتَ لِيَتَرَكَنَّ وَلَدَهُ عِيَالاً عَلَى قَوْمِهِ ؛ طَلَّقِي حَاتِماً وَأَنَا أَنْزُوجُ بِكَ ، فَأَنَا خَيْرُ  
لَكَ مِنْهُ وَأَكْثَرُ مَالاً ، وَأَنَا أَمْسِكُ عَلَيْكَ وَعَلَى وَلَدِكَ ؛ فَقَالَتْ مَاوِيَةُ : صَدَقْتَ ؛  
إِنَّهُ لَكَذَلِكَ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى طَلَقَتْ حَاتِماً .

وكان النساء أو بعضهن يطلقن الرجال في الجاهلية ، وكان طلاقهنّ أنهن  
يحوّلن أبواب بيوتهنّ ، إن كان الباب إلى المشرق جمعنّه إلى المغرب ، وإن  
كان الباب قبل اليمن جمعنّه قبل الشام ؛ فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد  
طلقته فلم يأتها .

فأتى حاتم فوجدها قد حوّلت باب الحباء ، فقال لابنه : يا عدى ، ما ترى  
أمك ؟ ما عدا عليها ؟ قال : لأدرى ! غير أنها غيرت باب الحباء — وكأنّه لم يلحن<sup>(١)</sup>  
لما قال ؛ فدعا فهبط به بطن واد .

وجاء قومٌ فنزلوا على باب الحباء ، كما كانوا ينزلون فتوافى خمسون رجلاً ،  
فصاقت بهم ماوية ذرعاً ؛ فقالت لجاريتها : اذهبي إلى مالك ، فقولي له : إن أضيفاً  
لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلاً ، فأرسل إلينا بنابٍ نقرهم ولبن نغبتهم<sup>(١)</sup> .

\* ذيل الأملّى ص ١٥٣

(١) لم يلحن : لم يفطن (٢) الغبوق : الشرب بالعشى ، وغبقه : سقاه إياه في هذا الوقت .

وقالت لجارتها : انظري إلى جبينه وفه ؛ فإن شافهك بالمعروف فاقبلي منه ،  
وإن ضربَ بلحِيَّيه على زَوْره ، فارجعي ودعِيه .

فلما أتت مالكا وجدته متوسداً وطباً من لبن ؛ فأيقظته وأبلغته الرسالة ،  
وقالت : إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانه ؛ فأدخل يده في رأسه ، وضربَ  
بلحِيَّيه على زَوْره ؛ فقال لها : أقرئي عليها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أمرتك أن  
تطلقي حاتمًا من أجله ؛ فما عندي من كبيرة ، قد تركت العمل ، وما كنت  
لأنحرَ صفيّة<sup>(١)</sup> غزيرة بشحمِ كَلأها ، وما عندي لبن يكفي أضيافَ حاتم !

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه ، وأعلمتها بمقاتته ؛ فقالت لها : ويلاك!  
أنتي حاتمًا فتولي له : إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا ؛ ولم يعاموا بمكانك ؛ فأرسل  
إلينا بناب ننحرها ونقرهم ، ولبن نسقمهم ؛ فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك .

فأتت الجارية حاتمًا فصرخت به ؛ فقال حاتم : لبيك ! قريباً دعوت ! فقالت :  
إن ماوية تقرأ عليك السلام ، وتقول لك : إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ؛ فأرسل  
إليهم بناب ننحرها لهم ولبن نسقمهم . فقال : نعم وأبى ! ثم قام إلى الإبل فأطلق  
ثنيتين<sup>(٢)</sup> من عقاليهما ، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء ؛ فضرب عراقيهما ، فطفقت  
ماوية تصيح وتقول : هذا الذي طلقتك فيه ! تترك ولدك وليس لهم شيء !

• (١) الصفيّة : الناقة الغزيرة (٢) الثنية : الناقة الطاعنة في السادسة .

٦٥ - مروءة ووفاء \*

خرج النعمان<sup>(١)</sup> بن المنذر يوماً يتصيد على فرسه اليعموم<sup>(٢)</sup>، فأجراه على أثر عَيْر<sup>(٣)</sup>، فذهب به الفرس في الأرض، ولم يقدر عليه، وانفرد عن أصحابه، وأخذته السماء؛ فطلب ملجأً يلجأ إليه، فدفع إلى بناء، فإذا فيه رجل من طيء، يقال له حنظلة، ومعه امرأة له؛ فقال لهما: هل من مأوى؟ فقال حنظلة: نعم! فخرج إليه، فأنزله، ولم يكن للطائي غير شاة، وهو لا يعرف النعمان؛ فقال لامرأته: أرى رجلاً ذا هيئة، وما أخلقه أن يكون شريفاً خطيراً، فما الحيلة؟ قالت: عندي شيء من طحين كنت أدخرته، فأذبح الشاة لاتخذ من الطحين خبز<sup>(٤)</sup> ملة . وأخرجت المرأة الدقيق، فخبزت منه، وقام الطائي إلى شاته فاحتلمبها، ثم ذبحها؛ فاتخذ من لحمها مرقة مضيرة<sup>(٥)</sup>، وأطعمه من لحمها، وسقاه من لبنها، واحتال حتى وجد له شراباً فسقاه، وجعل يحدثه بقية ليلته .

\* أمثال الميداني ص ٤٦ ج ١، المستطرف ص ١٩٩ ج ١، الأغاني ص ٨٨ ج ١٩، معجم البلدان ص ٢٨٥ ج ٦، المحاسن والاضداد ص ٥٨، بلوغ الأرب ص ١٢٧ ج ١، المحاسن والمساوي ص ١١٧ طبعة ليبزج .

(١) من ملوك الحيرة، تولى الملك بعد عمرو بن هند، ويكنى أبا قابوس، وهو ممدوح النابغة الديباني، وحسان بن ثابت، وحاتم الطائي؛ ومات نحو سنة ٨٠ ق. هـ (٢) اليعموم: الأسود، وهو اسم فرس كان للنعمان (٣) العير: الحمار الوحشي (٤) الملة: الرماد الحار وخبز الملة: ما يصنع فيها (٥) المضيرة: أن يطبخ اللحم باللبن البحت الصريح حتى ينضج اللحم، وتخثر المضيرة .

فلما أصبح النعمان لابس ثيابه ، وركب فرسه ، ثم قال : يا أخا طيِّئ ، اطلب ثوابك ؛ أنا الملك النعمان ! قال : أفعُلُ إن شاء الله .

ثم لحق الخليل ، فمضى نحو الحيرة ، ومكث الطائيُّ بعد ذلك زماناً حتى أصابته نكبةٌ وجهدٌ ، وساءت حاله ؛ فقالت له امرأته : لو أتيتَ الملكَ لأحسنَ إليك ؟ فأقبل حتى انتهى إلى الحيرة ، فوافق يومَ بُوسِ النعمان ، فإذا هو واقفٌ في خيله في السلاح .

فلما نظر إليه النعمان عرفه ، وساءه مكانه ، فوقف الطائيُّ - المنزول به - بين يدي النعمان ، فقال له : أنت الطائيُّ المنزول به ؟ قال : نعم . قال : أفلا جئتَ في غير هذا اليوم ؟ قال : أبيتَ اللعن ؟ وما كان علمي بهذا اليوم ؟ قال : والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوس<sup>(١)</sup> لم أجد بدًّا من قتله ، فاطلب حاجتك من الدنيا ، وسلِّ ما بدًّا لك فإنك مقتول ! قال : أبيتَ اللعن ! وما أصنعُ بالدنيا بعد نفسي ؟ قال النعمان : إنه لاسبيلَ إليهما . قال : فإن كان لابدًّا فأجِّلني حتى أُلِمَّ بأهلي ، فأوصي إليهم ، وأهْيِّ حالهم ، ثم أنصرف إليك . قال النعمان : فأقم لي كنفيلًا بموافاتك ، فالتفت الطائيُّ إلى شريك<sup>(٢)</sup> بن عمرو ، وهو واقفٌ بجانب النعمان ، فقال له :

يَا شَرِيكَ يَا بَنَ عَمْرٍو هَلْ مِنْ الْمَوْتِ مَحَالَةٌ  
يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه

(١) قابوس : ابن النعمان (٢) كان شريك هذا رديف النعمان ، يجلس عن يمينه ويشرب بعده ويخلفه إذا غزا .



يا أبا النعمان فُكَّ السَّيِّئِ قَدْ أَتَىٰ لَهُ  
فَأَبَىٰ شَرِيكَ أَنْ يَتَكَلَّفَ بِهِ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ قُرَادٌ بْنُ  
أَجْدَعٍ ، فَقَالَ لِلنُّعْمَانِ : أَيْبَتَ اللَّعْنِ ! هُوَ عَلَيَّ ! قَالَ النُّعْمَانُ : أَفَعَلْتَ ! قَالَ : نَعَمْ !  
فَضَمَّنَهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَمَرَ لِلطَّائِي بِخَمْسِمِائَةِ نَاقَةٍ ، فَضَى الطَّائِي إِلَى أَهْلِهِ ، وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ  
حَوْلًا مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ قَابِلٍ ؛ فَلَمَّا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ، وَبَقِيَ مِنْ  
الْأَجَلِ يَوْمٌ ، قَالَ النُّعْمَانُ لِقُرَادٍ : مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا ، فَقَالَ قُرَادٌ :

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَوَلَّى فَإِنْ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبُ  
فَلَمَّا أَصْبَحَ النُّعْمَانُ رَكِبَ فِي خَيْلِهِ وَرَجَلَهُ مُنْسَلِحًا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ حَتَّى أَتَى الْغَرِيَّيْنِ (١) ؛  
فَوَقَّفَ بَيْنَهُمَا ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ قُرَادًا ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ  
تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفَى يَوْمَهُ ؛ فَتَرَكَهُ ؛ وَكَانَ النُّعْمَانُ يُشْتَهَى أَنْ يَقْتُلَ قُرَادًا لِيُقْبَلَتِ الطَّائِيُّ  
مِنَ الْقَتْلِ ؛ فَلَمَّا كَادَتِ الشَّمْسُ تَجِبُ (٢) وَقُرَادٌ قَائِمٌ عَلَى النَّطْعِ (٣) ، وَالسَّيْفُ إِلَى  
جَنْبِهِ أَقْبَلَتِ امْرَأَتَهُ وَهِيَ تَقُولُ :

أَيَا عَيْنُ بَكِّي لِي قُرَادُ بْنُ أَجْدَعَا رَهِيئًا لِقَتْلِ لَارَهِينَا مُوَدَّعَا  
فَبَيْنَمَا هُمُ كَذَلِكَ إِذْ رَفَعَ لَهُمْ شَخْصٌ مِنْ بَعِيدٍ ، وَقَدْ أَمَرَ النُّعْمَانُ بِقَتْلِ قُرَادٍ ،  
فَقِيلَ لَهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ الشَّخْصُ فَمَعْلَمٌ مِنْ هُوَ ؟ فَكَفَّ حَتَّى  
انْتَهَى إِلَيْهِ الرَّجُلُ ، فَإِذَا هُوَ الطَّائِيُّ !

(١) الغريان : مثنى غرى ، سميا بذلك ، لأن النعمان بن المنذر كان يفرهما بدم من يقتله يوم  
بؤسه (٢) تجب الشمس : تغيب (٣) النطع : بساط من جلد .



٦٦ — مكرمة \*

حدث عمرو بن العلاء فقال :

جلس النعمان بن المنذر ، وعليه حلّةٌ مرصعةٌ بالدرّ ، لم يُرَ مثلها قبل ذلك اليوم ، وأذن للعرب في الدخول عليه ، وكان فيهم أوس بن حارثة <sup>(١)</sup> ، فجعلت العرب تنظرُ إلى الحلّةِ ، وكلُّ منهُم يقول لصاحبه : ما رأيت مثل هذه الحلّةِ قطّ ، ولا سمعت أن أحداً من الملوك قدَر على مثلها - وأوسُ بن حارثة مطرق لا ينظر إليها - فقال له النعمان : ما أرى كل من دخل عليّ إلا استخسّن هذه الحلّةِ ، وتحدّث مع صاحبه في أمرها إلا أنت ، ما رأيتك استخسنتها ولا نظرتها .

قال أوس : أسعد الله الملك : إنما تُستخسّن الحلّةُ إذا كانت في يد التاجر ، وأما إذا كانت على الملك ، وأشرق فيها وجهه فنظري مقصور عليه لأعليها ! فاسترجع عقله .

فلما عزموا على الانصراف قال لهم النعمان : اجتمعوا إليّ في غد فإني مُلبسٌ هذه الحلّةِ لسيد العرب منكم ؛ فانصرف العرب عنه ، وكلُّ من يزعم أنه لا يبس الحلّةِ .

فلما أصبحوا تزينوا بأفخر الملابس ، وتقلّدوا بأحسن السيوف ، وركبوا أجود الخيل ، وحضروا إلى النعمان ، وتأخّر عنه أوسُ بن حارثة ؛ فقال له أصحابه :

مالك لا تغدو مع الناس إلى مجلس الملك ، فلعلك تكون صاحب الحلّةِ ، فقال أوس : إن كنتُ سيدَ قومي فما أنا بسيد العرب عند نفسي ، وإن حضرتُ ولم

\* المختار من نوادر الأخبار مخطوط .

(١) أوس بن حارثة : من أجداد العرب في الجاهلية ، بنوه بطن من بني مزينة ، وهم إحدى

قبائل الأوس والخزرج ، أصلهم من اليمن ، وتزلوا يثرب وجاء الإسلام وهم بها . (١)

أخذها انصرفت منقوصاً؛ وإن كنتُ المطلوبَ لها فسيُعرفُ مكاني، فأمسكوا عنه.  
ونظر النعمانُ في وجوه القوم، فلم يرَ أوس بن حارثة؛ فاستدعى بعضَ خاصته،  
وقال: اذهب لتعرفَ خبرَ أوس؛ فمضى رسولُ النعمان، واستخبر بعضَ أصحابه  
فأخبره بمقالته؛ فعاد إلى النعمان، فأخبره بذلك، فبعث النعمانُ إليه رسولا، وقال:  
احضر أماناً مما خِفْتَ عليه؛ فحضر أوس بثيابه التي حضر بها بالأمس، وكانت  
العرب قد استبشرت بتأخره خوفاً من أن يكون هو الآخذ للحملة.

فلما حضر وأخذ مجلسه، قال له النعمان: إني لم أرك غيرت ثيابك في  
يومك، فالبس هذه الحلة لتتجملَ بها، ثم خلَعها وألبسها إياه؛ فاشتد ذلك على العرب  
وحسدوه، وقالوا: لاحيلة لنا فيها، إلا أن نرغب إلى الشعراء أن يهجووه بقبيح  
الفعل؛ فإنه لا يخفض رفعتَه إلا الشعر؛ فجمعوا فيما بينهم خمسمائة ناقة، وآتوا بها  
إلى رجلٍ يقال له جرول<sup>(١)</sup>، وقالوا له: خذ هذه، واهج لنا أوس بن حارثة.

وكان جرول يومئذ أشعر العرب وأقواهم هجاء؛ فقال لهم: يا قومُ كيف أهجو  
رجلا حسيباً لا يُنكر بيته، كريماً لا ينقطع عطاؤه، فيصلاً لا يُطعن على رأيه،  
شجاعاً لا يُضام نزيله، محسناً لا أرى في بيتي شيئاً إلا من فضله!

فسمع بذلك بشر بن أبي حازم - وكان شاعراً - فرغب في البذل، وأخذ الإبل  
وهجاء، وذكر أمه سعدى؛ فسمع أوس بذلك، فوجه في طلبه، فهرب وترك الإبل،  
فأتوا بها إلى أوس بن حارثة، فأخذها وشد في طلبه؛ وجعل بشر بن أبي حازم  
يطوف في أحياء العرب يلتمس عزيزاً يحيره على أوس، وكل من قصده يقول: قد  
أجرنك إلا من أوس بن حارثة؛ فإني لا أقدر أن أجير عليه - وكان أوس قد أدلى

(١) هو الحطيئة.

عليه العيون ؛ فراه بعض من كان يرصده ، فقبض عليه ، وأتى به إلى أوس ؛ فلما  
مَثَلَ بين يديه قال له : ويلك ! أتذكر أمي وليس في عصرنا مثلها ؟ ! قال : قد كان  
ذلك أيها الأمير ! فقال : والله لأقتلنك قتلةً تحياها سعدى - . يعني أمه .

ثم دخل أوس إلى أمه سعدى ، وقال : قد أتيتك بالشاعر الذي هجأك ، وقد  
آليت لأقتلنّه قتلةً تحيين بها ! قالت : يا بني أواخر من ذلك ! قال : وما هو ؟ قالت :  
إنه لم يجد ناصراً منك ، ولا مُجيراً عليك ، وإنا قوم لانرى في اصطناع المعروف  
من بأس ؛ فبحقّ عليك إلا أطلقته ، ورددت عليه إبله ، وأعطيته من مالك مثل  
ذلك ، ومن مالى مثله ، وأرجعه إلى أهله سالماً ؛ فانهم أيسوا منه !

فخرج له أوس ، وقال : ماتقول إني فاعل بك ؟ قال : تقتلني لاحالة ! قال :  
أفتستحق ذلك ؟ قال : نعم ؟ قال : إن سعدى التي هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ،  
وأمر بحل كتافه ، وقال له : انصرف إلى أهلك سالماً ، وخذ ما أمرت لك به !  
فرفع بشريده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على ألا أعود إلى شعرٍ إلا  
أن يكون مدحاً في أوس بن حارثة !

٦٧ — أجاره من الموت ! \*

أتى الأعشى الأسود العنسي<sup>(١)</sup> ، وقد امتدحه فاستبطأ جائزته . فقال الأسود :  
ليس عندنا عينٌ ، ولكن نعطيك عرَضاً ، فأعطاهُ بِخَمْسِائَةِ مِثْقَالِ دُهْنًا ، وبخَمْسِائَةِ  
حُلَلًا وَعَنْبَرًا .

فلما مرَّ ببلاد بني عامر خافهم على مامعه ، فأتى علقمة بن علاثة فقال له :  
أجرني ؛ فقال قد أجرتهك . قال : من الجنِّ والإنس ؟ قال نعم ! قال : ومن الموت ؟  
قال لا !

فأتى عامر بن الطفيل ، فقال : أجرني ؛ قال : قد أجرتهك . قال : من الجنِّ  
والإنس ؟ قال نعم ! قال : ومن الموت ؟ قال : نعم ! قال : وكيف تُجبرني من الموت ؟  
قال : إن متَّ وأنت في جوارى بعثتُ إلى أهلِكَ الديةَ . فقال : الآن علمتُ أنك  
أجرتني من الموت . ثم مدح عامراً وهجا علقمةَ . فقال علقمة : لو علمتُ الذي  
أراد ، كنتُ أعطيتُهُ إياه !

\* الأغاني ص ١٢٠ ج ٩

(١) الأسود العنسي : هو عبهلة بن كعب بن غوث ، خرج بعد حجة الوداع في عامة مذحج ،  
وادعى النبوة وكان كاهناً قتله فيروز وداذوبه وقيس غيلة . والأعشى : هو ميمون بن قيس من  
شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، عاش عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات في اليمامة  
سنة ٥٧ هـ .

٦٨ — يزيد بن عبد المدان عند الحارث بن جفنة \*

قدم يزيد <sup>(١)</sup> بن عبد المدان وعمرو بن معد يكرب ومكشوح المرادي على ابن جفنة <sup>(٢)</sup> زواراً ، وعنده وجوه قيس : ملاعب الأسننة ، ويزيد بن عمرو ، ودريد بن الصمة . فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان : ماذا كان يقول الديان <sup>(٣)</sup> إذا أصبح ؟ فقال : كان يقول : آمنت بالذي رفع هذه ( يعني السماء ) ، ووضع هذه ( يعني الأرض ) وشق هذه ( يعني أصابعه ) ثم يخر ساجداً فإذا رفع رأسه قال :  
إن تغفر اللهم تغفر لهما وأي عبد لك ما ألما

فقال ابن جفنة : إن هذا لذو دين ، ثم مال على القيسيين وقال : ألا تحدثونني عن هذه الرياح : الجنوب والشمال والذبور والصبأ والنكباء ، لم سميت بهذه الأسماء ؛ فإنه قد أعيانى علمها ؟ فقال القوم : هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا ! فضحك يزيد ، ثم قال لابن جفنة : ياخير الفتيان ؛ ما كنت أحسب أن هذا يسقط علمه عن هؤلاء ، وهم أهل الوبر ! إن العرب تضرب أبياتها في القبلة نطلع الشمس لتدْفئهم في الشتاء ، وتزول عنهم في الصيف ؛ فهاهب من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وماهب عن شماله فهي الشمال ، وماهب عن أمامه

\* الأغاني ص ١٣٩ ج ١٠ ، مهذب الأغاني ص ٥٧ ج ١

- (١) كان يزيد سيد مذبح شاعرا من أشرف اليمن وشجعانها ، وفد على بني جفنة - أمراء بادية الشام ، وعاد إلى اليمن فأقام بنجران إلى أن كان يوم كلاب الثاني فقتل فيه نحو سنة ٨ ق . ه  
(٢) كان بنو جفنة يقيمون بالشام ملوكا عليه وعلى ما يليه من بادية العرب ولكمهم كانوا عمالا لملك الروم ، وظلوا حتى انقاد آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم إلى الاسلام في عهد عمر بن الخطاب  
(٣) الديان : جد يزيد .

فهمي الصبأ ، وما هب من خلفه فهي الدبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجباب  
فهي النكباء . . .

فقال ابنُ جفنة : إن هذا للعلم يا ابن عبد المدان !

وأقبل ابنُ جفنة على القديسين يسألهم عن النعمان بن المنذر ، فعابوه وصغروه ؛  
فنظر ابنُ جفنة إلى يزيد وقال له : ماتقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال : ياخير الفتيان ،  
ليس صغيراً من منعك العراق ، وشركك في الشام ، وقيل له : أبيت اللعن ! وقيل  
لك : ياخير الفتيان ! وألقى أباه مَلِكاً كما ألقى أباك مَلِكاً ؛ فلا يسرك من  
يغرك ؛ فإن هؤلاء لو سألم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه ، وإيمُ الله !  
ما فيهم رجلٌ إلا ونعمةُ النعمان عنده عظيمة . . .

فغضب عامرُ بن مالك وقال : يا ابن الديان ، أما والله لنحتلبن بهادماً ! فضحك  
يزيد وقال : ما لهم والله جرأةُ بني الحارث ، ولا فتكُ مُراد ، ولا بأسُ زُبَيْد ، ولا مُعَارُ  
طبي ، وما هم ونحن - ياخير الفتيان - بسواء : ماقتلنا أسيراً قط ، ولا اشتهمنا حرّةً  
قط ، ولا بكينا قتيلاً نبيُّ به ، وإن هؤلاء ليعجزون عن نأرهم حتى يُقتل السميُّ  
بالسميِّ والجار بالجار . . . ثم قال :

تمالَى على النعمان قومٌ إليهم	موارده في ملكه ومصادره
على غير ذنب كان منه إليهم	سوى أنه جادت عليهم مَوَاطره
فباعدهم من كل شر يخافه	وقرَّ بهم من كل خير يبادره
فظنوا ، وأعرضُ المنون كثيرةٌ ،	بأن الذي قالوا من الأمر ضارته



فلم ينقصوه بالذى قيل شعرة  
ولا قلت أنيابه وأظافره  
وللحارث الجفني أعلم بالذى  
يبوء به النعمان إن حَفَّ<sup>(١)</sup> طائرُه  
فيا حارِ كمْ فيهم لنعمان نعمة  
من الفضل والمن الذى أنا ذا كره  
ذنوياً عفا عنها ، ومالاً أفاده ،  
وعظماً كسيراً قومته جوا برُه  
ولو سأل عنك العائنين ابن منذر  
لتألوا له القول الذى لا يُحاذره

فلما سمع ابنُ جفنة هذا القول عظمُ يزيدُ في عينه ، وأجلسه معه على سريره ،  
وسقاه بيده ، وأعطاه عطيةً لم يُعطاها أحداً ممن وفد عليه قط ؛ ولما قرَّب يزيدُ  
رَكائبه ليرتحلَ سمع صوتاً إلى جانبه وإذا هو رجل يقول :

أما من شفيح من الزائرِين  
يُحِبُّ الثمناً زندهُ ثاقبُ  
يريدُ ابنُ جفنة إكرامه  
وقد يمسحُ الضرة<sup>(٢)</sup> الحالبُ  
فيمتدني من أظافيره  
وإلا فإني غداً ذاهبُ  
فقد قلت يوماً على كربةٍ  
وفي الشربِ في يثربِ غالبُ :  
ألا ليت غسانَ في ملكها  
كلخمٍ وقد يخطىءُ الشاربُ  
وما في ابن جفنة من سبةٍ  
وقد خفَّ حملا بها الغاربُ  
كأني قريبٌ من الأبعدين  
وفي الحلقِ منى شجى نأشبُ

فقال يزيد : على بالرجل ، فأتى به ، فقال : ماخطبك ! أنت تقول هذا الشعر !  
قال : بل قاله رجل من جذام جفناه ابنُ جفنة ، وكانت له عند النعمان منزلة ،

(١) حف : طار (٢) الضرة : الضرع .

فشرب ، فقال له على شرابه شيئاً أنكره عليه ابنُ جَفْنَةَ ، فحبسه ، وهو مُخرَجُه  
غداً فقاتلُه . فقال يزيد : أنا أُغِيثُكَ ، فقال له : ومن أنت حتى أعرفك ؟ فقال :  
أنا يزيد بن عبد المدان ، فقال : أنت لها وأبيك ! قال : أجل ؟ فقد كفيْتُك أمرَه ،  
فلا يسمعَنَّك أحدٌ تنشدُ هذا الشعر .

وغدا يزيد على ابن جَفْنَةَ ليودِّعه فقال له : حَيَّاكَ اللهُ يا ابن الديان ، حاجتُك :  
قال : تلحق قُضاعة بالشام ، وتؤثر من أتاك من وفود مَدْحَج ، وتَهَب لي الجُدَامى  
الذى لا شفيح له إلا كرمك ، قال : قد فعلتُ ، أمّا انى حبسته لأهبه لسيد ناحيتك ،  
وكنتَ ذلك السيد ؛ ووهبه له ، فاحتمله يزيدُ معه !

جاور<sup>(١)</sup> رجلان من هوازن في بني مرّة بن عوف ، وكانا قد أصابا دماً في قومهما ؛ ثم إن قيس بن عاصم المنقري<sup>(٢)</sup> أغار على بني مرة ، فأصاب واحداً منهما في عدة أسارى كانوا عندهم ؛ ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم ، وتركوا الهوازي ، فاستغاث أخوه بوجوه بن مرة : سنان بن أبي حارثة ، والحارث بن عوف ، والحارث بن ظالم ، وهاشم بن حرملة ، والحصين بن الحمام فلم يغيثوه .  
فركب إلى موسم عكاظ ، فأتى منازل مذحج ليلاً ، ونادى :

دعوتُ سناناً وابنَ عوفٍ وحرارثاً      وعاليتُ دعوى بالحصينِ وهاشمِ  
أعيدهم في كل يوم وليلةٍ      بترك أسيرٍ عند قيس بن عاصمِ  
حليفهم الأذنى ، وجارُ بيوتهم      ومن كان عما سرهم غير نائمِ  
فصموا ، وأحداثُ الزمان كثيرةٌ      وكم في بني العلات<sup>(٣)</sup> من مُتصامِ  
فياليت شعري من لإطلاق غلّةٍ      ومن ذا الذي يُحظى به في المواسمِ

فسمع صوتاً من الوادي ينادى بهذه الأبيات :

ألا أيهدا الذي لم يُجب      عليكِ بحمي يجلي الكُرب

\* مذهب الأغانى ص ٦٠ ج هـ

(١) جاوره مجاورة وجواراً : صار جاره (٢) منقر : بطن من تميم ، وقيس بن عاصم : كان سيد تميم ، ولما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال : هذا سيد الوبر ، ولا توفي سنة ٢٠ هـ ، قال فيه الشاعر : *سقط الله لرقلة*

وما كان قيس هلكته هلك واحد      ولكنه بينان قوم تهتما

(٣) بنو العلات : هم بنو رجل واحد من أمهات شتى .

عليك بذأ الحى من مذحجٍ فإنهم للرضا والغضب  
فناد يزيدي بن عبد المدان ، وقيساً ، وعمرو بن معد يكرب  
يفكوا أخاك بأموالهم وأقلل بمثلهم فى العرب  
أولاك الرءوسُ فلا تعدهم ومن يجعل الرأس مثل الذنب !

فاتبع الصوت فلم يرَ أحداً ! فعدا على المكشوح قيس بن عبد يغوث المرادى  
فأخبره خبره ، فقال له : والله إن قيس بن عاصم ما قارضته معروفاً قط ، ولا هو لى  
بجار ، ولكن اشترى أخاك منه وعلى الثمن ، ولا يمنعك غلاؤه .

ثم أتى عمرو بن معد يكرب قتال له عمرو : هل بدأت بأحد قبلى ؟ فقال :  
نعم ، بقيس بن عبد يغوث ، قال : عليك بمن بدأت به ، فتركه وأتى يزيدي بن  
عبد المدان فأخبره بقصته ، فقال له يزيدي : مرحباً بك وأهلاً ، أبعث إلى قيس بن  
عاصم ، فإن هو وهب لى أخاك شكرته وإلا أغرت عليه حتى يتقبنى بأخيك ،  
فإن نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بنى تميم بنجران ، فاشتريت به أخاك !  
فقال : هذا الرضا . فأرسل يزيدي إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات :

يا قيسُ أرسل أسيراً من بنى جشم<sup>(١)</sup> إني بكل الذى تأتى به جازى  
لاتأمن الدهر أن تشجى بعصته فاختر لنفسك إحمادى وإعزازى  
فافكك ، أذا منقر ، عنه وقل حسناً فيما سئلت وعقبته بإنجازى  
وبعث بالأبيات رسولا إلى قيس بن عاصم ، فأشده إياها ، ثم قال له :

يا أبا على ، إن يزيدي بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : « إن المعروف  
قروض ، ومع اليوم غد ، فأطلق لى هذا الجشمى ؛ فقد استعان بأشراف بنى مرة ،

(١) جشم : بطن من هوازن .

وبعمر بن معديكرب ، وبمكشوح المرادي ، فلم يُصِبْ عندهم حاجته ، فاستجار بي ؛  
ولو أرسلت إليّ في جميع أسارى مضر بنجران لقتيتُ حاجتك .

فقال قيس بن عاصم لِمَنْ حَضَرَهُ من بني تميم : هذا رسولُ يزيد بن عبد المدان  
سَيِّدٍ مدحج وابنِ سيدها ، وَمَنْ لا يزالُ له فيكم يد ، وهذه فرصة لكم فماترون ،  
قالوا : نرى أن نغلبه عليه ونحكم فيه شططا ، فإنه لن يخذله أبداً ، ولو أتى ثمنه على  
ماله . فقال قيس : بئسما رأيتم ! أما تخافون سِجَالَ الحروب ، ودولَ الأيام ، ومجازاة  
القروض !

فلما أَبَوْا عليه قال : بيعوني به ، فأغلوهُ عليه ؛ فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً في  
يد رجل من بني سعد<sup>(١)</sup> ، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأن الأسير لو كان  
في يده أو في يد منقر لأخذه وبعث به ؛ ولكنه في يد رجل من بني سعد .  
فأرسل يزيد إلى السَّعْدِي : أن سرّ إليّ بأسيرِك ولك فيه حكمك ، فأتى  
السعدِيُّ يزيداً ، فقال له : احتَكِمْ ، فقال : مائة ناقةٍ ورعاؤها ، فقال له يزيد :  
إني لقصيرُ الهمة ، قريبُ الغنى ، جاهلٌ بأخطار بني الحارث ، أما والله لقد غبنتُك  
ياخأ بنى سعد ! ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنه على جُلِّ أموالنا ؛ ولكنكم  
يا بني تميم قومٌ قصارُ الهِمم ؛ وأعطاه ما احتَكِمكم ، فجاوره الأسير وأخوه حتى مات له  
عنده بنجران !

(١) سعد : بطن من تميم .

٧٠ - سفانة بنت حاتم الطائي\*

وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَيْيٍّ فَرِيقًا مِنْ جَنْدِهِ ، يُقَدِّمُهُمْ عَلَىٰ  
عَلَيْهِ السَّلَامِ ، فَفَزِعَ عَدِيٌّ<sup>(١)</sup> بِنِ حَاتِمِ الطَّائِي - وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عِدَاءً لِرَسُولِ  
اللَّهِ - إِلَى الشَّامِ فَصَبَّحَ عَلَىٰ الْقَوْمِ ، وَاسْتَأْفَى خَيْلَهُمْ وَنَعَمَهُمْ وَرَجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ .

فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم سفانة بنت حاتم ؛ فقالت :  
يا محمد ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تُخَلِّيَ عني ، ولا تُسَمِّتَ بي  
أحياء العرب ! فإن أبي كان سيِّدَ قومه ، يُفكُّ العاني<sup>(٢)</sup> ، ويقتلُ الجاني ، ويحفظ  
الجارَ ، ويحمي الدِّمارَ ، ويُفِرِّجُ عن المكروبِ ، ويطعم الطعامَ ، ويُفِشِي السلامَ ،  
ويحمل الكِلَّ<sup>(٣)</sup> ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحدٌ في حاجةٍ فردَّه خائبًا .  
أنا بنتُ حاتمِ الطَّائِي !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جاريةُ ، هذه صفاتُ المؤمنين حقًا ، لو كان  
أبوك مُسَلِّمًا لترحمنا عليه . خلوا عنها ؛ فإن أباهما كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق .  
ثم قال : « ارحموا عزيزاً ذلَّ ، وغنيًّا افتقر ، وعالمًا ضاعَ بين جهالٍ » .  
وامتنَّ عليها بقومها فأطلقهم تكريماً لها !

\* الأغاني ص ٩٣ ج ١٦ ، انسان العيون ص ٢٨٥ ج ٢ ، غرر الحقائق ص ١٢

(١) عدى بن حاتم : صحابي من الأجواد العقلاء كان رئيس قومه في الجاهلية والإسلام ، وكان  
إسلامه سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ، والجل ، وصفين ، والنهروان مع علي (٢) العاني :  
الأسير (٣) الكِل : العائل واليتم .

فاستأذنته في الدعاء له ، فأذن لها ، وقال لأصحابه : اسمعوا وعوا . فقالت :  
أصاب الله ببرك مواعه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ؛ ولا سلب نعمة عن  
كريم قومٍ إلا جعلك سبياً في ردها عليه .

فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدى وهو بدومة الجندل . فقالت له : يا أخي  
أيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حباله ، فإني قد رأيت هدياً ورأياً سيغلب أهل  
الغلبة ، ورأيت خصالاً تعجبني : رأيت يحبُّ الفقير ، ويفكُّ الأسير ، ويرحمُ  
الصغير ، ويعرف قدرَ الكبير . وما رأيت أجودَ ولا أكرمَ منه ، فإن يكن نبياً  
فلسابق فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تزال في عزِّ ملكه . فقدم عدى إلى رسول الله  
فأسلم ، وأسلمت سفانة !

٧١ — زعيم العجم وعمر بن الخطاب \*

لما أتى بالهرمزان أسيراً إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قيل له :  
يا أمير المؤمنين ، هذا زعيم العجم ، وصاحب رستم<sup>(١)</sup> ؛ فقال له عمر رضى  
الله عنه :

أعرضُ عليك الإسلامُ نصحاً لك في عاجلك وآجلك ؛ فقال : إنما أعتقدُ ما أنا  
عليه ، ولا أرغبُ في الإسلام رهبةً ؛ فدعا عمرُ بالسيف ، فلما همَّ بقتله ، قال :  
يا أمير المؤمنين ؛ شربةٌ من ماء هي أفضلُ من قتلى على الظمِّ ؛ فأمر له بشربة  
من ماء ؛ فلما أخذها الهرمزان قال : يا أمير المؤمنين ، أنا آمنٌ حتى أشربها ؟ قال :  
نعم ؛ فرمى بها ، وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نورٌ أبلج ؛ قال : صدقتَ ! لك  
التوقفُ عنك ، والنظرُ فيك ، ارفعوا عنه السيف !

فقال : يا أمير المؤمنين ، الآن أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأن محمداً عبده  
ورسوله ، وما جاء به حقٌّ من عنده ؛ فقال عمر : أسلمتَ خيرَ إسلام ، فما أخركَ ؟  
قال : كرهتُ أن يُظنَّ بى أنى إنما أسلمتُ خوفاً من السيفِ ؛ فقال عمر : ألا إنَّ  
لأهل فارس عقولاً استحقُّوا بها ما كانوا فيه من الملِك ، ثم أمر ببره وإكرامه !

\* نهاية الأرب ص ١٧٧ ج ٦

(١) رستم : كان من أعظم رجال فارس ، وقائد جيوش وقعة الفادسية التي انتصر فيها المسلمون  
أيام عمر بن الخطاب ، وقتل رستم في هذه الموقعة .



٧٢ — أبو سفيان عند هرقل \*

قال أبو سفيان<sup>(١)</sup> بن حرب :

كُنَّا قَوْمًا تِجَارًا ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَصَرَ تَنَاحِي نَهَكَتْ أُمُورَنَا . فَلَمَّا كَانَتْ الْهَدَنَةُ ، هَدَنَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ ، بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ وَجْهُ مُتَجَرِّنَا مِنْهُ غَزَاةً ، فَقَدِمْنَا حِينَ ظَهَرَ هِرَقْلُ عَلَى مَنْ كَانَ بِأَرْضِهِ مِنَ الْفَرَسِ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا ، وَاتَزَعَ مِنْهُمْ صَليْبَهُ الْأَعْظَمَ ، وَكَانُوا قَدْ اسْتَلْبَوْهُ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَبَاغَهُ أَنْ صَليْبَهُ قَدْ اسْتُنْقِذَ مِنْهُمْ ، وَكَانَتْ حِمصَ مَنْزَلَهُ ، خَرَجَ مِنْهَا يَمْشِي عَلَى قَدَمِيهِ شُكْرًا لِلَّهِ حِينَ رُدَّ عَلَيْهِ مَارِدٌ ؛ لِيَصِلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، يُسْطَ لَهُ الْبُسْطُ وَتُلْقَى عَلَيْهَا الرِّيحُ .

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى إِبِلِيَاءَ فَمَضَى فِيهَا صَلَاتَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ بَطَارِقَتُهُ وَأَشْرَافُ الرُّومِ ، أَصْبَحَ ذَاتَ غَدُوَّةٍ مَهْمُومًا يَقْلِبُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ . فَقَالَ لَهُ بَطَارِقَتُهُ : وَاللَّهِ لَكَائِكَ أَصْبَحْتَ الْغَدَاةَ مَهْمُومًا .

فَقَالَ : أَجَل ! رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ أَنْ مُلِّكَ الْخِطْمَانَ ظَاهِرًا . فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَا نَعْلَمُ أُمَّةً تَحْتَمِنُ إِلَّا الْيَهُودَ ؛ وَهُمْ فِي سُلْطَانِكَ وَتَحْتَ يَدِكَ ، فَابْعَثْ إِلَى كُلِّ مَنْ

\* الأغانى ص ٣٤٥ ج ٦

(١) هو صخر بن حرب ، من سادات قريش في الجاهلية ، كان من رؤساء المشركين يوم الأحزاب ويوم أحد ، وأسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ . وتوفي سنة ٣١ هـ .

لك عليه سلطان في بلادك فمُرّه فليضرب أعناق من تحت يدك منهم من يهود،  
واسترح من هذا المهم .

فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبرونه إذ أتاه رسولُ صاحبِ بُصْرَى<sup>(١)</sup> برجلٍ  
من العرب يقوده - وكانت الملوك تهادى الأخبارَ بينهم - فقال : أيها الملك ، إن  
هذا رجلٌ من العرب من أهل الشَّاء والإبل يحدث عن أمر حدث فاسأله .

فلما انتهى به إلى هرقل رسولُ صاحبِ بُصْرَى ، قال هرقلُ لمن جاء به :  
سأله عن هذا الحديث الذي كان يبليده ، فسأله ، فقال : خرج بين أظهرنا رجلٌ  
يزعمُ أنه نبيُّ ، وقد اتبعه ناسٌ فصدّقوه وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحمٌ  
في مواطنٍ كثيرةٍ ، وتركتهم على ذلك .

فلما أخبره الخبرَ قال : جرّدوه فإذا هو مختونٌ ، فقال : هذا والله النبيُّ الذي  
رأيتُ ، لا ماتقولون ، أعطوه ثيابه وينطلق . ثم دعا صاحبُ شُرطته فقال له : اقلب  
الشامَ ظهراً لبطن حتى تأتيني برجلٍ من قومِ هذا الرجل .

فإنّا لبعزةٌ إذ هجم علينا صاحبُ شُرطته فقال : أنتم من قوم الحجاز ؟ قلنا  
نعم ! قال : انطلقوا إلى الملك ، فانطلقوا بنا . فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا  
الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا : نعم . قال : فأبكم أمسُّ به رحماً ، قال أبو سفيان :  
قلت : أنا - قال : ادنُ ؛ ثم أقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي ، وقال لهم : إني  
سأسأله ، فإن كذب فردوا عليه .

قال : فوالله لقد علمتُ أن لو كذبتُ ما ردُّوا عليّ ، ولكني كنتُ امرأً سيداً  
أبترّم عن الكذب ، وعرفتُ أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُهُ أن يحفظوه  
علي ، ثم يحدثوا به عني ، فلم أكذب به .

(١) بلد من أعمال دمشق .

قال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى . فجعلتُ  
أزهدُّ له شأنه وأصغرُّ له أمره ، وأقول له : أيها الملك ، ما يهْمُك من شأنه !  
إنَّ أمره دون ما بلغك ، فجعل لا يلتفتُ إلى ذلك مني . ثم قال : أنبئني فيما  
أسألك عنه من شأنه . قال : قلت : سلِّ عما بدالك .

قال : كيف نَسَبُهُ فيكم ؟ قلتُ : محضٌ ، هو أوسطنا<sup>(١)</sup> نسباً . قال : أخبرني  
هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبهُ به ؟ قلت : لا . قال : هل كان  
له فيكم مُلكٌ فسلبتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه مُلكه ؟ قلت : لا .  
قال : أخبرني عن أتباعه منكم مَنْ هُم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداثُ  
من الغلمان والنساء ، فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحدٌ .  
قال : فأخبرني عَمَّن يتبعه أيحبه ويكرمه ، أم يقلبه ويفارقه ؟ قلت : قلما يتبعه أحدٌ  
فيفارقه . قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قلتُ : سجالٌ يُدال علينا  
ونُدال عليه .

قال : فأخبرني هل يَغْدِرُ ؟ فلم أجد شيئاً أَعْتَمِرُ فيه غيرها وقلت : لا . ونحن  
منه في مُدَّة<sup>(٢)</sup> ولا نأمنُ غدره . قال : فوالله ما التفتُ إليها مني .

ثم كرَّرَ عليَّ الحديث فقال : سألتك عن نسبه فيكم ، فرعمتَ أنه محضٌ من  
أوسطكم نسباً ، فكذلك يأخذ الله النبيَّ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً .  
وسألتك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فرعمتَ أن لا .  
وسألتك هل كان له مُلكٌ فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه ؟  
فرعمتَ أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فرعمتَ أنهم الضعفاء والأحداثُ والمساكين

(١) أي خيرنا وأفضلنا نسباً (٢) في مدة : يعني بها مدة صلاح الحديدية .

والنساء ، وكذلك أتباعُ الأنبياء في كل زمان . وسألتك عمن يتبعه أئحبه ويكرمه  
أم يقلبه ويفارقه ، فرعمت أنه لا يتبعه أحدٌ يفارقه ، فكذلك حلاوة الإيمان  
لا تدخل قلبَ رجل فتخرج منه .

وسألتك عن الحرب بينكم وبينه ، فرعمت أنها سجالٌ تدالون عليه ويدال  
عليكم ، وكذلك حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة . وسألتك هل يعدر ، فرعمت  
أن لا . فلئن كنت صدقتني عنه فليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، ولو ددت  
أني عنده فأغسل قدميه ! انطلق لشأنك .

فعمت من عنده وأنا أضربُ بإحدى يدي على الأخرى وأقول : يا لعباد الله !  
لقد أمر<sup>(١)</sup> أمرُ ابن أبي كبشة<sup>(٢)</sup> ! أصبحت ملوكُ بني الأصفر<sup>(٣)</sup> يهابونَه في  
ملكهم وسلطانهم !

---

(١) أمر : عظم (٢) أبو كبشة : رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان ، وعبد  
الشعري العجور ، فسمى المشركون النبي صلوات الله عليه وسلم ابن أبي كبشة لخلافه إياهم إلى عبادة الله  
تعالى ، تشبيهاً له بأبي كبشة الذي خالفهم إلى عبادة الشعري (٣) بنو الأصفر : لقب ملوك الروم .

٧٣ -- إسلام أبي ذر \*

قال أبو ذر<sup>(١)</sup> : كنت رجلاً من غفار ، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه . وأتني بخبره ؛ فانطلق فلقية ، ثم رجع ، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير ، ويمنى عن الشر ؛ فقلت له : لم تشفني من الخبر ! فأخذت جراباً وعصاً ، ثم أقبلت إلى مكة ؛ ففجعت لأعرفه ، وأكره أن أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم ، وأكون في المسجد ؛ فرَّبى عليّ ، فقال : كأن الرجل غريب ؟ قلت : نعم ! فانطلق إلى المنزل وانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره .

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرني عنه بشيء ؛ فرَّبى عليّ ، فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ قلت : لا ، قال : انطق معي ، ثم قال : ما أمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقلت له : إن كنتم عليّ أخبرتك ! قال : فإني أفعل . قلت له : بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي ، فأرسلت أخي ليكلمه ، فرجع ولم يشفني من الخبر ، فأردت أن ألقاه . فقال : أما إنك قد رُشدت ، وهذا وجهي إليه فاتبعني ، ادخل حيث أدخل ؛

\* الزبيدي ص ٥٤ ج ٢

(١) هو من غفار ، وهي قبيلة من كنانة ، وأسلم أبو ذر بمكة ولم يشهد بدرًا ولا أحدًا ولا الخندق ؛ لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه ، حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بالربذة سنة ٣٢ هـ .

فإني إن رأيتُ أحداً أخافُهُ عليك قمتُ إلى الحائطِ كأنني أُصلِح نعلِي ، وامضِ أنت .

فمضى ومضيتُ معه حتى دخل ، ودخلتُ معه على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقلت له : اعرض عليَّ الإسلام ، فعرضه ، فأسلمتُ مكانِي ، فقال لي : يا أبا ذرٍّ ؛ اكتمْ هذا الأمر ، وارجعْ إلى بلدك ، فإذا بلغك ظُهورُنا فأقبل ، فقلت : والذي بعثك بالحق لأصْرُخَنَّ به بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد ، وقريشٌ فيه ، فقال : يامعشر قريش ؛ إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي<sup>(١)</sup> ، فقاموا فضربتُ لأموت ، فأدركني العباس ، فأكبَّ عليَّ ، ثم أقبلَ عليهم ، فقال : ويلكم ! تقتلون رجلاً من غفارٍ ومتمجرُّ كم وممرُّ كم على غفار ! فأقلعوا عني . فلما أن أصبحت في الغد رجعتُ فقلتُ مثلَ ما قلتُ بالأمس . فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي ، فصنَّع بي مثلُ ما صنَّع بالأمس ! وأدركني العباس ، فأكبَّ عليَّ ، وقال مثلَ مقالته بالأمس !

(١) صباً : خرج من دين إلى دين .

٧٤ — جود عثمان بن عفان \*

أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِمُ الْأَمْرُ جَاءُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَقَالُوا : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ؛ إِنْ السَّمَاءُ لَمْ تَمْطُرْ ، وَالْأَرْضُ لَمْ تُنْبِتْ ، وَقَدْ تَوَقَّعَ النَّاسُ الْهَلَكَ ؛ فَمَا نَصْنَعُ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : انصرفوا واصبروا ؛ فَإِنِّي أَرْجُو اللَّهَ أَلَّا تُمْسُوا حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكُمْ .

فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ النَّهَارِ وَرَدَ الْخَبْرُ بِأَنَّ عَيْرًا لِعِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ . فَلَمَّا جَاءَتْ خَرَجَ النَّاسُ يَتَلَقَّوْنَهَا ، فَإِذَا هِيَ أَلْفٌ بَعِيرٌ مُوسِقَةٌ بَرًّا وَزَيْتَاوُزٌ بَيْبَا ، فَأَنَاحَتْ بِيَابِ عِثْمَانَ <sup>(١)</sup> ؛ فَلَمَّا جَعَلَهَا فِي دَارِهِ جَاءَ التَّجَّارُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ؛ بَعْنَا مِنْ هَذَا الَّذِي وَصَلَ إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ ضَرُورَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ ؛ قَالَ : حَبًّا وَكَرَامَةً . كَمْ تُرْجُونَنِي <sup>(٢)</sup> عَلَى شِرَائِي ؟ قَالُوا : الدَّرْهَمُ دَرْهَمَيْنِ . قَالَ : أُعْطِيتُ زِيَادَةً عَلَى هَذَا . قَالُوا : أَرْبَعَةٌ . قَالَ : أُعْطِيتُ زِيَادَةً عَلَى هَذَا ؛ قَالُوا : خَمْسَةٌ . قَالَ : أُعْطِيتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا . قَالُوا : يَا أَبَا عَمْرٍو ، مَا بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ تِجَارَةٌ غَيْرِنَا ، وَمَا سَبَقْنَا إِلَيْكَ أَحَدٌ ، فَمِنْ ذَا الَّذِي أَعْطَاكَ ؟ قَالَ : إِنْ اللَّهُ أَعْطَانِي بِكُلِّ دَرْهَمٍ عَشْرَةٌ . أَعْنَدُكُمْ زِيَادَةً ؟ قَالُوا : لَا ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي جَعَلْتُ مَا حَمَلْتُ هَذِهِ الْعَيْرُ صَدَقَةً لِلَّهِ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَقُقْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ !

\* غرر الحصاص ص ١٥٣

(١) عثمان بن عفان : ثالث خلفاء المسلمين ، وكان غنيا لم يبخل بماله في سبيل الاسلام والمسلمين . وانتهت خلافته بقتله سنة ٣٥ هـ (٢) أربحه على سلعته : أعطاه ربها .

٧٥ — لبید والولید بن عقبه\*

كان لبیدُ بنُ ربیعة جواداً شریفاً فی الجاهلیة والإسلام ، وكان آلی فی الجاهلیة أن یطعم ما هبَّت الصَّبَا . ثم أدام ذلك فی إسلامه ، وكان له جفنتان یَعْدُو بهما ویروح فی کل یوم علی مسجد قومه فیطعمهم ، ونزل لبیدُ السکوفة ، وأمیرُها الولیدُ بن عقبه ؛ فبینما هو یخطبُ الناس إذ هبت الصَّبَا ؛ فقال الولیدُ فی خطبته علی المنبر : قد علمتُمُ حالَ أخیکم أبا عقیل ، وما جعل علی نفسه : أن یطعم ما هبَّت الصَّبَا ، وهذا یوم من آیامه ، وقد هبَّت ریحُها ؛ فأعینوه ، وأنا أول من فعل .

ثم انصرف الولید ، فبعث إلیه بمائةٍ من الجزر وبهذه الأبیات :

أرى الجزارَ یسْحَدُ شَفْرَتَیْهِ      إذا هبَّت ریحُ أبا عقیلِ  
أشمُّ الأنفِ أصدیدُ<sup>(٢)</sup> عامریُّ      طویلُ الباعِ كالسیفِ الصقیلِ  
وفی ابنُ الجعفری بما نواه      علی العلاتِ<sup>(٣)</sup> والمالِ القلیلِ  
بنَحْرِ السکومِ<sup>(٤)</sup> إذ سحبتْ إلیه      ذیول صَبًّا تجاذبُ بالأصیلِ

فلما وصلت الهدیةُ إلی لبیدِ شکره ، وقال : إنی ترکْتُ الشعرَ منذ قرأتُ القرآنَ ؛

ثم قال لابنته : أجبییه ، فلمعری لقد عشتُ دهرًا وما أعیاء بجوابِ شاعر ، فقالت :

\* الجمهرة ص ٣٩ ، المستطرف ص ٥٠ ج ٢ ، الأغاني ص ٩٣ ج ١٤ ، بلوغ الأرب ص ٩٢ ج ٣

(١) لبید بن ربیعة العامری : أحد أشراف الشعراء المجیدین والقواد الفرسان المعمرین وهو من

أصحاب المعاقات ، ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن إسلامه ، ومات سنة ٤١ هـ (٢) الأصدید : رافع رأسه کبرا (٣) علی العلات : علی کل حال (٤) السکوم : القطعة من الإبل .



إذا هبَّتْ رِيحُ أَبِي عَقِيلٍ      دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا  
أَشْمُ الْأَنْفِ أَصِيدَ عَبْشَمِيًّا<sup>(١)</sup>      أَعَانَ عَلِيٌّ مُرُوءَتَهُ لَبِيدَا  
بَأَمْثَالِ الْهَضَابِ<sup>(٢)</sup> كَأَنَّ رَكْبًا      عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قَعُودَا  
أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا      نَحْرُنَاهَا وَأَطْعَمْنَا الْوُفُودَا  
فَعُدُّ ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادُ      وَظَنِي بِابْنِ أُرُوى أَنْ يَعُودَا

فقال لبيد: أَجَبْتِ وَأَحْسَنْتِ ؛ لولا أَنَّكَ سَأَلْتِ فِي شَعْرِكَ ، قَالَتْ : إِنَّهُ أَمِيرٌ  
وَلَيْسَ بِسُوقَةٍ ، وَلَا بِأَسَ بَسْؤَالِهِ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ مَأْسَأَلْنَاهُ ! قَالَ : أَجَلٌ ، إِنَّهُ عَلِيٌّ  
مَا ذَكَرْتِ ، وَأَنْتِ يَا بَنِيَّةُ فِي هَذَا أَشْعَرُ !

(١) نسبة إلى عبد شمس (٢) الهضاب : جمع هضبة ، وهي ما ارتفع من الأرض ، والمعنى :  
أعان بجمال ضخام أمثال الهضاب لضخامتها ، وقد شبهت أسنمتها بقوم سود قاعدين عليها ، وهم  
بنو حام أي السودان .

٧٦ — الحطيئة والزبرقان بن بدر \*

قدِم الزَّبْرِقَانُ عَلَى عَمْرٍ فِي سَنَةِ مُجَدِّبَةٍ ، لِيُؤَدِيَ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ ؛ فَلَقِيَهُ الْحَطِيئَةُ بِقَرَقَرَى <sup>(١)</sup> ، وَمَعَهُ ابْنَاهُ أَوْسٌ وَسَوَادَةٌ وَبَنَاتُهُ وَأَمْرَأَتُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الزَّبْرِقَانُ - وَقَدْ عَرَفَهُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْحَطِيئَةُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : الْعِرَاقَ ، فَقَدْ حَطَمْتَنَا هَذِهِ السَّنَةَ ؛ قَالَ : وَتَصْنَعُ مَاذَا ؟ قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ أَصَادِفَ بِهَا رَجُلًا يَكْفِينِي مَمُونَةَ عِيَالِي ، وَأُصْفِيهِ مَدْحِي أَبَدًا .

فَقَالَ لَهُ الزَّبْرِقَانُ : قَدْ أَصَبْتَهُ ؛ فَهَلْ لَكَ فِيهِ يُوسِعُكَ لَبْنًا وَتَمْرًا ، وَيَجَاوِرُكَ أَحْسَنَ جَوَارٍ وَأَكْرَمَهُ ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَطِيئَةُ : هَذَا وَأَبْيَكُ الْعَيْشُ ، وَمَا كُنْتُ أَرْجُو هَذَا كُلَّهُ ، قَالَ : فَقَدْ أَصَبْتَهُ ، قَالَ : عِنْدَ مَنْ ؟ قَالَ : عِنْدِي ؛ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : الزَّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرِ . قَالَ : وَأَيْنَ مَحَلُّكَ ؟ قَالَ : أَرَكِبُ هَذِهِ الْإِبِلَ ، وَأَسْتَقْبِلُ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ، وَسَلُّ عَنِ الْقَمَرِ <sup>(٢)</sup> حَتَّى تَأْتِيَ مَنْزِلِي .

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أُمِّهِ ، وَكَانَ اسْمُهَا أُمُّ شَدْرَةَ : أَنْ أَحْسَنِي إِلَيْهِ ، وَأَكْثَرِي لَهُ مِنَ التَّمْرِ وَاللَبَنِ . وَكَانَ الْحَطِيئَةُ دَمِيًّا سَيِّئَ الْخُلُقِ ، لَا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، وَمَعَهُ عِيَالٌ كَذَلِكَ ؛ فَلَمَّا رَأَتْ أُمَّ شَدْرَةَ حَالَهُ هَانَ عَلَيْهَا ، وَقَصُرَتْ <sup>(٣)</sup> بِهِ .

\* الأغانى ص ١٨٠ ج ٢ ، نهاية الأرب ص ٢٩٧ ج ٣ ، ذيل زهر الآداب ص ٢٢٧ ، ابن أبي الحديد ص ١٠٣ ج ٣ ، الكامل ص ٣٤٨ و ٣٥٤ ج ١

(١) قرقرى : أرض باليامة فيها قرى وزروع كثيرة ونخيل (٢) الزبرقان : البدر ، وسمى به الحصين بن بدر لحسنه ، وكان رسول الله قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو بكر ، توفي أيام معاوية سنة ٤٥ هـ وكان فصيحا شاعرا (٣) قصرت به : لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

ونظر بغيض<sup>(١)</sup> وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أمُّ شذرة ؛ فأرسلوا إليه :  
أَنِ اتننا ؛ فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغفلة ؛ ولست بالذي  
أحملُ على صاحبها ذنبها ؛ فلما ألحَّ عليه بنو أنف الناقة قال لهم : لست بحاملٍ على  
الرجل ذنب غيره ، فإن تُرِكتُ وجُفِيتُ تحوَّلتُ إليكم ، فأطمعوه ووعدوه وعداً  
عظيماً .

فلما لم يجهم دسَّوا إلى هنيذة زوجة الزبرقان : أن الزبرقان إنما يريد أن  
يتزوج ابنته مليكة - وكانت جميلةً كاملة - فظهرت من المرأة للحطيئة جفوةً ، وهى  
في ذلك تُدَّاريه ؛ ثم أرادوا النجعة<sup>(٢)</sup> ، فقالت له أم شذرة : قد حضرت النجعة ،  
فاركب أنت وأهلك هذا الظَّهر إلى مكان كذا وكذا ، ثم اردُّه إلينا حتى نَدَحَّكَ ؛  
فإنه لا يسعنا جميعاً ، فأرسل إليها : بل تقدِّمى أنت ، فأنت أحقُّ بذلك ، ففعلت .  
وتثاقلت عن ردِّه إليه ، وتركته يومين أو ثلاثة ، وألحَّ بنو أنف الناقة عليه ،  
وقالوا له : قد تُرِكتُ بمضيعة ، فلما ألحَّوا عليه أجابهم ؛ فقال : أما الآن فنعم ! أنا صائرٌ  
معكم ، وتحمل معهم . فضرَبوا له قبةً ، وربطوا بكل طنب من أطناها جُلَّةً<sup>(٣)</sup>  
هَجْرِيَّةً ، وأراحوا<sup>(٤)</sup> عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لِقاحاً<sup>(٥)</sup>  
وكُسوةً .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه ؛ فأخبر بقصته ؛ فركب فرسه ، وأخذ رُمحه ،

(١) كانت بغيض وأنف الناقة ينازعون الزبرقان الشرف ، وكانوا أشرف من الزبرقان ؛ إلا  
أنه قد كان استعلاهم بنفسه (٢) النجعة : طلب الكلاء في موضعه (٣) الجلة : وعاء يتخذ  
من الخوص يوضع فيه التمر يكثر فيه (٤) إراحة الإبل : ردها في العشى (٥) اللقاح : جمع  
لقوح وهى الناقة الحلوب .

وسار حتى وقف على نادى القُرَيْعِيِّينَ ، فقال : رُدُّوا علىَّ جارى ! فقالوا : ما هو لك بجارٍ ، وقد اطَّرحتَه وضيَّعْتَه ، فألمَّ (١) أن يكونَ بينَ الحَيِّينَ حربٌ ؛ فحضَّرهمُ أهلُ الحِجَابِ من قومهم ؛ ولاموا بغيضاً وقالوا : اردُّدْ على الرجلِ جارَه ، فقال : لستُ مُخْرِجَه وقد آوَيْتُه ، وهو رجلٌ حرٌّ مالكٌ لأمره ، فخيَّروه ؛ فإنِ اختارنى لم أُخرجه ، وإنِ اختاره لم أُكرِهْهُ .

فخيَّروا الحطيئةَ فاخْتارَ بغيضاً ورهطَه ، فبجاء الزبرقان ووقفَ عليه ، وقال له : أبا مُليكة ، أفا رقتَ جوارى عن سُخْطٍ وذم ؟ قال : لا ؛ فانصرفَ وتركه . وجعل الحطيئةُ يمدح القُرَيْعِيِّينَ من غير أن يَهْجُوَ الزَّبْرَقَانَ ، وهم يحضونه على ذلك ويُحَرِّضُونَهُ فَيَأْبَى وَيَقُولُ : لا ذنبَ للرجلِ عندى ، حتى أرسلَ الزبرقانُ إلى رجلٍ من النَّمْرِ بنِ قاسطٍ فهجَا بغيضاً ؛ فقال :

أرى إبلى بجوفِ الماءِ حلتَ	وأعوَزَها به الماءُ الرِّوَاءُ (٢)
وقد وَرَدَتْ مِياهُ بنى قُرَيْعٍ	فما وصلوا القِرابَةَ مُذْ أَسَاءُوا
تَحَلَّأَ (٣) يَوْمَ وَرَدِ النَّاسِ إبْلَى	وَتَصَدُّرُوهى مُحَنِقَةً (٤) ظِمَاءُ
ألمْ أَكُ جَارَ شَمَّاسِ بنِ لَأْيٍ	فأسلَمَنِى وقد نزلَ البلاءُ
فقلتُ : تَحَوَّلِى يا أمَّ بَكْرِ	إلى حيثُ المكارمُ والعلاءُ
وجدنا بيتَ بَهْدَلَةَ بنِ عَوْفٍ	تعالى سَمَكُهُ وَدَحَا الفِئَاءُ (٥)
وما أَضْحَى لَشَمَّاسِ بنِ لَأْيٍ	قَدِيمٌ فى الفَعَالِ (٦) ولأرْبَاءُ (٧)
سِوَى أنِ الحَطيئةَ قالَ قولاً	فهذا من مقالته جزاءُ

(١) ألم : قرب (٢) الرواء : السكبير المروى (٣) تحلأ : تمنع (٤) محنقة : ضامرة (٥) دحا الفناء : عظم واتسع (٦) الفعال : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه (٧) الرباء : الطول والمنة والفضل .

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ، ويناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها :

والله ما معشرٌ لاموا امرءاً جنباً<sup>(١)</sup> في آل لأى بن شماسٍ بأ كياس<sup>(٢)</sup>  
ما كان ذنبُ بغيضٍ ، لا أبالكُم ، في بأسٍ جاء يحدو آخرَ الناسِ  
لقد مرَّيتكُم<sup>(٣)</sup> لو أن درتكم<sup>(٤)</sup> يوماً يحىء بها مسجى وإساسى<sup>(٥)</sup>  
وقد مدحتكم عمداً لإرشدكم كما يكون لكم متجى<sup>(٦)</sup> وإمراسى<sup>(٧)</sup>  
لما بدالى منكم عيبُ أنفسكم ولم يكن إجراحي فيكم أسى  
أزمتُ ياساً مُبيناً من فؤالكُم ولن ترى طارداً للحرِّ كإياسِ  
ما كان ذنبُ بغيضٍ ان رأى رجلاً ذا فاقةٍ حل في مُستوعرٍ شاسى<sup>(٨)</sup>  
جاراً لقومٍ أطالوا هونَ منزله وغادروه مقيماً بين أرماسِ<sup>(٩)</sup>  
ملوا قراه وهرته<sup>(١٠)</sup> كلابهم وجرحوه بأنيابٍ وأضراسِ  
دع المكارم لا ترحل لبعيتها واقعد فإنك أنت الطاعم<sup>(١١)</sup> الكاسى  
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

(١) الجنب : القريب (٢) جمع كيس : اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه (٣) مرى  
النافقة يمر بها : مسح ضرعها ، والمراد مداراتهم ومدحهم ليدروا عليه بالعطاء (٤) الدرة اللبن  
(٥) الإيساس : أن تدعو النافقة باسمها وتلاطفها لتدر (٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر  
ليجذب الدلو (٧) الإمراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزلق منها (٨) المستوعر :  
المكان الوعر ، والشاسى : المكان الغليظ المرتفع (٩) الرمس : القبر وجمعه أرماس ، والهون :  
المذلة : أى تركوه كالميت (١٠) هرتة الكلاب : نبعته . وهو كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً  
بينهم (١١) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسو .

ما كان ذنبي أن فلت معاولكم من آل لآي صفاة<sup>(١)</sup> أصلها راسي  
قد ناضلوك فسلوا من كنائهم مجدأ تليداً ونبالاً غير أنكاس<sup>(٢)</sup>  
فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، فرفعه عمر إليه واستنشدته فأنشدته ،  
فقال عمر : ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ماتبلغ مروءتى إلا أن  
آكل وألبس ، فقال عمر : على بحسان ، فجبىء به ، فسأله ؛ فقال : أترأه هجاء ؟  
قال : نعم وسلح عليه ! فحبسه عمر ، فقال في الحبس :

أعوذُ بجدك إني امرؤُ سقتنى الأعدى إليك السجّالاً<sup>(٣)</sup>  
فإنك خيرٌ من الزبرقان أشدُّ نكالاً وأرجى نوالاً  
تحنن على هداك المليكُ فإن لكلِّ مقامٍ مقالاً  
ولا تأخذنى بقول الوشاةِ فإن لكلِّ زمانٍ رجالاً  
فإن كان ما زعموا صادقاً فسيتُ إليك نسأى رجالاً<sup>(٤)</sup>  
حواسر لا يشتكين الوجاً<sup>(٥)</sup> يُخفّضن الآل<sup>(٦)</sup> ويرفعن آلا  
فلم يلتفت عمر إليه ، حتى قال :

ماذا تقول لأفراخِ بذي<sup>(٧)</sup> مرخِ زغبِ الحواصلِ لاماءٍ ولا شجرِ  
أقيت كاسيهم في قعرِ مُظلمةٍ فاغفرُ عليك سلامُ الله يا عمرُ

(١) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا يثبت (٢) أنكاس : جمع نكس ، وهو أضعف السهام ،  
ومعنى البيت : أن الحرب كانوا إذا أسروا أسيراً خيروه بين التخلية ، وجز الناصية والأسر ، فإن  
اختار جز الناصية جزوها له ، وخلوا سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر في كنائهم ، فإذا افتخروا  
أخرجوه وأروهم مفاخرهم (٣) السجال : جمع سجال وهو الدلو العظيمة مملوءة (٤) جمع  
رجلة ، أى رجالة (٥) الوجا : الحفا وقيل شدته (٦) الآل : عمد الخيمة (٧) ذو مرخ :  
واد بالحجاز .

أنتَ الإمامُ الذي من بعد صاحبه أَلَقْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشْرِ  
لَمْ يُؤْثِرْوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثْرُ (١)  
فَأَمَّنْ عَلَى صَبِيَّةٍ بِالرَّمْلِ مَسْكَنُهُمْ بَيْنَ الْأَبْطَاحِ تَعَسَّاهُمْ بِهَا الْقِرْرُ (٢)  
أَهْلِي فِدَاؤُكَ كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرَضِ دَاوِيَةَ (٣) تَعَمَّى بِهَا الْخُبْرُ  
فَبَكَى عَمْرُ حِينَ قَالَ : « مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحَ بَدَى مَرِخٍ » ؛ فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْعَاصِ :  
مَاظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ ، وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَعْدَلَ مِنْ رَجُلٍ يَبْكِي عَلَى تَرْكِهِ الْحَطِيئَةَ ! فَقَالَ  
عَمْرُ : عَلَى الْبَالِكْرَسَى ، فَأَتَى بِهِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الشَّاعِرِ فَإِنَّهُ  
يَقُولُ الْهَجْرَ ، وَيَنْسِبُ بِالْحَرَمِ ، وَيَمْدَحُ النَّاسَ وَيَذَمُّهُمْ بَغَيْرِ مَا فِيهِمْ . مَا أَرَانِي إِلَّا  
قَاطِعًا لِسَانَهُ ، ثُمَّ قَالَ : عَلِيٌّ بِالطَّسْتِ ، فَأَتَى بِهَا ثُمَّ قَالَ : عَلِيٌّ بِالْمِخْصَفِ (٤) ، عَلِيٌّ  
بِالسَّكِينِ ، لِأَبْلِ عَلِيٍّ بِالْمَوْسَى فَهُوَ أَوْحَى (٥) ! فَضَجَّ الْحَطِيئَةُ وَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ هَجَوْتُ أَبِي وَأُمِّي وَأَمْرَاتِي وَنَفْسِي ؛ فَتَبَسَّمَ عَمْرُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا الَّذِي  
قَالَ ؟ قَالَ : قَاتَ الْأَبِي وَأُمِّي :

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النَّسَاءِ فَسُوَّتِنِي وَأَبَا بَنِيكَ فَسَاءَنِي فِي الْمَجَاسِ  
وَقَلْتَ لِأَبِي خَاصَّةً :

فَبئسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى تَمِيمٍ وَبئسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمَعَالِي  
وَقَلْتَ لِأُمِّي خَاصَّةً :

تَنْحَى وَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيدًا أَرَاكِ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالِمِينَ !

(١) الأثر : واحدها أثره ، ومعناها الاستئثار والمكرمة (٢) القرر : جمع قررة ، وهي البرد  
(٣) الداوية : الفلاة الواسعة (٤) المخصف : مخزذ الاسكافي (٥) أوحى : أسرع .

أَغْرَبَالاً<sup>(١)</sup> إِذَا اسْتُوْدِعْتَ سِرًّا وَكَانُونَ<sup>(٢)</sup> عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ؟  
حَيَاتِكَ مَا عَمِلْتَ حَيَاةً سَوْءًا وَمَوْتِكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَ  
وَقُلْتُ لَأَمْرَأَتِي:

أَطَوَّفُ مَا أَطَوَّفَ ثُمَّ آتَى إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَاعٍ  
وَقُلْتُ لِنَفْسِي:

أَبْتُ شَفَقَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بِسَوْءٍ ، فَمَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ  
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْءَ اللَّهِ خَلَقَهُ فَمُبَّحٌّ مِنْ وَجْهِهِ وَقَبِيحٌ حَامِلُهُ

فَقَالُوا : لَا يَعُودُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشَارُوا إِلَيْهِ أَنْ قُلْ لِأَعُودُ ، فَقَالَ : لَا أَعُودُ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لَهُ : النَّجَاءُ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا حُطَيْيَّةُ كَأَنِّي بَكَ عِنْدَ فَتَى مِنْ  
قَرِيشٍ ، قَدْ بَسَطَ لَكَ مُمَرِّقَةً<sup>(٣)</sup> ، وَكَسَرَ لَكَ أُخْرَى وَقَالَ : غَنَّنَا يَا حُطَيْيَّةُ ، فَطَفِقَتْ  
تُعْنِيهِ بِأَعْرَاضِ النَّاسِ<sup>(٤)</sup> !

قَالَ ابْنُ أَسْلَمَ : فَمَا انْقَضَتْ الدُّنْيَا حَتَّى رَأَيْتُ الحُطَيْيَّةَ عِنْدَ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ  
قَدْ بَسَطَ لَهُ مُمَرِّقَةً ، وَكَسَرَ لَهُ أُخْرَى وَقَالَ : غَنَّنَا يَا حُطَيْيَّةُ ؛ فَجَعَلَ يَغْنِيهِ ، فَقُلْتُ لَهُ :  
يَا حُطَيْيَّةُ أَتَذْكُرُ قَوْلَ عُمَرَ ؟ فَفَزِعَ وَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَرْءَ أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا  
مَا فَعَلْتَ !

---

(١) الغربال : التهام (٢) الكانون : الثقل الوخم من الناس ، وقيل الكانون : الذي  
يجلس حتى يتحصى الأخبار والأحداث (٣) النمركة : الوسادة (٤) يروي أن عمر رضي الله عنه  
لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكده عليه الحجمة فاشتري منه أعراض المساهين جميعا بثلاثة آلاف درهم ،  
فقال الحطيئة في ذلك :

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدْعُ شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ  
وَمَنْعَتْنِي عَرْضَ اللَّيْمِ فَلَمْ يَخْفُ ذِمِّي وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَفْزَعُ



٧٧ — قدوم الخطيئة على عتيبة بن النهاس \*

بيننا سعيد بن العاص يُعَشِّي الناس بالمدينة ، والناس يُخرجون أولاً أولاً ؛  
إذ نَظَرَ على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سَمَرِه ؛  
فذهب الشَّرَطُ يقيمونه ؛ فأبى أن يقوم ؛ وحاتت من سعيد التفاتة ، فقال :  
دَعُوا الرجل ، فتركوه ، وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها ملياً ؛ فقال لهم  
الخطيئة<sup>(١)</sup> : والله ما أصبتم جيد الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سعيد : أتعرف  
من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعر العرب ؟ قال الذي يقول :

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنَّ زُرْنُتُهُ الْإِعْدَامُ  
وَأَنشَدَ القصيدة حتى أتى عليها .

فقال له : مَنْ يقولها ؟ قال : أبو دُوَادٍ الْإِيَادِي ؛ قال : ثم مَنْ ؟

قال الذي يقول :

أَفْلَحُ<sup>(٢)</sup> بما شئتَ فقد يدركُ بالـجَهْلِ وقد يُخَدِّعُ<sup>(٣)</sup> الأريبُ  
ثم أنشدها حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال عبيد بن الأبرص ؛ قال :  
ثم مَنْ ؟ قال : لحسبك بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجلي على  
الأخرى ، ثم عدت في إثر التوفاني عُدَاءَ الفَصِيلِ الصَّادِي ؛ قال : ومن أنت ؟

\* الأغاني ص ١٦٧ ج ٢

(١) الخطيئة : هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك العبسي ، أحد كبار المهاجرين والمداحين  
المجدين عاش مدة في الجاهلية وجاء الإسلام فأسلم ، ومات سنة ٥٩ هـ (٢) أفلح من الفلاح وهو  
البقاء ، أي عس بما شئت من عقل وحق ، فقد يرزق الأحمق ، ويحرم العاقل (٣) رجل  
يخدع : خدع مراراً .

قال : الحطيئة ؛ فرحبَ به سعيد ، ثم قال : أسأتَ بكتِّماننا نفسَكَ منذ الليلة ،  
ووصله وكساه .

ومضى لوجهه إلى عُتَيْبَةَ بنِ النَّهَّاسِ العِجَلِي ؛ فسأله ؛ فقال له : ما أنا على عمل  
فأعطيكَ منه ، ولا في مالي فضلٌ عن قومي ؛ قال له : فلا عليك ! وانصرف .

فقال له بعضُ قومه : لقد عرَّضتْنا ونفسَكَ للشَّر ! قال : وكيف ؟ قالوا : هذا  
الحطيئة ، وهو هاجِنا أخبثَ هجاء ؛ فقال : ردّوه ، فردوه إليه ؛ فقال له :  
لِمَ كَتَمْتَنَا نفسَكَ ؟ كأنك كنت تطاب العِللَ علينا ! اجلس فلك عندنا مايسرُّك ؛  
فجلس ؛ فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

وَمَنْ يَجْعَلُ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ<sup>(١)</sup> وَمَنْ لَا يَتَّقِ السُّتْمَ يُشْتَمُ

فقال له عتبية : إن هذا من مقدّمات أفاعيك ، ثم قال لو كيله : اذهب معه  
إلى السوق فلا يطلبُ شيئاً إلا اشتريته له ، فجعل يعرض عليه الخبزَ ورقيقَ الثياب  
فلا يريدها ، ويؤمى إلى الكرايس<sup>(٢)</sup> والأكسيّة الغلاظ ، فيشتريها له ، حتى  
قضى أربه<sup>(٣)</sup> ، ثم مضى .

فلما جاس عتبية فى نادى قومه أقبلَ الحطيئة ، فلما رآه عتبية قال : هذا مقامُ  
العائذِ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ؛ قال : قد كنتُ قلتُ بيتين فاستمعهُما ،  
ثم أنشأ يقول :

سُئِلَتْ فلم تبخل ولم تُعْطِ طائلاً فسيانِ لا ذمُّ عليك ولا حمدُ

(١) يفره : يتمه ولا يقتصه (٢) الكرايس : ثياب القطن (٣) الأرب : الحاجة .

وأنت امرؤٌ لا الجودُ منك سجيّةٌ فتعطي، وقد يُعدي على النَّائلِ الوُجدُ<sup>(١)</sup>  
ثم ركضَ فرسه ؛ فذهب !

٧٨ — فقير عند سعيد بن العاص \*

قدِم سعيد<sup>(٢)</sup> بن العاص الكوفة عاملاً عليها ؛ فكانت له موائد يُغشاها  
الأشرافُ والقراء ؛ فكان فيمن يَغشي موائده رجلٌ من القراء فقير ؛ فقالت له  
امراته يوماً : ويحك ! إنه يبلغنا عن أميرنا هذا كرمٌ وجود ؛ فاذكرُ له بعضَ  
ما نحنُ فيه !

فتعشى عنده ذات ليلة ، فلما انصرف الناسُ ثبت الرجل ؛ فقال له سعيد : إني  
قد أرى جلوسك ، وما جلستَ إلا ولك حاجة ، فاذكرها - رحمك الله ! فتعقّد  
الرجلُ وتلعثم ؛ فقال سعيد لغلمانِه : تنحوا ، ثم قال له : قل - رحمك الله - لم يبقَ  
إلا أنا وأنت ، فاذكرُ حاجتك ! فتعقّد أيضاً وتعصّى ؛ فنفتح سعيدُ المصباحَ  
فأطفأه ، ثم قال له : رحمك الله - إنك لست ترى وجهي ، فاذكرُ حاجتك ! قال :  
أصلح الله الأمير ، أصابتنا حاجة فأحببتُ ذِكْرَها لك . قال له : إذا أصبحت  
فألقِ فلاناً وكيلى !

(١) يعدي : يعين ، والنائل : ما نلته من معروف إنسان ، والوجد : اليسار والسعة .

\* عين الأدب والسياسة ص ١٩٠

(٢) سعيد بن العاص : أحد أجواد العرب وكرمائهم ، كان يأتيه الرجل يسأله فلا يكون  
عنده ، فيقول : ما عندي ولكن اكتب عليّ به ، فيكتب عليه كتاباً ثم يدفع له بعد ذلك ، توفي  
سنة ٥٩ هـ .

فلما أصبح لقي الوكيل ، فقال له : إن الأمير قد أمرني بشيء ؛ فهل جئتَ  
بمن يحمل ، قال : لا والله ما عندي من يحمل ! ورجع إلى امرأته ، وجعل يهدئها  
ويلومها ؛ وقال لها : إن وكيله قال : جئتَ بمن يحمل ؟ وما هي إلا قوصرة  
من تمر ، أو قفيز من بر ، ولو كانت دراهم أو دنانير أعطانيها بيده ! قالت :  
ويحك ! ما كان من شيء فقوتنا به . فكث أياماً ، ثم لقيه الوكيل ، فقال له :  
ويحك ! أين تكون ؟ أخبرت الأمير أنه ليس عندك من يحمل ؛ فأمرني أن أوجه  
معك من يحمل .

فوجه معه بثلاثة من السودان يحمل كل واحدٍ بَدْرَةَ على عاتقه ، حتى  
أوردَها منزله .

فأطلق وكاء<sup>(١)</sup> بَدْرَةَ منها ، ووهب لهم منها دريهمات ، وقال : انصرفوا !  
قالوا : إلى أين ؟ ما حمل له مملوك قطُّ هديةً ؛ فرجع في ملكه !

(١) الوكاء : الرباط .

٧٦ — قصر سعيد بن العاص \*

لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة وهو في قصره قال له ابنه عمرو :  
لو نزلت إلى المدينة ! فقال : يا بني ، إن قومي لن يَصْنُوا عليَّ بأن يحملوني على  
رِقَابِهِمْ ساعةً من نهار ! وإذا أنا مِتُّ فَأَذِنَهُمْ<sup>(١)</sup> ، فإذا وارتبتي فانطلقوا إلى  
معاوية فأنعني له ، وانظر في ديني ، واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل ،  
واعرض عليه قصرى هذا ؛ فإني إنما اتخذته نُزْهة وليس بمال .

فلما مات آذن الناس به ؛ فحملوه من قصره حتى دُفِنَ بالبقيع ، ورواحلُ  
عمرو بن سعيد مُنَاخَةٌ ، فعزاه الناسُ على قبره وودَّعوه ؛ وكان هو أول مَنْ نَعَاهُ إلى  
معاوية ، فتوجَّع له وترحم عليه ؛ ثم قال : هل ترك ديناً ؟ قال : نعم ! ثلثمائة ألف ،  
قال : هي عليَّ ! قال : قد ظنَّ ذلك ، وأمرني ألا أقبله منك وأن أعرضَ عليك  
بعضَ ماله ففتبتاعه فيكونَ قضاءَ دينه منه . قال : فأعرضُ عليَّ ، قال : قصره ،  
قال : قد أخذتهُ بدينه ، قال : هو لك على أن تحمِلَهَا إلى المدينة وتجعلها  
بالوا فيه<sup>(٢)</sup> ، قال : نعم ؛ فحملها له إلى المدينة ، وفرَّقها في غُرْمائه ، وكان  
أكثرها عِدَاتٍ<sup>(٣)</sup> .

فأتاه شابٌّ من قریش بصكِّ فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على

\* الأغانى ص ٣٢ ج ١

(١) آذِنَهُمْ : أعلمهم (٢) الدرهم الوافى : درهم وأربعة دوانق ، والدانق سدس الدرهم  
(٣) عِدَاتٍ : عطايا وعدبها .

نفسه ، وشهادة مولى له عليه ؛ فأرسل إلى المولى فأقرأه الصك ؛ فلما قرأه بكى ، وقال : نعم هذا خطه ! وهذه شهادتي عليه ! فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم ، وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش ؟ قال : أخبرك عنه : مرَّ سعيد بعد عزله ؛ فاعترض له هذا الفتى ، ومشى معه ، حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد ، فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلا أنى رأيتك تمشى وحدك ؛ فأحبت أن أصل جناحك ؛ فقال له : انتنى بصحيفة ما ، فأتيت به هذه ، فكتب على نفسه هذا الدين ، وقال : إنك لن تصادف عندنا شيئاً ؛ فخذ هذا فإذا أتانا شيء فأتنا !

فقال عمرو : لا جرم والله ! لا يأخذها إلا بالوافية ، أعطه إياها ، فدفع إليه

عشرين ألف درهم !

٨٠ — معاوية وسعيد بن العاص\*

مرض سعيد بن العاص وهو بالشام؛ فعادته معاوية، ومعه شرحبيل بن السمط، ومسلم بن عقبة المري، ويزيد بن شجرة الزهري؛ فلما نظر سعيد معاوية، وثب عن صدر مجلسه؛ إعظاماً له. فقال له معاوية: أقسمت عليك أبا عثمان ألا تتحرك؛ فقد ضعفت بالعلّة؛ فسقط؛ فتبادر معاوية نحوه، حتى حنا عليه، وأخذ بيده، فأقعدته على فراشه، وقعد معه، وجعل يسأله عن علته ومآمه وغذائه، ويصف له ما ينبغي أن يتوقاه، وأطال القعود معه.

فلما خرج التفت إلى شرحبيل بن السمط، ويزيد بن شجرة، فقال: هل رأيتم خلاً في مال أبي عثمان؟ فقالوا: مارأينا شيئاً ننكره! فقال لمسلم بن عقبة: ماتقول؟ قال: رأيت! قال: وما ذلك؟ قال: رأيت على حشمه ومواليه ثياباً وسخة، ورأيت صحن داره غير مكنوس، ورأيت التجار يُخاصمون قهرمانه<sup>(١)</sup>! قال: صدقت! كل ذلك قد رأيته.

فوجه إليه مع مسلم بثلاثمائة ألف؛ فسبق رسوله يشره بها، ويخبره بما كان؛ فغضب سعيد، وقال للرسول: إن صاحبك ظن أنه أحسن فأساء، وتاول فأخطأ؛ فأما وسخ ثياب الحشم<sup>(٢)</sup>، فمن كثرة حركتهم اتسخت ثيابهم، وأما كئس

✽ العقد الفريد لابن عبد ربه ص ١٥٠ ج ١

(١) القهرمان: هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده، والقائم بأمر الرجل

(٢) الحشم: خدم الرجل.

الدار، فليست أخلاقنا أخلاق مَنْ جعل داره مرآته ، وزينته لبسته<sup>(١)</sup> . ومعروفه  
عطره ، ثم لا يبالي بمن مات هزلاً من ذى لحمه<sup>(٢)</sup> أو حرمة ، وأما منازعة  
التجار قهرماني ، فمن كثرة حوائجه وبيعته وشراؤه لم يجد بداً من أن يكون ظالماً  
أو مظلوماً . وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فقد قبلناه ، وأمرنا لصاحبك منه  
بمائة ألف ! ولشرحمیل بمثلها ، وليزيد بمثلها ! وفي سعة الله وبسط يده  
أمير المؤمنين ما عليه موعولنا !

فركب مسلم بن عقبة إلى معاوية فأعلمه بذلك ، فقال : صدق ابن عمي فيما  
قال ، وأخطأت فيما اتهمت إليه ، فاجعل نصيبك من المال لروح بن زنباع  
عقوبة لك ؛ فإنه من جن جنابة عوقب بمثلها ، كما أنه من فعل خيراً كوفئ عليه !

---

(١) اللبسة : حالة من حالات اللبس (٢) اللحمية : القرابة .



٨١ — كرم معاوية \*

قال معاوية يوماً لعقيل<sup>(١)</sup> بن أبي طالب : هل من حاجة فأقضيها لك ؟  
قال : نعم : جارية عُرِضَتْ عليّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً ! فأحبَّ  
معاوية أن يمازحه فقال : وما تصنعُ بجارية قيمتها أربعون ألفاً . وأنتَ أعمى  
تجتزىُ بجارية قيمتها خمسون درهما ؟

قال : أرجو أن تلدَ لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف ! فضحك  
معاوية ، وقال : ما زحناك يا أبا يزيد ! وأمر فابتيعت له الجارية ؛ وولدت له  
مسالماً .

فلما أتت على مسلم ثمانى عشرة سنة ، وقد مات عقيل أبوه ، قال لمعاوية :  
بأمر المؤمنين ؛ إن لى أرضاً بمكان كذا من المدينة ، وإنى أعطيتُ بها مائة ألف ،  
وقد أحبيتُ أن أبيعك إياها ؛ فادفع إلى ثمنها ، فأمر معاوية بقبض الأرض ،  
وَدَفَعَ الثمن إليه .

فبلغ ذلك الحسين بن عليّ ؛ فكتب إلى معاوية : أما بعد فإنك غررتَ  
غلاماً من بنى هاشم فابتعتَ منه أرضاً لا يملكها ، فاقبض من الغلام مادفعته  
واردُدْ إلينا أرضنا .

\* ابن أبي الحديد ص ٨٢ ج ٣

(١) هو أخو علي بن أبي طالب ، وأسر يوم بدر ففداه العباس بأربعة آلاف درهم . وأسلم  
عقيل وُلِقَ بمعاوية وترك أخاه عليا ، ومات بعد ما عمى سنة ٦٠ هـ .

فبعث معاويةً إلى مسلم؛ فأخبره بذلك، وأقرأه كتابَ الحسين، وقال:  
أرُدُّ علينا مالنا، وخُذْ أرضك؛ فإنك بعثتَ مالا تملك! فقال مسلم: دون ذلك  
أن أضرب رأسك بالسيف! فاستلقى معاوية ضاحكاً يَضْرِبُ برجليه، ثم قال:  
يا بُنَيَّ؛ هذا والله كلامُ قاله لي أبوك حين ابتعتُ له أمك!  
ثم كتب إلى الحسين: إني قد رددتُ عليكم الأرضَ وسوغتُ مسلماً  
ما أخذ.

فقال الحسين: أيتم يا آل أبي سفيان إلا كرمًا!

٨٢ - معاوية يعفو\*

لما استعمل معاويةً زياداً على العراق كتب إليه: أما بعد فانظر عبدَ الله<sup>(١)</sup>  
ابن هاشم بن عتبة، فشدَّ يده إلى عنقه، ثم ابعتْ به إلى .  
فحملة زياد من البصرة مقيداً مغلولاً إلى دمشق، فأدخلَ على معاوية،  
وعنده عمرو بن العاص؛ فقال معاوية لعمرو: هل تعرفُ هذا؟ قال لا! قال:  
هذا الذي يقولُ أبوه<sup>(٢)</sup> يومَ صفين:

إني شريتُ<sup>(٣)</sup> النفسَ لما اعتلَّ وأكثَرَ اللومَ وما أقلَّ

\* المسعودي ص ٥٧ ج ٢

- (١) كانت في نفس معاوية من يوم صفين إحن على هاشم بن عتبة وولده عبد الله بن هاشم  
(٢) جاء عمار بن ياسر إلى هاشم بن عتبة - وكان هاشم أعور - فقال: يا هاشم؛ أعورا  
وجبتاً؟ اركب، فركب ومضى معه وهو يرتجز: إني شريت النفس . . . .  
(٣) شريت النفس: بعثتها في سبيل الله، لما اعتل: لما رماني عمار بالجبن.

أَعُورٌ يَمْنَى أَهْلَهُ (١) مَحَلًّا      قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَّأَ  
لَا بَدَّ أَنْ يَقُلَّ (٢) أَوْ يُفَلَّ      يَتَلَّهُمْ بِذِي الْكُعُوبِ (٣) تَلًّا  
لَا خَيْرَ عِنْدِي فِي كَرِيمٍ وَلَّى

فقال عمرو متمثلاً :

وقد يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دَمَنِ (٤) الثَّرَى      وَتَبْقَى حَرَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ  
دونك يا أمير المؤمنين ! الضب (٥) الضب ! فاشْخَبْ أَوْ دَاجَه (٦) عَلَى أَسْبَاجِهِ ،  
فلا تَرُدَّهُ إِلَى الْعِرَاقِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى النَّقَاقِ ، وَهُمْ أَهْلُ غَدَرٍ وَشِقَاقِ ، وَإِنْ لَهُ  
هُوًى سَيُودِيهِ ، وَرَأْيًا سَيُطْعِمِيهِ ، وَبِطَانَةً سَتُقَوِّيهِ ؛ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا !  
فقال عبد الله : يا عمرو ؛ إِنْ أُقْتِلَ فَرَجُلٌ أَسْلَمَهُ قَوْمُهُ وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ ؛ أَفَلَا كَانَ  
هَذَا مِنْكَ إِذْ تَحِيدُ عَنِ الْقِتَالِ ، وَنَحْنُ نَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ ! فقال عمرو : أَمَا وَاللَّهِ  
لقد وَقَعْتَ ، وَلَا أَحْسَبُكَ مُنْفَتَاتًا مِنْ مَخَالِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ !

فقال عبد الله : أَمَا وَاللَّهِ يَا بْنَ الْعَاصِ ؛ إِنَّكَ لَبَطِرٌ فِي الرَّخَاءِ ، جَبَانَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ،  
غَشُومٌ إِذَا وَارَيْتَ ، هَيَّابٌ إِذَا لَقَيْتَ ؛ أَفَلَا كَانَ هَذَا مِنْكَ ، إِذْ غَمَرَكَ أَقْوَامٌ  
لَمْ يُعْنَفُوا صَعَارًا ، وَلَمْ يُمَزَّزُوا كِبَارًا ، لَهُمْ أَيْدٍ شِدَادٌ ، وَأَلْسِنَةٌ حِدَادٌ . . .  
فقال عمرو : أَمَا وَاللَّهِ لَقَد رَأَيْتُ أَبَاكَ يَوْمَئِذٍ تَخْفِقُ أَحْشَاؤُهُ ، وَتَبْقُ (٧) أَمْعَاؤُهُ ! . . .

(١) يبغي أهله : أى محل أهله ومصيرهم وهم الذين استشهدوا قبله (٢) يغل : يهزم  
(٣) تله : صرعه ، وذو الكعوب : الرمح (٤) الدمن : جمع دمنة وهى ما اسود  
من آثار الدار (٥) الضب : حيوان يضرب بجذاعه المثل فيقال : أخذ من ضب (٦) الأوداج :  
عروق فى العنق ، وشخبت أوداج القتييل دماً : جرى دمها ، والأسباج : جمع سبجة وهى من  
القميص بئيقته (٧) تبق : تخرج ؛ بق التبت بقوقاً : طلع .

فقال عبد الله : ياعمرو ؛ إنا قد بَلَوْنَاكَ ومقاتلتك ؛ فوجدنا لسانك كَدُوْبًا غادرًا ،  
خلوت بأقوامٍ لا يعرفونك ، ووجدت لاسأمونك ، ولورمت المنطقَ في غير أهل الشام  
لِحِظْ<sup>(١)</sup> إِلَيْهِ عَقْلَكَ ، ولتالجِجِ لسانك ، ولاضْطَرْبَ فَخِذَاكَ اضْطرابَ القَعُودِ  
الذي أَثْقَلَهُ حِمْلُهُ !

فقال معاوية : إيهًا عنكما ؛ وأمر بإطلاق عبد الله ! فقال عمرو لمعاوية :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حازمًا فَعَصَيْتَنِي وكان من التوفيق قتلُ ابنِ هاشمِ  
أليس أبوه ، يَا معاويةُ ، الذي أعانَ عليًّا يومَ حَزِّ الغَلَّاصِ<sup>(٢)</sup>  
فلم يَنْثِنِي حتى جَرَّتْ من دماننا بِصِفِّينِ أمثالِ البَحُورِ الخِضارِ<sup>(٣)</sup>  
وهذا ابنه ، والمرءُ يُشْبِهُ سِنخَهُ ويُوشِكُ أن يَقرَعَ<sup>(٤)</sup> به سِنَّ نَادِمِ  
فقال عبدُ الله يَجيبُه :

مُعَاوِيَ إِنْ المرءَ عَمْرًا أبتَ له ضغينةٌ صَدْرٍ غِشًّا غيرُ نائمِ  
يرى لك قَتْلِي يا بنَ هَندٍ وإِنما يَرى ما يَرى عَمْرُو مَلُوكِ الأعاجِمِ  
عَلَى أَنهم لا يَقتُلُونَ أسيرَهم إِذا مَنَعَتْ منه عهودُ المُسلمِ  
وقد كان منَّا يومَ صِفِّينَ نَعْرَةٌ<sup>(٥)</sup> عليك جَنَاهَا هاشمِ وابنُ هاشمِ

(١) جحظت العين : إذا برزت مقلتها ، والمراد اضطرب عقلك وشرد ، ولم يسلس لك قياد  
التفكير (٢) الغلصة : رأس الخقوم (٣) الخضم : البحر العظيم ، وبقيت الباء في  
« ينثنى » للضرورة (٤) قرع سنه : حرقه ندمًا ، أى سحقه حتى سمع له صريف ، وسكن  
الفعل للضرورة ، والسبخ : الأصل من كل شيء (٥) نعر القوم : هاجوا واجتمعوا في  
ال حرب .

قضى ما انتضى منها وليس الذي مضى  
فإن تعفُ عني تعفُ عن ذى قرابةٍ  
ولا ما جرى إلا كأضغاثِ حالمٍ  
وإن ترَ قَتلي تستحلَّ محارمي<sup>(١)</sup>  
فقال معاوية :

أرى العفوَ عن عليٍّ قريشٍ وسيلةً  
ولست أرى قتلَ العداةِ ابنِ هاشمٍ  
إلى الله في اليومِ العصيبِ القمَاطِ<sup>(٢)</sup>  
بإدراكِ ثأري في لوعيٍّ وعامرٍ  
بل العفوَ عنه بعد ما بَانَ جرمُهُ  
وزلَّتْ به إحدى الجدودِ العوائرِ  
فكان أبوه يومَ صِفِّينَ جَمْرَةً  
علينا فأرَدتُهُ رِمَاحُ نَهَابِرِ<sup>(٣)</sup>

(١) كان عبد الله بن هاشم من أقرباء معاوية (٢) يوم قمطر : شديد (٢) النهابر :  
المهالك .

٨٣ — الوفي ! \*

كان أبو بلال<sup>(١)</sup> مرداس بن حُدَيْر تُظَمُّه الخوارج ، وكان مجتهداً كثيراً الصواب في لفظه ، فلقبه غيلان بن خَرَشَةَ الضَّبِّي ، فقال : يا أبا بلال ! إني سمعتُ الأميرَ<sup>(٢)</sup> البارحة يذكر البليجاء<sup>(٣)</sup> ، وأحسبها سُمُوْ خَدَ ؛ ففضي إليها مرداس ؛ فقال لها : إن الله قد وسَّعَ على المؤمنين في التَّقِيَّةِ<sup>(٤)</sup> فاستترى ؛ فإن هذا المسرفَ على نفسه الجبارَ العنيدَ قد ذَكَرَكَ ! قالت : إن يأخذني فهو أشقى بي ! فأما أنا فإِ أَحِبُّ أَنْ يُعَنَّتَ<sup>(٥)</sup> إِنْسَانٌ بِسَبِي !

فوجَّه إليها عبيدُ الله بن زياد ، فأتى بها ؛ فقطعَ يديها ورجليها ، ورمى بها في السوق ، فمرَّ مرداس ، والناسُ مجتمعون ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البليجاء ! فعرَّجَ عليها ، فنظر ، ثم عضَّ على لحيته ، وقال لنفسه : لَهْدِه أَطِيبُ نَفْسًا مِنْكَ يَا مِرْدَاسُ !

ثم إن عبيد الله تتبَّع الخوارج فحبسهم ، وحبس مرداساً ؛ فرأى صاحب السجن شدةَ اجتهاده ، وحلاوةَ مَنْطِقِهِ ، فقال له : إني أرى لك مذهباً حسناً ،

\* رغبة الآمل ص ١٨٧ ج ٧ ، الكامل ص ١٥٤ ج ٢

(١) من عظماء الأباضية وأحد الخطباء الأبطال ، سجنه عبيد الله في الكوفة ، ونجا من السجن وجمع من قاتل عبيد الله فنشب قتال في يوم الجمعة وتوادم الفريقان إلى ما بعد الصلاة فأحاط بهم جيش عبيد الله وهم في صلاتهم فقتلهم عن آخرهم ، وجملوا رأس مرداس إلى ابن زياد سنة ٦١ هـ (٢) هو عبيد الله بن زياد أمير البصرة ولاء معاوية عليها سنة ٥٥ هـ ، وكان شديداً على الخوارج (٣) البليجاء : هي امرأة من بني حرام وكانت من مجتهدات الخوارج (٤) التقية : حفظ النفس بما يستطاع من المكروه (٥) عنته : ألزمه ما يصعب عليه أدائه .

وإني لأحبُّ أن أُولِيكَ معروفاً! أفرأيت إن تركتكَ تنصرفُ ليلاً إلى بيتك  
أَتَدَلِّجُ<sup>(١)</sup> إلىّ؟ قال: نعم! فكان يفعل ذلك به! ولجَّ عبيدُ الله في حبس  
الخوارج وقتلهم؛ فكُلَّم في بعض الخوارج، فَلَجَّ وأبى، وقال: أقمعُ النفاقَ  
قبل أن يَنْجُمَ<sup>(٢)</sup>؛ لسكلامُ هؤلاء أسرعُ إلى القلوب من النار إلى اليراع<sup>(٣)</sup>!

فلما كان ذات يوم قتل رجلٌ من الخوارج رجلاً من الشرط، فقال ابن زياد:  
ما أدري ما أصنعُ بهؤلاء! كلما أمرتُ رجلاً بقتل رجلٍ منهم فتكوا بقاتله؛  
لأقتانَ مَنْ في حبسى منهم.

فأخرج السجّان مرداساً إلى منزله كما كان يفعل، وأتى مرداساً الخبر؛ فلما  
كان السَّحَرُ تَهِيئاً للخروج، فقال له أهله: اتَّقِ الله في نفسك؛ فإنك إن رجعتَ  
قُتِلت! فقال: إني ما كنتُ لأَلْقَى اللهَ غادراً! فرجع إلى السجّان؛ فقال: أما  
علمتَ ما عزم عليه صاحبك؟ فقال: أعلمتَ ورجعتَ! قال: نعم! ولم يكن  
جزأوك مع إحسانك أن تعاقبَ بسببي!

وأصبح عبيد الله يقتلُ الخوارج، ثم دعا بمرداس، فلما حضر وثب السجّان،  
فقتل قدمه، ثم قال: هَبْ لِي هذا، وقصَّ عليه قصَّته، فوهبه له!

(١) ادليج: سار آخر الليل، وأدليج: سار من أول الليل (٢) ينجم: يظهر (٣) اليراع: جمع يراعة: وهي القصة.

٨٤ - أسخى من البحر إذا زخر \*

حبس معاوية عن الحسين<sup>(١)</sup> بن علي صلواته ، حتى ضاقت عليه حاله ، فقيل له : لو وَجَّهْتَ إلى ابن عمك عبيد الله بن العباس ؛ فإنه قدم بنحو من ألف ألف درهم !

فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ؟ فوالله لَهو أجود من الريح إذا عَصَفَتْ ، وأسخى من البحر إذا زَخَرَ ؛ ثم وَجَّهَ إليه مع رسوله بكتاب ؛ ذكر فيه حبس معاوية صلواته عنه وضييق حاله ، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه - وكان من أرق الناس قلباً ، وألينهم عطفاً<sup>(٢)</sup> ، انهملت عيناه ، ثم قال : ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الإثم ! حين أصبحت لئب المهاد ، رفيع العماد ؛ والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال !!

ثم قال لقهراً مانه : احمل إلى الحسين نصف ما أملاكه من فضة وذهب وثوب ودابة ! وأخبره أني شاطرته مالي ؛ فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر<sup>(٣)</sup> الآخر . فقال له القيمم : فهذه المؤمن التي عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دلتك على أمر تقيم به حالك .

فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين ، قال : إنا لله ! حملت والله على ابن

\* خزانة الأدب ص ٢٥٧ ج ٣ ، الطبعة الأميرية .

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولد بالمدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، وقتل بكر بلاء سنة ٦١ هـ (٢) أصل العطف : الجانب (٣) الشطر : النصف .



عمى ، وما حسبه يتسع لنا بهذا كله ، فأخذ الشطر من ماله ؛ وهو أول من فعل ذلك في الإسلام !

٨٥ - يجود على مقدار نفسه \*

خرج عبيد الله<sup>(١)</sup> بن العباس مرة من المدينة يريد معاوية في الشام ، فأصابته سماء ، فنظر إلى نؤيرة<sup>(٢)</sup> عن يمينه ، فقال لعلامة : مل بنا إليها . فلما أتياها إذا شيخ ذو هيئة رثة ، فقال له : أنخ ، انزل ، حيت ! ودخل إلى منزله ؛ فقال لامرأته : هيبي شاتك أفضي بها ذمام<sup>(٣)</sup> هذا الرجل ؛ فقد توست فيه الخير ؛ فإن يكن من مضر فهو من بنى عبد المطلب ، وإن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المرار<sup>(٤)</sup> . فقالت له : قد عرفت حال صبيتي ، وأن معيشتهم منها ، وأخاف الموت عليهم إن فقدوها ، فقال : موثهم أحب إلى من اللؤم<sup>(٥)</sup> ؛ ثم قبض على الشاة ، فأخذ الشفرة وأنشد :

قريبتي<sup>(٦)</sup> لا توفضي بنيه  
إن يوقظوا ينسحبوا عليه  
وينزعوا الشفرة من يديه  
أبغض هذا أن يرى لديه

ثم ذبحها وكشط جلدها ، وقطعها أرباعا ، وقذفها في القدر حتى إذا استوت نرد<sup>(٧)</sup> في جفنة ، فعشاهم ثم غداهم .

\* خزانة الأدب ص ٥٠٣ ج ٣ طبعة بولاق .

(١) عبيد الله بن العباس : كان مشهورا بالجوذ ، معدودا من الأجواد ، وهو أول من فطر جيرانه في رمضان ، وأول من وضع موائده في الطرق توفي سنة ٨٧ هـ (٢) تصغير نار (٣) الذمام : الحزمة (٤) آكل المرار : جد امرئ القيس ، وبنو آكل المرار : هم ملوك اليمن (٥) اللؤم : البخل (٦) القريية : ذات القرابة (٧) يقال نرد الحيز : أبقه .

وأراد عبيدُ الله الرحيلَ ؛ فقال لغلّامه : ارمِ للشيخِ مامعك من نفقةٍ ، فقال : ذَبَحَ لك الشاةَ فكافئتهُ بثمانِ عشرة أمثالها ، وهو لا يعرفُك ! فقال : ويحك ! إن هذا لم يكن يملكُ من الدنيا غيرَ هذه الشاةِ ، فجادَ لنا بها ، وإن كان لا يعرفنا فأنا أعرفُ نفسي ؛ ارمِ بها إليه ، فرماها إليه فكانتُ خمسمائةَ دينارٍ !

ثم ارتحلَ عبيدُ الله ، فأتى معاويةَ ، فقضى حاجتَه ، ثم أقبلَ راجعاً إلى المدينةِ ، حتى إذا قربَ من ذلك الشيخِ قال لغلّامه : ملِّ بنا نظره في أيِّ حالةٍ هو ؛ فانتهياً إليه ، فإذا برجلٍ سرىّ عنده دُخانُ عالٍ ، ورمادٌ كثيرٌ ، وإبلٌ وغنمٌ ؛ ففرحَ بذلك ، وقال له الشيخُ : انزل بالرحبِ والسعة ! فقال له عبيدُ الله : أتعرفني ؟ فقال : لا ، والله ، فمن أنت ؟ فقال : أنا نزيكُ ليلةَ كذا وكذا ، فقام إليه ، فقبلَ رأسه ويديه ورجليه ، وقال : قد قلتُ أبياتاً ، أسمعها مني ؟ فقال هات ، فأنشد :

توسمتهُ<sup>(١)</sup> لما رأيتُ مهابةً عليه وقلتُ : المرءُ من آلِ هاشمٍ  
وإلا فمن آلِ المرارِ فإنهم ملوكُ عظامٍ من كرامِ أعظمِ  
فقلتُ إلى عنزٍ بقيمةِ أعنزٍ لأذبحها فعلَ امرىءٍ غيرِ نادِمِ  
فعوّضني عنها غنای ولم تكنِ تُساوي<sup>(٢)</sup> عنزى غيرَ خمسِ دراهمِ  
فقات لأهلِي في الخلاءِ<sup>(٣)</sup> وصبيتي : أحقاً أرى أم تلكِ أحلامِ نائمِ !

فضحك عبيدُ الله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذتَ منا ، يا غلامِ أعطِهِ مثلاً ؛ وبلغتُ فعلته معاويةَ فقال : لله دَرُّ عبيدِ الله ، من أي بيضة خرج ! وفي أي عُشٍّ دَرَج !

(١) توسمته : تفرسته (٢) تساوى : بوضع الضمة على الياء للضرورة (٣) الخلاء : الفضاء .

٨٦ — من حيل الكرماء \*

أهدى معاويةً إلى عبيد الله بن العباس حُللاً كثيرة، ومِسْكَاً وأَنيَّةً من ذهبٍ  
وفِضَّةً ، ووجهها إليه مع حاجبه ؛ فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجبِ - وهو  
يُطِيلُ النَّظَرَ فيها - فقال : هل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم ، والله إنَّ في نفسي  
منها ما كان في نفسِ يعقوبَ من يوسف !

فضحك عبيد الله وقال : فشأنكَ بها ؛ فهي لك ! قال : جُعِلْتُ فداءك ! أنا  
أخاف أن يبلغَ ذلك معاويةَ ؛ فيغضبَ لذلك . قال : فاختمها بخاتمك ، وادفعها  
إلى الخازن ، وهو يحملها إليك ليلاً . فقال الحاجب : والله إنَّ هذه الحيلةَ في الكرماءِ  
أكثرُ من الكرم ؛ ولو ددتُ أني لا أموت حتى أراك مكانه - يعني معاوية .

فظنَّ عبيدُ الله أنها مكيدةٌ منه ؛ فقال : دَعُ هذا الكلام ؛ إنا من قوم نَفِيٍّ  
بما عقَدْنَا ، ولا ننقضُ ما أكدْنَا !

٨٦ — يَدُّ عِنْدَ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ \*

أتى رجلٌ عميداً<sup>(١)</sup> الله بن العباس - وهو بفناء داره - فقال : يا بن عباس ؛  
إن لي عندك يدًا وقد احتجتُ إليها ؛ فصعدَ فيه بصره وصوبَه ، فلم يعرفه . ثم قال  
له : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفاً بزُمزم وغلامك يمتحُ<sup>(٢)</sup> لك من مائها ،  
والشمسُ قد صهرتكَ ، فظللَّتكَ بطرفِ كِسأى حتى شربت !  
قال : إني لأذكرُ ذلك ، وإنه يتردُّ في خاطري وفكري ! ثم قال لقيمه :  
ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ آلاف درهم . قال : ادفعها إليه ، وما أراها تفي  
بحقِّ يدهِ عندنا !

قال له الرجل : والله لولم يكن لإسماعيلَ ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ،  
فكيف وقد ولدَ سيدَ الأولين والآخريين محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم شفعَ بك  
وبأبيك !

\* خزانة الأدب ص ٢٥٦ ج ٣ الطبعة الأميرية .

(١) في عميد الله يقول شاعر المدينة :

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضاً وحلوا ولحماً تامكاً وممزعاً

وأنت ربيع لليتامى وعصمة إذا الحُل من جو السماء تطلعا

أبوك أبو الفضل الذي كان رحمةً وغيثاً ونورا للخلائق أجمعاً

(٢) متح الماء : نزعهُ .

٨٨ - لو بدأتِ بي ! \*

خرج الحسنُ والحسينُ وعبدُ الله بن جعفر حجاجاً؛ ففاتتهم أنقأهم<sup>(١)</sup>؛  
فبجاءوا وعطشوا؛ فرّوا بعجوز في خباء لها؛ فقال أحدُهم: هل من شراب؟  
قالت: نعم. فأناخوا إليها، وليس لها إلا شؤبية<sup>(٢)</sup>. فقالت: احلبوها فاشربوا  
لبنها، ففعلوا.

فقالوا: هل من طعام؟ قالت: لا؛ إلا هذه الشاة؛ فليذبحها أحدُكم حتى  
أهبي لكم مائتا كلون!

فقام إليها أحدُهم فذبحها وكشطها<sup>(٣)</sup>، ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا، وأقاموا  
حتى أبردوا<sup>(٤)</sup>.

فلما ارتحلوا قالوا: نحن نفرٌ من قريش نريدُ هذا الوجه؛ فإذا رجعنا سالمين؛  
فألّمى بنا، فإننا صانعون إليك خيراً! وارتحلوا.

وأقبل زوجها؛ فأخبرتهُ بخبر القوم والشاة؛ فغضب وقال: ويحك! تذبحين  
شاتي لقوم لا أعرّفهم، ثم تقولين: نفر من قريش!

ثم بعد مدة ألبأتها الحاجةُ إلى دخول المدينة فدخلها، وجعلا يلتقطان  
البعر ويعيشان بئمنه. فمرت العجوزُ ببعض سبكك المدينة، فإذا الحسن بن علي

\* ثمرات الأوراق للحموي ص ٢٤

(١) جمع ثقل: وهو المتاع (٢) شاة صغيرة (٣) يريد: سلخها (٤) أبردوا: دخلوا  
في آخر النهار.

واقفٌ بباب داره ، فعرفَ العجوزُ ؛ فبعثَ إليها غلامه ، فدعا بها ؛ فقال لها :  
يا أمةَ الله ؛ أتعرفيني ؟ قالت : لا ! قال : أنا ضيفُكِ بالأمس يومَ كذا وكذا !  
قالت : بأبي أنت وأمي !

ثم اشترى لها من شياه الصدقة ألفَ شاة ، وأمر لها بألف دينار ، وبعثَ بها  
مع غلامه إلى الحسين ؛ فأمر لها بمثل ذلك ؛ وبعثَ بها مع غلامه إلى عبدِ الله بن  
جعفر ؛ فقال لها : بكم وصلَكِ الحسنُ والحسينُ ؟ قالت : بألفي دينار ، وألفي  
شاة . فقال لها : لو بدأتِ بي لأتعبتُهما في العطاء ! أعطوها عَطِيَّتَهُمَا .  
فرجعت العجوزُ إلى زوجها بأربعة آلاف درهم ، وأربعة آلاف شاة !

٨٩ — اختبار الأجواد\*

تمارى ثلاثة في أجواد الإسلام ؛ فقال رجل : أسخى الناس فى عصرنا هذا  
عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب ؛ وقال آخر : أسخى الناس عرابة<sup>(١)</sup> الأوسى ؛  
وقال ثالث : بل قيس بن سعد بن عبادة . وأكثرُوا الجِدال فى ذلك ، وعَلا  
ضحيجهم وهمُ بِفناء الكعبة .

فقال لهم رجل : قد أكثرْتُمُ الجِدال فى ذلك ؛ فما عليكم أن يمضى كلُّ  
واحد منكم إلى صاحبه يسأله ؛ حتى ننظرَ ما يعطيه ، ونحكم على العيان ؟  
فقام صاحبُ عبدِ الله إليه ؛ فصادفه قد وضعَ رجلَه فى غرَزِ<sup>(٢)</sup> ناقته يريد  
ضيعةً له ؛ فقال : يا بنَ عمِّ رسولِ الله ! قال : قل ما تشاء . قال : أنا ابنُ سبيلٍ  
ومنتطحٍ به ، فأخرجَ رجلَه من غرَزِ الناقة ، وقال له : ضعَ رجلك ، وأستو على  
الراحلة ، وخذْ ما فى الحقيبة ، واحتفظ بالسيف ؛ فإنه من سيوفِ على بن أبى طالب  
رضى الله عنه !

فجاء بالناقة ، والحقيبة فيها مطارفُ خزٍّ ، وأربعةُ آلاف دينار ، وأعظمها  
وأجلها السيف !

ومضى صاحبُ قيس بن سعد بن عبادة ، فصادفه نائمًا ؛ فقالت الجارية :

\* غرر الحقائق ص ١٥٥ ، ثمرات الأوراق للحموى ص ١٠٢ ج ١

(١) عرابة الأوسى : من سادات المدينة الأجواد المشهورين أدرك حياة النبي صلى الله عليه  
وسلم ، وأسلم صغيراً ، وتوفى بالمدينة سنة ٦٠ هـ (٢) الغرز : ركاب الرجل .

هو نائم؛ فما حاجتكَ إليه؟ قال: ابنُ سبيلٍ ومنقطع به؛ قالت: حاجتكَ أهونُ من يقاطه! هذا كيسٌ فيه سبعمائة دينار، واللهُ يعلمُ أن ما في دار قيسٍ غيره؛ خذه، وامنضِ إلى معاطِنِ<sup>(١)</sup> الإبلِ، إلى أموالِ<sup>(٢)</sup> لنا بعلامتنا؛ فخذُ راحلةً من راحله، وما يصلحها وعبداً، وامنضِ لشأنك!

ولما انتبه قيسٌ من رقدته أخبرته بما صنعت، فأعْتَقَهَا.

ومضى صاحبُ عرابة الأوسى إليه؛ فألفاه قد خرج من منزله يريدُ الصلاة وهو يمشي على عبيدٍ، وقد كَفَّ بصره؛ فقال: يا عرابة؛ ابنُ سبيلٍ ومنقطع به! فخلَّى العبدَيْنِ، وصَفَّقَ بيميناهُ على يسراه، وقال: أوَاه! أوَاه! ما تركتِ الحقوقُ لعرابةٍ مالا، ولكن خُذْهُمَا - يعني العبيدَ - قال: ما كنتُ بالذي أقصُ جناحيك! قال: إن لم تأخذْهُمَا فهما حران؛ فإن شئتَ تأخذ، وإن شئتَ تعق! وأقبلَ يلتمسُ الحائطُ، راجعاً إلى منزله.

فأخذهُمَا صاحبه، وجاء بهما إلى رفاقه؛ فقالوا: إن هؤلاء الثلاثة أجودُ عصرهم؛ إلا أن عرابة<sup>(٣)</sup> أكثرهم جوداً لأنه أعطى جهده!

(١) المعاطن جمع معطن، وهو مبرك الإبل (٢) أموال: تريد الإبل، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم (٣) وفي عرابة الأوسى يقول الشماخ المري:

رأيت عرابة الأوسى يسمو  
إلى الخيرات منقطع الثفرين  
إذا ما راية رفعت لمجد  
تلقاها عرابة باليمين



٩٠ — إن هذا لأَسْحَى مِنِّي \*

خرج عبدُ الله <sup>(١)</sup> بنُ جعفرٍ إلى ضَيْعَةٍ له ؛ فنزل على نخيلِ قومٍ ؛ فيها غلامٌ أسودٌ يقومُ عليها ؛ فأُتِيَ بثلاثةِ أقراصٍ ؛ فدخل كلبٌ فدنا منه ، فرمى إليه بقرصٍ فأكله ، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما ، وعبدُ الله ينظر إليه ؛ فقال : يا غلام ؛ كَمْ قوُتُك كلَّ يومٍ ؟ قال : مارأيتَ ! قال : فإِلمِ آثَرَ الكلبِ ؟ قال : لأنَّ أرضنا ليست بأرضِ كلابٍ . وإخاله قد جاء من مسافةٍ بعيدةٍ جائعاً ؛ فكُرهتُ رَدَّهُ !

قال : فما كنتَ صانعاً اليوم ؟ قال : أَطَوِي <sup>(٢)</sup> يومى هذا ! فقال عبدُ اللهُ ابنُ جعفرٍ : واللهِ إنَّ هذا لأَسْحَى مِنِّي ! فاشتَرى النخلَ والعبدَ ؛ وأعتقه ووهبَ ذلكَ له !

\* المستطرف ص ٣٦ ج ٢

(١) انظر صفحة ١٨ (٢) أطوى : لا آكل شيئاً .

٩١ — إنا نُنزِلُ الضيفَ ولا نرحله \*

خرج داودُ بن سلمٍ إلى حربِ بن خالد ، فلما قدِمَ عليه قام غلمانُه إلى مَتاعه ، فأدخَلوه وحَطُّوا عن راحلته ، فلما دخل أنشده :

ولما دُفِعْتُ لأبوابهم ولا قيتُ حرباً لقيتُ النَّجَاحَا  
وجَدَناهُ يحمدهُ الْمُعْتَفُونَ (١) وَيَأْبَى عَلَيَّ الْعُسْرَ إِلَّا سَمَاحَا  
وَيُعْشَوْنَ حَتَّى تَرَى كَلْبَهُمْ يَهَابُ الْهَرِيرَ (٢) وَيَنْسَى النُّبَاحَا  
فأمرَ له بجوائزٍ كثيرة ، ثم استأذنه في الانصراف ؛ فأذن له ، وأعطاه  
ألفَ دينار .

فلما خرج من عنده ، وغلمانُه جلوس ، لم يَقْمُ إليه أحدٌ منهم ، ولم يُعِنه ؛  
فظنَّ أن حرباً ساخطٌ عليه ؛ فرجع إليه ، وقال : أواجِدُ (٣) أنتَ عليّ ؟ قال :  
لا ، ولمَ ذلك ؟ فأخبره خبرَ العِلْمَانِ ، قال : ارجع إليهم فسألهم .  
فرجع إليهم فسألهم ، فقالوا : إنا نُنزِلُ الضيفَ ولا نرحله !  
فلما قدِمَ المدينة سمع الغاضِرِيَّ بحديثه ؛ فأتاه ، فقال : إني أحبُّ أن أسمعَ هذا  
الحديثَ منك ؛ فحدثته ، فقال : والله إنَّ فِعْلَ العِلْمَانِ أحسنُ من شِعْرِكَ !

\* الأملِي ص ٢٤٦ ج ١

(١) المعتق : كل طالب فضل أو رزق (٢) الهرير : صوت الكلب دون النباح (٣) أواجد :  
أغاضب .

٩٢ — الأخطل محبوس في كنيسة\*

قال إسحق بن عبد الله: قدمت الشام وأنا شابٌ مع أبي، فكنتُ  
أطوفُ في كنائسها ومساجدها؛ فدخلتُ كنيسةَ دمشق، وإذا الأخطلُ<sup>(١)</sup>  
فيها محبوسٌ، فجعلتُ أنظرُ إليه. فسأل عني فأخبرَ بنسبي، فقال: يافتى؛ إنك  
لرجلٌ شريفٌ، وإني أسألك حاجةً. فقلت: حاجتكُ متقضية. قال: إن القس  
حبسني هاهنا فتكلمهُ ليخلى عني.

فأنتيتُ القس فانتسبتُ له، فرحّب وعظّم؛ قلت: إن لي إليك حاجةً.  
قال: وما حاجتكُ؟ قلت: الأخطلُ تخلى عنه. قال: أعيدك بالله من هذا! مثلك  
لا يتكلم فيه، فاسقٌ يشتم أعراضَ الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلبُ إليه حتى  
مضى معي متكئاً على عصاه؛ فوقف عليه ورفع عصاه، وقال: ياعدوا الله! أعودُ  
تشمّ الناس وتهجوهم وتقذفُ المُحصنات! وهو يقول: لست بعائد ولا أفعل،  
ويستخذي له!

فقلت له: يا أبا مالك، الناسُ يهابونك، والخليفةُ يُكرّمك، وقدرك في  
الناسِ قدرك، وأنت تخضعُ لهذا وتستخذي له! فجعل يقول لي: إنه الدين!  
إنه الدين!

\* الأغاني ص ٢٠٩ ج ٨

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التغلبي النصراني شاعر الأمويين. نشأ في قومه تغلب  
بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة، وقيس خاصة، ولما كان متصلاً بالخلفاء وبحروب قومه  
مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك وكذلك الجرح لمعاقرته إياها، وكان أخطر الشعراء  
لدى الأمويين، اتخذوه شاعرهم. ومات في سنة ٨٥ هـ.

٩٣ — عمارة الفقيه وعبد الملك بن مروان \*

قال عمارة الفقيه :

كنتُ أُجالسُ عبدَ الملك<sup>(١)</sup> بن مروان كثيراً في ظلِّ الكعبةِ ، فبينما أنا معه إذ قال لي : يا عمارة إن تعشُ قليلاً فسترى الأعناقِ إلى مائةٍ والآمالِ نحوى ساميةً ؛ وإذا كان ذلك فلا عليكَ أن تجعلاني لرجائكَ باباً ولأملاكِ ذريعةً ؛ فوالله إن فعلتَ لأملأنَّ يديكَ غبطةً ، ولأكسوتكَ نعمةً سابعةً .

ثم إن عبدَ الملكَ سار إلى دمشق ، وصارت إليه الخلافة ؛ فخرجتُ إليه زائراً ، واستأذنتُ فأذن لي ، ودخاتُ فسلمتُ عليه ؛ فلما انقضى سلامي ، قال : مرحباً بأخي ؛ ونادى أحدَ غلمانه ؛ فقال : بؤنه داراً وأحسنَ مهاده ونزّهه ، وآثره على خاصتي .

ففعل ، وأقتُ عنده عشرين ليلةً أحضرَ غداًه وعشاءه ؛ فلما أردتُ الانصرافَ والأوبةَ إلى أهلي ، أمر لي بعشرين ألفَ دينار ومائتي ألفَ درهم ، ومائة ناقةٍ برقيقها وكسوتها ، وقال لي : أتراني يا عمارة ملأتُ يديك غبطةً ؟ فقلت : يا سبحان الله ، يا أمير المؤمنين ! وإنك لَدَا كِرٍ لذلك ؟ قال : نعم ! والله لا خيرَ فيمن ينسى ما وعدَ به ويذكر ما أوعد<sup>(٢)</sup> . كم لهذا الأمرِ يا عمارة ؟

\* غرر الخصائص ص ١٥٨

(١) من أعظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٦٥ هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٨٦ هـ (٢) الوعد في الخير والإيعاد في التمر .

قلت : والله لكانت بالأمس ، وله دهرٌ يا أمير المؤمنين ! قال : فوالله ما كان ذلك  
عن خبرٍ سمعناه ، ولا حديثٍ كتبناه ، ولا أثرٍ رَوَيْنَاهُ ؛ غير أنى عقلت في الحداثة  
أشياء رجوت أن يرفع الله بها درجتي ، وينشر بها ذكري .

قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت لأشاري<sup>(١)</sup> ، ولا أماري ،  
ولا أهتك ستراً ستره الله دُونِي ، ولا أرتكب محرماً حَظَرَهُ اللهُ عَلَيَّ ، ولا  
حسدتُ ، ولا بغيتُ ، وكنتُ من قَوْمِي واسطة القِلادة ، وكنتُ أكرمُ جليسي  
وإن كان ذميماً ، وأرفعُ قدرِ الأديب ، وأكرمُ ذا الثقة ، وأداري السفية ،  
وأرحمُ الضعيف ، فبذلك رفع اللهُ قدرِي ! يا عمارة خذْ أهبةَ السفر ، وامضِ  
رَاشِداً !

(١) الإشارة : الملاحه ، أو لا يشارر من الشر فقلت إحدى الرأين ياء ، والمارة : المخاصمة  
في الشيء ليس له فيه منفعة . أو لا يمارى : أى لا يدفع ذا الحق عن حقه .

٩٤ — بين الحجاج الثقفي ويزيد بن المهلب\*

أخذ الحجاج<sup>(١)</sup> يزيد بن المهلب ، وعدَّبه وقصده ، واستأصل موجوده وسجنه ، فتوصل يزيد بحسن تلطفه ، ودخل فيما جعله الله نجاتاً من تلغيه ، وأرغب السجن ، واستأله إليه ، وهرب هو والسجان ؛ وقصد الشام إلى سليمان ابن عبد الملك بن مروان - وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك . فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إليه ، وأقامه عنده ؛ فكتب الحجاج إلى الوليد يُعلمه أن يزيد هرب من السجن ، وهو عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ؛ وأمير المؤمنين أشمل رأياً .

فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك ، فكتب سليمان إلى أخيه : يا أمير المؤمنين ؛ إنى إنما أجزت يزيد بن المهلب لأنه هو وأبوه وإخوته من صناعتنا قديماً وحديثاً ، ولم أجز عدواً لأمر المؤمنين ؛ وقد كان الحجاج قصده وعدَّبه ، وأغرمه<sup>(٢)</sup> أربعة آلاف ألف درهم ظالماً ، ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم ، وقد سار هذا الرجل إلى مستجيراً فأجزته ، وأنا أغرم عنه ثلاثة آلاف ألف الدرهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين الأيخزبى فى ضيقتى فعل ، فإنه أهل الفضل والكرم !

\* العقد الفريد للملك السعيد ص ١٠٢ ، تاريخ الطبرى ص ٧٣ ج ٨ ، ثمرات الأوراق ص ٢٠٨ ، وفيات الأعيان ص ٢٧٠ ج ٢

(١) الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل الثقفى ولد سنة ٤١ هـ ونشأ بالطائف . واتصل بعبد الملك بن مروان ولم يزل يرقى إلى أن ولى العراق والمشرق ، وطار ذكره ، وعظم سلطانه . ووهلك بواسط سنة ٩٥ هـ (٢) أغرمه : غرمه .

فكتب إليه الوليدُ : « لا والله ، لا أومنه حتى تبعثَ به إليَّ في وثاق <sup>(١)</sup> » .  
فكتب إليه سليمان : ولئن أنا بعثتُ به إليك لأجيبنَّ معه ؛ فأشددك الله  
ألا تقضخني ولا تخفرنِي . فكتب إليه الوليد : والله إن جئتني لأومنه .

فقال يزيدُ : ابعتني إليه ؛ فوالله ما أحبُّ أن أوقع بينك وبينه عداوة وحراباً ،  
ابعث إليه بي ، وأرسل معي ابنك ، واكتب إليه بالطف ما قدرتَ عليه .

فأحضر سليمانُ ولده أيوب ، فقيدَه ، ودعا يزيد فقيدَه ، ثم شدَّ قيدَ هذا إلى  
قيدِ هذا بسلسلة ، وعلمَهما بَعْلَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، وحملهما إلى الوليد ، وكتب إليه : أما بعد  
يا أمير المؤمنين ، فإنني قد وجهتُ إليك يزيدَ وابنَ أخيك أيوبَ بنَ سليمان ، ولقد  
هممتُ أن أكون ثالثَهما ، فإن هممتَ يا أمير المؤمنين بقتلِ يزيد ، فبالله عليك  
ابدأُ بأيوبَ من قبله ، ثم اجعل يزيدَ ثانياً ، واجعلني إذا شئتُ ثالثاً ، والسلام .  
فلما دخلَ يزيدُ بنُ المهلبِ وأيوبُ بنَ سليمان عليه في سلسلة واحدة أطرقَ  
استحياءً ، وقال : لقد أسأنا إلى سليمان إذ بلغنا به هذا المبلغ . . .

فأراد يزيدُ أن يتكلمَ ويحتجَّ عن نفسه ، فقال له الوليد : ما نحتاج إلى كلام  
تقد قبلنا عذرك ، وعلمنا ظلمَ الحجاج ؛ ثم أحضر حدَّاداً ، وأزالَ عنهما الحديد ،  
وأحسنَ إليهما ، ووصلَ أيوبَ ابنَ أخيه بثلاثين ألفَ درهم ، ووصلَ يزيدَ  
ابنَ المهلبِ بعشرين ألفَ درهم ؛ وردَّهما إلى سليمان ، وكتبَ كتاباً إلى الحجاج  
يقول له : لا سبيلَ لك على يزيد بنِ المهلبِ ، فإياك أن تعاودني فيه بعد اليوم .

فصار يزيدُ إلى سليمان بنِ عبد الملك بن مروان في أعلى المراتب ، وأفضل  
المنازل .

(١) الوثاق : ما يشد به (٢) الغل : جامعة توضع في العنق أو في اليد .

٩٥ — زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب \*

استعمل الحجاج خالد بن عتاب على الرسى ، وكانت أمه أم ولد ؛ فكتب إليه الحجاج يسب أمه ، ويقول : أنت الذى هربت عن أبيك حتى قُتِل - وقد كان حلف ألا يسب أحد أمه إلا أجابه كائناً من كان .

فكتب إليه خالد : كتبت إلى تشتم أمي ، وتزعم أني فررت عن أبي حتى قُتِل . ولعمري لقد فررتُ عنه ، ولكن بعد أن قُتِل ، وحين لم أجد لي مُقاتلاً . ولكن أخبرني عنك يا ليثيم حين فررت أنت وأبوك يوم الحرّة (١) على جمل ثقال (٢) ، أي كما كان أمام صاحبه ؟

فقرأ الحجاج الكتاب وقال : صدق !

أنا الذى فررتُ يوم الحرّة ثم نثيتُ كرتة بفرّه  
والشيخ لا يفرش إلا مرّه

ثم طلبه ففرّ إلى الشام ، وسكّن بيت المال ، ولم يأخذ منه شيئاً .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه . وقدم خالد الشام فسأل عن خاصّة عبد الملك فقيل له : رَوْح بن زنباع . فأتاه حين طلعت الشمس ، فقال : إني جئتُك مستجيراً . فقال : إني قد أجرْتُك إلا أن تكونَ خالداً . قال : فإني

\* الأغانى ص ٤٠ ج ١٦

(١) كانت وقعة الحرّة أيام يزيد . وهى موضع بظاهر المدينة وقعت فى ذى الحجة من سنة ٥٦٣

(٢) الثقال : البطيء من الإبل .



خالدٌ . فتغيَّر ، وقال : أنشدك الله إلا خرجتَ عني ، فإني لا آمنُ عبدَ الملك .  
فقال : أنظرني<sup>(١)</sup> حتى تغربَ الشمس . فجعلَ رَوح يُراعيها حتى خرج خالد !  
فأتى زفر بن الحارثِ الكلابي ، فقال : إني جئتُك مستجيراً . قال : قد  
أجرتك . قال : أنا خالد بن عتَّاب . قال : وإن كنتَ خالداً .

فلما أصبح دعا ابنين له ؛ فتهدى بينهما - وقد أسنَّ - فدخل على عبد الملك  
وقد أذن للناس ؛ فلما رآه دعا له بكرُسى ، فجعلَ عند فراشه . فجلس ، ثم قال :  
يا أمير المؤمنين ؛ إني قد أجرتُ عليك رجلاً فأجره . قال : قد أجرته إلا أن يكون  
خالداً . قال : فهو خالد . قال : لا ولا كرامة !

فقال زفر لابنيه : أنهضاني . فلما ولى قال : يا عبد الملك ؛ أما والله لو كنتَ  
تعلم أن يدي تطيق حملَ القناة لأجرت من أجرتُ ! فضحك ، وقال : قد أجرناه .  
وأرسل إلى خالد بألفي درهم .

(١) أمهاني .

٩٦ — اَحْتَكِمُوا وَ أَكْثِرُوا ! \*

استعمل الوليد<sup>(١)</sup> بن عبد الملك عثمان بن حيان المري على المدينة ، وأمره بالغلظة على أهل الظنة<sup>(٢)</sup> ، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك أخذه بألف ألف درهم ، فاجتمعت القيسية في ذلك ، فتحملوا شطرها<sup>(٣)</sup> ، وضاقوا ذرعاً بالشطر الثاني ، ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على العراق ، فقال عمر بن هبيرة : عليكم يزيد بن المهلب ، فالها أحد غيره .

فتحمل إلى يزيد عمر بن هبيرة ، والقعقاع بن حبيب ، والهذيل بن زفر بن الحارث ، وسار معهم عثمان ؛ فاستأذن لهم يحيى حاجبه ؛ فخرج يزيد إلى الرواق<sup>(٤)</sup> فقرب ورحب ، ثم دعا بالغداء ، فاتوا بطعام ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا . فلما تغدوا تكلم عثمان بن حيان - وكان لساناً موههاً - فقال : زادك الله في توفيقك ، أيها الأمير ، إن الوليد وجهني إلى المدينة عاملاً عليها ، وأمرني بالغلظة على أهل الظنة ، وإن سليمان أغرمني<sup>(٥)</sup> غرماً - والله - ما يسعه مالي ، ولا تحمله طاقتي ؛ فأتيتك لتحمل من هذا المال ماخف عليك ، وما بقي - والله - ثقيلٌ عليّ .

ثم تكلم كلٌّ منهم بما حضره ؛ فقال يزيد بن المهلب : مرحباً بكم

\* العقد الفريد ص ١٥٤ ج ١

(١) الوليد بن عبد الملك : من ملوك الدولة الأموية ولي الخلافة سنة ٨٦ هـ ، وكانت وفاته بدير مران سنة ٩٦ هـ (٢) التهمة (٣) الشطر : النصف (٤) الرواق : سقف في مقدم البيت أو الفسطاط (٥) أغرمني : غرمني .

وأهلاً؛ إن خير المال ما قضى فيه الحقوق، ومُحِتَ به المغارم، وإِنَّمَا لِي مِنَ الْمَالِ مَا فَضَّلَ عَنِ إِخْوَانِي، وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا أَمَلًا بِمَاجَتِكُمْ مِنِّي لَهَدَيْتِكُمْ إِلَيْهِ! فَاحْتَكِمُوا وَأَكْثِرُوا!

فَقَالَ عُمَانُ بْنُ حِيَانَ: النِّصْفُ - أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! قَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةٌ! اغْدُوا عَلَى مَالِكُمْ فَخُذُوهُ؛ فَشَكَرُوا لَهُ، وَقَامُوا فخرَجُوا.

فَلَمَّا صَارُوا عَلَى بَابِ السَّرَادِقِ، قَالَ عَمْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ: قَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَكُمْ، وَاللَّهِ مَا يَبَالِي يَزِيدٌ؛ أَنْصَفَهَا تَحْمَلُ أُمَّ كَلْبًا؛ فَمَنْ لَكُمْ بِالنِّصْفِ الْبَاقِي؟  
قَالَ الْقَوْمُ: هَذَا وَاللَّهِ الرَّأْيُ! وَسَمِعَ يَزِيدٌ مُنَاجَاتَهُمْ، فَقَالَ لِحَاجِبِهِ: انظُرْ يَا بَحِيحِي، إِنْ كَانَ بَقِيَ عَلَى الْقَوْمِ شَيْءٌ فَلْيَرْجِعُوا!

فَرَجَعُوا إِلَيْهِ. وَقَالُوا: أَقْلِنَا! قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ! قَالُوا: فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْمِلَهَا كَلْبًا؛ فَأَنْتَ أَهْلُهَا، وَإِنْ أُبَيْتَ فَمَا لَهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ! قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.

وَعَدَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَتَانِي عُمَانُ بْنُ حِيَانَ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: أَمْسَكَ فِي الْمَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ سُلَيْمَانُ: وَاللَّهِ لَا أَخُذَنَّهُ مِنْهُمْ! قَالَ يَزِيدٌ: إِنِّي قَدْ حَمَلْتُهُ! قَالَ: فَادَّهُ! قَالَ يَزِيدٌ: وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُهُ إِلَّا لَأُؤَدِّيَهُ! ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنْ هَذِهِ الْحَمَالَةُ<sup>(١)</sup> وَإِنْ عَظُمَ خَطْبُهَا، فَحَمَدُهَا وَاللَّهِ أَعْظَمُ مِنْهَا، ثُمَّ غَدَا يَزِيدُ بِالْمَالِ عَلَى الْحَزَّانِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ.

فَدَخَلُوا عَلَى سُلَيْمَانَ فَأَخْبَرُوهُ بِقَبْضِ الْمَالِ؛ فَقَالَ: وَفَتَّ يَمِينُ سُلَيْمَانَ؛ احْمِلُوا إِلَى أَبِي خَالِدٍ مَالَهُ!

(١) الحمالة: الغرم يحمل عن القوم.

٩٧ — أنت أخو الندى وحليفه \*

قال بعضُ مَشِيخَةٍ قريش :

أذِنَ الوليدُ بنُ عبد الملك يوماً للناس ، فدخلوا عليه ، وأذِنَ للشعراء ؛ فكان  
أولَ من بَدَرَ بين يديه عُوَيْفٌ<sup>(١)</sup> القَوافي الفَزاري فاستأذَنَهُ في الإنشادِ ؛ فقال :  
ما بَقِيَّتْ لي بعد ما قلتَ لأخِي بنِي زهرة ؟ قال : وما قلتُ له مع ما قلتُ  
لأمير المؤمنين ؟ قال : أَسْتَ الذي تقول :

ياطلحُ أنتَ أخو الندى وحليفه      إنَّ الندى من بعد طلحةَ ماتا  
إنَّ الفَعالَ<sup>(٢)</sup> إليك أَطْلَقَ رَحْلَهُ      فبِحيثُ بَتَّ من المنازلِ باتا  
أولستَ الذي تقول :

إذا ما جاء يومُك يا بنَ عوفٍ      فلا مَطَرَتْ على الأرضِ السَّماءُ  
تساقى الناسُ بعدك يا بنَ عوفٍ      ذَرِيعَ<sup>(٣)</sup> الموتِ ليس له شِفَاءُ  
ألم تقمِ علينا الساعةُ يومَ قامتْ عليه ؟ لا واللهِ لا أسمعُ منك شيئاً ، ولا  
أنتعكُ بِنافعةِ أبداً . أخرجه عنى !

\* الأغاني ص ١٠٨ ج ١٧

(١) هو عوف بن معاوية من قيس عيلان ، كان شاعراً مقلاً من شعراء الدولة الأموية ،  
وبيته كان أحد البيوتات المقدمة الفاخرة في العرب (٢) الفَعال : الفعل الحسن ، أو الكرم  
(٣) موت ذريع : سريع .

فلما أُخْرِجَ قال له القرشيون والشاميون : وما الذي أعطاك طلحة<sup>(١)</sup> حين  
استخرج هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيتي ، ولكن  
لا والله ما أعطاني أحدٌ قطُّ أحلِّي في قلمي ، ولا أبقى شكراً ، ولا أجدرَ إلا أنساها  
من عطيتي ! قالوا : وما أعطاك ؟ قال :

قَدِمْتُ المدينةَ ومعِي بُضِيعةٌ<sup>(٢)</sup> لي ، لا تبلغ عشرةَ دنانير ، أريدُ أن أبتاعَ  
قَعُوداً من قَعْدَانِ الصَّدَقَةِ . فإذا برجل في صَحْنِ السُّوقِ على طِنْفِسَةٍ قد طُرِحَتْ له ،  
وإذا الناسُ حوله ، وإذا بين يديه إبلٌ ؛ فظننتُ أنه عاملُ السوقِ ، فسأمتُ  
عليه فَأَثْبَتَنِي<sup>(٣)</sup> وجهلتهُ ؛ فقلتُ : رَحِمَكَ اللهُ هل أنتَ مُعِينِي على قَعُودٍ من  
هذه القَعْدَانِ تَبْتَاعه لي ؟ فقال : نعم ! أومعَكَ مَنَّهُ ؟ فقلت : نعم !

فَأَهْوَى بيده إلى فَأَعْطَيْتُهُ بُضِيعَتِي ؛ فرفع طِنْفِسَتَهُ وألقاها تحتها ، ومكث  
طويلاً ؛ ثم قَتُّ إليه فقلت : رَحِمَكَ اللهُ انظرْ في حاجتي ! فقال : ما منعني منك  
إلا النِّسيانَ ، أومعَكَ حَبْلٌ ؟ قلت : نعم . قال : أفرجوا . فأفرجوا عنه حتى استقبل  
الإبلَ التي بين يديه ، فقال : اقرن هذه وهذه وهذه ، فما برحتُ حتى أمر لي  
بثلاثين بَكْرَةً أَدْنَى بَكْرَةٍ منها خيرٌ من بضاعتي ! ثم رفع طِنْفِسَتَهُ فقال : وشأنك  
ببضاعتك فاستهن بها على من ترجعُ عليه !

(١) هو طلحة بن عبد الله بن عوف من بني زهرة أحد الأجواد المقدمين ، كانت عادته إذا  
أصاب مالا أن يفتح بابه ليغشاه أصحابه والناس فيطعم ويحيز حتى ينفد ماعنده فينشق الباب فلا يقصده  
أحد ، توفي سنة ٩٧ هـ (٢) البضاعة ، القطعة من المال الذي يتجر فيه ، والبضعية تصغيرها  
(٣) أثبتني : عرفني حق المعرفة .

فقلتُ : رحمك الله ! أتدري ما تقول ؟ فما بتيَ عنده إلا من نهرني وشتمني !  
ثم بعث معي نفراً فأطردوها (١) حتى أطلعوها من رأس الثنية ، فوالله لا أنساه  
مادمتُ حياً أبداً .

٩٨ — ما كذبَ مذشدّ عليه إزاره \*

خرج عمر<sup>(٢)</sup> بن عبد العزيز مع سليمان يريد الصائفة ، فالتقى غلمانهُ  
وغلمانُ سليمان على الماء فاقتتلوا ، فضربَ غلمانُ عمر غلمانَ سليمان ؛ فشكوا ذلك  
إلى سليمان ، فأرسل إلى عمر فقال له : ضربَ غلمانك غلmani ، قال : ما علمتُ !  
فقال له سليمانُ : كذبتَ ! قال : ما كذبتُ مذشدتُ على إزاري ، وعلمتُ أن  
الكذبَ يضرُّ أهله ؛ وإن في الأرض عن مجلسك هذا لسةة .

فتجهزَ يريدُ مصر ، فبلغ ذلك سليمان ، فشقَّ عليه ؛ فدخلتُ فيما بينهما عمّةٌ لهما ؛  
فقال لها سليمان : قولي له : يدخل على ولا يعاتبني ؛ فدخل عليه عمر ، فاعتذر إليه  
سليمان ، وقال له : يا أبا حفص ، ما اغتممتُ بأمر ، ولا أكرنبني هم إلا خطرت  
فيه على بالي ، فأقام !

(١) أطردت الإبل : أي أمرت بطردها ، وطرده الإبل : ضمها من نواحيها .

\* سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٣

(٢) عمر بن عبد العزيز : الخليفة الصالح ولد بالمدينة ، ونشأ بها وولى أمارتها الوليد ، وولى  
لخلافة سنة ٩٩ هـ وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة توفى سنة ١٠١ هـ

٩٩ — أعطيكِ مالى إن شئتِ ! \*

لما ولى عمرُ بن عبد العزيز أُمَّةً عمَّةً له إلى فاطمةَ امرأتهِ ، فقالت : إني أريدُ كلامَ أميرِ المؤمنين . قالت لها : اجلسى حتى يفرغ ، فجلست فإذا بغيرِ كلامٍ قد أتى فأخذ سراجاً . فقالت لها فاطمة : إن كنتِ تُريدينه فالآن ، فإنه إذا كان فى حوائج العامة كتب على الشمع ، وإذا صار فى حاجةٍ نفسه دعا بسراجِه . فقامت فدخلت عليه فإذا بين يديه أفراسٌ وشيٌّ من ملح وزيت وهو يتعشى ، فقالت : يا أمير المؤمنين أتيتُ لحاجةٍ لى ، ثم رأيتُ أن أبدأ بك قبل حاجتى ! قال : وما ذاك يا عمَّة ؟ قالت : لو اتخذت لك طعاماً ألين من هذا ؟ قال : ليس عندى يا عمَّة ، ولو كان عندى لفعلتُ ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ كان عمُّك عبدُ الملك يُجرى على كذا وكذا ، ثم كان أخوك الوليدُ فزادنى ، ثم كان أخوك سليمانُ فزادنى ، ثم ولىت أنت فقطعتَه عنى .

قال : يا عمَّة ؛ إن عمى عبد الملك وأخى الوليد ، وأخى سليمان كانوا يعطونك من مالِ المساكين ، وليس ذلك المالى لى فأعطيكه ، ولكنى أعطيكِ مالى إن شئتِ ! قالت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : عطائى مائتا دينار فهل لك فيه ؟ قالت : وما يبلغ منى عطاؤك ؟ قال : فلستُ أملكُ غيره يا عمَّة . فانصرفت عنه !

١٠٠ — الشمعة والسراج \*

وفد على عمر بن عبد العزيز بريد من بعض الآفاق ، فأنتهى إلى باب عمر ليلاً ، ففرع الباب ، فخرج إليه البواب ، فقال : أَعْلِمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ بِالْبَابِ رَسُولًا مِنْ فُلَانٍ عَامِلِهِ ؛ فدخل فأعلم عمر — وقد كان أراد أن ينام — فتمعد ، وقال : ائذن له !

فدخل الرسول فدعا عمرُ بِشَمْعَةٍ غَلِيظَةٍ فَأَجَّجَتْ نَارًا ، وَأَجْلَسَ الرَّسُولَ ، وَجَلَسَ عُمَرُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِ أَهْلِ الْبَلَدِ وَمَنْ بَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْعَهْدِ ، وَكَيْفِ سِيرَةِ الْعَامِلِ ؟ وَكَيْفِ الْأَسْعَارِ ؟ وَكَيْفِ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَالْفُقَرَاءِ ؟ وَهَلْ أُعْطِيَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ؟ وَهَلْ لَهُ شَاكٍ ؟ وَهَلْ ظَلَمَ أَحَدًا .

فَأَنْبَأَهُ بِجَمِيعِ مَا عَلِمَ مِنْ أَمْرِ تِلْكَ الْمَمْلُوكَةِ ؛ يَسْأَلُهُ فَيُجِبُ <sup>(١)</sup> السُّؤَالَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُمَرُ مِنْ مَسْأَلَتِهِ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كَيْفَ حَالُكَ فِي نَفْسِكَ وَبَدَنِكَ ؟ وَكَيْفَ عِيَالِكَ وَجَمِيعِ أَهْلِ بَيْتِكَ وَمَنْ تَعْنَى بِشَأْنِهِ ؟ فَفَنَحَّ عُمَرُ الشَّمْعَةَ فَأَطْفَأَهَا بِنَفْخَتِهِ ، وَقَالَ : يَا غُلَامَ عَلِيٍّ بِسْرَاجٍ ؛ فَأَتَى بِقَمِيَلَةٍ لَا تَكَادُ تُنْصَىءُ ، وَقَالَ : سَلْ عَمَّا أَحْبَبْتَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ؛ فَأَخْبَرَهُ عَنْ حَالِ وَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ .

فَعَجِبَ الْبَرِيدُ لِلشَّمْعَةِ وَإِطْفَائِهِ إِيَّاهَا ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُكَ فَعَلْتَ أَمْرًا مَارَأَيْتُكَ فَعَلْتَ مِثْلَهُ ! قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : إِطْفَأُوكَ الشَّمْعَةَ عِنْدَ مَسْأَلَتِي إِيَّاكَ

\* سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦١

(١) أحفى سؤاله : رده .



عن حالك وشأنك . فقال : يا عبد الله ؛ إن الشمعة التي رأيتني أطفأتها من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم ؛ فكانت تلك الشمعة تقد بين يدي فيما يصلحهم ، وهي لهم ؛ فلما صرت لشأني وأمر عيالي ونفسي أطفأت نار المسلمين !

١٠١ — حديث عمر بن عبد العزيز مع ابنه عبد الملك حين احتضر \*

كان عبدُ الملك بنُ عمر بن عبد العزيز من أحبِّ الناس إلى أبيه ؛ فرض فاشتدَّ مرضه ، فأخبر أبوه بذلك ؛ فأتاه فوقف عليه ، وقال : يا بني ! كيف تجدك ؟ قال : أجدني صالحاً - وكتمه ما به كراهة أن يعمه - قال : يا بني اصدقني عن نفسك ، فإن أحبَّ الأمور إلىَّ فيك لموضع القضاء ، قال : أجدني يا أبت أموت ! فولى عمر إلى قبيلته ، فبينما هو في صلاته إذ مات عبدُ الملك ، فأتاه مزاحم ، فقال : يا أمير المؤمنين توفِّي عبدُ الملك ؛ فخرَّ مغشياً عليه .

فلما دُفن عبدُ الملك قال له مزاحم - وكان قد عهد إليه إذا رأى منه أمرين مختلفين أن يخبره بذلك - يا أمير المؤمنين ؛ رأيتُ منك عجباً ، أتيتَ عبد الملك فسألته عن حاله فكتمك ما به فقلت له : يا بني ؛ اصدقني عن نفسك ؛ فإن أحبَّ الأمور إلىَّ فيك لموضع القضاء ، فأخبرك أنه يموت . فلما مات خرت مغشياً عليك . قال : قد كان ذاك يا مزاحم ! فقد علمتُ أن ملك الموت قد دخل إلى منزلي ، فأخذ بضعةً مني ، فراعني ذلك فأصابني ماقد رأيت !

١٠٢ — عَمَّةُ جَرِيرٍ<sup>(١)</sup> وَفَجُورِ الْفَرَزْدَقِ \*

قَدِمَ الْفَرَزْدَقُ<sup>(٢)</sup> عَلَى عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالِیْهَا مِنْ قَبْلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَأَنْزَلَهُ عَمْرٌ مِنْزَلًا قَرِيبًا مِنْهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَأَحْسَنَ ضِيافتهَ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَاحِبُ فَجُورٍ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرٌ بِالْطَّافِ مَعَ جَارِيَةٍ لَهُ ، وَقَالَ : اغْسِلِي رَأْسَهُ وَالْطَّفِيهِ جُهْدَكَ<sup>(٣)</sup> — وَأَرَادَ اخْتِبَارَهُ بِذَلِكَ لِيَعْلَمَ حَالَهُ .

فَأَتَتْهُ الْجَارِيَةُ ، وَفَعَلَتْ مَا أَمَرَهَا بِهِ مَوْلَاهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَمَا تَرِيدُ أَنْ تَغْسِلَ رَأْسَكَ ؟ قَالَ : بَلَى ، فَفَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْغَسْلَ<sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ ذَهَبَتْ لِتَغْسِلَ رَأْسَهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا ؛ وَذَلِكَ بَعِينَ عَمْرٍ ، وَهُوَ يَتَطَّلَعُ عَلَيْهِ مِنْ خَوْخَةٍ<sup>(٥)</sup> لَهُ .

وَلَمَّا خَرَجَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى عَمَرَ بَعَثَ إِلَيْهِ : أَنْ اخْرُجْ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلِئِنْ أَخَذْتِكَ فِيهَا — مَا دَامَ لِي سُلْطَانٌ — لِأَعَاقِبَتِكَ ، وَنَفَاهُ عَمْرٌ عَنِ الْمَدِينَةِ .

فَلَمَّا خَرَجَ وَصَرَ عَلَى رَاحِلَتِهِ قَالَ : قَاتِلِ اللَّهَ ابْنَ الْعَرَاغَةِ<sup>(٦)</sup> ! كَأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى حَيْثُ يَقُولُ :

\* تَقَائِضُ جَرِيرِ وَالْفَرَزْدَقِ ص ٣٩٧ ج ١ طَبِعَ لَيْدِنَ .

(١) جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةِ الْخَطْفِيِّ : أَحَدُ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ ، وَوُلِدَ بِالْبَيْمَامَةِ وَنَشَأَ بِالْبَادِيَةِ وَفِيهَا قَالَ الشُّعْرَ وَنَبِغَ فِيهِ ، وَوَلِمَا عَظُمَ أَمْرُهُ اتَّصَلَ بِالْحِجَابِ وَمَدَحِهِ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَعَدَّ مِنْ مَدَاحِ بَنِي أُمَيَّةَ . مَاتَ سَنَةَ ١١٠ هـ (٢) الْفَرَزْدَقُ : هُوَ أَبُو فِرَاسِ هَمَامِ بْنِ غَالِبٍ ، نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ وَأَخَذَهُ أَبُوهُ بِرِوَايَةِ الشُّعْرِ وَنَظْمِهِ فَرَوَاهُ وَنَبِغَ فِيهِ ، وَتَعَرَّفَ بِبُولَةِ الْبَصْرَةِ وَمَدَحَهُمْ وَهَجَاهُمْ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى خَلْفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالشَّامِ وَمَدَحَهُمْ وَنَالَ جَوَائِزَهُمْ . مَاتَ سَنَةَ ١١٠ هـ (٣) الْجُهْدُ : الطَّاقَةُ (٤) الْغَسْلُ : مَا يَغْسَلُ بِهِ الرَّأْسَ (٥) الْخَوْخَةُ : كُوَّةٌ فِي الْجِدَارِ تُؤَدِّي الضُّوْءَ (٦) ابْنُ الْمَرَاغَةِ : هُوَ جَرِيرُ .

وكنت إذا نزلت بدار قوم رحلت بخزاية وتركت عاراً

ثم قدم جرير على عمر فأنزله في منزل الفرزدق ، وبعث إليه بتلك الجارية  
بعينها ، وأمرها أن تفعل بجرير ما فعلت بالفرزدق ، فألطفته ، وفعلت به مثل  
ما فعلت بالفرزدق ، وقالت له : قم أيها الشيخ ، فأغسل رأسك ، فقام ، وقال لها :  
ننحى عنى ، قالت له الجارية : سبحان الله ! إنما بعثنى سيدى لأخدمك ، فقال :  
لا حاجة لى فى خدمتك ، ثم أخرجها من الحجرة ، وأغلق الباب عليه وأتزر ،  
فنسل رأسه ، وعمر ينظر إليه من حين بعث بالجارية إلى أن خرجت من عنده .

فلما راح أهل المدينة من منازلهم إلى عمر حدثهم بفعل الفرزدق وجرير ،  
وما كان من أمرها ، ثم قال : عجبت لقوم يفضلون الفرزدق على جرير مع عفة  
بطن جرير وفجور الفرزدق ، وقلة ورعه وخوفه الله عز وجل !

١٠٣ — خالد القسرى وزياد بن عبيد الله \*

قال زياد بن عبيد الله : أتيت الشام ، فبينما أنا يوماً على باب هشام بن عبد الملك إذ خرج على رجل من عنده ، فقال لى : ممن أنت يافتي ؟ قلت : يمان ! قال : فمن أنت ؟ قلت : زياد بن عبيد الله بن عبد المدان ، قال : فتبسم وقال : قم إلى ناحية العسكر ، فقل لأصحابى : ترحلوا ؛ فإن أمير المؤمنين قد رضى عني ، وأمرني بالمشير .

قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : خالد<sup>(١)</sup> بن عبد الله القسرى ، ثم قال : ومرهم يافتي أن يعطوك منديل ثيابي وبرذوني الأصفر . قال : فلما جرت قليلاً ناداني ، فقال : يافتي ، وإن سمعت بي قد وليت العراق يوماً فالحق بي .

قال : فذهبت إليهم ، فقلت لهم : إن الأمير قد أرسلني إليكم بأن أمير المؤمنين قد رضى عنه ، وأمره بالمشير ؛ فاجعل هذا يمتصني ، وهذا يقبل رأسي ؛ فلما رأيت ذلك منهم قلت : وقد أمرني أن تعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر . قالوا : اى والله وكرامة ، فأعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر ؛ فما أمسى بالعسكر أحداً أجود ثياباً ولا مراكباً منى .

فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل : قد ولي خالد العراق ؛ فركبني من ذلك هم ؛

\* الطبرى ص ١٨١ ج ٨

(١) كان خالد القسرى أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك الأموى وولى قبل ذلك مكة ، وكان معدوداً من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، جواداً كثير العطاء ، وتوفى سنة ١٢٠ هـ مقتولاً ودفن بالحيرة .

فقال لي عريف لنا : مالي أراك مهموماً ؟ قلت : قد ولي خالد كذا وكذا ، وقد أصبتُ هاهنا رزيقاً عشتُ به ، وأخشى أن أذهبَ فيتغيَّرَ عليّ ، فيفوتني هذا وذاك ؛ فلستُ أدري كيف أصنع ؟ فقال لي : هل لك في خَصْلَةٍ ؟ قلتُ : وما هي ؟ قال : توكلني بأرزاقك وتخرجُ ؛ فإن أصبتَ ما تحبُّ فلي أرزاقك ، وإلا رجعتَ فدفعتها إليك ؛ فقلتُ : نعم ، وخرجتُ .

فلما قدمتُ الكوفة لبستُ من صالح ثيابي ، وأذِنَ للناس فتركهم حتى أخذوا مجالسهم ، ثم دخلتُ ، فقامتُ بالباب ، فسلمتُ ودعوتُ وأثّنتُ ؛ فرفع رأسه فقال : أحسنتُ ! بالرحب والسعة ؛ فارجعتُ إلى منزلي حتى أصبتُ ستمائة دينار بين نقد وعرض .

ثم كنتُ أختلفُ إليه ؛ فقال لي يوماً : هل تكتبُ يازياد ؟ فقلتُ : أقرأُ ولا أكتبُ أصلحَ اللهُ الأمير ! فضربَ بيده على جبينه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سقط منك تسعة أعشار ما كنتُ أريده منك ، وبقى لك واحدةٌ فيها غنى الدهر .

قلتُ : أيها الأمير ؛ هل في تلك الواحدة ثمنُ غلام ؟ قال : وماذا حينئذ ؟ قلتُ : تشتري غلاماً كاتباً تبعثَ به إلى فيعلمني ، قال : هيهات ! كبرتَ عن ذلك ! قلتُ : كلا ؛ فاشتري غلاماً كاتباً حاسباً بستين ديناراً ، فبعثَ به إليّ فأكّبتُ على الكتاب ، وجعلتُ لا آتيه إلا ليلاً ؛ فامضتُ إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبتُ ما شئتُ ، وقرأتُ ما شئتُ !

قال : فإني عنده ليلة إذ قال : ما أدري هل أنجحتَ من ذلك شيئاً ؟ قلتُ : نعم ؛ أكتبُ ما شئتُ وأقرأُ ما شئتُ ! قال :

إني أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك . قلت : كلا .  
فقال : اقرأ هذا الطومار<sup>(١)</sup> ؛ فقرأت ما بين طرفيه فإذا هو من عامله على  
الرى ؛ فقال : اخرج فقد ولّيتك عمله .

### ١٠٤ - الفقر خصم لجوج \*

ركب خالد في يومٍ شديد البرد كثير العيم ، فتعرّض له رجلٌ في الطريق ،  
فقال له : ناشدتك الله إلا ضربت عنقي ، فقال له : أ كفرٌ بعد إيمان ؟ قال : لا ،  
قال : أفترغبُ عن طاعة الرحمن ؟ قال : لا ! قال : أفقتلت نفسك ؟ قال : لا . قال :  
فما سببُ ذلك ؟ قال : لي خصمٌ لجوج قد علق بي ، ولزمني وقهرني . قال :  
من هو ؟ قال : الفقر ! قال : فكم يكفيك لدفعه ؟ قال : أربعة آلاف درهم !  
قال : إني مُمّذك بأربعة آلاف درهم !

ثم قال خالد : يا غلام ؛ ادفَعْ له أربعة آلاف درهم ، وألّفت وقال : هل ربحَ  
أحدٌ من التجار كربحى اليوم ؟ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : عزمتُ على أن أعطى  
هذا الرجل ثلاثين ألف درهم ، فلما طلب أربعة آلاف درهم وقر على ستة وعشرون  
ألف درهم .

فلما سمع الرجل ذلك منه ، قال : حاشاك وأعيذك بالله أن تربح على مؤمّلك .  
فقال : يا غلام ؛ أعطه ثلاثين ألفاً ، ثم قال للرجل : اقْبِضِ المال ، واذهب آمناً إلى  
خَصْمِكَ ، ومتى رجعتُ يعارضك فاستنجد بنا عليه !

(١) الطومار : الصحيفة .

\* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

١٠٥ — يشتكى الفقر\*

أتى رجلٌ عليّ بن سليمان ؛ فقال له : بالذي أسبغَ عليك هذه النعم - من غير  
شفيح كان لك إليه إلا تفضلاً منه عليك - إلا أنصفتني من خصمي ، وأخذتَ  
الحقَّ منه ؛ فإنه ظلومٌ غشومٌ ، لا يستحي من كبير ، ولا يلتفتُ إلى صغير !  
فقال له : أعافني مَنْ هو ؟ فإن لم ينصفك ، وإلا أخذتُ الذي فيه عيناه ! من هو ؟  
فقال : الفقر ! فأطرق إلى الأرض ملياً ، يَنكُتُ<sup>(١)</sup> الأرض بإصبعه ، ثم رفع  
رأسه ، فأمر له بعشرة آلاف دينار ، فأخذها ومضى ؛ فلما سار خارجاً ، قال : ردُّوه !  
فلما مثل بين يديه قال : يا إذا الرجل ؛ سألتك بالله - متى أتاك خصمك متعسفاً -  
إلا آتيتَ إلينا متظلماً !

\* عين الأدب والسياسة ص ١٧٦

(١) النكت : أن تضرب الأرض بقضيب فيؤثر فيها .

١٠٦ — حدثني عن أغرب مامر بك \*

لما أفضت الخِلافة إلى بني العباس اختفى جميع رجال بني أمية . وكان منهم إبراهيم بن سليمان ، فشفع له عند السفاح (١) بعض خواصه . فأعطاه الأمان ، ثم أحله مجلسه ، وأكرم مَواه .

وقال له السفاح ذات يوم : يا إبراهيم ؛ حدثني عن أغرب مامر بك أيام اختفائك .

فقال : كنت محتفياً في الحيرة بمنزل مُشرفٍ على الصحراء . فبينما كنت يوماً على ظهر ذلك البيت أبصرتُ أعلاماً سوداء قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة ، فأوجستُ منها خيمةً ؛ إذ حسبتها تقصدني .

فخرجتُ مُسرِعاً من الدار متنكراً ، حتى أتيتُ الكوفة ، وأنا لا أعرف من أختفى عنده ، فبقيت متحيراً في أمري ؛ فنظرتُ وإذا أنا بباب كبير فدخَلته ؛ فرأيت في الرَّحبة (٢) رجلاً وسياً (٣) لطيفَ الهيئة ، نظيفَ البزة (٤) ، فقال لي : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قلت : رجلٌ خائفٌ على دمه وجاء يستجيرُ بك .

فأدخلني منزله ، ووَاراني في حُجرة تلي حُجرة حُرمة (٥) . فأقمتُ عنده ، ولى

\* بحر الآداب ص ٥٢ ج ٣

(١) هو عبد الله بن محمد أول خلفاء الدولة العباسية ببيع له بالخِلافة جهرًا في الكوفة سنة ١٣٢ هـ وتوفي بالأنبار سنة ١٣٦ هـ (٢) الرحبة : الساحة (٣) وسياً : حسن الوجه (٤) البزة : الثياب (٥) حرمة : نسائه .



كلُّ ما أَحَبُّ من طعامٍ وشرابٍ ولباسٍ ، وهو لا يسألني عن شيء من حالي ؛ إلا أنه كان يركبُ في كلِّ يومٍ من الفجر ولا يرجع إلا قبيل الظهر .

فقلتُ له يوماً : أراك تُدمنُ <sup>(١)</sup> الركوبَ ؛ ففيمَ ذلك ؟ قال لي : إنَّ إبراهيمَ ابنَ سليمان بن عبد الملك قتلَ أبي ، وقد بلغني أنه مُخْتَفٍ في الحيرة ، فأنا أطلبه لعلِّي أجده وأدرك منه ثأري . فلما سمعتُ ذلك - يا أمير المؤمنين - عَظُمَ خوفي ، وضاعتِ الدنيا في عيني ، وقلت : إني قد سُقمتُ نفسي إلى حتفي .

ثم سألتُ الرجلَ عن اسمه واسمِ أبيه ، فأخبرني عن ذلك . فعلمتُ أن كلامه حقٌّ ؛ فقلتُ له : يا هذا ؛ إنه قد وجبَ عليَّ حقُّك ، وجزاءُ المعروفك لي أريدُ أن أدلكَ على ضالَّتِكَ .

فقال : وأين هو ؟ قلت : أنا بُعَيْتُكَ إبراهيم بن سليمان ، فَخَذُ بشارِك . فتبسَّم وقال : هل أضجركَ <sup>(٢)</sup> الاختفاءُ والبعْدُ عن دارك وأهلك فأحببتَ الموت ؟ قلت : لا والله ! ولكني أقولُ لك الحقَّ ، وإني قتلتُ أباك في يوم كذا من أجل كذا وكذا .

فلما سمِعَ الرجلُ كلامي هذا ، وعلمَ صدقي ، تغيَّرَ لونه ، واحمرَّتْ عيناه ؛ ثم فكَّرَ طويلاً ، والتفت إلى ، وقال : أمَّا أنت فسوف تلقى أبي عند حاكم عادلٍ فيأخذُ بشاره منك ؛ وأمَّا أنا فلا أخفر ذمَّتِي <sup>(٣)</sup> ، ولكني أرغبُ أن تبتعدَ عني ؛

(١) تدمن : تديم (٢) أضجرك : أتعبك (٣) لا أخفر ذمتي : لا أنقض عهدي معك ولا أغدر بك بعد أن أمنتك .

فإني لست آمنُ عليك من نفسي . ثم إنه قدّم لي ألفَ دينار ، فأبيتُ أخذَها ،  
وانصرفت عنه !

فهذه الحادثة أغربُ ما مرّ بي ، وهذا الرجلُ هو أكرمُ من رأيتُه ، وسمعتُ  
عنه بعدك يا أميرَ المؤمنين !

١٠٧ — المنصور وأهله \*

قال أحمد بن اسماعيل بن علي :

كان أبي ومشايخُ أهلي يجلسون مع أبي جعفر<sup>(١)</sup> المنصور ، وكان أحداثنا  
يجلسون دونَ ذلك . وكان يتفقَدُ من أمورنا ما كان يتفقَدُه من أمور ولده ، حتى  
يَسْتَقْرِى<sup>(٢)</sup> أحدنا ، ويسأله ما بلغ من القرآن ، وكُنَّا نَصِلُ الغدَاةَ<sup>(٣)</sup>  
والعَشَى<sup>(٤)</sup> فنجلسُ في مجلسه ، حتى يخرج إلينا .

وإنا صرنا في مجلسه ذاتَ يومٍ كهأدتنا ؛ فجلسنا ننتظرُ خروجه إذا فاض  
أبي وعمومتي في استبْطَانِه واستبْثَارِه عليهم ؛ فأطنبُوا في ذلك ؛ وكان الموكَّلُ  
بالباب - سليم الأسود - يرفعُ الستر إذا جاء ؛ فحانت من سليم غفلة ، وجاء  
أبو جعفر وهو يتسمعُ عليهم ؛ ففهم ما هم فيه ، ووثبَ سليم ليرفعَ الستر ؛ فأمسك  
بيده ومنعه من رَفْعِه حتى استوعبَ سَمْعُه جميعَ ما كانوا فيه .

\* غرر الحِصَانِ ص ١٦٧

(١) انظر صفحة ١٠٤ (٢) استقرى : تتبع (٣) الغداة : ما بين صلاة الفجر إلى طلوع  
الشمس (٤) العشى : من صلاة المغرب إلى العتمة .

فلما اتقضى كلامهم أمر برَفْعِ الستر ودخل ، فقاموا له كنعحو ما كانوا يفعلون ؛ فقال : ما هذا ؟ إنما ينبغي أن تفعلوا هذا بحضرة العامة ؛ لتشدوا بذلك سلطانكم ؛ فأما مجالسُ الخَاوَةِ فندجنُ فيها إخوة .

ثم أمرهم بالجلوس ، وأقبل عليهم ، وقال : ياعمومتي ، ويا إخوتي ؛ قد سمعتُ ما كنتمُ فيه ، وقولكم : استأثر علينا ؛ ولعمري لقد كان ذلك ؛ وما استثنائي عليكم إلا لكم ، وإشفاقاً من ذهاب سلطانكم ، وزوالِ أموالكم ، وإنما أبكي لكم رِقَّةً عليكم ؛ فكأنني بالرجل منكم ومن أبنائكم ، أو من أبناء أبنائكم بين يدي الرجل من ولدي أو والد والدي ؛ ينتسبُ له ، فلا يعرفهُ ، بل اعلمه يبلغ علي بن عبد الله بن العباس ! فذهبوا ليتكلموا ، فقال : أقسمتُ عليكم لما سكتُم ؛ أفيضوا بنا في غير هذا الحديث !

قال أحمد : وضرب الدهرُ ضرباته ، ومات المنصور ، وولى المهدي ومات ، وولى الهادي ثم مات ، وولى الرشيد ، وخرج إلى الرقَّة ، ونالتنا جفوة ، ولزمني دين ؛ فخرجتُ إليه ؛ فكان أول ما لقيتُ موكباً عظيماً ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل لي : هذان وليا العهد : الأمين والمأمون .

فترجَّلتُ وسامتُ عليهما ، فقالا : مَنْ أنت ؟ قلت : أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطاب ، وبكيتُ ! فاتمهي الخبرُ من ساعته إلى الرشيد ، فلم أصلُ إلى منزلي حتى لَقِيَنِي رسوله يدعوني .

فلما دخلتُ عليه ، قال لي : ممَّ بكيتُ ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ كان من القصة كيت وكيت ، وسُقتُ إليه خبر المنصور ، فبكيتُ إذ كنتُ المبتلى بذلك

دون من حَضَره ؛ فقال لى : هما ابنا أخيك ، وهى عَوْرَة فاسْتُرْها ، ولن تُسأل عن نَسَبِك بعد اليوم ؛ ما أقدمك ؟ قلت : دَيْنٌ لزمى . قال : وكم هو ؟ قلت : عشرون ألفَ دينار . فقال : يا غلامُ ؛ احملها إليه الساعة ، واجعل معها خمسة آلاف دينار ليحفظه الحديث عن المنصور ؛ هل من حاجةٍ لك غير ذلك ؟ قلت : أودّع أمير المؤمنين ؛ وانصرفت !

### ١٠٨ — هذا بغية أمير المؤمنين \*

أهدر أمير المؤمنين المنصورُ دَمَ رجلٍ ، كان يسعى بفسادِ دولته مع الخوارج ، من أهل الكوفة . وجعل لمن دلَّ عليه ، أو جاء به ، مائة ألف درهم . ثم إن الرجل ظهرَ في بغداد ؛ فبينما هو يمشى مخْتَفِياً في بعضِ نواحيها ، إذ بَصُرَ به رجل من أهل الكوفة ؛ فعرفه ؛ فأخذ بمجامع ثيابه ، وقال : هذا بُغِيَّةُ أمير المؤمنين . فبينما الرجل على هذه الحال إذ سَمِعَ وقعَ حوافر الخيل ؛ فالتفت فإذا معن<sup>(١)</sup> ابن زائدة ؛ فاستغاث به ، وقال له : أجزئني أجزائك الله ! فالتفت معن إلى الرجل المتعلق به ، وقال له : ما شأنك وهذا ؟ فقال له : إنه بُغِيَّةُ أمير المؤمنين الذى أهدر دَمه ، وجعل لمن دلَّ عليه مائة ألف درهم . فقال : دَعَهُ . وقال لغلامه : انزل عن دابَّتِك ، واحمل الرجلَ عليها .

\* ذيل ثمرات الأوراق للحموى ص ١٦٧ ، غرر الخصائص ص ١٧

(١) كان معن بن زائدة جواداً شجاعاً ، جزيل العطاء ، كثير المعروف ممدوحاً مقصوداً ، وكان في أيام بني أمية منتقلاً في الولايات ومنقطعاً إلى يزيد بن صمر بن هبيرة الفزارى فلما كانت أيام المنصور اتصل به بعد أحداث وصار من خواصه ، وتوفى سنة ١٥٨ هـ .

فصاح الرجل المتعلقُ به وصرخ واستجار بالناس ، وقال : أَيَحَالُ بِنِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقال له معن : اذهب فقل لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وأخبره أنه عندي .  
فانطلق الرجلُ إلى المنصورِ وأخبره ، فأمر المنصورُ بإحضار معن في الساعة ؛  
فلما وصل أمرُ المنصورِ إلى معن ، دعا جميعَ أهل بيته ومواليه وأولاده وأقاربه  
وحاشيته ، وجمع مَنْ يلوذُ به ؛ وقال لهم : أقسم عليكم ألاَّ يصلَ إلى هذا الرجل  
مكروه أبداً ، وفيكم عين تطرف .

ثم إنه سار إلى المنصورِ؛ فدخل وسلمَ عليه ، فلم يرد عليه المنصورُ السلام . ثم قال  
له : يامعن أنت تجرأُ عليّ ؟ قال : نعم يا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! فقال المنصورُ : ونعم أيضاً ؟  
وقد اشتدَّ غضبه . فقال معن : يا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كم من مرة تقدّم في دولتكم  
بلائي ، وحُسنُ غنائِي <sup>(١)</sup> ؟ وكم من مرة خاطرتُ بدمي ؟ أنما رأيتموني أهلاً لأن  
يُوهب لي رجل واحد استجارَ بي بين الناس ، بوهمه أُنِي عبدٌ من عبيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وكذلك أنا ! فمرّ بما شئت ، وهأنذا بين يديك !

فأطرق المنصورُ ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقد سکن ما به من الغضبِ ، وقال له :  
قد أجزّناه لك يامعن . فقال له معن : إن رأى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أن يجمعَ بين الأجرين  
فيأمر له بصلة ؛ أحياءً وأغناه .

فقال المنصورُ : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم . فقال له معن : يا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
إن صلاتِ الخلفاء على قَدَرِ جِنَايَاتِ الرعية ؛ وإن ذنبَ الرجل عظيم ؛ فأجزّل له  
صلته . قال : قد أمرنا له بمائة ألف درهم . فقال له معن : عجّلها يا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛  
فإن خيرَ البرِّ عاجله ؛ فأمرَ بتعجيلها ، فحملها وانصرف ، وأتى منزله ، وقال للرجل :  
يارجل ؛ خذ صلتك وألحقْ بأهلك ، وإياك ومخالفة الخلفاء في أمورهم بعد هذه !

(١) الغناء : النفع .

١٠٩ — معن بن زائدة والأسود \*

قال معن بن زائدة : لما هربت<sup>(١)</sup> من المنصور خرجت من باب حرب ، بعد أن أقمت في الشمس أياما ، وخففت لحيتي وعارضني ، ولبست جبة صوف غليظة ، وركبت حملا ، وخرجت عليه لأمضي إلى البادية ؛ فتمعني أسود متقلدا سيفي ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام الجمل فأناخه ، وقبض علي ، فقلت : ماشأنك ؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين ! فقلت له : ومن أنا حتى يطبني أمير المؤمنين ؟ فقال : معن بن زائدة . فقلت : يا هذا ! اتق الله ، وأين أنا من معن ؟ فقال : دَع هذا عنك ، فأنا والله أعرف بك . فملت له : فإن كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حماته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ؛ فخذهُ ولا تسفك دمي .

فقال : هاتِه ، فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك ، فقلت : قل ! فقال : إن الناس وصفوك بالجود ، فأخبرني : هل وهبت قط مآلك كراه ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ؛ قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر ؛ فاستحييت ، وقلت :

\* نهاية الأرب ص ٢١١ ج ٣ ، عصر المأون ص ٢٩٧ ج ٢

(١) كان سبب غضب المنصور أن معنا كان متقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة في عهد بني أمية ، فلما كان عهد المنصور وجرى القتال بين المنصور ويزيد انضم معن إلى يزيد وأبلى بلاء حسنا حتى قتل يزيد ، فهرب معن وطلبه المنصور ثم عفا عنه بعد ذلك .

أظن أنى قد فعلتُ هذا ! فقال : ماذاك بعظيم ، أنا والله راجل ، ورزقى من  
أبى جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهْرُ قيمته ألفُ دينار ، وقد وهبتهُ لك ،  
ووهبتك لنفسك ، ولجودك المأثور بين الناس ! ولتعلم أن فى الدنيا من هو أجودُ  
منك ، فلا تعجبك نفسك ، ولتُحقر بعد هذا كلَّ شيءٍ تفعله ، ولا تتوقف عن  
مكرمة ، ثم رمى بالعقد إلىَّ ، وخبلى خطامَ الجمل وانصرف .

فقلت : يا هذا ! قد والله فضحتنى ، ولَسَفَكَ دَمِي أَهونُ علىَّ مما فعلتَ ، فيخذ  
ما دفعتهُ إليك ، فإني عنه فى غنى ؛ فضحك ، ثم قال : أردتَ أن تكذبنى فى  
مقامى هذا ! فوالله لا آخذه ، ولا آخذُ لمعروفٍ ثمناً أبداً ، ومضى .

فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت ، وبذلتُ لمن يجيء به ماشاء ، فما عرفتُ له  
خبراً ، وكانَّ الأرض ابتاعته !

١١٠ - عقيد المجد والجود\*

كان لمعن بن زائدة شاعرٌ يَغشى مجلسه في كل يوم ، فانقطع عنه أياما ، فلما  
دخل عليه قال : ما بَطَّأكَ ؟ قال : وُلِدَ لِي مولود ! قال : فما سَمِيَّتَهُ ؟ قال :  
سَمِيْتُ مَعْنًا بِمَعْن ، ثم قلت له : هذا سَمِيَّ عَقِيدِ المَجْدِ والجودِ  
قال : يا غلام ؛ أعطه ألفَ دينار ، وقل بيتا آخر ؛ فقال :  
سما بمجودك جود الناس كلهم فصار جودك محراب الأجاويد  
قال : يا غلام ؛ أعطه ألفَ دينار ، وقل بيتا آخر ، فقال :  
أنت الجوادُ ومنك الجودُ أوله فإن فُقدتَ فما جودٌ بموجودِ  
قال : يا غلام ؛ أعطه ألفَ دينار وقل بيتا آخر ، فقال :  
من نور وجهك تضحى الأرضُ مشرقةً ومن بنانك يجرى الماءُ في العودِ  
قال : يا غلام ؛ أعطه ألفَ دينار ، وقل بيتا آخر ، فقال الغلام : لا تغتلب شيئا بعد  
ذلك ، والله لم يبقَ في بيت المال إلا ما أخذت ؛ ثم انصرف !



١١١ — مثلك يُصطنع \*

طلب المنصور معن بن زائدة زمناً ، ومازال مستتراً حتى كان يوم الهاشمية<sup>(١)</sup> ؛  
فلسا وثب القوم على المنصور ، وكادوا يقتلونه ، وثب معن وهو مُتَلَمِّمٌ ، فانتصى  
سيفه وقاتل ، فأبلى بلاء حسناً ، وذبَّ القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد .

ثم جاء والمنصور راكباً بغلةً ، ولجأها بيد الربيع ، فقال له : تنح فإني أحقُّ  
بالجاء منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غناءً ، فقال له المنصور : صدق ! فادفعه  
إليه ! فأخذه ، ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال .

فقال له المنصور : من أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا طَلِبتُك يا أمير المؤمنين :  
معن بن زائدة ، قال : قد أمّنتك الله على نفسك ومالك ، ومثلك يُصطنع ؛ ثم أخذه  
معه ، وخلع عليه وحباه وزينته ، ثم دعا به يوماً فقال له : إني قد أمّلتك لأمرٍ  
فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحبُّ أمير المؤمنين ، قال : قد وليتُك اليمن فابسطِ  
السيفَ فيهم حتى يتقضى حلف ربيعة واليمن ، وابلغ من ذلك ما يحبُّ أمير المؤمنين !

\* المذهب ص ٨٨ ج ٩

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة سنة ١٣٤ هـ .

١١٢ — نعمة عدوك قلادة في عنق \*

أرسل المنصور إلى شيخ من أهل الشام - وكان من بطانة هشام بن عبد الملك ابن مروان - فسأله عن تدبير هشام في حروبه مع الخوارج؛ فوصف الشيخ له ما دبر، فقال: فعل - رحمه الله - كذا، وصنع - رحمه الله - كذا! فقال المنصور: قم عليك لعنة الله! تطأ بساطي وترحم على عدوي! فقام الرجل، فقال - وهو مؤل - إن نعمة عدوك لقلادة في عنق لا ينزعها إلا غاسلي.

فقال له المنصور: ارجع يا شيخ فرجع، فقال: أشهد أنك حر شريف؛ ارجع إلى حديثك. فعاد الشيخ إلى حديثه، حتى إذا فرغ دعا له بمال، فأخذه، وقال: والله يا أمير المؤمنين، مالي إليه حاجة، ولقد مات عني من كنت في ذكره، فما أحوجني إلى وقوف على باب أحد بعده، ولولا جلالة أمير المؤمنين وإيثاري طاعته مالبت نعمة أحد بعده.

فقال المنصور: إذا شئت؛ لله أنت! فلو لم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم مجداً مخلداً وعزاً باقياً!

١١٣ — جود عبد الواحد بن سليمان \*

قال عبد الله بن إبراهيم الجُمحى : قالت لابن<sup>(١)</sup> هرمة : أتمدحُ عبدَ الواحد  
ابن سليمان بشعرٍ ما مدحت به غيره ، فتقول فيه هذا البيت :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح  
ثم تقول فيها :

أعبدَ الواحدِ الميمونَ إني أعصُّ حذارَ سخطك بالقراحِ  
فبأى شيء استوجبَ ذلك منك ؟ فقال : إني أخبرك بالقصة لتعذرني :  
أصابتنى أزمة بالمدينة ، فاستهضتني بنت عمي للخروج ؛ فقلت لها : ويحك ! إنه  
ليس عندي ما يُقاني . فقالت : أنا أنهضك بما أمكنتي ، وكانت عندي ناب<sup>(٢)</sup>  
لى ، فهضتُ عليها نهجد<sup>(٣)</sup> النوم ، ونوذى السمار ، وليس من منزل أنزله إلا قال  
الناس : ابن هرمة ! حتى دَفَعْتُ إلى دمشق .

فأويتُ إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل ، فجلستُ فيه أنتظرُه إلى أن  
بزغ الفجر ، فإذا الباب ينفلقُ عن رجلٍ كأنه البدر ؛ فدنا فأذن ، ثم صلى ركعتين ،  
وتألمته فإذا هو عبد الواحد ، فقامتُ فدنوتُ منه وسادتُ عليه ؛ فقال لى :

\* الأغاني ص ١٠٧ ج ٦

(١) اسمه إبراهيم بن علي : شاعر قال عنه الأصمعي : إنه أحد من ختم به الشعر وكان مدمناً  
لشرابهم فرما به ، وهو من سكان المدينة ، توفى سنة ١٥٠ هـ (٢) الناب : الناقة المسنة (٣) نهجد  
النوام : نوقظهم ، وهو من الأضداد .

أبو إسحق! أهلاً ومرحباً؛ فقلتُ: لبَّيك ، بأبي أنت وأمي ! وحيّاك اللهُ بالسلام  
وقرّبك من رضوانه ؛ فقال : أما آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهدُ ، واشتدَّ  
الشوق ، فما وراءك ؟ قلت : لاتسلى - بأبي أنت وأمي - فإن الدهر قد أخنى على ؛  
فما وجدتُ مُستعاناً غيرك ؛ فقال : لاترعبْ فقد وردتَ على ماتحِبُّ إن شاء الله .  
فواللهُ إني لأخاطبُه ، فإذا بثلاثة فتيّة قد خرجوا كأنهم الأشطان<sup>(١)</sup> ، فساموا  
عليه ، فاستدنى الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دوني ودون أخويه ، فمضى إلى  
البيت ثم رجع ، فجلس إليه فكلمه بشيء دوني ثم ولى ، فلم يلبث أن رجع ومعه  
عبد ضابط<sup>(٢)</sup> ، يحمل عبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ ، ثم همس إليه ثانية  
فعاد ، وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك ، فضرب به بين يديّ .

فقال لي عبد الواحد : ادنُ يا أبا إسحق ، فإني أعلم أنك لم تصرّ إلينا حتى تقام  
صدعك ؛ فخذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سلّنا لك هذا إلا من أصدقاء  
عيالنا ، ودفع إلى ألف دينار وقال لي : قم فارحل فأغيث من وراءك .  
فقممتُ إلى الباب ، فلما نظرتُ إلى ناقتي ضقتُ ؛ فقال لي : تعال ، ما أرى هذه  
مُبلّغتكَ ، يا غلام ، قدّم له جملاً ، فوالله لقد كنتُ بالجلل أشدَّ سروراً مني بكل  
مانتته ؛ فهل تلومني أن أغصّ حذارٍ سخط هذا بالقراح ! والله ما أنشدته ليلتئذ  
بيتاً واحداً .

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الجبل الطويل (٢) ضابط : قوى شديد .

١١٤ — أبو حنيفة يرعى الجوار\*

كان لأبي حنيفة<sup>(١)</sup> جارٌ بالكوفة يُغني في غرفته ، ويسمُّ أبو حنيفة غناءه فيعجبه ، وكان كثيراً ما يغني :

أضاعوني وأىّ فتى أضاعوا ليومِ كريمةٍ وسدادٍ<sup>(٢)</sup> تغرّ  
فلقيه العسس<sup>(٣)</sup> ليلةً فأخذه وحبس .

فقَدَّ أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غدٍ فأخبر ؛ فدعا بسواده وطوّيلته<sup>(٤)</sup> فلبسهما ، وركب إلى عيسى بن موسى ، فقال له : إن لي جارا أخذه عسسك البارحة فحُبس ، وما علمتُ منه إلا خيراً ، فقال عيسى : سلّموا إلى أبي حنيفة كلٌّ من أخذه العسس البارحة ؛ فأطلقوا جميعاً ؛ فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً : ألسْتَ كنت تغني يا فتى كل ليلة :

أضاعوني وأىّ فتى أضاعوا

فهل أضعناك ؟ قال : لا والله ، ولكن أحسنت وتكرّمت ، أحسن الله جزاءك ، قال : فعدّ إلى ما كنت تغنيه ، فإنني كنت آنسُ به ، ولم أر به بأساً ، قال : أفعل !

\* الأغاني ص ٤١٤ ج ١

(١) هو النعمان بن ثابت من موالى تيم الله بن ثعلبة ، دعا ابن هبيرة للقضاء فأبى فضر به أياماً كل يوم عشرة أسواط ، ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ (٢) سداد الثغر : سده بالخيل والرجال (٣) العسس : جمع عاس وهو الذي يطوف بالليل يجرس الناس ويكشف أهل الريبة (٤) الطويلة : القلنسوة العالية المدعمة ببيدان ؛ وكان السواد شعاعاً لبني العباس .

١١٥ - يُرَبِّي اللهُ الصَّدَقَاتُ \*

قال سوار: انصرفت يوماً من دار المهدي<sup>(١)</sup>، فلما دخلت منزلي دعوتُ بالطعام فلم تقبله نفسي، فأمرتُ به فرُفِعَ، ودخلتُ وقت القائلة فلم يأخذني نوم؛ فهضتُ وأمرتُ ببغلة لي فأُسْرِجَتِ وأحضرَتِ، فركبتها.

فلما خرجتُ استقبلني وكيلٌ لي، ومعه مال، فقلت: ما هذا؟ فقال: ألفا درهم جببتها من مُسْتَعْلَكِ الجديد، قلت: أمسكها معك واتبعني.

فخليت رأس البغلة حتى عبرت الجسر، ثم سرتُ حتى انتهيت إلى الصحراء، ثم رجعتُ إلى باب الأنبار، فانهيتُ إلى باب دار لطيف، عليه شجرة، وعلى الباب خادم، فوقفت وقد عطشت؛ فقلت للخادم: عندك ماءٌ تَسْقِيَنِيهِ؟ قال: نعم! وقام، فأخرج قلةً نظيفة طيبة الرائحة، عليها منديل، فناولني فشربتُ، وحضر وقت العصر فدخلتُ مسجداً على الباب، فصلتُ فيه.

فلما قضيت صلاتي، إذا أنا بأعمى يتلمس، فقلت: ما تريد يا هذا؟ قال: إياك أريد! قلت: وما حاجتك، فجاء حتى قعد إلي وقال: شممت منك رائحةً طيبة، فظننتُ أنك من أهل النعيم، فأردتُ أن أُلْقِيَ إِلَيْكَ شيئاً. فقلت: قل، قال:

\* العقد الفريد للملك السعيد ص ١٢٣

(١) هو محمد بن عبد الله ولي بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨ هـ، وكان محمود السيرة محباً إلى الرعية جواداً توفي سنة ١٦٩ هـ.

ترى باب هذا القصر؟ قلت: نعم، قال: هذا قصرٌ كان لأبي فباعه، وخرج إلى خراسان وخرجتُ معه، فزالت عنا النعم التي كنا فيها، وعميتُ، فقدمت هذه المدينة؛ فأتيتُ صاحبَ هذه الدار لأسأله شيئاً يصلني به وأتوصل به إلى سوار؛ فإنه كان صديقاً لأبي. قلت: ومن أبوك؟ قال: فلان ابن فلان.

قال: فإذا هو أصدق الناس كان لي، فقلت له: يا هذا، فإن الله تعالى قد أتاك بسوار، ومنعه النوم والطعام والقرار حتى جاء به، فأفَعَدَه بين يديك. ثم دعوت الوكيل، فأخذت الدراهم منه، فدفعتها إليه، وقلت له: إذا كان غد فصِرْ إلى منزلي؛ ثم مضيتُ، فقلت: ما أحدثُ أميرَ المؤمنين المهدي بشيء أظرف من هذا. فأتيتُهُ فاستأذنتُ عليه فأذن لي، فلما دخلتُ عليه حدثته، فأعجبه، ثم أمر لي بألثي دينار وقال: ادفعها إلى الأعمى. فهضتُ، فقال: اجلس، أعليك دين؟ قلت: نعم! قال: كم دينك؟ قلت: خمسون ألف درهم! فأمسك، وجعل يحادثني ساعة، وقال: امضِ إلى منزلك. وإذا بخادم معه خمسون ألفاً، وقال: يقول لك أمير المؤمنين: اقضِ بها دينك؛ فقبضتُ ذلك منه.

فلما كان من الغد، أبطأ على الأعمى، وأنا في رسول المهدي يدعوني، فجيئته، فقال: فكرتُ البارحة في أمرك، فقلت: يقضى دينه، ثم يحتاجُ إلى القرض أيضاً؛ فأمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى، فقبضتها، ثم انصرفت!

فجاءني الأعمى، فدفعتُ إليه الألفين، وقلت له: قدرزق الله تعالى بكرمه - بإسداء المعروف إليك - بأضعاف ذلك، ثم أعطيتُهُ شيئاً آخر من مالي، وجهزته وانصرف!

١١٦ — العرق دسّاس \*

قال عثمان بن سليمان :

خرجتُ في نفرٍ من هُذيلٍ من أهل البصرة ، نريد باديةً لهم في أمرٍ طَرَقَهُمْ ، وكان مسيرُنا إليه ثلاثاً ، فنزلنا في الليلة الأولى على حيٍّ من بني مازن ، فقصدنا بيتاً رَحْباً ، فإذا ببابه رجلٌ وامرأة ، وهما صاحبا البيت ، فسلمنا فردّت المرأة السلام ، وحيّت ، وأظهرت بِشراً و بشاشة ، وأعرض الرجل وأظهر تَبَرُّماً وتضجراً .

فقال لنا المرأة : انزلوا بالرُّحْب والسَّعة ، فقال الرجل : ما عندنا موضعٌ لنزولكم ، فقالت المرأة : سبحان الله ! تقولُ هذا لضييفانٍ قد حلُّوا بنا ، ووجب حقُّهم علينا ؟ ! انزلوا بآرك الله فيكم ؛ فظهرنا انقباضاً ونهوراً لما سمعنا من بَملها ، فقالت : لا يُحْسِنَنَّكُمْ (١) ما سمعتمُ منه ! فإن له فيما أبداه من ذلك عذراً !

وأمرت أتباعها فأخذوا بنا وأنزلونا ، وانطلق بعلُّها كَالِحاً (٢) وجهه كالغضب ؛ فكثُر منه تعجُّبنا ؛ إذ لانعرفُ ذلك من أخلاق العرب !

وبتِنا ليلتنا خير مبيت ، ما تركت المرأة كرامةً إلا أكرمَتنا بها . وأصبحنا فأخذنا الطريق حتى أمسينا في حيٍّ آخر ؛ فقصدنا بيتاً ضيقاً ، فإذا ببابه رجلٌ وامرأة ، وهما صاحبا البيت ؛ فسلمنا فرد الرجلُ السلام ، وحيّاً وأظهر بشاشةً وبشراً . وأعرضت المرأة ، وأظهرت تَبَرُّماً بنا ، وكراهةً لمكاننا .

فقال لنا الرجل : انزلوا بالرُّحْب والسَّعة ، فقالت المرأة : وكيف تُنزِلهم

\* المنتقى من أخبار الأصمعي ص ٢٨

(١) أحشمه : أخجله وأغضبه (٢) كالح : عابس .



وما عندنا ما يصلحهم؟ فقال الرجل: سبحان الله! تقولين هذا لصيفان قد حلوا بنا،  
ووجب حقهم علينا؟! انزلوا بارك الله فيكم؛ فإن عندنا الذي يصلحكم!  
فظهر منا انقباض شديد لما سمعنا من زوجته؛ فقال: لا يحشمنكم ماسمعتهم  
من هذه المرأة؛ فإن لها فيما أبدته من ذلك عذراً؛ وأمر أتباعه فأحدقوا بنا وأنزلونا،  
ودخلت المرأة البيت مغضبة، فأطلنا المناجاة فيما بيننا؛ فعجب من الأول وزوجته،  
ومن هذا وزوجته، ونقول: مافي جميع العرب كذلك البيت، ولا كذا البيت!  
ولولم نعد في وجهنا هذا إلا ماشاهدنا من هذا الأمر لكان ذلك فائدة تؤثر وتذكر.  
وصاحب البيت يتأملنا ويصغى إلينا.

ثم أقبل علينا، فقال: من أين خرجتم؟ قلنا: من البصرة. قال: ومتى  
فارقتموها؟ قلنا: غداة أمس. قال: فيمن بتم البارحة؟ قلنا: ببني فلان. فقال: وفي  
منزل من؟ قلنا: في منزل رجل يقال له فلان. قال: فإني رأيتكم تتحدثون  
بينكم حديثاً تكثرون منه التعجب، فما ذاك؟

قال: قلنا: إذن والله نخبرك: إنه كان من الأمر كذا وكان كذا، فقال:  
قد ظننت ذاك، أفلا أخبركم بما هو أعجب مما تتعجبون منه؟ قلنا: بلى! قال:  
اعلموا—حياكم الله—أن تلك المرأة التي بتم ببنتها أختي لأبي وأمي، وأن ذلك الرجل  
أخو زوجتي هذه لأبيها وأمها، والذي رأيتم من جماعتنا خلق جيلنا عليه،  
لا تكلف فيه!

قلنا: الحمد لله الذي جبلك على أخلاق الكرماء من الرجال!

١١٧ — إن بعد العسر يسراً \*

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

لما دخل الرشيد<sup>(١)</sup> البصرة حاجاً كنتُ معه ، فقال لي جعفر<sup>(٢)</sup> بن يحيى يوماً : يا أبا محمد ، قد وُصِفَتْ لي جاريةٌ مُعْنِيَةٌ حسناء تباع ، وذكروا أن مولاها ممتنع من عَرْضِهَا إلا في داره ، وقد عَزَمْتُ أن أركبَ متخفياً فأراها ، أفتساعدني ؟ فقلت : السمع والطاعة .

فلما كان في نصف النهار حضر النخَّاس<sup>(٣)</sup> فأعلم بحضوره ؛ فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعلٍ عربيَّة ، وأمرني فلبستُ مثله ، وركبنا حمارين قد أُسْرِجَا لَنَا بسروج التجار ، وركب النخَّاس معنا ، وتخللنا الطريق ، حتى أتينا داراً ذات باب يدلُّ على نعمةٍ قديمة .

ففرع النخَّاسُ الباب ؛ وإذا شابٌ حُسنُ الوجه عليه آثارُ ضُرِّ بادٍ ، وعليه قميص ، ففتح وقال : انزلوا ياسادة ، فدخلنا ، وإذا بدليلز ، ودار قوراء<sup>(٤)</sup> خربة ؛ فأخرج لنا الرجل قطعةً من حصير كبير خنَّق ؛ ففرشها لنا ، فجلسنا عليها ، وقال له النخَّاس : أحضِرْ لنا الجارية فقد حضر المشتري .

\* الفرج بعد الشدة ص ١٧٣ ج ٢

(١) انظر صفحة ١٠٧ (٢) كان جعفر من علو القدر ، ونفوذ الأمر وبعد الهمة وعظم المحل وجملة المنزلة عند هارون الرشيد بحال انفراد بها ، وكان سمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر ، جواداً سخياً معطاء ، فصيحاً لسنا بليغاً ، قتله الرشيد في خبر مشهور سنة ١٨٧ هـ (٣) النخَّاس : يباع الرقيق والدواب (٤) القوراء : الواسعة .

فدخل البيت ، وإذ الجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي كان على الفتى بعينه ، وهي فيه مع خشونته كأنها في الحلي والحلل لحسن وجهها ، وفي يدها عود ، فأمرها جعفر بالغناء فجسّته وضربت ضرباً حسناً ، واندفعت تغنى غناء جميلاً . ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء ، وسمعنا من البيت نجيب الفتى ، وقامت الجارية تتعثر في قميصها حتى دخلت البيت ، فارتفعت لهما ضجة بالبكاء والشهيق ، ثم خمتا حتى ظننا أنهما قد ماتا ، وهممنا بالانصراف ، فإذا بالفتى قد خرج ، وعليه ذلك القميص بعينه ، فقال : أيها القوم ، اعذروني فيما أفعله وأقوله ، فقال له جعفر : قل ، فقال : أشهد الله وأشهدكم أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى ، وأسألكم أن تزوجوني بها !

فتحير جعفر أسفاً على الجارية ، ثم خاطبها ، فقال : أترغبين أن أزوجك من مولاك ؟ قالت : نعم ، فزوجها به .

وأقبل جعفر على الفتى فقال له : يا هذا ، ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : أنا فلان ابن فلان ، وكان أبي من وجوه هذا البلد ومياسيره ، وهذا يعرف ذلك . وأشار إلى النخاس - وأنه أسأهني إلى المكتب<sup>(١)</sup> . وكانت لأمي صبيّة وسنها قريب من سني - وهي جاريتي هذه - وكانت معي في المكتب تتعلم ما أعلم ، وتنصرف معي ، فكبرت ، ثم علمت الغناء ، فكنت أتعلّمه منها .

ثم خطبني وجوه أهل البصرة لبناتهم ، فخيرني أبي ، فأظهرت له الزهد في الترويح ، ونشأت متوفراً على الأدب ، متقلّبا في نعمة أبي ، غير متعرض لما يتعرّض

(١) المكتب : موضع التعليم .

له الأحداث ؛ ورغبة أهل البلد تزداد في ، وعندهم أن عفتي لصالح ، وما كانت إلا لأنسى بالجارية ، وأن رغبتى لا تتعداها . وبلغت الجارية في الغناء ما قد سمعتموه ؛ فعزمت أُمى على بيعها وهي لا تعلم ما في نفسي منها ؛ فأحسستُ بالموت ، واضطرت إلى أن صدقتُ أُمى بما في نفسي ، فحدثتُ أُمى ، فأجمع رأيهما على أن وهباً الجارية لي ، وجهزها كما يجهز أهل البيوتات<sup>(١)</sup> بناتهن ، وجليتُ علىّ وعمل العرس الحسن ، فنعمت معها دهرًا ، ثم مات أُمى فلم أحسن أن أربّ نعمته ، فأسأتُ تدبيرها ، وأسرعتُ في الأكل والشرب وغيرهما من المتاع ، إلى أن تلفت النعمة ، وأفضت الحال إلى ما ترون ، فأنا على هذا منذ سنين .

فلما كان هذا الوقت بلغني دخول الخليفة ووزيره وأكثر أهل مملكته بالبصرة ، فقلت لها : يا أختي ، إن شبابك يبلى ، وعمرك في الدنيا ينتقض ، ووالله ما في نفسي رغبة في بيعك ؛ فإني أعلم أني تالفمتي فارتقتك ، ولكني أوثرتُ تلفي مع وصولك إلى نعمة ورفاهية ؛ فدعيني أعرضك ، فلعله يشتريك بعض هؤلاء المياسير<sup>(٢)</sup> ، فتكوني معه في رغدٍ من العيش ، فإن متُّ بعدك فتلك أُميتي ، ويكون كل واحدٍ منا تخلّص من الشقاء ، وإن حكم الله عزّ وجلّ علىّ بالبقاء صبرتُ لفضل الله ، واضطربت في معاشي بثمانك .

فبكت من ذلك وقلقتُ ثم قالت : افعل ، فخرجتُ إلى هذا النخاس وأطلعتُ على أمرى ، وقد كان يسمع غنائها في أيام نعمتي ، وعرف حالها وحالي ، وأعلمته أني لا أعرضها أبداً إلا عندي ، فإنها والله ما تسلّقت عتبة هذه الدار قط ،

(١) البيوتات : جمع بيوت ، وهو جمع بيت (٢) مياسير : جمع موسر ، وهو أغني .

وأردت بذلك أن يراها المشتري وحده ، ولا تُمْتَهَنَ بسوق ولا دخول إلى بيوت الناس ؛ وإنه لم يكن لها ما تلبسه إلا قميصى هذا ، وهو مشترك بيننا ، ألبسه إذا خرجت لابتياح القوت وتتشح هى بإزارها ، فإذا جئت إلى البيت ألبستها إياه وأنشحت أنا بالإزار .

فلما جئنا خرجت إليكم فغننتكم ، فلحقنى من البكاء والقلى أمرٌ عظيم ، ودخلت إلى وقال لى : يا هذا ما أعجب أمرك ! أنت مللتنى وآثرت فراقى ، وتبى هذا البكاء على ! فقلت : يا هذه ، والله لفراقى نفسى أسهل على من فراقك ، وإنما أردت أن تتخلصى من هذا الشقاء . فقالت : والله يامولائى ، لو تملكتم منكم ما تملكته منى ما بعتمك أبداً ، وأموت جوعاً ، فيكون الموت هو الذى يفرق بيننا .

فقلت : لا عليك ! أتريدى أن تملئى صدق قولى ؟ قالت : نعم ، قلت : هل لك أن أخرج الساعة إلى المشتري ، فأعتقك بين يديه وأتزوجك ، ثم أصير معك على ما نحن عليه إلى أن يأتى الله بفرج أو موت وراحة ؟ فقالت : إن كنت صادقاً فافعل هذا ، فما أريد غيرك ، فخرجت إليكم ، وكان منى ما علمتم ، فاعذرونى .

قال إسحاق : فقال جعفر : أنت معذور ونهض ، فهضت معه والنحاس ، فلما قدّمت الحمير لنزك دنت منه فقلت : ياسبحان الله ! مثلك فى جودك ترى هذه الفاقسة ، ولا تنتهز الفرصة فيها ! والله لقد تقطع قلبى على القى . فقال : ويحك ! وقلبى والله ! ولكن غيظى من فوت الجارية منعى من التكريم عليه . فقلت : فأين الرغبة فى الثواب ؟ فقال : صدقت والله !

ثم التفت إلى النخّاس فقال له : كم كان الخادم سلّم إليك عند ركو بنا لثمنها ؟  
قال : ثلاثة آلاف دينار ، قال : فأين هي ؟ قال : مع غلامى ، فقال لى وللنخّاس :  
خذها وادفعها إلى الفتى ، وقولا له : يكنسى ويركب ويحيئنى لأخسِن إليه  
وأستخدمه .

فرجعتُ إلى الفتى وأنا أبكى ، فقلتُ له : قد عجّل الله عز وجل لك بالفرج ؛  
إن الذى خرج من عندك هو الأمير جعفر بن يحيى البرمكى ، وقد أمر لك بهذا ،  
وهو يقول لك كذا وكذا . . . فصعِق حتى قلتُ قد تلف ، ثم أفاق فأقبل يدعو  
ويشكرنى ، فركبتُ فلحقتُ بجعفر ، فأخبرته ، فحمد الله عزَّ وجلَّ على ما وقَّعه له ،  
وعاد إلى داره وأنا معه .

فلما كان العشاء جئنا إلى الرشيد ، فأخذ يسأل جعفرأ عن حاله فى يومه ، وهو  
يخبِّره بالأمر السلطانية ، ثم قصَّ عليه حديث الفتى والجارية ، فقال له الرشيد :  
فما عملتَ ؟ فأخبره ، فاستصاب<sup>(١)</sup> رأيه وقال : وقع له برزق سلطانى فى رسم أرباب  
النعم ، فى كل شهر كذا وكذا ، واعمل بعد ذلك ما شئت .

فلما كان من الغد جاءنى الفتى راكباً بثياب حسنة ، وهيئة جميلة ، فإذا هو  
أحلى الناس كلاماً ، وأتمهم أدباً ؛ فحملته معى إلى جعفر ، وأوصلته إلى مجلسه ،  
فأمر بتسهيل وصوله إليه وخلطه بحاشيته ، ووقع له عن الخليفة بما كان رسَّمه له ،  
وعن نفسه بشيء آخر .

وشاع حديثه بالبصرة وفى أهل العسكر ، فلم يبق فيهما متظرف إلا أهدى  
إليه شيئاً جميلاً ، فما خرجنا من البصرة إلا وهو ربُّ نعمةٍ صالحة !

(١) استصابه : استصوبه .

١١٨ — لا أسأل سواك ولو سِففتُ التراب \*

ركب محمد بن إبراهيم الإمام دين ، فركب إلى الفضل<sup>(١)</sup> بن يحيى ، ومعه حُقَّة فيها جوهر ؛ فقال له : قصرت بنا غلاتنا ، وأغفل أمرنا خليفتنا ، وتزايدت مئوتتنا ، ولزمنا دين احتجنا لأدائه إلى ألف درهم ، فكرهتُ بَدَل وجهي للتجار وإذالة<sup>(٢)</sup> عرضي بينهم ، ولك من يعطيك منهم ، ومعى رهن ثقة بذلك ، فإن رأيت أن تأمر بعضهم بقبضه ، وحمل المال إلينا !

فدعا الفضل بالحُقَّة فرأى ما فيها ، وختمها بخاتم محمد بن إبراهيم ، ثم قال له : نَجح الحاجة أن تقيم عندنا اليوم . فقال له : إن في المقام على مشقة ؛ فقال : ما يشقُّ عليك من ذلك ؟ إن رأيت أن تلبس شيئاً من ثيابنا دعوتُ به ، وإلا أمرت بإحضار ثياب من منزلك . فأقام ، ونهض الفضل ، ودعا بوكيله ، وأمره أن يحمل المال ويسلمه إلى خادم محمد بن إبراهيم ، ويسلمه الحُقَّة بما فيها من الجوهر بخاتمه ، ويأخذ خطه بذلك . ففعل الوكيل ؛ وأقام محمد عنده إلى المغرب ، وليس عنده شيء من الخبر .

ثم انصرف إلى منزله فرأى المال ، وأحضره الخادم الحُقَّة فدعا على الفضل ليشكره ؛ فوجده قد سبقه بالركوب إلى دار الرشيد . فوقف منتظراً ، فقبل له :

\*الوزراء والسكتاب ص ١٩٦

(١) هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، كان من أكابر البرامكة كرماً وجوداً ، وله في ذلك الأخبار السائرة ، وولاه الرشيد الوزارة قبل أخيه جعفر ثم نقلها منه إلى جعفر وقلده بعمل في خراسان . ومات بعد نكبة البرامكة في السجن سنة ١٩٢ هـ (٢) ذال الشيء : هان .

قد خرج من الباب الآخر قاصداً منزله . فانصرف عنه .

ولما وصل إلى منزله وجد أن الفضل قد وجه إليه ألف درهم آخر ، ففدا عليه وشكره وأطال ؛ فأعلمه أنه بات ليلته وقد طالت عليه غمًا بما شكاه ، إلى أن لقي الرشيدَ فأعلمه حاله ؛ فأمره بالتقدير له ، ولم يزل يُمَاكِسُهُ<sup>(١)</sup> إلى أن تقرر الأمر له على ألف درهم ، وأنه ذكر أنه لم يصلك بمنها قط ، ولا زادك على عشرين ألف درهم ، فشكرته وسألته أن يصكَّ بها صَكًا بخَطِّه ، ويجعلني الرسول .

فقال له محمد : صدق أمير المؤمنين ، إنه لم يصلني قط بأكثر من عشرين ألف ، وهذا إيماناً بك ، ولك ، وعلى يديك ، وما أقدر على شيء أقضى به حقك ، ولا على شكرٍ أجازي به معروفك ، غير أنه « على وعلى » - وحلف إيماناً موكدة - إن وقفتُ على باب أحد سواك ، ولا سألتُه حاجةً أبداً ، ولو سففتُ التراب !

فكان لا يركبُ إلى غير الفضل ، إلى أن حدث من أمر البرامكة ما حدث ، فكان لا يركبُ إلى غير دار الخليفة ، ويعود إلى منزله ، فعُوتِبَ بعد تقضى أيامهم في ترك إتيان الفضل بن الربيع ؛ فقال : والله لو عمرتُ ألف عام ، ثم مصصتُ الثَّمادَ<sup>(٢)</sup> ، ما وقفتُ بباب أحد بعد الفضل بن يحيى ، ولا سألتُه حاجةً حتى ألقى الله عز وجل !

ولم يزل على ذلك حتى مات .

(١) تماكسا في البيع : تشاحا (٢) الثماد : الماء الغليل .



١١٩ — تيهٌ وكرم\*

قيل للفضل بن يحيى البرمكي : ما أحسنَ كرمك لولا تيهٌ فيك ! فقال :  
تعلمتُ الكرمَ والتَّيهَ من عمارة<sup>(١)</sup> بن حمزة ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : كان  
أبي عاملاً على بعض كُور<sup>(٢)</sup> بلاد فارس ، فانكسرتُ عليه جملةٌ مستكثرة ، فحمل  
إلى بغداد وطُوبَ بالمال ، فدفعَ جميع ما يملكه ، وبقيت عليه ثلاثة آلاف ألف  
درهم لا يعرف لها وجهاً ، والطلبُ عليه حثيث ، فبقى حائراً في أمره .

وكانت بينه وبين عمارة بن حمزة منافرةً ومواحشة ؛ لكنه علم أنه ما يقدر  
على مساعدته إلا هو ، فقال لي يوماً وأنا صبي : امض إلى عمارة وسلم عليه عني ،  
وعرفه الضرورة التي قد صرنا إليها ، واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض ،  
إلى أن يسهل الله تعالى باليسر . فقلت له : أنت تعلم ما بينكما ، فكيف أمضى إلى  
عدوك بهذه الرسالة ، وأنا أعلم أنه لو قدر على إتلافك لأتلفك ؟ فقال : لا بد أن  
تمضى إليه ، لعلَّ الله يسخره ويوقع في قلبه الرحمة !

قال الفضل : فلم تمكنني معاودته ، وخرجتُ وأنا أقدم رجلاً وأوخر أخرى  
حتى أتيت داره ، واستأذنتُ في الدخول عليه ، فأذن لي ، فلما دخلتُ  
وجدته في صدر إيوانه ، متكئاً على مفارش وثيرة ، وقد غلّف شعر رأسه وحيته  
بالمسك ، ووجهه إلى الحائط — وكان من شدة تيهه لا يقعدُ إلا كذلك — فوقفت أسفل

\* وفيات الأعيان ص ٤١٠ ج ٢

(١) انظر صفحة ١٤٠ (٢) الكورة : المدينة ، جمعها كور .

الإيوان ، وسلمت عليه ، فلم يردّ السلام ، فسلمتُ عليه عن أبي ، وقصصتُ عليه  
القصة ، فسكت ساعة ثم قال : حتى ننظر !

فخرجت من عنده نادماً على نقل خطايَ إليه ، وموقناً بالحرمان ، عاتباً على  
أبي أن كلفني إذلالَ نفسي بما لا فائدة فيه ، وعزمتُ على ألا أعودَ إليه غيظاً منه .  
فغبتُ عنه ساعة ، ثم جئتُه وقد سكن ما عندي . فلما وصلتُ إلى الباب  
وجدتُ أبعالاً محمّلةً ؛ فقلتُ : ما هذه ؟ فقيل : إن عمارةَ قد سيرَ المال ، فدخلتُ  
على أبي ، ولم أخبره بشيء مما جرى لى معه كي لا أكدرَ إحسانه عليه .

فمكثنا قليلاً وعاد أبي إلى الولاية ، وحصلتُ له أموالٌ كثيرة ، فدفع إليّ  
ذلك المبلغ وقال : احمله إليه ، فجمّعتُ به ، ودخلتُ عليه فوجدته على الهيئة الأولى ،  
فسلمتُ عليه فلم يردّ ، فسلمتُ عليه عن أبي وشكرتُ إحسانه ، وعرفته بوصول المال ؛  
فقال لى بحرَد<sup>(١)</sup> : ويحك ! أقسَطَارًا<sup>(٢)</sup> كنتُ لأبيك ؟ اخرج عني لا برك الله  
فيك ؛ وهو لك ! فخرجتُ ورددتُ المال إلى أبي ، وعجبنا من حاله !

(١) الحرَد : الغضب (٢) القسَطَار : الصيرفي .

١٢٠ — لكل جديد لذّة \*

قال مخارق :

غدوت يوماً على إبراهيم بن ميمون الموصلي ، وكان يومَ دَجْنٍ<sup>(١)</sup> طيّب ، فأصبتُ بين يديه قدوراً تُعْرَغَرُ<sup>(٢)</sup> ، وأباريق تزهر<sup>(٣)</sup> ، وهو كالمهموم ، فسألته عن حاله ؛ فقال : لى ضيعة ، وإلى جانبها ضيعة يبلغُ ثمنها مائتي ألف درهم ، وإن دخلتها يدٌ غيرى أفسدت على ضيعتي ؛ وما أقول إن ثمنها ليس يمكنني ، ولكن لست أسمحُ بإخراج كلِّ ما في يدي .

قال : فأمسكتُ عنه ، واستتممت يومى عنده ، وغدوتُ على يحيى بن خالد فلقيته ، فسألني عن خبري في أمس ، فخبّرتُه الخبر فأضحكه .

فانصرفتُ إلى إبراهيم لأعرّفه الخبر ، فوجدتُ المال قد سبقَ إليه ، فقلت له : اشترِ الآن الضيعة ؛ فقال : لكل جديد لذّة ، وهذا مالٌ جديد ، ولست أحبُّ إخراجَه !

قال : فحدثتُ جعفرًا بالخبر كلّهُ فأضحكه ، وبعث بالمال إليه . قال : فصرتُ إليه ، فقلت له : اشترِ الضيعة الآن ، فقال : العجلةُ من عمل الشيطان ، دعني أستمتع بهذا المال مدّة .

وصرتُ إلى الفضل بن يحيى ، فحدثته ، فابتاع الضيعة ، ووزن ثمنها ، ووجّه إليه بمثل الثمن ، ووجّه إليه بالصك !

\* الوزراء ص ٢١٤

(١) الدجن : إلياس الغيم الأرض وإمطار السماء والمطر الكثير (٢) العرغرة : صوت القدر  
وإنما غلت (٣) زهر السراج والقمر والوجه : تلالاً .

١٢١ — جود البرامكة \*

قال مخارق :

أذن لنا أمير المؤمنين الرشيدُ أن نقيم في منازلنا ثلاثةَ أيام ، وأعلمنا أنه مُشْتَغِلٌ فيها ؛ فمضى الجلساءُ أجمعون إلى منازلهم ، وأصبحتِ السماءُ مُتَغَيِّمَةً تَطُشُّ (١) طُشًّا خَفِيفًا ، فقلت : والله لأذهبنَّ إلى أستاذي إبراهيم (٢) فأعرف خبره ثم أعود . فأمرتُ مَنْ عِنْدِي أَنْ يَسُوُّوا مَجْلِسًا لَنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي ؛ فَجِئْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، فَإِذَا الْبَابُ مَفْتُوحٌ ، وَالِدَّاهِلِيْزُ قَدْ كُنِسَ ، وَالْبُؤَابُ قَاعِدٌ ؛ فقلت : ما خبرُ أستاذي ؟ فقال : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي رِوَاقٍ لَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ قُدُورٌ تُعْرَغُ (٣) ، وَأَبَارِيْقٌ تَزْهَرُ ، وَالسَّتَّارَةُ مَنْصُوبَةٌ وَالْجَوَارِي خَلْفُهَا . فَدَخَلْتُ أترنمُ بِيَعْضِ الْأَصْوَاتِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا بَالُ السَّتَّارَةِ لَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ ورائها صوتًا ؟ فقال : اقْعُدْ وَيْحَكَ ! إِنِّي أَصْبَحْتُ عَلَى الَّذِي ظَنَنْتَ ، فَأَتَانِي خَيْرُ ضَيْعَةٍ تَجَاوِرُنِي ، قَدْ وَاللَّهِ طَلِبَتْهَا زَمَانًا وَتَمَنَيْتُهَا فَلَمْ أَمْلِكْهَا ، وَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا صَاحِبُهَا مِائَةَ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، فقلتُ : وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْهَا ؟ فوالله لقد أعطاك اللهُ أضعافَ هذا المِالِ وَأَكْثَرَ ؛ قال : صدقت ، وَلَكِنْ لَسْتُ أُطِيبُ نَفْسًا أَنْ أُخْرِجَ هَذَا المِالَ ؛ فقلت : فَمَنْ يُعْطِيكَ السَّاعَةَ مِائَةَ أَلْفِ دَرْهَمٍ ؟ وَاللَّهِ مَا أُطْمَعُ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّشِيدِ ،

\* الأغانى ص ١٧٨ ج ٥

(١) الطش : المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ (٢) إبراهيم بن إسحق الموصلي

(٣) تفرغر : تصوت للغلي .

فكيف بمن دونه؟ فقال: اجلس، خذ هذا الصوت، ونقر بقضيب معه على الدواة وألقى على:

نام الخليون من همٍّ ومن سقمٍ وبث من كثرة الأحزان لم أتم  
ياطالب الجود والمعروف مجتهداً اعمد ليحيى حليف الجود والكرم  
قال مخارق: فأخذته فأحكمته؛ ثم قال لي: امض الساعة إلى باب الوزير  
يحيى بن خالد؛ فإنك تجد الناس عليه، وتجد الباب قد فُتح، ولم يجلس بعد؛  
فاستأذن عليه قبل أن يصل إليه أحد، فإنه سينكر عليك بحجبتك ويقول:  
من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فحدثه بقصدك إياي، وما ألقىته إليك من  
خبر الضيعة، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وأعجبني، ولم أر أحداً يستحقه إلا  
فلانة جاريته، وأنى ألقىته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها، فسيدعو بها،  
ويأمر بالسّارة أن تُنصب، ويوضع لها كرسي، ويقول لك: اطرحه عليها  
بحضرتي؛ فافعل، وأتني بالخبر بعد ذلك.

قال: فبجئتُ باب يحيى فوجدته كما وصف، وسأني فأعلمته ما أمرني به؛  
ففعل كل شيء قاله لي إبراهيم؛ وأحضر الجارية فألقىته عليها، ثم قال لي: تقيم  
عندنا يا أبا المهنأ أو تنصرف؟ فقلت: أنصرف أظال الله بقاءك، فقد علمت ما أذن  
لنا فيه! قال: يا غلام، احمل مع أبي المهنأ عشرة آلاف درهم، واحمل إلى أبي  
إسحق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة، فحملت العشرة الآلاف إليّ، وأتيت  
منزلي، فقلت: أسرّ يومي هذا، وأسرّ من عندي، ومضى الرسول إليه بالمال.

فدخلتُ منزلي، ونثرتُ على من عندي من الجوارى دراهم من تلك البدرة،  
وتوسدتها وأكلتُ وشربتُ وطربتُ وسررتُ يومي كلها.

ولما أصبحتُ قلتُ : والله لآنينٌ أستاذي ولأعرفنَّ خبره ، فأتيته فوجدتُ  
البابَ كهيبته بالأمس ، ودخلتُ فوجدتهُ على مثل ما كان عليه ، فترنمتُ  
وطربتُ فلم يتلاقَ ذلك بما يجب ؛ فقلتُ له : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال ؟ قال : بلى !  
فما كان خبرك أنت بالأمس ؟ فأخبرته بما وهبَ لي ، وقلتُ : ما يُنتظر من خلف  
الستارة ؟ فقال : ارفع السجف ، فرفعته فإذا عشر بدر ، فقلتُ : وأى شيء بقي  
عليك في أمر الضيعة ؟ قال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلتُ منزلي حتى  
شجحتُ عليها ، فصارتُ مثلَ ما حويتُ قديماً ؛ فقلتُ : سبحان الله العظيم !  
فمتنع ماذا ؟ قال : قم حتى ألقى عليك صوتاً صنعته ، يفوق ذلك الصوت .  
فتمتُ وجلستُ بين يديه ، فألقى عليَّ :

ويفرحُ بالمولودِ من آلِ برمكٍ      بُعَاةُ الندى والسيفِ والرمحِ ذوالنصلِ  
وتنبسطُ الآمالُ فيه لفضله      ولا سيما إن كان من ولدِ الفضلِ  
قال محارق : فلما ألقى عليَّ الصوتُ سمعتُ ما لم أسمع مثله قط ، وصغرُ  
عندي الأولُ فأحكمتُهُ ؛ ثم قال : انهض الساعةَ إلى الفضلِ بن يحيى ، فإنك  
تجدُهُ لم يأذنْ لأحدٍ بعدُ ، فاستأذن عليه ، وحدثتهُ بحديثنا أمس ، وما كان من  
أبيه إلينا وإليك ، وأعلمه أني قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندي أرفعُ من الصوتِ  
الذي صنعتهُ بالأمس ، وأنى ألقيته عليك حتى أحكمتُهُ ، ووجهتُ بك قاصداً  
لتلقيته على فلانة جاريتته .

فصرتُ إلى باب الفضل ، فوجدتُ الأمر على ما ذكر ، فاستأذنتُ فوصلتُ ،  
وسألني : ما الخبر ؟ فأخبرتهُ بخبري في اليوم الماضي ، وما وصل إليَّ وإليه من المال ؛

فقال : أَخَزَى اللهُ إِبْرَاهِيمَ فَمَا أَبْجَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ ! ثُمَّ دَعَا خَادِمًا ؛ فَقَالَ : اضْرِبِ  
السَّيِّئَةَ فَضْرِبْهَا ، فَقَالَ لِي : أَلَيْمٌ . فَلَمَّا غَنَيْتُهُ لَمْ أْتَمَّهُ حَتَّى أَقْبَلَ يَجْرُ مُطْرَفَهُ ، ثُمَّ  
قَعَدَ عَلَى وَسَادَةٍ دُونَ السَّيِّئَةِ ؛ وَقَالَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ أُسْتَاذُكَ ، وَأَحْسَنْتَ أَنْتَ يَا مَخَارِقُ ،  
فَلَمْ أَخْرَجْ حَتَّى أَخَذْتَهُ الْجَارِيَةَ وَأَحْكَمْتَهُ ؛ فَسَرَّ بِذَلِكَ سُرورًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : أَيْمٌ  
عِنْدِي الْيَوْمَ ؛ فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي إِنَّمَا بَقِيَ لَنَا يَوْمٌ وَاحِدٌ ، وَلَوْلَا أَنِي أَحْبَبْتُ سُرورَكَ لَمْ  
أَخْرَجْ مِنْ مَنْزِلِي ؛ فَقَالَ : يَا غِلَامُ ، احْمِلْ مَعَ أَبِي الْمَهْنَةَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَاحْمِلْ  
إِلَى إِبْرَاهِيمَ مَائَتِي أَلْفَ دِرْهَمٍ .

فَانصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي بِالْمَالِ ، فَفَتَحْتُ بَدْرَةَ ، فَنَثَرْتُ مِنْهَا عَلَى الْجَوَارِي  
وَشَرِبْتُ وَسَرَرْتُ أَنَا وَمَنْ عِنْدِي يَوْمَنَا .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ بَكَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَعْرِفُ خَبْرَهُ وَأَعْرِفُهُ خَبْرِي ؛ فَوَجَدْتُهُ عَلَى  
الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَوَّلًا وَآخِرًا ، فَدَخَلْتُ أَتَرْتَهُ وَأَصْفَقْتُ ، فَقَالَ لِي : اذْنُ ، فَقُلْتُ :  
مَا بَقِيَ ؟ فَقَالَ : اجْلِسْ وَارْفَعْ سَجْفَ هَذَا الْبَابِ ، فَإِذَا عَشْرُونَ بَدْرَةَ مَعَ تِلْكَ الْعَشْرِ ،  
فَقُلْتُ : مَا تَنْتَظِرُ الْآنَ ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ ! مَا هُوَ وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ حَصَلَتْ حَتَّى جَرْتُ  
مَجْرِي مَا تَقَدَّمَ ؛ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَحَدًا نَالَ فِي هَذِهِ الرَّتْبَةِ مَا نَلْتَهُ ! فَلَمْ تَبْخَلْ  
عَلَى نَفْسِكَ بِشَيْءٍ تَمْنِيْتَهُ دَهْرًا ، وَقَدْ مَلَكَكَ اللهُ أَضْعَافَهُ !

ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ فَخُذْ هَذَا الصَّوْتِ ، وَالْقَى عَلَى صَوْتِ أَنْسَانِي وَاللَّهِ صَوْتِي

الْأَوَّلِينَ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ صَبٌّ وَلَيْلَةٌ إِلَى أُمَّ بَكْرٍ لَا تَفِيْقُ فَتُقْصِرُ  
أَحِبُّ عَلَى الْمِجْرَانَ أَكْنَافَ بَيْتِهَا فَيَالِكَ مِنْ بَيْتٍ يُحِبُّ وَيُهْجَرُ

إلى جعفر سارت بنا كل جَسْرَةٍ<sup>(١)</sup> طواها سُراها نحوهُ والتهجّر  
إلى واسعٍ للمُجْتَدِينَ فِنَاؤُهُ تَرَوِحَ عَطَايَاهُ عَلَيْهِمْ وَتَبَكُّرُ  
قال مخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ فقلت : ما سمعت  
قطُّ مثله ؛ فلم يزل يردُّه علىّ حتى أخذته ، ثم قال لى : امضِ إلى جعفر ، فافعلْ به  
كما فعلتَ بأخيه وأبيه .

قال : فضيتُ ففعلتُ مثلَ ذلك ، وخبرته ما كان منهما ، وعرضتُ عليه  
الصوت ، فسُرَّ به ، ودعا خادماً ، فأمره بضرب الستارة وأحضر الجارية ، وقعد  
على كرسى ، ثم قال : هاتِ يا مخارق ، فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذته ؛  
فقال : أحسنتَ والله يا مخارق ، وأحسنَ أستاذك ، فهل لك فى المقام عندنا اليوم ؟  
فقلتُ : ياسيدى ، هذا آخرُ أيامنا ، وإنما جئتُ لموقع الصوت منى حتى ألقيتها  
على الجارية ؛ فقال : يا غلام ، احمل معه ثلاثين ألف درهمٍ وإلى الموصلى ثلاثمائة  
ألف درهم .

فصرتُ إلى منزلى بالمال ، فأقمتُ ومن معى مسرورين نشرب بقیةَ يومنا  
ونظرب ؛ ثم بكرتُ إلى إبراهيم فتلقانى قائماً ، وقال لى : أحسنتَ يا مخارق ،  
فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس ، فجلستُ ، فقال لمن خلف الستارة : خذوا  
فيما أنتم فيه ، ثم رفعَ السجفَ فإذا المال ؛ فقلتُ : ما خبر الضيعة ؟ فأدخل  
يده تحت مسورة<sup>(٢)</sup> ، وهو متكىُّ عليها ، فقال : هذا صكُّ الضيعة ؟ سئلَ عن  
صاحبها فوجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد ، وكتب إلىّ : قد علمت أنك

(١) الجسرة : الناقة العظيمة (٢) المسورة : الوسادة من الجلد .



لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مالٍ يحصل لك ، ولو حيزت لك الدنيا كلها ،  
وقد ابتعتها لك من مالى ، ووجهتُ لك بصكّها ؛ ووجه إلى بصكّها ، وهذا المال  
كما ترى .

ثم بكى ؛ وقال لى : يامخارق ، إذا عاشرتَ فعاشرْ مثل هؤلاء ، وإذا  
غذيتَ فغنّ لمثل هؤلاء ؛ هذه ستمائة ألف وضيعة بمائة ألف ، وستون ألف  
درهم لك ، حصلنا ذلك أجمع ، وأنا جالسٌ فى مجاسى لم أبرح منه ، فمتى يدركُ  
مثل هؤلاء !

١٢٢ — حسن العفو \*

قال محدث :

مدح شاعرٌ أبا حاتم كاتب الديوان فلم يصله بشيء ، فأنشأ شعراً يقول فيه :

لَتُنْصِفَنِي يَا أَبَا حَاتِمٍ أَوْ لِأَصِيرَنَّ إِلَى حَاكِمٍ

فاحتفظها صاحب الخبر ، ورفعها إلى الرشيد<sup>(١)</sup> ، فقال : صدق ! لولا أني

نأتمُّ ما كانت أموري تَجْرِي على هذه السبيل ! وأمر بإخراج الجرائد من النار إليه ، فأول ما وَجَدَ على منصور بن زياد عشرة آلاف ألف درهم !

فحدث صالح صاحب المصلي ، قال : دعاني الرشيد ، وهو على كرسي ، فقال :

اذهب الساعة فخذ منصور بن زياد بالخروج من عشرة آلاف ألف درهم ، فإن

لم يُؤدِّها إلى المغرب فاضرب عنقه ، وجئني برأسه ، وأنا نفي<sup>(٢)</sup> من المهدي لئن

أنت دافعت عنه لأضربنَّ عنقك ! قلت : ياسيدي ؛ فإن أعطاني بعضها ، ووقت

لي في بعضها وقتاً؟ قال : لا !

فخرجتُ فأعلمته الخبر ، فأسقط في يده ، وقال : ما أراد إلا قتلي ؛ لأنه يعلم

أن مقدار مالي لا يبلغ مابه طالبني ، ولكن تأذن لي أن أدخل بيتي فأودع أهلي !

فأذنت له فدخل ودخلتُ معه ، وبقيتُ واقفاً ؛ فبعث إلى أمهات أولاده وبناته

ونسائه : أن اخرجن إلي كما كنتم تخرجن عند موتي ، فإن هذا آخر أيامي ،

ولاستر لكن بعدي !

\* المحاسن والمساوي ص ٥٤٣ طبع ليزج .

(١) انظر صفحة ١٠٧ (٢) فلان نفي : دعى قد نفي .

فخرجن إليه مشققات الجيوب ، خُمِّشَاتِ الوجوه بَصْرَاحٍ شديد ، فبكى  
إلينَّ ، وبكَيْنَ إليه وبكيتُ معهنَّ ، ثم ودَّعْنَنَّ وخرج ، وهُنَّ في أثره واضعاتٍ  
التراب على رؤوسهن .

ثم قال : يا أبا مقاتل ؛ لوأذنتَ لي في المصير إلى أبي علي يحيى بن خالد  
البرمكي ، فكنتُ أوصيه بولدي وأهلي ! فقلت : امضِ !

وَصِرْنَا إليه ، وقد نزل في ساعته ، وهو على كرسي يغسل يديه ، فلما توسَّطنا  
الدار جعل منصور يبكي ويمشي إليه ، حتى دنا منه ، وهو يسأله عن الحال فيمنعه  
البكاء من إخبَّاره ؛ فتمصتُ عليه قصته ، فقال : ارجع إلى أمير المؤمنين ، وسلِّه  
أن يهبه لي ! قلت : ما إلى ذلك سبيل ، ولا يراني إلا والمالُ معي أو رأس المنصور ،  
كما أمرني !

فقال لخادم له : ائتِ فلانة فسأها : كم لنا عندها من المال ؟ فانصرف ورجع  
فذكر أن عندها خمسة آلاف ألف درهم ! فقال لي : احملها وأبلغ أمير المؤمنين  
رسالتى في باقيها . فأعلمته أن لاسبيل إلى حملِ بعضها دون بعض . فأطرق ، ثم رفع  
رأسه ، ثم قال : يا غلام ائتِ دنانير فقل لها : تبعثِ إليَّ بالجواهر الذي وهبه لها  
أمير المؤمنين ؛ فبعثتِ إليه بحقَّة ، فقال : هذا جوهرٌ ابتغناه لأمير المؤمنين بمائتي  
ألف دينار ، وهو عارفٌ به ، وقد جعلته له بمائة ألف دينار ، فاحمله إليه والرسالة ؛  
فأيتُّ !

فوجه إلى الفضل ابنه : إنَّك كنتَ أعلمتني أنك على ابتياع ضيعة نفيسة ؛  
وقد أصبتها ، ولا يوجدُ مثلها في كلِّ وقتٍ ، وابتياعها فرصةٌ ، فاحملْ إلى مالها ،  
فعاد الرسولُ ومعه ألف ألف درهم !

ووجه إلى جعفر ابنه أن يوجه إليه بألف ألف درهم، فأنفذ إليه صكاً  
إلى الجهبذ<sup>(١)</sup> بها!

فتمبضت المال، ووافيت الرشيد قبل المغرب، وهو على حالته ينتظر رجوعى إليه،  
فأخبرته الخبر، فلما انتهيت إلى خبر الحقة، قال: صدق! وقد ظننت أنه  
لا ينجيه غيرهم، أحمل هذا المال أجمع إلى أبي علي، واردده عليه، وأعلمه أنى قد  
قبلت ذلك عن منصور، ورددته عليه! ففعلت ذلك.

ولقيت بعد ذلك يحيى منصوراً من الدار، ومنصورٌ معه يسايره ويضاحكه،  
والباس خلفه، فقلت: والله لأنصحن هذا الشيخ الكريم، فدخلت معه،  
ودخل المنصور ودعا بغداده، فلما نهض المنصور قلت: يا أبا علي؛ إني والله مارجت  
إلا لنصحك! وقد رأيت مكان هذا الرجل منك؛ وكنا حين حملت المال أنهضته  
معى، فوالله ما قطع نصف الصحن من الدار حتى تمثل بهذا البيت:

فما بقياً على تركتمانى ولكن خفتما صرد<sup>(٢)</sup> النبالي

فعارض أكرم فعلانك بالألم خصلة فيه؛ فدعاني الامتعاض من ذلك إلى  
إخبارك، فإني من تعلم في مودتك وطاعتك!

فأكب على الأرض ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: اعذره، فقد كان عقله  
عزب عنه في ذلك الوقت!

قال: فكان عذره له أحسن من إحيائه إياه!

(١) الجهبذ: النقاد الخبر (٢) صرد الرمح صرداً: نفذ حده، أى خفتما أن تصيب نبالي.

١٢٣ — واعظ الرشيد \*

قال الفضل<sup>(١)</sup> بن الربيع :

حجّ هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فأتاني فخرجتُ مسرعاً ، فقلت :  
يا أمير المؤمنين لو أرسلتَ إليّ لأتيتك ! فقال : ويحك ! قد حكّ في نفسي شيء ،  
فانظر لي رجلاً ! فقلت : هاهنا سفيان بن عيينة ، فقال : امض بنا إليه ، فأتيناه  
فقرعتُ الباب ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال :  
يا أمير المؤمنين لو أرسلتَ إليّ لأتيتك ، فقال له : خذْ لما جئناك له — رحّمك الله .  
فحدثته ساعة ، ثم قال له : عليك دين ؟ فقال : نعم ، فقال : يا عباسي أقضِ دينه .  
فلما خرجنا قال لي : ما أغنى صاحبك عنى شيئاً ؛ انظر لي رجلاً أسأله ! قلت :  
هاهنا عبد الرزاق بن همام ! قال : امض بنا إليه ! فأتيناه فقرعتُ الباب ، فقال :  
من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فخرج مُسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛  
لو أرسلتَ إليّ لأتيتك ! فقال : خذْ لما جئناك له ؛ فحدثه ساعة ، ثم قال له : عليك  
دين ؟ قال : نعم ! قال : يا عباسي ؛ أقضِ دينه .

فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك عنى شيئاً ؛ انظر لي رجلاً أسأله ! قلت :  
هاهنا الفضيل بن عياض ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه ، فإذا هو قائم يصلي ،  
ويتلو آيةً من القرآن يردّها ، قال : اقرع الباب فقرعتُ الباب ، فقال : من هذا ؟

\* المختارات للمطالعة العربية طبع أوربا .

قلت : أجب أمير المؤمنين ! فقال : مالي ولأمير المؤمنين ! فقلت : سبحان الله !  
أما عليك طاعته ؟ فنزل وفتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة ، فأطفأ السراج ،  
ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت  
كف هارون قبلي إليه .

فقال : يا لها من كف ! ما ألينها ! إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل !  
فقلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام من قلب نقي ، فقال له : خذ لما جئناك  
له - رحمك الله ! فقال له : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة ، دعا سالم بن  
عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : إني قد ابتليت بهذا  
البلاء ، فأشيروا علي - فعدت الخلافة بلاء . وعددتها أنت وأصحابك نعمة .

فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا ،  
وليكن إفطارك منها الموت . وقال محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب  
الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً . وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك ولداً ؛  
فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحن علي ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل  
فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا  
شئت ، وإني أقول لك : إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام ، فهل  
معك - رحمك الله - مثل هؤلاء ، أو من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكي هارون بكاءً  
شديداً ، حتى غشي عليه . فقلت له : ارفق بأمير المؤمنين - رحمك الله !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه ،

فكتب إليه عمر : يا أخى أذكرك طولَ سهرِ أهلِ النارِ فى النارِ مع خلودِ الأبدِ ،  
وياك أن يُنصَرفَ بك من عند الله فيكونَ آخرَ العهدِ بك ، وانقطاعَ الرجاءِ  
منك .

قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فقال  
له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبى بكتابك ، لا أعودُ إلى ولاية حتى ألقى الله  
عز وجل . فبكى هارون بكاءً شديداً ؛ ثم قال له : زدنى - رحمك الله !

فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ إن العباس عم النبي جاء إليه ، فقال له : يارسول الله  
أمرنى على إمارةٍ . فقال له النبي : إن الإمارة حسرةٌ وندامةٌ يوم القيامة ، فإن  
استطعتَ ألا تكونَ أميراً فافعل . فبكى هارون بكاءً شديداً ؛ ثم قال : زدنى -  
رحمك الله !

فقال : يا حسنَ الوجه ، أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم  
القيامة ، فإن أردت أن تبقى هذا الوجه من النار ، فإياك أن تُصبحَ وتُسمى  
وفى قلبك غشٌّ على أحدٍ من رعيتك ؛ فإن النبي قال : من أصبحَ لهم غاشاً لم يرح  
رأحة الجنة ؛ فبكى هارون ، وقال له : عليك دين ؟ قال : دينٌ لربى لم يحاسبنى  
عليه ! فالويلُ لى إن ساء لنى ، والويلُ لى إن لم ألهم حُجَّتى ، قال : إنما أعنى من  
دينِ العباد ! قال : إن ربى عز وجل لم يأمرنى بهذا ، إنما أمرنى أن أصدق وعده ،  
وأطيع أمره ، فقال : وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون ما أريدُ منهم من رزقٍ  
وما أريدُ أن يطعمون إن الله هو الرزاقُ ذو القُوَّةِ المتين .

فقال له : هذه ألفُ دينار ، خذها فأنفقها على عيالك ، وتقوِّ بها على عبادةِ

رَبِّكَ ! فقال : سبحان الله ! أنا أدلُّك على طريق النِّجاة ، وأنت تكافئني بمثل هذا ؟  
سَلَّمَك اللهُ ووفَّقك ! ثم صَمَتَ فلم يكلمنا .

فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب ، قال هارون : يا عباسي ؛ إذا دللتني  
على رجل فدلتني على مثل هذا ! هذا سيدُ المسلمين .

فدخلتُ عليه امرأةٌ من نساءه ، فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيقِ  
الحال ، فلو قبلتَ هذا المال فتفرَّجنا به ، فقال لها : مثلي ومثلكم كمثُل قوم كان لهم  
بِعَيْرٌ يأكلون من كسبه ، فلما كَبَرَ نَحْرُوه ، فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخلُ فعسى أن يقبلَ المال ، فلما علم  
الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه ،  
فجعل يكلمه فلا يجيبه .

قال الفضل : فبينما نحن كذلك إذ خرجت جاريةٌ سوداء ، فقالت : يا هذا ،  
قد آذيتَ الشيخَ منذ الليلة ؛ فانصرفَ رحمك اللهُ ! فانصرفنا !



١٢٤ — أموى عند الرشيد \*

رُفِعَ إلى هارون الرشيد أن رجلاً بدمشق من بقايا بنى أمية عظيمُ المال ، كبير الجاه ، مطاع في البلد ، له جماعة وأولاد ومماليك يركبون الخيل ، ويحملون السلاح ، ويفزون الروم ، وأنه سمحٌ جواد ، وأنه لا يُؤمّن منه ، فعظم ذلك على الرشيد .  
فقال لخادمه منارة : اخرج الساعة وابدأ بالرجل ، فقيده وجئني به ، واجعله في محجل تقعد أنت في شقه وهو في الآخر ، وتفقّد داره ، واحفظ مايقوله الرجل حرفاً بحرف .

قال منارة : فأتيتُ بيت الرجل ، ودخلتُ بغير إذنه ، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعضَ مَنْ معي عنى ، فلما صرتُ في صحنِ الدار ، نزلتُ ودخلتُ مجلساً رأيتُ فيه قوماً جلوساً ، فظننتُ أن الرجلَ فيهم ، فتاموا ورحبوا بي ، فقلت : أفيكم فلان ؟ قالوا : نحن أولادُه وهو في الحمام ، فقلت : استعجلوه ، فمضى بعضهم يستعجله ، وأنا أتفقّد الدارَ والأحوالَ والحاشية ؛ فوجدتها ماجتُ موجاً كبيراً . فلم أزل كذلك حتى خرج الرجلُ بعد أن طال مكثُه ، واستربتُ به ، واشتدَّ خوفي وقلقي من أن يتوّارى ، إلى أن رأيتُ شخصاً بزيِّ الحمام يمشى في صحنِ الدار ، وحواليه جماعةٌ كهول وأحداث وصبيان ، وهم أولاده وغلماؤه ، فعلمتُ أنه الرجل . فجاء وسلمَ وسألني عن أمير المؤمنين ، واستقامة أمر حضرته ، وأخبرته بما

وجب . وما قضى كلامه حتى جاءوا بأطبق فأكهة ، فقال : تقدم يا منارة وكل معنا ، فقلت : مالى إلى ذلك من سبيل ، فلم يعاودنى وأكل هو ومن معه ، ثم جاءوا بمائدة حسنة ، فقال : يا منارة ، ساعدنا على الأكل ، فامتنعتُ عنه فما عاودنى .

فلما فرغ من أكله قام إلى الصلاة فصلّى وأكثر من الدعاء والابتهاال ، ثم قال لى : ما أقدمك يا منارة ؟ فأخرجتُ كتابَ أمير المؤمنين فدفعتهُ إليه ففضّه وقرأه ، ثم أمر أولاده بالانصراف ، وقال : هذا كتابُ أمير المؤمنين ، ولست أقيم بعد نظرى فيه ساعة واحدة ، هاتِ قيودك يا منارة ، فدعوتُ بها وقيدهُ وحملتهُ . وركبتُ فى الشق الآخر وسرتُ بالرجل ، وليس معي أحدٌ حتى صرنا بظاهر دمشق ، فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى اتهمنا إلى بستان حسن فى العوطة ، فقال لى : أترى هذا ؟ قلت : نعم ، قال : إنه لى ، وفيه من غرائب الأشجار كيت وكيت ، ثم انتهى إلى آخر ، فقال مثل ذلك ، ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى ، فقال مثل ذلك .

فاشدد غيظى منه وقلت : ألت تعلم أن أمير المؤمنين أهمة أمرك حتى أرسل إليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك ، وأخرجك فريداً مقيداً لاتدرى إلى ما يصيرُ إليه أمرُك ، ولا كيف يكون ! وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبتاتينك بعد أن جئتُك ؟

فقال لى مجيباً : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أخطأتُ فراستى فيك . لقد ظننتُ أنّك رجلٌ كاملٌ العقل ، وأنك ما حلت من الخلفاء هذا الحل ، إلا لما عرفوك بذلك ، فاذا بكلامك يشبه كلام العوام ، والله المستعان !

أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياي إلى بابي على صورتى هذه ،  
فإني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين ، ولا يملك أمير المؤمنين  
لنفسه نفعا ولا ضررا إلا بإذن الله عز وجل ؛ ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه  
وبعد ، إذا عرف أمير المؤمنين أمرى ، وعرف سلامتى ، وصلاح ناحيتى سرّخنى  
مكرما ؛ فإن الحسدة والأعداء رموني عنده بما ليس فى ، وتقولوا على الأفاويل ،  
فلا يستحل دمي ويردنى مكرما ، ويقىمنى ببلاده معظما مبجلا ؛ وإن كان قد  
سبق فى علم الله عز وجل أنه يبدر إلى منى بادرة سوء ، وقد حضر أجلى ، وكان  
سفك دمي على يده ، فإني أحسن الظن بالله الذى خلق ورزق ، وأحيا وأمات ،  
وإن الصبر والرضا والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة ! وقد كنت أحسب أنك  
تعرف هذا ؛ فإذ عرفت مبلغ فهمك فإني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق  
بيننا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى !

قال منارة : ثم أعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير التسبيح أو طلب ماء أو  
حاجة حتى شارفنا الكوفة .

ودخلت على الرشيد وقبّلت الأرض بين يديه ، ووقفت ، فقال : هات ما عندك  
يامنارة ، فسقت الحديث من أوله إلى آخره ، فلما جئت على آخره قال : صدق  
والله ! ما هذا الرجل إلا محسود النعمة مكذوب عليه ؛ ولعمري لقد أزعجناه وأديناه  
وروعنا أهله ؛ فبادر بنزع قيوده وأثنتى به ؛ ففعلت وأدخلته على الرشيد .

فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد ، فدنا الأموى  
وسلم بالخلافة ووقف ؛ فرد عليه الرشيد ردا جميلا ، وأمره بالجلوس فجلس ، فأقبل  
عليه الرشيد وسأله عن حاله ، ثم قال له : بلغنا عنك فضل هيئة وأمر أحببنا

معها أن نراك ، ونسمع كلامك ، ونُحَسِّنَ إليك ؛ فاذا ذكر حاجتك ؛ فأجاب الأموي جواباً جميلاً ، وشكر ودعا . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أن تردني إلى بلدي وأهلي وولدي ، قال : نفعل ذلك ، ولكن سل ما تحتاج إليه في مصالح جاهك ومعاشك ، فإن مثلك لا يخلو أن يحتاج شيئاً من هذا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عمالك مُنْصِفُونَ ، وقد استغنيتُ بَعْدَ لِهِمْ عن مسألتى ، فأمرى مستقيمة ، وكذلك أهل بلدي بِالْعَدْلِ الشامل في ظلِّ أمير المؤمنين .

فقال الرشيد : انصرف محفوظاً إلى بلدك ، واكتب إلينا بأمرٍ إن عرض لك ، فودَّعه الأموي .

قال منارة : فلَمَّا ولى خارجاً قال الرشيدُ يامنارة ، احمله من وقتك وسرُّ به راجعاً كما جئت به ، حتى إذا وصلت إلى مجلسه الذي أخذته منه فدَّعه وانصرف !

١٢٥ — يواسى بعضهم بعضاً \*

قال الواقدي (١) :

كان لى صديقان أحدهما هاشمى ، وكنا كنفسٍ واحدة ، فنالتنى ضيقةٌ شديدة ، وحضر العيدُ ، فقالت امرأتى : أمّا نحن فى أنفسنا فنصبرُ على البؤس والشدة ، وأمّا صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قباي رحمةً لهم ؛ لأنهم يرون صبيانَ الجيران وقد تزيّنوا فى عيدهم ، وأصاحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ! فلو احتلتُ بشيء تصرفه فى كسوتهم !

فكُتبتُ إلى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة علىّ ، فوجه إلى كيسا محتوما ، ذكر أن فيه ألفَ درهم ؛ فما استقرّ قرارى إذ كتب إلى الصديق الآخرُ يشكو مثل ماشكوتُ إلى صاحبي ؛ فوجهتُ إليه الكيسَ بحاله ، وخرجتُ إلى المسجد ، فأمتُ فيه ليلتي مُستحياً من امرأتى .

فلما دخلتُ عليها استحسنّت ما كان منى ، ولم تعنّفنى عليه .

فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقى الهاشمى ومعه الكيسُ كهيمته ، فقال لى : اصدّقنى عما فعلته فيما وجهتُ إليك ؟ فعرفّته الخبر على وجهه ، فقال : إنك وجهتَ إلىّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثتُ به إليك ، وكتبتُ إلى صديقنا أسأله المواسة ، فوجه إلى بكيسى ! فتواسينا الألفَ أثلاثاً !

\* السعوى ص ٣٣٦ ج ٢

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد من أقدم المؤرخين فى الإسلام ومن أشهرهم ولد بالمدينة وانتقل إلى العراق فولاه المأمون القضاء بالرصافة ، ثم ولى قضاء بغداد ، ومن كتبه « المغازى النبوية » توفى سنة ٢٠٧ هـ .

ثم نعى الخبر إلى المأمون فدعاني ، فشرحتُ له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لكلِّ واحد ألفا دينار ، والمرأة ألف دينار .

١٢٦ — وفي للبرامكة \*

قال عمرو بن مسعدة :

رُفِعَتْ قِصَّةُ إِلَى المأمون منسوبةٌ إلى محمد بن عبد الله يَمُتُ فِيهَا بِجُرْمَةٍ ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النِّعْمَةِ وَالْقَدْرِ ، وَأَنَّهُ مَوْلى لِيَحْيَى بن خالد ، وَأَنَّهُ كَانَ ذَا ضِعْفَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَنِعْمَةٍ جَلِيلَةٍ ، وَأَنَّ ضِيَاعَهُ قُبِضَتْ فَمَا قُبِضَ للبرامكة ، وَزَالَتْ نِعْمَتُهُ بِمَجْلُولِ النَّقْمَةِ عَلَيْهِمْ .

فدفعها المأمون إلى ابن أبي (١) خالد ، وأمره أن يَضُمَّ الرَّجُلَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَنْ يُجْرِيَ عَلَيْهِ ، وَيُحْسِنَ إِلَيْهِ . ففعل به ذلك ، وَصَلَحَتْ حَالُهُ ، وَصَارَ نَدِيمًا لابن أبي خالد لا يفارقه .

فتأخر عنه ذات يومٍ لمولودٍ وُلِدَ لَهُ ؛ فبعث إليه ، فاحتجب عنه ؛ فغضب عليه ابنُ أبي خالد ، وأمر بحبسِهِ وَتَقْيِيدِهِ ، وَإِلْبَاسِهِ جُبَّةً صَوْفَ ؛ فَكَثَّ كَذَلِكَ

\* المحاسن والساوى ص ٢٢٢ طبعة لينج .

(١) هو أحمد بن أبي خالد ، استوزره المأمون بعد وفاة الفضل بن سهل وقال له : إني كنت عزمت ألا أستوزر أحدا بعد ذى الرياستين ، وقد رأيت أن أستوزرك . فقال : يا أمير المؤمنين ، اجعل بيتي وبين الغاية منزلة . يتأملها صديق فيرجوها لى ، ولا يقول عدوى قد بلغ الغاية وليس إلا الانحطاط . فاستحسن المأمون كلامه واستوزره . وظل أميرا عنده حتى مات سنة ٢١١ هـ وصلى عليه المأمون .

أياماً . فسأله المأمون عنه ؛ فقص عليه قصته ، وعظم جُرمه ، وشكا ما يراه عليه من التَّيِّبِ وَالصَّافِّ والافتخار بالبرامكة ، والسُّمُوِّ بآبائهم .

فأمره بإحضاره ، فأخضر في صُوفِهِ ؛ فأقبل عليه المأمون بالتوبيخ مُصَغَّرًا لِقَدْرِهِ ، مُسَهِّبًا لرأيه ، وعظَّم في عينه إحسانَ ابن أبي خالد إليه ، مع طَعْنٍ عَلَى البرامكة ، ووَضَعَ منهم ؛ فأطب في ذلك .

قال محمد : يا أمير المؤمنين ؛ لقد صَغَّرْتَ من البرامكة غير مصغَّر ، وذمَّمتَ منهم غير مذموم ، ولقد كانوا شفاءً أَسْقَامَ دَهْرِهِمْ ، وغيثاً أجادب عصرهم ، وكانوا مَفْرَعًا للملُوفين ، وملجأً للمظلومين ؛ وإن أذن لي أمير المؤمنين حدثته ببعض أخبارهم لَيْسْتَدِلَّ بِذلك على صِدْقِ قولي فيهم ، ويقف على جميل أخلاقهم ، ومحمود مذاهبهم في عصرهم ، والأفعال الشريفة والأيدى النفيسة !

قال : هات ! قال : ليس بإنصاف ؛ محدث مقيَّد ، في جبة صوف ! فأمر فأخَذَ قَيْدَهُ . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أَلَمْ الجِبَّةِ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَدِيثِ ، فأمر فُخِّلِعَ عليه ، ثم قال : هاتِ حَدِيثَكَ !

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ كان ولأني وانقطعني إلى الفضل ؛ فقال لي الفضل يوماً بمحضر من أبيه وأخيه جعفر : ويحك يا محمد ! إني أحبُّ أن تدعوني دعوةً كما يَدْعُو الصديقُ صديقه ، والخليلُ خليله !

فقلت : جُعِلَتْ فداك ! شأني أصغرُ من ذلك ، ومالي يعجزُ عنه ، وباعى يَقْصُرُ عن ذلك ، وداري تَصِيقُ عنه ، ومُنْتَى<sup>(١)</sup> لا تقومُ له ! قال : دَعُ عنك ذلك !

(١) المنة : القوة .

فلا بدّ منه . فأعدتُ عليه الاستعماء ، فرأيتُهُ جاداً في ذلك مقيماً عليه ؛ وسأله أبوه وأخوه الإعفاء ، وأعلماه قصورَ يدي عن بلوغ ما يجب له ويُشبهه مثله ؛ فقال لهما : لست بقانع منه دون أن يدعوني وإياكما لارابع معنا !

فأقبلَ عَلَيَّ يحيى ، وقال : قد أبى أن يُمفيك ، وإن لم يكن غيرنا فأقعدنا على أثاث بيتك فلا حشمة<sup>(١)</sup> منا . وأطعمنا من طعام أهلِكَ فنحن به راضون ، وعليه شاكرون .

فقلتُ : جُعِلتُ فِدَاكَ ! إن كنتَ قد عرضتَ عَلَيَّ ذلك ، وأبيتَ الإهتسكي وفضيحتي فأرجو أن تُوجَلتِي حتى أتأهب . فقال : استأجلِ لنفسك . فقلت : سنة ! فقال : ويحك ! أمعنا أمانٌ من الموت إلى سنة ؟ !

فقال يحيى : أفرطتَ في الأجل ، ولكني أحكمُ بينكما بما أرجو ألا يردّه أبو العباس ، وأقبله أنت أيضاً . فقلت : أحكمُ وفقك اللهُ للصواب ، وتفضلْ عَلَيَّ بالنسح في المدة . فقال : قد حكمتُ بشهرين .

فخرجتُ من عندهم ، وبدأتُ برمّ داري ، وإصلاح آتِي ، وشراء ما تجملُ به من فرش وأثاث وغير ذلك ، وهو في ذلك لا يزال يذكّرني ، ويعدّ الأيامَ عَلَيَّ ، حتى إذا كانت الجمعة التي تجبُ فيها الدعوة قال لي : يا محمد ؛ قد قَرُبَ الوقتُ ولا أحسب أنه قد بقى عليك إلا الطعام ؟ قلت : أجل ياسيدي !

فأمّرتُ باتّخاذِ الطعامِ على غاية ما انبسطتُ به يدي ومقدرتي ، وجاءني رسوله عشيةَ اليوم الذي في صبيحته الدعوة ، فقال لي : إلى أين بلغت ؟ وهل تأذنُ

(١) الحشمة : الاستحياء .



بالركوب؟ قلت: نعم، بكرّ. فبكرّ هو ويحيي وجعفر، ومعهم أولادهم  
وفتيانهم.

فلما دخلوا أقبل على الفضل، وقال: يا محمد؛ إن أول ما أبدأ به النظر إلى  
نعمتك كلّها صغيرها وكبيرها، فقم بنا إلى الدار حتى أدور فيها، وأقف عليها!  
فتمت معه، وطاف في المجلس، ثم خرج إلى الخزان، وصار إلى الاصطبلات،  
ونظر إلى صغير نعمتي وكبيرها، ثم عدل إلى المطبخ، فأمر بكشف القدور كلّها،  
وأبصر قدراً منها، فأقبل على أبيه، وقال: هذه قدرك التي تعجبك، ولست أبرح  
دون أن تأكل منها؛ فدعا برغيف فغمسه في القدر، وناول أباه؛ ثم فعل ذلك  
بأخيه، ودعا بخلال، وخرج إلى الدار، ووقف في صحنها مسرّحاً طرفه في فناؤها  
وبنائها وستوفها وأروقته. ثم أقبل على وقال: من جيرانك؟ قلت: جعلت فداك  
عن يميني فلان ابن فلان، وعن شمالي فلان ابن فلان، وفي ظهر داري رجل كبير،  
لا يفتر في بنائه ولا يقصر، فقال لي: أو تعرفه؟ قلت: لا! قال: ما كان ينبغي لك  
في قدرك ومحالك من هذه الدولة ألا يجترى أحد أن يشتري شيئاً في جوارك إلا  
بأمرك، وألا ترضى لنفسك إلاّ بجار تعرفه!

فقلت: لم ينعني من ذلك إلا ما كنت فيه من الشغل بهذه الدعوة المباركة.  
فقال لي: فأين الحائط الذي يتصل بداره؟ فأومأت إليه، فقال: على بيناء؟  
فأنتي به، فقال: أفتح هاهنا باباً! فأقبل عليه أبوه، وقال: نشدتك الله يابني ألا  
تهجم على قوم لا تعرفهم! وأقبل عليه أخوه بمثل ذلك، فأبي إلا أن يفتح  
الباب.

فلما رأيته قد ردَّ أباه وأخاه أمسكتُ عن مسألته ، ففتحت الباب ودخل ، وأدخلني معه ؛ فدخلتُ دارًا حار بصرى فيها من حُسْنِها ، واتهمينا إلى رواق فيه مائةُ مملوكٍ في زِيٍّ واحد ، عليهم الأَقْبِيَةُ<sup>(١)</sup> من الديباجِ ؛ وإذا شيخٌ قد خرج فقبل يده ؛ فقال له : مُرُّ بنا ننظر في مرافق هذه الدار ؛ فما دخلنا مجلسا إلا رأيناه قد فُرِشَ بما لا يحيط به الوصف .

ثم قال للشيخ : مرُّ بنا إلى مكانِ الدواب ، فدخلنا اصطبلًا فيه أربع مائةٍ من البغال وغيرها ، فوجدتُ ذلك الاصطبل أحسنَ بناءٍ من داري .

ثم خرج نحو دور النساء ، والشيخُ بين يديه ؛ فلما انتهى إلى الباب وقف الشيخ . ودخل الفضل ، وأنا معه ، حتى دخلتُ بعضَ تلك الدور ، فإذا فيها مائةُ وصيفةٍ<sup>(٢)</sup> ، قد أقبلنَ في حُلِيِّهنَّ وحُلَّهنَّ ؛ فوقفنَ بين يديه ، فقال : يا محمد ؛ هذه الدار أجلُّ أم دارك ؟ فقلت : ياسيدي ؛ وما أنا ؟ وما داري ؟ هذه تصلحُ للأمر لاغيره ! فقال : يا محمد ؛ هذه الدارُ بما فيها من الدواب والرقيق والفُرش والأواني لك ، ولك عندي زيادة !

فقلت في نفسي : يهبُ لك ملكٌ غيره ! فعلمَ ما في نفسي ، فقال : يا محمد ؛ إني لما سألتك هذه الدعوة تقدمتُ إلى القَهْرَمَانِ بشراء هذا البراح ، وأن يجعل الفراغ منه ومن بنائه ، وحوّلتُ إلى الدار ما ترى ؛ فبارك الله لك فيها .

وانصرف بي إلى أبيه وأخيه ، وحدثهما بما جرى ؛ فرأيتُ أخاه جعفرًا قد مَعِضَ<sup>(٣)</sup> من ذلك ، وتغيّر وجهه تغيّرًا عرَفْتُهُ ، ثم أقبل على أبيه يشكو الفضل ،

---

(١) جمع قباء (٢) الوصيفة : الخادم (٣) معض من الأمر كقرح : غضب .

ويقول : يَتَفَرَّدُ بمثل هذه المكرمة من دوني ؛ فلو شاركني فيها لكانت يدا  
أشكرهما منه !

فقال : يا أخى بقى لك منها قُطْبُهَا<sup>(١)</sup> ! قال : وما هو ؟ قال : إن مولانا هذا  
لا يتهيأ له ضَبَطُ هذه الدار بما فيها إلا بِدَخْلِ جليل ، فَأَعْطِهِ ذلك !

فقال : فَرَجَّتْ عني يا أخ ! فَرَجَّ اللهُ عنك ! فدعا من وقته بصِكَاك<sup>(٢)</sup> الخمس  
قُرَيَّات ، واحتمل عني خَرَّاجَهَا ، فخرجوا عني ، وأنا أيسر أهل زمانى !

فهل تلومنى يا أمير المؤمنين على ذِكْرِهِمْ ، والإشادة بفضلهم ؟

فقال المأمون : ذهب القومُ والله بالمسكارم ! ثم أمر لحمد بمائة ألف درهم ،  
وتقدّم إلى ابن أبى خالد بردّ مرّة تبتّه ، وتصميره فى جملة خواصه !

(١) قطب الشيء : ملاكه ومداره (٢) جمع صك .

١٢٧ — أفضل الأصحاب \*

كان محمد بن حميد<sup>(١)</sup> الطوسي على غداءه يوما مع جلسائه ، وإذا بصبيحة عظيمة على باب داره ، فرفع رأسه ، وقال لبعض غلمانه : ماهذه الصبحة ؟ من كان على الباب فليدخل !

فخرج الغلام ، ثم عاد إليه ، وقال : إن فلانا أخذ وقد أوثق بالحديد ، والغلمان ينتظرون أمرك فيه ؛ فرفع يده عن الطعام ؛ فقال رجل من جلسائه : الحمد لله الذي أمكنك من عدوك ، فسبيله أن تسقى الأرض من دمه ؛ وأشار كلٌّ من جلسائه عليه بقتله على صفة اختارها ، وهو ساكت !

ثم قال : يا غلام ؛ فك عنه وثاقه ، ويدخل إلينا مكرما .

فأدخل عليه رجل لادم فيه ؛ فلما رآه هس إليه ، ورفع مجلسه ، وأمر بتجديد الطعام ، وبسطه بالكلام ، ولقمه<sup>(٢)</sup> حتى انتهى الطعام ، ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة ، وأمر برده إلى أهله مكرما ، ولم يعاتبه على جرم ولا جناية .

ثم التفت إلى جلسائه ، وقال لهم : إن أفضل الأصحاب من حضَّ الصاحب على المسكارم ، ونهاه عن ارتكاب المآثم ؛ وحسن لصاحبه أن يجازى الإحسان بضعفه ، والإساءة بصفحه ، إنا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أتيح من الظفر ! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن

\* نهاية الأرب ص ٦٣ ج ٦ ، غرر الخصاص ص ٢٣٩

(١) محمد بن حميد الطوسي : وال من قواد جيش المأمون العباسي ، استعمله على الموصل ، وكان شجاعا ممدوحا جوادا وقتل سنة ٢١٢ هـ (٢) لقمه : يريد أطعمه .

يُمْسِكَ إِلَّا عَنْ قَوْلِ سَدِيدٍ وَأَمْرٍ رَشِيدٍ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْوَمُ لِلنَّعْمَةِ ، وَأَجْمَعُ لِللَّئِمَّةِ .  
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ <sup>(١)</sup> : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ  
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا  
عَظِيمًا » .

### ١٢٨ — مَا وُلِدَتِ الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ \*

قال الأصمعي <sup>(٢)</sup> :

قصدتُ في بعض الأيام رجلاً كنتُ أغشاهُ لِكَرَمِهِ ؛ فوجدتُ على بابه بواباً ؛  
فمنعني من الدخولِ إليه ؛ ثم قال : والله يا أصمعي ما أوقفني على بابه لأمنع مثلك  
الإلرقَةَ حاله ، وقصورِ يده ؛ فكتبتُ رُقعةً فيها :

إذا كان الكَرِيمُ له حِجَابٌ فما فضلُ الكَرِيمِ على اللئيمِ <sup>(٣)</sup> ؟

ثم قلتُ له : أوصلِ رُقعتي إليه ؛ ففعل وعاد بالرُقعة ، وقد وقَّعَ على ظهرها :

إذا كان الكَرِيمُ قليلَ مالٍ تحجَّبَ بالحِجَابِ عن الغريمِ

ومع الرُقعةِ صُرَّةٌ فيها خمسمائة دينار .

فقلت : والله لا أتخفَنَ <sup>(٤)</sup> المأمونَ بهذا الخبر ؛ فلما رآني قال : من أين

يا أصمعي ؟ قلتُ : من عند رجلٍ من أكرمِ الأحياءِ حاشا أمير المؤمنين .

(١) قرآن كريم — سورة الأحزاب — آية ٧٠ ، ٧١

✽ ثمرات الأوراق للحموي ص ٢٣٢ ج ١

(٢) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، نشأ بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن

أئمتها ، وقد اشتهر بالثقة في الرواية والتضلع من اللغة ونقد الشعر ، توفي سنة ٢١٦ هـ

(٣) اللئيم : البخيل (٤) التحفة : الطرف .

قال : ومن هو ؟ فدفعتُ إليه الورقةَ والشرَّةَ ، وأعدتُ عليه الخبر . فلما رأى  
الشرَّةَ قال : هذا من بيت مالى ، ولا بدلى من الرجل ! فقلتُ : والله يا أمير المؤمنين  
إني أستحي أن تُروِّعَه (١) برُّسُلكِ ، فقال لبعض خاصته : أمضِ مع الأصمعي ؛  
فإذا أراك الرجل ، فقل له : أجب أمير المؤمنين من غير إزعاج !  
فلما حضر الرجلُ بين يدي المأمون قال له : أنت الذى وقعتَ لنا بالأمس ،  
وشكوتَ رِقَّةَ الحال ، وأن الزمان قد أناخ عليك بِكَلِّكَلِه (٢) ؛ فدفعتُ إليك  
هذه الصرة لتُصلِحَ بها حالك ؟ فقصدك الأصمعي بيتَ واحدٍ ؛ فدفعتها إليه !  
فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! والله ما كذبتُ فيما شكوتُ لأمير المؤمنين من  
رِقَّةِ الحال ؛ لكنى استحييتُ من الله تعالى أن أُعيدَ قاصِدِي إلَّا كما أَعادَنِي  
أميرُ المؤمنين .

فقال له المأمون : لله أنت ؟ فما ولدتِ العربُ أكرمَ منك !

(١) روعه : أفزعه (٢) الكلكل : الصدر ، والمعنى : أنك فى ضيق وشدة .

١٢٩ — الأصمعي يطلب القرى \*

قال الأصمعي :

سرتُ في تطوّافي في العرب بجبلي طيئ ؛ فدفعتُ إلى قومٍ منهم يَحْتَلِبُونَ  
اللبن ، ثم يصيحون : الضيفَ الضيفَ ! فإن جاء من يُضيفُهُم ، وإلا أراقوه ، فلا  
يذوقون منه شيئاً دون الضيف إلا أن يجهدَهُم الجوع .

ثم دَفَعْتُ إلى رجل من ولد حاتم بن عبد الله ؛ فسألتُهُ القري ، فقال : القري  
والله كثير ، ولكن لا سبيلَ إليه ، فقلت : ما أحسب عندك شيئاً ؛ فأمرَ  
بالحِفْآن ، فأخرجتُ مُكْرَمَةً بانثريد ، عليها وَذْرٌ<sup>(١)</sup> اللحم ، وإذا هو جادٌ في  
المنع ؛ فقلت : والله ما أشبهتُ أباك حيث يقول :

وأبرزُ قَدْرِي بالفناء ، قليلها يُرى غيرَ مَضْنُونٍ به وكثيرها  
فقال : إلا أشبهه في هذا ؛ فقد أشبهته في قوله :

أماوى إما مانعٌ فَمُبَيِّنٌ وإماعة لا يُنهنه<sup>(٢)</sup> الزجرُ  
فأنا والله مانعٌ مبين . فرحلتُ عنه .

ودفعتُ إلى امرأة من ولدِ ابن هرمة فسألتها القري ، فقالت : إني والله  
مُرْمَلَةٌ مُسِنَّةٌ<sup>(٣)</sup> ، ما عندي شيء ، فقلت : أما عندك جزور ؟ فقالت : والله

\* ذيل الأمالي ص ١١١ الطبعة الأميرية .

(١) الوزرة من اللحم : القطعة الصغيرة لا عظم فيها (٢) ينهنه : يكنه (٣) أسنتت : أصابتها السنة وهى الجذب .

ولا شاة ، ولا دجاجة ، ولا بيضة ! فقلت : أمّا ابنُ هرمة أبوك ؟ فقالت . بلى  
والله ! قلت : قاتلَ اللهُ أباك ! ما كان أكذبه حيث يقول :

لا أمتع العوذ<sup>(١)</sup> بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل  
إني إذا ما البخيلُ آمنها باتت ضموراً<sup>(٢)</sup> مني على وجل  
ووليتُ ، فنادت : أربع أيها الراكب ؛ ففعله والله ذلك أقله عندنا ؛  
فقلت : إلا تكوني أوسعتنا قرى ، فقد أوسعتنا جواباً !

١٣٠ — لقد أمكنك الله من الوفاء \*

قال صاحب شرطة المأمون<sup>(٣)</sup> :

دخلت يوماً مجلس أمير المؤمنين ببغداد ، وبين يديه رجلٌ مكبلٌ بالحديد ؛  
فلما رأيته ، قال لي : يا عباس . قلت : لبيك يا أمير المؤمنين !  
قال : خذ هذا إليك ، واحتفظ به ، وبكر به إلى في غد !  
فدعوتُ جماعةً فحملوه ، ولم يقدر أن يتحرك ! فقلت في نفسي : لم لهذه  
الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين يجب أن يكون معي في بيتي ؛ فأمرتهم  
فتركوه في مجلس لي في داري .

(١) العوذ : الحديثات النتاج (٢) ضمير البعير : أمسك جرته في فيه ولم يجتر .

\* المستطرف ص ٢٤٠ ج ١ ، العقد الفريد للملك السعيد ص ٨١

(٣) انظر صفحة ص ١٤٢



ثم أخذتُ أسأله عن قضيتته وعن حاله ، ومن أين ؟  
فقال : أنا من دِمَشقُ ؛ فقلتُ : جزى الله دِمَشقَ وأهلها خيراً ! فمن أنتَ  
من أهلها ؟ قال : وعمن تسألُ ؟ قلتُ : أتعرفُ فلاناً ؟ قال : ومن أين تعرفُ  
ذلك الرجل ؟ فقلتُ : وقعتُ لى معه قضية . فقال : ما كنتُ بالذى أعرفُّك خبره ،  
حتى تعرفنى قضيتك معه !

فقال : كنتُ مع بعضِ الولاة بدمشق ؛ فبغى أهلها ، وخرجوا علينا ، حتى  
ان الوالى تدلّى فى زنبيل<sup>(١)</sup> من قصر الحجاج ، وهرب هو وأصحابه ، وهربتُ  
فى جملة القوم .

فبينما أنا هاربٌ فى بعضِ الدُّرُوبِ إذا بجماعة يَعدُّون خلفى ؛ فما زلتُ أعدُّو  
أمامهم ، حتى فُتُّهم ؛ فمررتُ بهذا الرجل الذى ذكرته لك ، وهو جالسٌ على باب  
داره ؛ فقلتُ : أغثني أغاثك الله ! قال : لا بأسَ عليك ! ادخلِ الدار ؛ فدخلتُ ،  
فقالَت زوجته : ادخلِ تلكَ المقصورة<sup>(٢)</sup> ؛ فدخلتها ، ووقف الرجلُ على باب  
الدار ؛ فما شعرتُ إلا وقد دخل ، والرجالُ معه ، يقولون : هو واللهِ عندك !

فقال : دونكم الدار ، فتَّشوها ؛ فتَّشوها حتى لم يبقَ سِوَى تلكَ المقصورة ،  
وامرأته فيها ؛ فقالوا : هو هاهنا ! فصاحتُ بهم المرأة ونهرتهم ؛ فانصرفوا .

وخرج الرجلُ وجلس على باب داره ساعةً ، وأنا قائمٌ أرجفُ ، ماتحِماني  
رجالى من شدَّة الخوف ؛ فقالت المرأة : اجلس لا بأسَ عليك ! فجلستُ فلم ألبث

(١) الزنبيل : القفة (٢) المقصورة : الدار الواسعة المحصنة أو هى أصغر من الدار ، ولا يدخلها

إلا صاحبها .

حتى دخل الرجلُ فقال : لا تخفُ ؛ قد صرف اللهُ عنك شرَّهم ، وصرتَ إلى الأمان والدعة .

فقلت له : جزاك اللهُ خيراً . ثم مازال يعاشِرُنِي أحسنَ معاشرةٍ وأجملها ، وأفردَ لي مكاناً في داره ، ولم يفتر عن تفقُّد أحوالي .

فأقمتُ عنده أربعة أشهر في أرغدٍ عيشٍ وأهنيئهِ إلى أن سكنتُ الفتنةُ وهدأتُ ، وزال أثرُها ؛ فقلت : أتأذنُ لي في الخروجِ حتى أتفقِّدَ حالَ غلماي ؛ فلعلي أقفُ منهم على خير ؛ فأخذ عليّ المواعيق بالرجوعِ إليه .

فخرجتُ فطلبتُ غلماي ؛ فلم أرَ لهم أثراً ؛ فرجعتُ إليه وأعلمته الخبر ، وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ، ولا يعرفُ اسمي ، ولا يخاطبني إلا بالكنية .

ثم قال : علامَ تعزمُ ؟ فقلتُ : عزمتُ على التوجهِ إلى بغداد ؛ فقال : القافلةُ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ؛ وهأنذا قد أعلمتُك !

فقلت له : إنك تفضلتُ عليّ هذه المدَّة ، ولك عليّ عهدٌ ألا أنسى لك هذا الفضل ؛ ولا كافئتك ما استطعت .

ثم دعا غلاماً له أسود ، وقال له : أسرجِ الفرس ، ثم جهِّز آلةَ السفر ؛ فقلت في نفسي : أظنُّ أنه يريدُ أن يخرجَ إلى ضيعةٍ أو ناحيةٍ من النواحي ؛ فأقاموا يومهم ذلك في كدٍّ وتعب .

ولما حان يومُ خروجِ القافلةِ جاءني السحر<sup>(١)</sup> ، وقال لي : قم ؛ فإن القافلةَ تخرجُ الساعة ، وأكرهُ أن تنفردَ عنها ؛ فقلتُ في نفسي : كيف أصنعُ ؛ وليس معي ما أتزود به ، ولا ما أكرتُ به مراكباً<sup>(٢)</sup> ! ثم قلتُ ؟ فإذا هو وامرأتهُ

(١) السحر : قبيل الصبح (٢) المراكب : ما يركب .

يحملان أفخر الملابس ، وخفين جديدين ، وآلة السفر . ثم جاءني بسيف ومنطقة ؛ فشدّهما في وسطى ، ثم قدّم بغلاً فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ، وقدّم إلى الفرس ، وقال : اركب ، وهذا الغلام الأسود يخدمك ، ويسوسُ مركوبك .

وأقبل هو وامراته يعتذران إلى من التقصير في أمري ، وركب معي يشيعني ، وانصرفت إلى بغداد وأنا أتوقّع خبره ؛ لأني بهدي له في مجازاته ومكافأته ، واشتغلتُ مع أمير المؤمنين ؛ فلم أتفرّغ أن أرسل إليه من يكشفُ خبره ؛ فلهدأ أسأل عنه !

فلما سمع الرجلُ الحديثَ قال : لقد أمكنك الله من الوفاء له ، ومكافأته على فعله ، ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ، ولا مئونة تلتزمك .  
فقلتُ : وكيف ذلك ؟ قال : أنا ذلك الرجل ، وإنما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي ، وما كنت تعرفه مني .

فما تمالكْتُ أن قمتُ وقبّلتُ رأسه ، ثم قلتُ له : فما الذي أصاركَ<sup>(١)</sup> إلى ما أرى ؟ فقال : هاجتُ بدمشق فتنةً مثلُ الفتنة التي كانت في أيامك ؛ فنسبتُ إلى ، وبعث أمير المؤمنين بجموش ؛ فأصلحوا البلد ، وأخذتُ أنا ، وضربتُ إلى أن أشرفتُ على الموت ! وقيدتُ وبعثتُ بي إلى أمير المؤمنين ، وأمري عنده عظيم ، وخطبي لديه جسيم ، وهو قاتلي لا محالة !

وقد أُخرجتُ من عند أهلي بلا وصية ، وقد تبعني من غلماني من ينصرف إلى أهلي بخبري ، وهو نازلٌ عند فلان ؛ فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي

(١) أصارك : صيرك .

أن ترسل من يُحضِرُه حتى أوصيه بما أريد؟ فإن أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حدَّ المكافأة، وقت لي بوفاء عهدك! قلت: يصنع الله خيراً!

ثم أحضَرَ العباس حداداً في الليل فكَّ قيوده، وأزال ما كان فيه من الأنكال<sup>(١)</sup>، وأدخله حمام داره، وألبسه من الثياب ما احتاج إليه، ثم سَيرَ مَنْ أَحضَرَ إليه غلامه.

فلما رآه جعل يبكي ويوصيه؛ فاستدعى العباسُ نائبه، وقال: عليّ بالأفراس والهدايا؛ ثم أمره أن يشيِّعه إلى حدِّ الأنبار!

فقال له: إن ذنبي عند أمير المؤمنين عظيمٌ، وخَطْبِي جسيمٌ، وإن أنت احتججت بأني هربتُ بعث في طلي كلَّ من علي بابه؛ فأردَّ وأقتل.

فقال العباس: انج بنفسك ودعني أدبر أمري! فقال: والله لا أبرحُ بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك! فإن احتججت إلى حضوري حضرت.

فقال العباس: إن كان الأمر على ما تقول، فلتكن في موضع كذا؛ فإن أنا سلمتُ في غداة غدٍ أعلمتُك، وإن أنا قُتلتُ فقد وقَّيتُك بنفسي كما وقَّيتني! ثم تفرَّغ العباس لنفسه، وتحنَّط وجَّه له كفناً.

قال العباس: فلم أفرغ من صلاة الصبح إلا ورسُلُ المأمون في طلي، وهم يقولون: هاتِ الرجل معك وقم.

فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين؛ فإذا هو جالسٌ ينتظر. فقال: أين الرجل؟ فسكت! فقال: ويحك! أين الرجل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين؛ اسمع مني. فقال: لله عليَّ عهدٌ لئن ذكرت أنه هرب لأضربنَّ عنقك! فقلت: لا والله

(١) الأنكال: جمع نكل: القيد الشديد.

يا أمير المؤمنين ما هرب ، ولكن اسمعُ حديثي وحديثه ، ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري ! قال : قل .

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ كان من حديثي معه كيت وكيت ، وقصصتُ عليه القصة جميعها ، وعرفته أني أريدُ أن أفي له ، وأكفته على فعله معي ، وقلت : أنا وسيدى ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين : إما أن يصفح عني ؛ فأكون قد وفيتُ وكفأتُ ، وإما أن يقتلني فأقيه بنفسى ، وقد تحنّطت ، وها هو ذا كفى يا أمير المؤمنين !

فلما سمع المأمون الحديث قال : ويلك ! لا جزاك الله عن نفسك خيراً ! إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة ؛ وتكافئه بعد المعرفة ؟ هلا عرفتنى خبره ؛ فكنا نكافئه عنك ، ولا نقصّر في وفائك له ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين إنه هاهنا وقد حلف ألا يبرح حتى يعرف سلامتى ؛ فإن احتجتَ إلى حضوره حضر .

فقال المأمون : وهذه منّةٌ أعظمُ من الأولى ، اذهبْ إليه الآن ، فطيبْ نفسه وسكنْ روعه ، واثنتى به ، حتى أتولى مكافأته .

فأتيتُ إليه وقلت له : ليزل خوفك ؛ إن أمير المؤمنين قال كذا وكذا ! فقال : الحمد لله الذى لا يحمدُ على السراء والضراء سواه ! ثم قام وركب ، فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه ، وأدناه من مجلسه وحديثه ، حتى حضر الغداء فأكل معه ، وخلع عليه ، وعرض عليه أعمال دمشق ، فاستغنى ، فأمر له بصلّة ، وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به !

١٣١ - إبراهيم بن المهدي والمأمون \*

قال الواقدي :

كان إبراهيم <sup>(١)</sup> بن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه بالريّ ، وأقام مالسكاً لها سنةً وأحد عشر شهراً وأثنى عشر يوماً ، وله أخبارٌ كثيرةٌ أحسنها عندي ما حكاه لي . قال : لما دخل المأمون الرّمي في طليبي ، وجعل لعن أتاه بي مائة ألف درهم ، خِفْتُ على نفسي وتخيّرت في أمرى ، فخرجت من دارى وقت الظهر ، وكان يوماً صائفاً ، وما أدرى أين أتوّجه ، فوفقتُ في شارعٍ غيرِ نَافِذٍ ، وقلت : «إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» إن عدتُ على أثرى يُرتاب في أمرى .

ثم رأيتُ في صدر الشارع عبداً أسود قائماً على باب دار ، فتقدّمتُ إليه وقلت : هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار؟ فقال : نعم ، وفتح الباب ، فدخلتُ إلى بيت نظيف فيه حصّر وبسط ووسائد جلود إلا أنّها نظيفة ، ثم أغلق الباب علىّ ومضى ! فتوهّمته قد سمع الجمالة <sup>(٢)</sup> فيّ ، وأنه خرج ليذلّ علىّ ، فبقيت على مثل النار .

وبينا أنا كذلك إذ أقبلَ ومعه حمّال عليه كلُّ ما يحتاجُ إليه من خبز ، ولحم ، وقدرٌ جديدة وجرة نظيفة ، وكيزان جُدُد . فحطَّ عن الحمّال ، ثم التفت إلىّ وقال :

\* المطالعة العربية ص ٥٦ ج ٤ ، مجلّي الأدب ص ٢٣٦ ج ٤

(١) إبراهيم بن المهدي بن المنصور العباسي ، اخو هارون الرشيد ، كان وافر الفضل ، عزيز الأدب ، واسع النفس ، سخى الكف ، ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ، ولا أحسن منه شعراً ، مع يد طولى في الغناء ، والضرب بالملاهى وحسن المدامة ، بوبع بالخلافة سنة ٢٠١ هـ وتوفى بسر من رأى سنة ٢٢٤ هـ (٢) الجمالة : الأجر يعطى على عمل خاص .

جعلني الله فِدَاكَ ! أنا رجل حجّام ، وأنا أعلمُ أنك تَمَقَدَّرُنِي ؛ لما أتولاه من معيشتي ، فشأُ نك بما لم تقع عليه يد .

وكان بي حاجةٌ إلى الطعام فطبختُ لِنَفْسِي قِدْرًا ما أذْ كَرُّهُ أَنِي أَكَلْتُ مِثْلَهَا ؛ ولما قضيتُ أَرْبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ : هل لك في شرابٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّيُ الِهْمَ ؟ فقلت : ما أكرهُ ذلك - رغبةً مِنِّي في مُؤَانَسَتِهِ - فَأَتَى بِقَطْرَمِيزٍ <sup>(١)</sup> جَدِيدٍ لَمْ تَمْسَسْهُ يَدٌ ، وَجَاءَنِي بِدَسْتِ شَرَابٍ وَقَالَ : رَوْقٌ لِنَفْسِكَ . فَرَوَّقْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ ، وَأَحْضَرْتُ لِي قِدْحًا جَدِيدًا وَفَاكِهَةً وَأَبْقَالَا مُخْتَلِفَةً فِي طُسُوتٍ فِخَارٍ جَدِيدٍ .

ثم قال بعد ذلك : أَتَأْذَنُ لِي - جِئْتُ فِدَاءَكَ - أَنْ أَقْعَدَ نَاحِيَةً وَأَتِي بِشِرَابِي فَأَشْرِبُهُ سُرُورًا بِكَ ؟ فقلت له : افعل . ثم شربتُ وشرب ، ثم دخل إلى خزانة له فأخرج عودًا مصفحًا ، ثم قال لي : يَا سَيِّدِي ! لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ الْغِنَاءَ ، وَالسُّكْنُ قَدْ وَجِبَتْ عَلَيَّ مَرُوءَتِكَ حُرْمَتِي ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُشْرَفَ عَبْدًا لَكَ فَلِكِ عِلْوُ الرَأْيِ ! فقلت : مِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَحْسَنُ الْغِنَاءَ ؟ فقال : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَوْلَانَا أَشْهَرُ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْتَ إِبرَاهِيمُ بْنُ المَهْدِيِّ خَلِيفَتُنَا بِالْأَمْسِ ، الَّذِي جَعَلَ المَأْمُونُ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

فلما قال ذلك عظمُ في عيني وثبتتُ مَرُوءَتَهُ عِنْدِي ، فَتَنَاوَلْتُ العُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَغَدَّيْتُ - وَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي فِرَاقُ أَهْلِي وَوَلَدِي :

وعسى الذي أهدى ليوسفَ أهله وأعزّه في السِّجْنِ وهو أَسِيرٌ  
أن يستجيبَ لنا فيجمعَ شملنا والله ربَّ العالمين قديرٌ

(١) القَطْرَمِيزُ : قَلَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الزَّجَاجِ .

فاستولى عليه الطرب المفرط ، وطاب عيشه كثيراً ، ومن شدة سروره وطربه  
قال : ياسيدي ! أتأذن لي أن أغنى ما سنج بخاطري ، وإن كنت من غير أهل  
هذه الصناعة ؟ فقلت : هذا زيادة في أدبك ومروءتك ، فأخذ العود وغنى :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا      فقالوا لنا : ما أقصرَ الليلَ عندنا  
وذاك لأنَّ النَّومَ يغشى عيونهم      سريعاً ولا يغشى لنا النَّومَ أعيننا  
إذا مادنا الليلُ المضرُّ بذي الهوى      جزعنا وهم يستبشرون إذا دنأ  
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثل ما      نلاقى لكانوا في المضاجعِ مثلنا

فوالله لقد أحسست بالبيت قد سار بي ، وذهب غنى ما كان بي من الهلع ،  
وسألته أن يُغنى مرّةً ثانيةً فغنى :

تعيّرنا أنا قليلٌ عديدنا      فقلت لها : إنَّ الكرامَ قليلٌ  
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا      عزيزٌ وجارُ الأَكثَرينَ ذليلٌ  
وإنَّ لقومَ لا نرى القتلَ سبةً      إذا مارأتهُ عامرٌ وسكولٌ  
يقربُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا      وتكرههُ آجالهم فتطولُ

فداخني من الطرب ما لا مزيد عليه ، ثم عاجني النوم فلم أستيقظ إلا بعد  
المغرب .

فعاودني فكرى في نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه ، فتمت وغسلت  
وجهي وأيقظته ، وأخذت خريطةً <sup>(١)</sup> كانت صُحبتى ، فيها دنانير لهاقيمة ، فرميتُ  
بها إليه ، وقلت له : استودعتك الله ؛ فإننى ماض من عندك ، وأسألك أن تنفق

(١) الخريطة : وعاء من جلد وغيره .



ما في هذه الخريطة في بعض مهمّاتك ، ولك عندي المزيد إن أمنت من خوفى .

فأعادها على منكرًا وقال : ياسيدى ! إن الصّعاليك منّا لا قدر لهم عندهم ،  
أأخذ على ما وهبنيهِ الزّمان من قُربك وحلولك عندي ثمنًا ؟ والله لئن راجعتنى  
في ذلك لأقتلنّ نفسى ، فأعدت الخريطة إلى كميّ وقد أثقلنى حملها .

ولما هممتُ بالخروج قال لى : ياسيدى ، إن هذا المكان أخفى لك من غيره ،  
وليس في مَمُونتك على ثقل ، فأقم عندي إلى أن يُفرج الله عنك . فرجعت وسألته أن  
ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل ، فأقمت عنده أيامًا على تلك الحالة في الدّ عيش ،  
ثم تدممت<sup>(١)</sup> من الإقامة عنده ، واحشمت من التثميل عليه ، فتركته - وقد مضى  
يُجدد لنا حالًا - وقتُ قزّيّت بزى<sup>(٢)</sup> النساء وخرجتُ ، فلما صرتُ في الطريق  
داخلى من الخوف أمرٌ شديد ، وجئت لأعبر الجسر ، فإذا أنا بموضع مرشوشٍ  
بماء ، فأبصرنى جندى ممن كان يخذمنى ، فعرفنى وقال : هذه حاجةُ المأمون !

ثم تعلق بى ؛ فدفعته هو وفرسه ، فرميتُهما في ذلك الزّلق ، فصار عبّرة ، وتبادر  
الناس إليه ، فاجتهدتُ في المشى حتى قطعتُ الجسر ، ودخلتُ شارعًا ، فوجدتُ باب  
دار ، وامرأة واقفة في دِهليز ، فقلت : ياسيدة النساء ! احقّتى دعى ، فإنى رجل خائف .  
فقلت : على الرّحب والسّعة ، وأطلعتنى إلى غرفة مفروشة ، وقدمت لى طعامًا ،  
وقالت : ليهدأ روعك فما علم بك مخلوق . وإذا بالباب يدقُّ دقًا عنيفًا ، فخرجتُ  
وفتحت الباب ، وإذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر ، وهو مشدوخ الرأس !

(١) تدمم : خشى اللوم والنم (٢) الزى : الهيئة .

ودمه على ثيابه وليس معه فرس ، فقالت : يا هذا ! مادهاك ؟ فقال : ظفرتُ بالمُعنى <sup>(١)</sup> وانفَلتَ عني . ثم أخبرها بما وقع له منى ، فأخرجت خرقاً ، وعصبتَه بها ، وفرشتُ له فنام عليلاً ، ثم طلعتُ إلى وقالت : أظنك صاحبَ القصة ، فقلت : نعم ! فقالت : لا بأس عليك ، ثم جدّدت لي الكرامة ، وأقت عندها ثلاثاً ، ثم قالت لي : إنني خائفةٌ عليك من هذا الرجل ، وأخشى أن ينمَّ بك ، فانجُ بنفسك . فسألتهُ المهلة إلى الليل ففعلتُ ، فلما دخلَ الليل لبستُ زِيَّ النساء ، وخرجتُ من عندها ، فأتيتُ إلى بيت مولاةٍ كانتُ لنا ، فلما رأتهُ بكّت وتوجّعتُ وحمدتُ الله على سلامتي ، وخرجتُ كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة ، فظننتُ خيراً ؛ فاشعرتُ إلا بأحد رجال المأمون في خيله ورجله ، والمولاة معه حتى سلّمتني إليه ، فرأيتُ الموتَ عياناً ، وحمّلتُ بالزّي الذي أنا فيه إلى المأمون .

فجلس مجلساً عاماً ، وأدخلني إليه ، فلما مثّلتُ بين يديه سلّمت عليه بالخلافة ، فقال : لا سلّم الله عليك ، ولا حيمك ولا رعاك ! فقلت له : على رسلك يا أمير المؤمنين ! إن وليّ الثأر محكمٌ في القصاص ، والعمو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كلِّ عفو ، كما جعل ذنبي فوق كلِّ ذنب ؛ فإن تأخذُ فبحقك ، وإن تعفُ فبفضلك ، ثم أنشدت :

ذنبي إليك عظيمٌ      وأنت أعظم منه  
فخذ بحقك أولاً      فاصفح بحلمك عنه  
إن لم أكن في فعالي      من الكرام فكنته  
فرفع إلى رأسه فيدترته وقلت :

(١) يقصد بالمعنى إبراهيم بن المهدي لشهرته بالغناء ، وكان يعير بذلك .

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ  
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْنٌ وَإِنْ جَزَيْتَ فَعَدْلٌ

فرق المأمون، واسترَوحتُ روائح الرحمة من شمائله، ثم أقبل على ابنه العباس، وأخيه أبي إسحق، وجميع مَنْ حضر من خاصته؛ فقال: ماترون في أمره؟ فكلُّ أشار بقتلي إلا أنهم اختلفوا في القِتلة كيف تكون، ثم قال المأمون لأحمد بن أبي خالد: ما تقول يا أحمد؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن تقتله وجدنا مثلك مَنْ قتل مثله، وإن عفوت عنه لم نجد مثلك من عفا عن مثله. فنكس المأمون رأسه وجعل ينكت في الأرض وأنشد متمثلاً:

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي  
فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

فكشفت المِقنعة عن رأسي، وكبرتُ تكبيرة عظيمة، وقلت: عفا - والله - عنِّي أمير المؤمنين، فقال المأمون: لا بأس عليك يا عم! فقلت: ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أنفوه معه بعذر، وعفوك أعظم من أن أنطقَ معه بشكر، ولكنني أقول:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا  
فِي صَلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ  
مُلَّتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً  
وَتَظَلُّ تَكَلُّوهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعِ  
مَا إِنْ عَصِيَّتُكَ وَالغَوَاةُ تَمَدَّنِي  
أَسْبَابُهَا إِلَّا بِنِيَّةٍ طَائِعِ  
فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ  
عَفْوُهُ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ  
وَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا  
وَحَنِينِ وَالِدَةٍ بَلْبٍ جَارِعِ

فقال المأمون: لا تتريب عليك اليوم، قد عفوتُ عنك، ورددتُ عليك مالاً

وضياعك. فقلت:

رددت مالى ولم تبخل علىّ به  
وقبل ردّك مالى قد حققت دمي  
فلو بذلت دمي لأبغى رضاك به -  
والمال ، حتى أسلّ النعل من قدمي  
ما كان ذلك سوى عار يه رجعت  
إليك ، لو لم تعرّها كنت لم تلم  
فإن حجدتْك ما أوليت من كرم  
إني إلى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون : إن من الكلام لدرًا وهذا منه ، وخلع علىّ وقال : يا عمّ ، إن  
أبا إسحاق والعباس أشارا بقتلك ؛ فقلت : إنهما نصحاك يا أمير المؤمنين ! ولكن  
أتيت بما أنت أهله ، ودفعت ما خفت بما رجوت ، فقال المأمون : أمتّ حقدى بحياة  
عذرك ، وقد عفوت عنك ، ولم أجرك مرارة امتنان الشافعين . ثم سجد طويلا ،  
ورفع رأسه وقال : يا عمّ ، أتدرى لم سجدت ؟ قلت : شكرا لله الذي أظفرك بعدو  
دولتك . فقال : ما أردت هذا ، ولكن شكرا لله الذي ألهمني العفو عنك ، فحدثني  
الآن حديثك . فشرحت له من أمرى ما كان ، فأمر بإحضار امرأة الجندي وأدخلها  
إلى القصر وقال : هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ، وأحضر الحجام فقال له : لقد  
ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة في إكرامك . ثم خلع عليه ، وأجرى له ألف  
دينار في كل عام ، ولم يزل في تلك النعمة إلى أن مات .

١٣٢ — من جود أبي دلف \*

لما مرض أبو دلف<sup>(١)</sup> بالعلة التي مات بها أقام شهراً ملازماً للوسادة ، فأفاق يوماً ، فقال لخادمه بشر : كم لي على هذه الحال ؟ قال : شهر ، فلما سمع ذلك من بشر بكى كثيراً ، وقال : أيمرُّ على من عمرى هذه المدة ، لأبرُّ فيها أحداً من الناس ؟ يا بشر ! اخرج إلى الباب فإن قلبي يشهد أن بالباب قوماً لهم إلينا حوائج . فلا تمتنع أحداً من الدخول إلينا .

فخرج بشر فإذا عشرة من أولاد أبي طالب ، فأمرهم بالدخول ، فدخلوا فابتدر رجلٌ منهم ، وقال : أصلحك الله ! نحن قوم من بنى أبي طالب من أهل بيت رسول الله ، وقد أحاطت بنا المصائب ، وأجحفت بنا النوائب ، فإن رأيت أن تجبرَ كسرنا ، وتغني فقرنا ، فمَجِّل !

فقال لخادمه : خذ بيدي ، فأجلسني على ذاك الفراش ، ففعل ، ثم قال : ليأخذ كل واحدٍ منكم ورقةً ، وليكتب فيها بخطه : إنه قبض مني مائة ألف درهم . فتحيّر وا عند قوله ، فلما كتبوا الرقاع وضعوها بين يديه ، فقال لخادمه : اتنى بالمال فأحضره ، فأعطى كل واحد منهم مائة ألف درهم .

فلما تسلموا المال قال رجل منهم : بالآباء نفديك ، وبالأمهات نفيك ! والله

\* المختار من نوادر الأخبار — مخطوط .

(١) هو القاسم بن عيسى ، أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده ، وكان كريماً سرياً جواداً مدحاً مقدماً ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة ، كما كانت له صنعة في الغناء توفي سنة ٢٢٥ هـ .

مالنا مال ولا عقار ، وخطوطنا عندك ماذا تصنع بها ؟ فبكي ، وقال لهم : أتظنون أنها وثائق عليكم ؟ لا والله ، لا والله ! ثم قال لخادمه : يا بشر ! إذا أنا مت فاجعل الرقاع في أكفاني ألقى بها محمداً صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ؛ ثم قال له : أعط كلًّا منهم ألف دينار لنفقة طريقه . انصرفوا بارك الله فيكم !

١٣٣ - عبد الله بن طاهر<sup>(١)</sup> والحصني \*

قال محمد<sup>(٢)</sup> بن الفضل الخراساني :

لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بما أثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم الخلويع<sup>(٣)</sup> عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني<sup>(٤)</sup> ، فأفرط في السب ، وتجاوز الحد في قبْح الرد .

فلما ولي عبد الله مصر ورُدَّ إليه تدبير أمر الشام عليم الحصني أنه لا يُفليت منه إن هرب ، ولا ينجو من يده حيث حلَّ ، فثبت في موضعه ، وترك أمواله ودوابه ، وكل ما كان يملكه في موضعه ، وفتح باب حصنه وجلس عليه ، ونحن نتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به .

\* الأغاني ص ١١ ج ١٢

(١) عبد الله بن طاهر : من أشهر الولاة في العصر العباسي ، ولاء المأمون خراسان ، وكان سيداً نبيلاً على الهمة شهماً وتوفي سنة ٢٣٠ هـ (٢) محمد بن الفضل الخراساني كان من وجوه قواد طاهر وابنه عبد الله وكان أديباً عاقلاً فاضلاً (٣) الخلويع : الأمين (٤) كانت من ولد مسامة بن عبد الملك .

فلما شارفتنا بلده ، وكنا على أن نصبحه ، دعاني عبدُ الله في الليل ، فقال لي :  
بتُ عندي الليلةَ وليسكن فرسكُ معداً عندك . ففعلت .  
فلما كان السحرُ أمر غلمانَه وأصحابَه ألاَّ يرحلوا حتى تطلعَ الشمس ، وركب  
وركبت معه أنا وخمسة من خواص غلمانَه .

فسار حتى صبحَ الحصنيَّ ، فرأى بابَه مفتوحاً ، ورآه جالساً ؛ فقصدَه ، وسلمَ  
عليه ونزل عنده ، وقال له : ما أجسكُ ها هنا وحملك على أن فتحتَ بابك ، ولم  
تتحصنَ من هذا الجيشِ المقبل ، ولم تتنحَّ عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك .  
وما بلغه عنك ؟ فقال : إنَّ ما قلتَ لم يذهب عني ولكني تأملتُ أمرى ، وعلمتُ  
أنى أخطأتُ خطيئةً حملني عليها نزقُ الشبابِ وغرَّةُ الحدائثِ ، وأنى إن هربتُ منه  
لم أفتَهُ ، فباعدتُ البناتِ والحرمَ ، واستسلمتُ بنفسى وكلَّ ما أملك ، وإني أثق  
بأن الرجلَ إذا قتلتني ، وأخذ مالي شفى غيظه ، ولم يتجاوز ذلك إلى الحرمِ ، ولا  
يوجب جُرْمى أكثر مما بذلتُهُ .

قال : فوالله ما انتقامَه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيتِه . ثم قال له :  
أتعرِّفُنِي ؟ قال : لا والله ، قال : أنا عبدُ الله بن طاهر ، وقد آمنَ الله تعالى  
روعتك ، وحقنَ دمك وصالَ حرمك ، وحرسَ نِعمتك ، وعفا عن ذنبك ،  
وما تعجلتُ إليك وحدى ألا لتأمنَ هجومَ الجيشِ ، ولئلا يُخالطَ عفوىَ عنك  
رَوْعةٌ تلحقك ؛ فبكى الحصنيُّ وقام فقبل رأسه ، وضمه عبد الله وأدناه ، ثم قال  
له : أما فلا بدم من عتاب : يا أخى - جعلنى الله فداك - قلتُ شعراً فى قومى أفخر بهم  
لم أظن فيه على حسبك ، ولا ادعيتُ فضلاً عليك ، وفخرتُ بقتل رجل - وإن كان  
من قومك - فهم القوم الذين تَأركُ عندهم ، فكان يسمُكُ السكوت !

فقال : أيها الأمير ؛ قد عفوت فأجعل العفو الذي لا يخطئه تَثْرِيْب ، ولا يكدر صفوه تَأْنِيْب . قال : قد فعلت ، فقم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجبَ عليك حقاً بالضيافة . فقام مسروراً . فأدخلنا فأتى بطعام كان قد أعدّه ، فأكلنا وجلسنا نشربُ في مستشرق له .

وأقبل الجيش فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم ولا ينزل أحدٌ منهم إلا في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ، ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خواجه ثلاث سنين ، وقال له : إن نشطت لنا فالحق بنا ، وإلا فأقيم بمكانك ، فقال : فأنا أتجهز وألحقُ بالأمير ، ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق فودّعه ، وأقام ببلده !



١٣٤ - حسن المكافأة\*

حكى الحسن<sup>(١)</sup> بن سهل ، قال :

كنت يوماً عند يحيى بن خالد البرمكى ، وقد خلا فى مجلسه لإحكام أمرٍ من أمور الرشيد ؛ فبينما نحن جلوس إذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوارج ، فقضاها لهم ، ثم توجهوا لشأنهم ؛ فكان آخرهم قياماً أحمد بن أبى خالد ، فنظر يحيى إليه ، والتفت إلى الفضل ابنه ، وقال : يابنى ، إن لأبيك مع أبى هذا الفتى حديثاً ؛ فإذا فرغت من شغلى هذا ، فذكرنى أحدثك به .

فلما فرغ من شغله وطعم<sup>(٢)</sup> ، قال له ابنه الفضل : أعزك الله يا أبى ، أمرتني أن أذكرك حديث أبى خالد ، قال : نعم يابنى :

لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي ، كان فقيراً لا يملك شيئاً ، فاشتدبى الأمر ، إلى أن قال لى من فى منزلى : إنا قد كتمنا حالنا ، وزاد ضررنا ، ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شئ نقتات به ! فبكيت يابنى لذلك بكاء شديداً ، وبقيت ولها ن حيران مطرقاً مفكراً .

ثم تذكرت مندبلاً كان عندى ؛ فقلت لهم : ما حال المندبيل ؟ فقالوا : هو باقى عندنا . فقلت : ادفعوه لى ، فأخذته ودفعته إلى بعض أصحابى ، وقلت له :

\* المستطرف ص ٢٣٩ ج ١

(١) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون بعد أخيه الفضل ، كان على الهمة ، كثير العطاء للشعراء وغيرهم ، توفى سنة ٢٣٦ هـ (٢) طعم : أكل .

بَعَهُ بِمَا تَيْسَّرُ ؛ فَبَاعَهُ بِسَبْعَةِ عَشْرِ دَرَاهِمًا ، فَدَفَعْتُهَا إِلَى أَهْلِي ؛ وَقُلْتُ : أَنْفَقُوهَا إِلَى أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ غَيْرَهَا !

ثُمَّ بَكَرْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ وَزِيرُ الْمَهْدِيِّ ، فَإِذَا النَّاسُ وَقُوفٌ عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ ؛ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَاكِبًا ؛ فَلَمَّا رَأَى سَلَّمَ عَلِيَّ ، وَقَالَ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَبَا خَالِدٍ ؛ مَا حَالُ رَجُلٍ يَبِيعُ مِنْ مَنْزِلِهِ بِالْأَمْسِ مَنْدِيلًا بِسَبْعَةِ عَشْرِ دَرَاهِمًا ؟ فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظْرًا شَدِيدًا ، وَمَا أَجَابَنِي .

فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي كَسِيرَ الْقَلْبِ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا اتَّفَقَ لِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ ، فَقَالُوا : نَسَى وَاللَّهِ مَا فَعَلْتَ ! تَوَجَّهْتَ إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَرْتَجِيكَ لِأَمْرِ جَلِيلٍ ، فَكَشَفْتَ لَهُ سِرَّكَ ، وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى مَكْنُونِ أَمْرِكَ ؛ فَأَزْرَيْتَ عِنْدَهُ بِنَفْسِكَ ، وَصَغَّرْتَ عِنْدَهُ مَنْزِلَتَكَ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتَ عِنْدَهُ جَلِيلًا ؛ فَمَا يَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا بَهْذَةَ الْعَيْنِ . فَقُلْتُ : قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ الْآنَ بِمَا لَا يُمْكِنُ اسْتِدْرَاكُهُ !

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَكَرْتُ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ ؛ فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ ، فَقَالَ لِي : قَدْ ذُكِرَتْ السَّاعَةَ بِبَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَمْ أَلْتَفِتْ لِقَوْلِهِ ، فَاسْتَقْبَلَنِي آخَرَ ، فَقَالَ لِي كَقِصَّةِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ ، فَقَالَ لِي : أَيْنَ تَكُونُ ؟ قَدْ أَمَرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَيَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ . فَلَمَّا رَأَى دَعَانِي ، وَأَمَرَ لِي بِدَابَّةٍ ، فَرَكِبْتُ ، وَسَرْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ؛ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : عَلِيُّ بْنُ فُلَانٍ وَفُلَانُ الْحَنْطَائِينِ <sup>(١)</sup> . فَأَحْضُرَا ، فَقَالَ لَهَا : أَلَمْ تَشْتَرِيَا مِنِّي غَلَّاتِ السَّوَادِ <sup>(٢)</sup> بِثَمَانِيَةِ عَشْرِ أَلْفِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ؟ قَالَا : بَلَى ،

(١)

(١) الحنط : بائع الحنطة ، وهي البر (٢) السواد : ما حوالى الكوفة من القرى .

قال : ألم اشترط عليكِ شركةَ رجلٍ معكما ؟ قالوا : بلى ، قال : هذا هو الرجل الذي اشترطتُ شركتهُ لكِما ، ثم قال لى : قمِ معهما .

فلما خرَجْنَا ، قال لى : ادْخُلْ معنا بعضَ المساجدِ حتى نكلمَكَ فى أمرٍ يكونُ لكِ فيه الربحُ الهنيءُ ؛ فدخلنا مسجداً ، فقالت لى : إنك تحتاجُ فى هذا الأمرِ إلى وكلاءٍ وأمناءٍ وأعاونٍ وموَّءنٍ ، لا تقدرُ منها على شيءٍ ، فهل لكِ أن تبیعَنا شركتَكَ بمالٍ نعجلُه لكِ ؟ فتنفَعَ به ، ويسقطَ عنك التعبُ والنصبُ ؟ فقلتُ لها : وكم تبذلانِ لى ؟ فقالتا : مائةَ ألفِ درهمٍ . فقلتُ : لأفعل .

فأزالا يزيدانى وأنا لا أرضى ، إلى أن قال لى : تلتائةَ ألفِ درهمٍ ، ولا زيادةَ عندنا على هذا . فقلتُ : حتى أشاورَ أبا خالدٍ . قال : ذلك لكِ !

فرجعتُ إليه وأخبرتهُ ، فدعا بهما ، وقال لهما : هل وافقتماه على ما ذَكَرَ ؟ قالتا : نعم . قال : اذهبا ، فانقُداه المِالَ الساعةَ ، ثم قال لى : أصلحُ أمرَكَ ، وتهيأى . فقد قلدتُكَ العملَ .

فأصلحتُ شأنى ، وقلدنى ما وعدنى به ، فمازلتُ فى زيادةٍ ، حتى صار أمرى إلى ما صار .

ثم قال لولده الفضل : يا بنى ! فما تقولُ فى ابنِ من فعلَ بأبيك هذا الفعلُ ؟ وما جزاؤه ؟ قال : حقٌّ لعمرى وجبَ عليكِ له . فقال : واللهِ يا ولدى ما أجْدُ له مكافأةً ؛ غيرَ أنى أعزِلُ نفسى وأولِيه .

١٣٥ - رجوتك دون الناس \*

قال أبو العيناء : حصلت لي ضيقة<sup>(١)</sup> شديدة ، فكتمتها عن أصدقائي ،  
فدخلت يوماً على يحيى<sup>(٢)</sup> بن أكرم ؛ فقال : إن أمير المؤمنين المأمون جلس  
للمظالم ؛ فهل لك في الحضور ؟ قلت : نعم ! فضيتُ معه إلى دار أمير المؤمنين ؛  
فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ، ثم قال : يا أبا العيناء ؛ ما الذي جاء بك في هذه  
الساعة ؟ فأشدته :

لقد رجوتك دون الناس كلهم وللرجاء حقوقٌ كلها تجبُ  
إن لم تكن لي أسبابٌ أعيشُ بها ففي العَلَلِ أخلاقٌ هي السببُ  
فقال : يا سلامة ؛ انظر أي شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين ؟ فقال :  
بقيةٌ من مال ! قال : فادفعْ إليه مائة ألفِ درهم ، وابتعْ له بمثلها في كلِّ شهر !  
فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون ؛ فبكى عليه أبو العيناء حتى  
تقرحتْ أجنانه ؛ فدخل عليه بعض أولاده ؛ فقال : يا أبتاه ! بعد ذهاب العين ،  
ماذا ينفع البكاء ؟ فأنشأ أبو العيناء يقول :

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤزنا بذهاب  
لم يبلغنا المعشأ<sup>(٣)</sup> من حقيهما فقدُ الشبابِ وفرقةُ الأحبابِ

\* ثمرات الأوراق للحموي ص ٢٤٥ ج ٢

(١) الضيقة : الفقر وسوء الحال (٢) يحيى بن أكرم : قاض رفيع القدر ، عالي الشهرة ،  
من نبله الفقهاء ، يتصل نسبه بأكرم بن صيفي حكيم العرب ، ولاء المأمون قضاء البصرة ، ثم ولاء  
قضاء بغداد ، ثم أضاف إليه تدير مملكته ؛ فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في  
شيء إلا بعد عرضه عليه ، ثم عزله المعتصم فلزم بيته ، وردده المتوكل إلى عمله ، وتوفى بالربذة  
سنة ٢٤٢ هـ (٣) معشار الشيء : عشره .

١٣٦ — المأمون يعفو عن الحسين بن الضحاك\*

قال محمد بن أبي الأزهر:

كنت بين يدي المأمون واقفا ، فأدخَلَ عليه ابنُ البوّاب الحاجبُ رقعةً فيها أبيات ، وقال : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذنَ لي في إنشادِها ! فَظَنَّهُ له ، فقال : هاتِ ؛ فأنشده :

أجرني فإني قد ظممتُ إلى الوعدِ      متى تُنجزُ الوعدَ المؤكّدَ بالعهدِ ؟  
أعيدُك من خلفِ الملوكِ وقد بدأ      تقطعُ أنفاسي عليك من الوجدِ  
أيخلُ فردُ الحُسنِ عني بنائلِ      قليل ، وقد أفرَدته بهوى فردِ  
إلى أن بلغ إلى قوله :

رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده      فملكه ، والله أعلمُ بالعبدِ  
ألا إنما المأمونُ للناسِ عصمةٌ      مميّزةٌ بين الضلالةِ والرشدِ

فقال المأمون : أحسنتَ يا عبدَ الله ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ بل أحسنَ قائلها ! قال : ومن هو ! قال : عبدك الحسين بن الضحاك<sup>(١)</sup> ! فغضب ، ثم قال : لا حياءَ

الله من ذكرتَ ولا بيّاه ولا قرّبه ، ولا أنعمَ به عينا ! ليس هو القائل :

أعيني جودًا وابكيا لي محمدًا      ولا تذخرا دمعًا عليه وأسعدًا  
فلا تمتِ الأشياءُ بعد محمد      ولا زال شملُ الملكِ فيه مُبددًا

\* عصر المأمون ص ٢٦٧ ج ٣ ، الأغاني ص ١٦٥ ج ٧ ، الفرج بعد الشدة ص ٦٢ ج ١

(١) هو مولى باهلة ، ولد بالبصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس وكان خليعًا فاسدًا ، ولكنه كان حسن الصرف في النظم ، وأشعره قبول وروثوق . مات سنة ٢٥١ هـ .

ولا فرح المأمونُ بالملكِ بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً

هذا بذاك ، ولا شيء له عندنا ! فقال له ابنُ البَوَّاب : فأين فضلُ أمير المؤمنين  
وسعةُ حلمه ، وعادته في العفو ؟

فأمره بإحضاره ، فلما حضر سلمَ فردَّ عليه ردًّا جافيا ؛ ثم أقبل عليه ، فقال :  
أخبرني عنك : هل عرفتَ يومَ قُتِلَ أخى محمد - رحمه الله - هاشميَّةً قُتِلتْ أو  
هُتكتْ ؟ قال : لا . قال : فما معنى قولك :

وسِرْبُ ظبَاءٍ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ      هَتَفَنَ بِدَعْوَى خَيْرِ حَيٍّ وَمَيِّتٍ  
أُرْدُ يَدًا مَنِي إِذَا مَاذَكَرْتُهُ      عَلَى كَبِدِ حَرَّى وَقَلْبِ مُفْتَتٍ  
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الشَّامَتِينَ بِغِبْطَةٍ      وَلَا بَلَغَتْ آمَالُهُمْ مَا تَمَنَّتِ

فقال : يا أمير المؤمنين : لوعةُ غلبتني ، وروعةُ فاجأتني ، ونعمةُ فقدتها بعد أن  
غمرتني ، وإحسانُ شكرته فأنطقني ؛ وسيدهُ فقدته فأقلقني . فإن عاقبتَ فيحتمك ،  
وإن عفوت فبفضلك .

فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك ، وأمرتُ بردَّ أرزاقك وإعطائك  
صافيات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك !

١٣٧ — وفاء كافور \*

قال أبو الفتح المنطقي: كنا جلوساً عند كافور الأخشيدي<sup>(١)</sup> وهو يومئذ صاحب مصر والشام، وله من البسطة ونفاذ الأمر وعلو الهمة والتقدير وشهرة الذكر، ما يتجاوز الوصف والحصر، فحضرت المائدة والطعام، فلما أكلنا نام وانصرفنا.

فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا، وقال: امضوا إلى عقبة النجارين، واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يتعد هناك، فإن كان حياً فأحضروه، وإن كان قد توفى فاسألوا عن أولاده، واكشفوا أمره.

فضيناً إلى هناك، وسألنا عنه، فوجدناه قد مات وترك بنتين: إحداهما مزوجة والأخرى عاتق<sup>(٢)</sup>؛ فعدنا إلى كافور وأخبرناه بذلك، فسير في الحال واشترى لكل واحدة منهما داراً، وأعطى كل واحدة منهما ثياباً وكسوةً وذهباً كثيراً، وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقاً، وأشهر أنهما من المتعلقين به؛ لرعاية أمورهما.

فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك، وقال: أتعلمون سبب هذا؟ قلنا: لا نعلم، فقال: اعلموا أني مررت يوماً بوالدِها المنجم، وأنا في ملك ابن عباس الكاتب

\* العقد الفريد للملك السعيد ص ٨٥

(١) كافور الإخشيدي: صاحب التنبي، كان عبداً اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة ٣١٢ هـ فنسب إليه وأعتقه، وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٣٥٧ هـ (٢) العاتق: الجارية التي لم تتزوج.

بحالة رثّة ، فوفقتُ عليه ، فنظر إلىّ واستجلسني ، وقال : أنت تصيرُ إلى رجلٍ  
جليلٍ القدرِ ، وتبلغُ معه مبلغاً كبيراً ، وتنال خيراً كثيراً ؛ وطلب مني شيئاً  
فأعطيتهُ درهمين كانا معي ، ولم يكن معي غيرُهُما ، فرمى بهما ، وقال : أبشرك  
بهذه البشارة وتعطيني درهمين ! ثم قال : وأزيدك ؛ أنت والله تملكُ هذا البلد  
وأكثرَ منه ، فاذكريني إذا ما صرتَ إلى ما وعدتُك به ولا تنسني ، فبذلتُ له  
ذلك ، وقلت : نعم ! فقال : عاهدني أنك تفي لي ، ولا يشغلك الملكُ عن افتقادي ،  
فعاهدتهُ ، ولم يأخذ الدرهمين .

ثم إنني شغلتُ عنه بما تجدد لي من الأمور والأحوال ، وصرتُ إلى هذه  
المسألة ، ونسيتُ ذلك ، فلما أكلنا اليومَ ونمت رأيتُهُ في المنام قد دخل علي  
وقال : أين الوفاء بعهدك وإتمام وعدك ؟ لا تغدري فيغدرَ بك ! فاستيقظتُ وفعلتُ  
مارأيتُ .

ثم اشتهر إحسانه إلى بنات المنجم لوفائه لوالدهما ، فتضاعف الدعاء له والثناء  
عليه .



١٣٨ - درس يلقي على حاسد\*

قال المنصور بن أبي عامر يوماً لأبي عمر يوسف الرمادى: كيف ترى حالك معي؟ فقال: فوقَ قَدْرِي ودونَ قَدْرِكَ؛ فأطرقَ المنصورُ كالغضبان، فأنسل الرمادى، وخرج وقد ندم على ما بدر منه، وجعل يقول: أخطأتُ، لا والله ما يُفْلِحُ مع الملوِك من يعاملُهُم بالحقِّ! ما كان ضرنى لو قلت له: إني بلغت السماء، وتمنّقت بالجوزاء! وأنشد:

متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حاجةً لِنَفْسِي إلا قد قَضَيْتُ قَضَاءَهَا  
ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور، فوجد فرصة، فقال: وصل الله لمولانا الظَّفَرِ والسَّعدِ! إن هذا الصنفَ صنفُ زورٍ وهَدَيانٍ، لا يشكرون نعمة، ولا يراعون إلا<sup>(١)</sup> ولاذمة، كلابٌ من غلب، وأصحابٌ من أخصب، وأعداء من أجذب، وحسبك منهم أن الله جل جلاله يقول فيهم: «والشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَر أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالًا يَفْعَلُونَ». والابتعادُ منهم أولى من الاقتراب، وقد قيل فيهم: ما ظنُّك بقوم الصدق يُسْتَحْسَنُ إلا منهم.

فرفع المنصور رأسه - وكان مُحامى أهلِ الأدب والشعر - وقد اسود وجهه، وظهر فيه الغضبُ المُفْرِط، ثم قال: ما بالُ أقوامٍ يُشِبهون في شيء لم يُسْتَشَارُوا فيه، ويسبئون الأدبَ بالحكم فيما لا يدرون، أيرضى أم يُسَخَطُ؟ وأنت - أيها

\* نفع الطيب ص ٢٢٦ ج ٢

(١) الإل: العهد.

المنبعث للشردون أن يُبَعَثَ - قد علمنا غرضك في أهل الأدب والشعر عامة ،  
وحسدك لهم ؛ لأن الناس كما قال القائل :

من رأى الناس له فضلاً عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة ، ولسنا - إن شاء الله - نبلغ أحداً غرضه  
في أحد ؛ وإنك ضربت في حديد بارد ، وأخطأت وجه الصواب ، فزدت بذلك  
احتقاراً وصغاراً ، وإني ما أطرقت من كلام الرمادى إنكاراً عليه ، بل رأيتُ  
كلاماً يجِلُّ عن الأقدار الجليلة ، وتعجبتُ من تهديبه له بسرعة ، والله لو حكمتُه في  
بيوت الأموال لرأيتُ أنها لا ترجح ما تكلم به قدر ذرّة ، وإياكم أن يعود أحدٌ  
منكم إلى الكلام في شخصٍ قبل أن يُؤخذَ معه فيه ، ولا تحكّموا علينا في أوليائنا  
ولو أبصرتم منا التغيّر عليهم ؛ فإننا لا نتغيّر عليهم ؛ بغضاً لهم ، وانحرافاً عنهم ،  
بل تأديباً وإنكاراً ؛ فإننا من نريد إبعاده لم نُظهِر له التغيّر ؛ بل نبذهُ مرة واحدة ؛  
والتغيّر إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه .

ولو كنتُ مائلَ السمع لكل أحد منكم في صاحبه لتفرقتم أيدي سباً ،  
وجؤنبتُ أنا مجانبَةَ الأجر ، وإني قد أطلعتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا  
عن مرّضاتي .

ثم أمر أن يُردَّ الرمادى ، وقال له : أعدْ على كلامك ، فارتاع ؛ فقال : الأمر  
على خلاف ما قدرت ؛ الثوابُ أولى بكلامك من العقاب ؛ فسكن لتأنيسه <sup>(١)</sup> ،  
وأعاد ما تكلم به ، فقال المنصور : بلغنا أن النعمان بن المنذر حشاقم النابغة بالذر

(١) التأنيس : خلاف الإيحاء .

لكلام استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصُرُ عن ذلك وبما هو أنوهُ وأحسن  
عائدة .

وكتب له بمالٍ وخلقٍ وموضعٍ يعيش منه ؛ ثم ردّ رأسه إلى المتكلم في شأن  
الرمادى - وقد كاد يعوص في الأرض لو وجد ؛ لشدة ما حلَّ به مما رأى وسمع -  
وقال : والعجبُ من قوم يقولون : الابتعادُ من الشعراء أولى من الاقتراب ! نعم !  
ذلك لمن ليس له مفاخرٌ يريد تحليدها ، ولا أيادٍ يرغبُ في نشرها ! فأين الذين  
قيل فيهم :

على مكثريهم رزقٌ من يعترتهمُ      وعند المقلين الساحةُ والبذلُ (١)  
وَأين الذي قيل فيه :

إنما الدنيا أبو دلفٍ      بين مبداهُ (٢) ومُحتَضَرِه  
فإذا ولّى أبو دلفٍ      ولت الدنيا على أثرِه (٣)

أما كان في الجاهلية والإسلام أكرمُ ممن قيل فيه هذا القول ؟ بلى ! ولكن  
صُحبةُ الشعراء والإحسانِ إليهم أحييتُ غابر ذكركم ، وخصّتهمُ بمفاخر عصرهم ،  
وغيرهم لم تُخلد المدائح ما أثرهم ، فدثرَ ذكركم ، ودرَسَ فخرهم !

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في مدح آل هرم بن سنان (٢) المبدى : كل منتجع (٣) البيتان  
لعلى بن جبلة في مدح أبي دلف .

١٣٩ — عفة الشريف الرضى \*

حكى أبو حامد أحمد بن محمد الإسفرائيني الفقيه الشافعي ، قال :

كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة ، فدخل عليه الرضى أبو الحسن <sup>(١)</sup> ، فأعظمه وأجله ، ورفع من منزلته ، وخلي ما كان بيده من القصص والرقاع ، وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف .

ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم ، فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الإكرام ، وتساغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقعُ بها ، فجلس قليلاً ، وسأله أمراً ففضاه ، ثم انصرف .

قال أبو حامد : فتقدمت إليه ، وقلتُ له : أصلح الله الوزير ! هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحبُ الفنون ، وهو الأمثل <sup>(٢)</sup> الأفضل منهما ، وإنما أبو الحسن شاعرٌ . فقال لي : إذا انصرفَ الناسُ ، وخلا المجلسُ أجتبك عن هذه المسألة . قال : وكنتُ مجمعاً على الانصراف ، فجاءني أمر لم يكن في الحسبان ، فدعت الضرورةُ للملازمة المجلس إلى أن تقوَّض الناسُ واحداً فواحداً .

فلما لم يبقَ إلا غلمانهُ وحجَّابه دعا بالطعام ، فلما أكلنا وغسل يده وانصرف عنه أكثرُ غلمانهِ ، ولم يبقَ عنده غيري ، قال لخدَّام له :

\* ابن أبي الحديد ص ١٣ ج ١

(١) هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ، كان أبوه تقيب الطالبيين ، وصارت إليه النقابة وأبوه حتى أجمع النقاد على أنه أشعر قريش ، وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة وانحوى ، وله فيها المؤلفات النافعة . توفي سنة ٤٠٦ هـ (٢) فلان أمثل بني فلان : أي أدناهم للخير .

هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام ، وأمرتك أن تجعلهما في السَّفَطِ<sup>(١)</sup> الفلاني ، فأحضرهما فقال : هذا كتابُ الرضى ، اتصل بي أنه قد وُلِدَ له بولد ، فأنفذتُ إليه ألفَ دينار ، وقلت : هذه للقابلة - فقد جرت العادة أن يَحْمِلَ الأصدقاء إلى أخلائهم ، وذوى مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ، فردها ، وكتب إلى هذا الكتاب ، فاقراه .

قال : فقرأته ، وهو اعتذار عن الرد ، وفي جملة : إننا - أهل بيت - لا يطالع على أحوالنا قابلةٌ غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساءنا ، ولسن ممن يأخذن أجره ، ولا يقبلن صلة .

قال : فهذا ، هذا ، وأما المرتضى فإننا كنا قد وزعنا وقسطنطينا<sup>(٢)</sup> على الأملاك بتسيطاً نصرته في حفر فوهة النهر المعروفة بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى عشرون درهما ، وقد كتب إلى منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقراه ، فقرأته ، وهو أكثر من مائة سطر يتضمن من الخضوع والخشوع والاستمالة والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم عن أملاكه المشار إليهما يطول شرحه .

قال فخر الملك : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل : هذا العالم المتكلم الفقيه الأواحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يُشهر إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ فقلت : وفق الله الوزير ، فما زال موقفاً ، وما وضع الأمر إلا في موضعه ، ولا أحله إلا في محله .

(١) السَّفَط : الجواقي ، أو كالفظة (٢) قسط الشيء : فرقه .

١٤٠ — أمين \*

قال أحد التجار:

قصدتُ الحج في بعض الأعوام ، وكانت تجارتي عظيمةً ، وأمواي كثيرةً ، وكان في وسطى هميان<sup>(١)</sup> ، فيه دنانير وجواهر قيّمة ، وكان الهميان من ديباج أسود .

فلما كنت ببعض الطريق نزلت لأقضى بعض شأني ، فأنحلّ الهميان من وسطى ، وسقط ولم أعلم بذلك إلا بعد أن سرتُ عن الموضوع فراسخ ، ولكن ذلك لم يكن يؤثر في قلبي لما كنت أحتويه من غنى ، واستخلفتُ ذلك المال عند الله ؛ إذ كنت في طريقى إليه تعالى .

ولما قضيتُ حجّتي<sup>(٢)</sup> وعُدتُ تتابعَتِ الحنُّ علىّ حتى لم أملك شيئاً ! فهربت على وجهي من بلدي . ولما كان بعد سنين من قفري أفضيتُ إلى مكان وزوجي معي ، وما أملك في تلك الليلة إلا دانتاً<sup>(٣)</sup> ونصفاً ، وكانت الليلة مطيرة ، فأويت في بعض القرى إلى خان خراب ، فجاء زوجي الخاض فتحيّرتُ ، ثم ولدتُ ، فقالت : يا هذا ، الساعة تخرج روحي ، فاتخذ لي شيئاً أتقوى به ، فخرجتُ أخبط في الظلمة والمطر حتى جمّت إلى بدال<sup>(٤)</sup> فوقت عليه ، فكلمني بعد جهد ، فشرحتُ له حالي ، فرحمني وأعطاني بتلك القطع حلبةً وزيتاً وأغلاها ،

\* الفرج بعد الشدة ص ١٤ ج ٢

(١) الهميان : المنطقة (٢) الحجّة (بالكسر) المرة الواحدة وهي من الشواذ (٣) الدائق :

سدس الدرهم (٤) البدال : يباع الأطنمة .

وأعارني إباء جعلت ذلك فيه ، وجئت أريدُ الموضع ، فلما مشيتُ بعيداً وقربتُ من الخان زلقت رجلي ، وانكسر الإباء وذهب جميع ما فيه ؛ فورد على قلبي أمرٌ عظيمٌ ماورد على مثله قط ! فأقبلتُ أبكى وأصيح . وإذا برجل قد أخرج رأسه من شبَّك في داره ، وقال : ويلك ! مالك تبكي ؟ ماتدعنا أن ننام !

فسرحتُ له القصة ، فقال : يا هذا ، البكاء كله بسبب دائق ونصف !

قال : فداخلى من الغمِّ أعظم من الغمِّ الأول ، فقلت : يا هذا ، والله ما عندي شيء لما ذهب مني ، ولكن بكأى رحمة لزوجي ولنفسى ؛ فإن امرأتى تموت الآن جوعاً ، والله لقد حججتُ في سنة كذا وكذا وأنا أملاك من المال شيئاً كثيراً ، فذهب مني هميان فيه دنانير وجواهر تساوى ثلاثة آلاف دينار ، فما فكرتُ فيه ، وأنت ترانى الساعة أبكى بسبب دائق ونصف ، فاسأل الله السلامة ولا تعأيرني فتبلى بمثل بلواى .

قال : فقال لى : بالله يارجل ما كانت صفة هميانك ، فأقبلتُ أبكى ، وقلت : ما ينفعنى ما خاطبتنى به ، أو ما تراه من جهدى<sup>(١)</sup> وقيامى فى المطر حتى تستهزى بى أيضاً ! وما ينفعنى وينفعك من صفة هميانى الذى ضاع منذ كذا وكذا !

قال : ومشيتُ . فإذا الرجل قد خرج وهو يصيح بى : خذ يا هذا ، فظننته يتصدق علىّ ، فحجئتُ وقلت له : أى شيء تريد ؟ فقال لى : صف هميانك وقبض علىّ ، فلم أجد للخلاص سبيلاً غير وصفه له ، فوصفته فقال لى : ادخل ، فدخلتُ ، فقال : أين امرأتك ؟ قلت : فى الخان ، فأنفذ غلامانه فجاءوا بهما ، وأدخلتُ إلى

(١) الجهد : المشقة .

حُرْمَه<sup>(١)</sup> ، فأصلحوا شأنها وأطعموها كلَّ ما تحتاج إليه ، وجاءوني بجمبة وقيص وعمامة وسراويل ، وأدخلتُ الحمامَ سَحْرًا ، وطرح ذلك عليَّ ، وأصبحتُ في عيشة راضية . وقال : أقم عندي أيامًا ، فأقمت عشرة أيام ، كان يعطيني في كل يوم عشرة دنانير وأنا متحيرٌّ في عظم بره بعد شدة جفائه !

فلما كان بعد ذلك قال لي : في أي شيء تتصرف ؟ قلت : كنت تاجرًا ، قال : فلي غلات وأنا أعطيك رأس مال تتجر فيه وتُشْرِكُنِي ، فقلت : أفعل ، فأخرج لي مائتي دينار فقال : خذها واتجر فيها هاهنا ، فقلت : هذا معاش قد أغناني به الله يجب أن ألزمه ، فلزمته .

فلما كان بعد شهر ربحتُ فبِعتُهُ وأخذتُ حقِّي وأعطيته حقه ، فقال : اجلس ، فجلست ، فأخرج لي هِمِّياني بعينه وقال : أتعرفُ هذا ؟ فحين رأيته شهقت وأغمى عليَّ فما أفتتُ إلا بعد ساعة ! ثم قلت له : يا هذا ، أملك أنت أم نبي ! فقال : أنا أحفظه منذ كذا وكذا سنة ، فلما سمعتك تلك الليلة تقول ماقلته ، وطالبتك بالعلامة فأعطيتها أردتُ أن أعطيك للوقت هِمِّيانيك ، فخنفتُ أن يغشى عليك ، فأعطيتك تلك الدنانير التي أوهمتُك أنها هبة وإنما أعطيتُكها من هِمِّيانيك ؛ فخذ هِمِّيانيك واجعلني في حلٍّ ؛ فشكرته ودعوتُ له .

وأخذتُ الهميان ورجعتُ إلى بلدي ، فبعتُ الجواهر وضممتُ ثمنه إلى ما معي واتجرتُ ، فما مضت إلا سنِيَّات حتى صرتُ صاحب عشرة آلاف دينار وصلحتُ حالي !

(١) حرم الرجل : أهله .



## الباب الخامس

---

القصص التي تعدد غرائزهم وخصالهم ، فتكشف ما طبعوا عليه من وفرة العقل ، وحدة الذكاء ، وصدق الفراسة ، وقوة النفس ، وما أهلتهم له طبيعة بلادهم ، وأسلوب حياتهم من شريف السجايا ، وممدوح الخصال .

---

١٤١ — غنم من نجا من الموت \*

كان عامر<sup>(١)</sup> بن الظرب العدواني يدفع بالناس في الحج؛ فراه ملك من ملوك غسان، فقال: لا أترك هذا العدواني أو أذله!

فلما رجع الملك إلى منزله أرسل إليه: أحب أن تزورني فأحبوك وأكرمك واتخذك خيلاً؛ فأناه قومه؛ فقالوا له: تفتد ويفد معك قومك إليه، فيصيرون في جنبك ويوجهون<sup>(٢)</sup> بجاهك!

فخرج وأخرج معه نفراً من قومه؛ فلما قدم بلاد الملك أكرمه، وأكرم قومه، ثم انكشف له عن رأي الملك؛ فجمع أصحابه، وقال: الرأي نائم، والهوى يقظان، ومن أجل ذلك يغلب الهوى الرأي! عجبت حين عجلتم، ولن أعود بعدها!

فقال قومه له: قد أكرمنا الملك كما ترى! وبعد هذا ماهو خير منه؟ قال: لاتعجلوا؛ فإن لكل عام طعاماً، ورب أكلة تمنع أكلات<sup>(٣)</sup>؛ فكنثوا أياماً.

\* الأمثال ص ٢٧١ ج ١

(١) حكيم خطيب رئيس من الجاهليين، كانت العرب لاتعدل بفهمه فهما، ولا بحكمه حكماً، وهو أول من قرعت له العصا، وكان يقال له ذو الحلم (٢) أوجهه: جعله وجيباً (٣) سارت مثلاً.

ثم أرسل إليه الملك ؛ فتحدثت عنده ، ثم قال له : قد رأيتُ أن أجعلك  
الناظرَ في أمورى ! فقال له : إن لى كنزَ علمٍ لستُ أعلمُ إلا به ، تركتهُ فى الحىّ  
مدفوناً ؛ وإن قومى أضناءُ بى ؛ فاكتبْ لى بجباية الطريق ، فىرى قومى طمعاً  
تطيبُ به أنفسهم ؛ فأستخرجُ كنزى ، وأرجعُ إليك وافرأ .

فكتبَ له بما سأل ، وجاء إلى أصحابه ؛ فقال : ارتحلوا ؛ حتى إذا أدبروا  
قالوا : لم يُرِ كالسيومٍ وافِدْ أقلّ ولا أبعد من نوالٍ منك ! فقال : مهلا ! فليس على  
الرزقِ قوتٌ ، وغمٌّ من نجا من الموت !  
فلما قدم على قومه أقام فلم يهدُ !

١٤٢ — وافق سنن طبقة \*

كان سنن رجلاً من ذُهاة العرب وعقلاهم . وقال يوماً : والله لأطوفنَّ حتى أجد امرأةً مثلي أتزوجها . فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجلٌ في الطريق فسأله سنن : أين تريدُ ؟ فقال : موضع كذا - يريد القرية التي يقصدها سنن - فوافقه ، حتى إذا أخذنا في مسيرها قال له سنن : أتحملي أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ! أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك أو تحملي ؟ ! فسكت عنه سنن .

وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزراع قد استحصد<sup>(١)</sup> ؛ فقال سنن : أترى هذا الزرع أُكل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ؛ ترى نبتاً مُستحصدا فتقول : أُكل أم لا ؟ فسكت عنه سنن .

حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة<sup>(٢)</sup> ، فقال سنن : أترى صاحب هذا النعش حيّاً أم ميتاً ؟ فقال له الرجل : ما رأيتُ أجملَ منك ! ترى جنازة تسأل عنها أميَّت صاحبها أم حي ؟ !

فسكت سنن وأراد مُفارقته ؛ فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله ، فمضى معه . وكان للرجل بنت يُقال لها طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه . فأخبرها بمرافقته إياه ، وشكا إليها جهله ، وحدثها بحديثه .

فقلت : يا أبت ؛ ما هذا بجاهل ! أما قوله : أتحملي أم أحملك ، فأراد أن يحدثني

\* مجمع الأمثال ص ٢١١ ج ٢

(١) استحصد : آن أن يحصد (٢) الجنازة : الميت على السرير .

أم أحدثك حتى تقطع طريقنا . وأما قوله : أترى هذا الزرع أُكَلُ أم لا ، فأراد  
هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا . وأما قوله في الجنائزة ، فأراد هل ترك عقبا يَحْيَا  
بهم ذكره أم لا !

فخرج الرجلُ فجلس إلى شَنَّ ؛ فحادثه ساعة ، ثم قال : أتحبُّ أن أُفَسِّرَ لك  
ما سألتني عنه ؟ قال : نعم . ففسره . فقال شَنَّ : ما هذا من كلامك ، فأخبرني مَنْ  
صاحبه ؟ قال : ابنةٌ لي .

فخطبها إليه ، فزوَّجه إياها ، وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شَنَّ  
طبقة (١) .

(١) فذهبت مثلا لكل اثنين متوافقين .

۱۴۳ — لن يبرح العبدان حتى يُقتلا \*

صحب رجلٌ كثيرُ المالِ عَبْدَيْنِ في سفرٍ ؛ فلما توسَّطَا الطريقَ هَمَّا بِقَتْلِهِ ، فلما صحَّ ذلكَ عنده ، قال : أقسمُ عليكما — إذا كان لابديكما من قتلي — أن تمضيا إلى داري ، وتشدوا ابنتيَّ هذا البيت : قالا : وما هو ؟ قال :

من مبلغُ بنتيَّ أن أباهما      لله درُّ كما <sup>(۱)</sup> ودرُّ أبيكما

فقال أحدهما للآخر : ما ترى فيه بأساً !

فلما قتلاه جاء إلى داره ، وقالوا لابنته الكبرى : إن أباك قد لحقه مايلحقُ النَّاسَ ، وآلى علينا أن نخبرَ كما بهذا البيت ، فقالت الكبرى : ما أرى فيه شيئاً تخبراني به ، ولكن اصبرا حتى أستدعيَ أختي الصغرى .

فاستدعتها فأنشدتها البيت ؛ فخرجت حاسرة <sup>(۲)</sup> ، وقالت : هذان قتلا أبي يامعشر العرب ، ما أنتم فصحاء ، قالوا : وما الدليل عليه ؟ قالت : المصراع الأول يحتاج إلى ثان ، والثاني يحتاج إلى ما يكمله ، لا يليق أحدهما بالآخر ، قالوا : فما ينبغي أن يكون ؟ قالت : ينبغي أن يكون :

من مخبرُ بنتيَّ أن أباهما      أمسى قتيلا بالفلاة مجندلا <sup>(۳)</sup>

لله درُّ كما ودرُّ أبيكما      لن يبرح العبدان حتى يُقتلا

فاستخبروهما فوجدوا الأمرَ على ما ذكرت .

\* بلوغ الأرب ص ۳۲ ج ۱

(۱) لله دره : أى عمله ، ولا در دره : لازكا عمله (۲) حاسرة : أى كاشفة يقال : حسرت المرأة زراعها وخارها : أى كشفته (۳) مجندلا : مصروعا على الجدالة ، وهى الأرض . وليس فى كتب اللغة جندل ، وإنما بها جدل .

١٤٤ — النذير \*

كان رجل من بني العنبر أسيراً في بكر بن وائل ، وعزوهوا على غزو قومه ، فسألهم رسولاً إلى قومه ، فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تُنذِرهم ؛ وجيء بعبد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم ، إني لعاقل ! قال : ما أراك عاقلاً .

ثم ملأ كفيه من الرمل ، فقال : كم هذا ؟ قال : لأدرى ، وإنه لكثير ، قال : أيما كثير ؟ النجوم أم النيران ؟ قال : كلُّ كثير .

فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم : ليكرموا فلانا — يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر — فإن قومه لي مكرمون ، وقل لهم : إن العرفج<sup>(١)</sup> قد أدبني<sup>(٢)</sup> ، وشكَّت النساء ، وأمرهم أن يُعروا ناقتي الحمراء ؛ فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصهب<sup>(٣)</sup> ، بأية ما أكلت معهم حيناً<sup>(٤)</sup> ؛ واسألوا عن خبري أخي الحارث . فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : قد جُنَّ الأعور ، والله ما نعرف له ناقه حمراء ، ولا جملاً أصهب ! ثم سرَّحوا العبد ، ودَّعوا الحارث فقصوا عليه القصة .

فقال : قد أنذركم ! أما قوله : قد أدبني العرفج ، فيريد : ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح ، وقوله : وشكَّت النساء : أي اتخذن الشكاء<sup>(٥)</sup> لسفر ، وقوله :

\* نهاية الأرب ص ١٥٤ ج ٣ ، بلوغ الأرب ص ٣١ ج ١ ، الأمالي ص ٨ ج ١

(١) العرفج : نبت (٢) أدبني العرفج : خرج منه مثل الدبي ، والدبي : أصغر الجراد والنمل (٣) الأصهب : بغير ليس بشديد البياض (٤) الحيس : تمر يحاط بسمن وإقط فيعجن شديداً (٥) الذكوة : وعاء من آدم يرد فيه الماء ويحبس فيه جمعه شكوات وشكاء ، وشكَّت النساء : اتخذن الشكاء .

الناقة الحمراء : أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصّمان ، وهو الجمل الأصهب ،  
وقوله : بآية ما أكلت معكم حيساً ، يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم ؛ لأن  
الحيس يجمع التمر والسمن والأقيط ؛ فامثلوا ما قال ، وعرفوا لحن كلامه !

١٤٥ — حديث عن امرئ القيس \*

قال عبد الملك بن عمير :

قدّم علينا عمرو بن هبيّرة الكوفة ، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وُجوه  
الكوفة فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثني كلُّ رجلٍ منكم أحدوثته ، وابدأ أنت  
يا أبا عمرو <sup>(١)</sup> ؛ فقلت : أصلح الله الأمير ! أحدث الحق أم حديث الباطل ؟ قال :  
بل حديث الحق .

قلت : إن امرأ <sup>(٢)</sup> القيس آلى <sup>(٣)</sup> باليةً ألا يتزوج امرأةً حتى يسألها عن ثمانية  
وأربعة وثنتين ؛ فجعل يخطبُ النساء ، فإذا سألهنَّ عن هذا قلن : أربعة عشر .  
فبينما هو يسيرُ في جوف الليل إذا هو برجلٍ يحمل ابنةً له صغيرة ، كأنها  
البدرة ليلة تمامه ، فأعجبته ؛ فقال لها : يا جارية ! ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتان ؟ فقالت :  
أثمانية فأطباء <sup>(٤)</sup> الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف <sup>(٥)</sup> الناقة ، وأما اثنتان فتديال المرأة .

\* الأغاني ص ١٠١ ج ٩ ، نهاية الأرب ص ١٥٥ ج ٣ ، بلوغ الأرب ص ٢٧ ج ١  
(١) كنية عبد الملك بن عمير (٢) امرؤ القيس : هو الملك الضليل أبو الحارث حندج بن حجر  
الكندي ، شاعر اليانية ، ورأس شعراء الجاهلية ، وقائدهم إلى التفنن في أبواب الشعر وضروبه ،  
وقد نشأ بأرض نجد ، وسلك مسلك المترفين من أبناء الملوك يلهو ويلعب وبعافر الحجر ويقازل الحسان  
وأنتق وقته في التشبيب بالنساء والخروج في ذلك إلى حد الصراحة في الفحش ، ففقه أبوه ، ثم طرده  
وتوفى سنة ٨٠ ق.هـ (٣) آلى : أقسم (٤) الأطباء : حملات الضرع لدى خف وظلف وحافر وسبع  
(٥) الأخلاف : حملات ضرع الناقة .



فخطبها إلى أبيها ، فزوجها إياها ، وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ؛ فجعل لها ذلك ، وأن يسوقَ إليها مائةً من الإبل وعشرةً أعبُدَ وعشرَ وصائفٍ وثلاثة أفراس ؛ ففعل ذلك .

ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة ، وأهدى إليها نحيماً<sup>(١)</sup> من سمنٍ ونحيماً من عسلٍ وحلّةً من عَصَبٍ<sup>(٢)</sup> ، فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها ، فتعلقت بهشرة<sup>(٣)</sup> فانشقت ، وفتح النّحيين فطعمَ أهلُ الماءَ منهما فنقصا .

ثم قدِمَ على حَيِّ المرأة وهم خلُوفٌ<sup>(٤)</sup> ، فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها ، فقالت له : أعلمُ مولاك أن أبي ذهب يقربُ بعيداً ويبعدُ قريباً ، وأن أمي ذهبت تشقُّ النفسَ نفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماءَ كم انشقت ، وأن وعاءيكم نضباً<sup>(٥)</sup> .

فقدِمَ الغلام على مولاه فأخبره . فقال : أما قولها : إن أبي ذهب يقربُ بعيداً ويبعدُ قريباً ، فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على قومه ، وأما قولها : ذهبت أمي تشقُّ النفسَ نفسين ، فإن أمها ذهبت تقبلُ<sup>(٦)</sup> امرأةً نفساء . وأما قولها : إن أخي يُراعى الشمس ، فإن أخاها في سرحٍ<sup>(٧)</sup> له يراعه فهو ينتظر وجوب<sup>(٨)</sup> الشمس ليُرُوحَ<sup>(٩)</sup> به . وأما قولها : إن سماءَ كم انشقت ، فإن البردَ الذي بعثتُ به انشق . وأما قولها : إن وعاءيكم نضباً ، فإن النّحيين اللذين بعثتُ بهما نقصا ، فاصدقني !

فقال : يامولاي ، إني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم

(١) النحي: السقاء أو ما كان للسمن خاصة (٢) العصب: نوع من البرود (٣) العشرة: واحدة العشر وهو من كبار الشجر ، وله صمغ حلو (٤) خلوف: غيب (٥) المراد نقصا (٦) يقال: قبلت القابلة المرأة إذا تلقت ولدها عند ولادته (٦) السرح: الإبل السائمة (٧) وجوب الشمس: غروبها (٨) ليرجع .

أنى ابن عمك ، ونشرتُ الحُلَّةَ فانشقَّتْ ، وفتحتُ النَّحِيينَ فأطعمتُ منهما أهلَ الماء . فقال : أوَّلَى (١) لك !

ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام ، فنزلا منزلا ، فخرج الغلام يسقى الإبل فعجزَ ؛ فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به الغلام فى البئر ، وخرج حتى أتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها ؛ فقبل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ! ولكن انحروا له جزورا (٢) وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا فأكل ما أطعموه ؛ فقالت : اسقوه لبنا حازرا (٣) ، فسقوه فشرب . فقالت : افرشوا له عند الفرث (٤) والدم ، ففرشوا له فنام .

فلما أصبحت أرسلت إليه : إنى أريد أن أسالك ؛ فقال : سلى عما شئت ، فسألته فلم يُعجبها جوابه ، فقالت : عليكم العبد فشدوا أيديكم به ، ففعلوا .

قال : ومرّ قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ، فرجع إلى حيّه ، فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته ، فقبل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أهو زوجى أم لا ، ولكن انحروا له جزورا فأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا ، فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملحاء (٥) ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبنا حازرا ، فأبى أن يشربه وقال : فأين الصريف (٦) والرثيئة (٧) ؟ فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام وقال : افرشوا لى فوق التلعة (٨) الحمراء ، واضربوا عليها خباء .

(١) أولى لك : كلمة يقصد بها التوعد والتهديد ، أى الشر أقرب إليك (٢) الجزور : البعير يقع على الذكر والأنثى (٣) وهو الحامض (٤) السرجين (٥) لحم فى الصلب من الكاهل إلى العجز فى البعير (٦) الصريف : الحليب الحار ساعة يحلب (٧) الرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته (٨) التلعة : أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ، ثم يندفع إلى تلعة أسفل منها .

ثم أرسلت إليه : هلمّ شربطى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها أن سلى  
عما شئت . فسألته ؛ فأعجبها جوابه ؛ فقالت : هذا زوجى لعمرى ! فعليكم به ، واقتلوا  
العبد ؛ فقتلوه ، ودخل امرؤ القيس بالجارية .

فقال ابن هبيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك  
يا أبا عمرو ، ولن تأتينا بأعجب منه ؛ فقمنا وانصرفنا ، وأمر لى بجائزة !

١٤٦ — صحيفة المتامس \*

وفد المتامس <sup>(١)</sup> هو وابن أخته طرفة <sup>(٢)</sup> بن العبد على عمرو <sup>(٣)</sup> بن هند ، فزلا منه في خاصته ، وكانا يركبان معه للصيد ، فيركضان طول النهار ، فيتعبان ، وكان يشرب فيقفان على بابہ النهار كله لا يصلان إليه ؛ فضجر طرفة فقال فيه :  
فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثة <sup>(٤)</sup> حول قبمتنا تخور  
وكان طرفة عدوا لابن عمه عبد عمرو — وكان كريما على عمرو بن هند — فهجاه طرفة فقال :

ولا خير فيه غير أن له غني وأن له كسحا <sup>(٥)</sup> إذا قام أهضا  
تظلل نساء الحى يعكفن حواه يقطن عسيب <sup>(٦)</sup> من سرارة ملهما  
فهم عمرو يقتل طرفة ، وخاف من هجاء المتامس له ، لأنهما كانا خيليين ، فقال لهما : لعلكما قد اشتقتما لأهلكما ، وسركما أن تنصرفا ! فقالا : نعم ! فكتب لهما بصحيفتين وختمهما ، وقال لهما : اذهبا إلى عمالي بالبحرين ، فقد أمرته أن يوصلكما بجواثر !

\* بلوغ الأرب ص ٣٧٤ ج ٣ ، مجمع الأمثال ص ٣٦٤ ج ١

(١) المتامس : لقب غلب عليه ، واسمه جرير ، وهو خال طرفة بن العبد ، من شعراء الجاهلية المقلين وضعه ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية (٢) طرفة : هو أبو عمرو طرفة بن العبد السكري ، أحد فحول شعراء الجاهلية . مات أبوه وهو صغير . ورباه أعمامه ، ومال إلى البطالة وقول الشعر ، ومات ، ولم تزد سنه على ست وعشرين سنة (٣) عمرو بن هند : آل إليه الملك بعد قتل أبيه ، وقد ولي إمارة الحيرة من سنة ٥٦٣ — ٥٧١ م (٤) الرغوثة : كل مرضعة . وتخور : تصيح (٥) الكسح : الحصر ، والأهضم : الدقيق (٦) العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها ، وسرارة الروضة : خير مناقبها . وملهم : موضع كثير النخل ، شبه كسحه الأهضم بجريدة نخل من خيار نخل هذا المكان .

فذهبا فرّا في طريقهما بشيخ لم يرُقهما أمره ؛ فقال المتلمس : مارأيت شيخاً  
كالיום أحقّ من هذا ! فقال الشيخ : مارأيت من حمق ؟ وإن أحقّ مني مَنْ يحملُ  
حَتْفَه بيده ، وهو لا يدري !

فاستتراب المتلمس بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة ، فقال المتلمس :  
أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ! ففض الصحيفة ، وقرأها فإذا فيها :

« إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطعْ يديه ورجليه وادفنه حيا ! »

فقال لطفة : ادفعْ إليه صحيفتك ، فإن فيها مثل هذا ! فقال : كلا ! لم يكن  
ليجتريّ عليّ ! فخذ المتلمسُ بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قذفتُ بها في اليمِّ من جنبِ كافر<sup>(١)</sup> كذلك أقنؤ<sup>(٢)</sup> كلَّ قِطِّ مُضَلِّلِ

رضيتُ لها بالماء لما رأيتهُ يجولُ بها التّيَّار في كلِّ جدول

ثم مضى المتلمس حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام ؛ وذهب طرفه إلى عامل

البحرين ، فأعطاها صحيفته ، فقصده من أكحليه ؛ فنزف<sup>(٣)</sup> حتى مات !

(١) كافر : نهر بالجزيرة (٢) أقنؤ : أجازى وأكفى ، والقط : الصك (لسان العرب - مادة قنا)

(٣) نزف دمه : سال حتى أفرط . والأكحل : عرق في اليد يفصد .

١٤٧ -- إن العصا قرعت لذي الحلم\*

لقى النعمان بن المنذر<sup>(١)</sup> سعد بن مالك ، ومعه خيل بعضها يُقاد ، وبعضها  
أعراء مهملة ، فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها ، فقال سعد : إني لم أقد هذه لأمنعها ،  
ولم أعز هذه لأضيعها<sup>(٢)</sup> .

فسأله النعمان عن أرضه : هل أصابها غيثٌ يحمده أثره ، ويروى شجره ؟  
فقال سعد : أما المطر فغزير ، وأما الورق فشكير<sup>(٣)</sup> ، وأما النافذة فساهرة<sup>(٤)</sup> ،  
وأما الحازرة<sup>(٥)</sup> فشبعي نائمة .

فقال النعمان - وحسده على ما رأى من ذرَبِ لسانه - وأبيك إنك لمفوه ،  
فإن شئت أتيتك بما تعيا عن جوابه . فقال : شئت ، إن لم يكن منك إفراط .  
فأمر النعمان وصيفاً فلطمه - وإنما أراد أن يتعدى في القول فيقتله - فقال :  
ما جواب هذه ؟ فقال سعد : سفيهٌ مأمور<sup>(٦)</sup> . قال النعمان للوصيف : الطمه أخرى  
فلطمه . وقال : ما جواب هذه ؟ قال : لو نُهي عن الأولى لم يعد للأخرى<sup>(٦)</sup> .

فقال النعمان : الطمه أخرى ففعل . فقال : ما جواب هذه ؟ فقال : ربُّ  
يؤدّب عبده<sup>(٦)</sup> . فقال : الطمه أخرى ، ففعل . فقال : ما جواب هذه ؟ فقال :  
ملكته فأسجح<sup>(٧)</sup> . فقال النعمان : أصبت فاقعد ؛ فكثت عنده ما مكث .

\* الأمثال ص ٣٣ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٣٣ ج ١

(١) انظر صفحة ١٦١ (٢) لأهبها (٣) شكير : صغير لم يكبر (٤) النافذة : التي  
نفتت من الهزال (٥) الحازرة : حزرة المال : خياره (٦) سارت أمثالا (٧) الإسجح :  
حسن العفو .

ثم بدا للنعمان أن يبعث رائداً يرتاد له الكلاً . فبعث عمرو بن مالك أخا سعد بن مالك ، فأبطأ عليه فأغضبه ذلك . فأقسم لئن جاء حامداً للكلاً أو ذامماً ليقتلنه .

فلما قدم عمرو دخل على النعمان ، وعنده الناس وسعد قاعدٌ لديه مع الناس ، وكان قد عرف ما أقسم به النعمان من يمينه ؛ فقال سعد : أتأذن لي فأكلمه ؟ قال : إن كلمته قطعتُ لسانك . قال : فأشير إليه ؟ قال : إن أشرتَ إليه قطعت يدك . قال : فأومئُ إليه ؟ قال : إذن أنزع حدقتيك . قال : فأقرع له العصا ؟ قال : اقرع . فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه ، وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم ، فقرع بعصاه العصا الأخرى قرعة واحدة ؛ فنظر إليه أخوه ؛ ثم أوماً بالعصا نحوه فعرف أنه يقول : مكانك . ثم قرع العصا قرعةً واحدةً ، ثم رفعها إلى السماء ، ثم مسح عصاه بالأخرى ؛ فعرف أنه يقول : قل له : لم أجد جدباً . ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً ؛ فعرف أنه يقول : ولا نباتاً . ثم قرع العصا قرعةً وأقبل بها نحو النعمان ؛ فعرف أنه يقول : كلمه .

فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان . فقال له النعمان : هل حمدت خصباً ، أو ذممت جدباً ؟ فقال عمرو : لم أذم جدباً ، ولم أحمد بقلاً ؛ الأرض مُشكلة لا خصبها يُعرف ، ولا جدبها يُوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، وآمنها خائف .

فقال النعمان : أولى لك . بذلك نجوت ، فنجا !

١٤٨ - فِطْرَةٌ \*

اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر: وعيشك يا رسول الله ما سجدتُ لصنم قط ؛ فغضب عمر بن الخطاب ، وقال : تقول : وعيشك يا رسول الله ما سجدتُ لصنم قط ، وقد كنتَ في الجاهلية كذا وكذا سنة ؟ فقال أبو بكر : ذلك أني لما ناهزتُ الحلم أخذني أبو قحافة بيدي ، فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام ، فقال لي : هذه آلهتك الشَّمَّ العوالى ، فاسجدْ لها ، وخلائي وذهب . فدنوتُ من الصنم ، وقلت له : إني جائع فأطعمني ، فلم يجبني . فقلتُ : إني عطشان فاسقني ، فلم يجبني . فقلت له : إني عارٍ فاكسني . فلم يجبني . فأخذتُ صخرة ، وقلت : إني مُلتي هذه الصخرة عليك ، فإن كنتَ إلهاً فامنع نفسك ، فلم يجبني . فألقيتُ عليه الصخرة ، فخرَّ لوجهه ، فأقبل والدي ، وقال : ما هذا يا بني ؟ فقلت : هو الذي ترى !

فانطلق بي إلى أمي ، فأخبرها ، فقالت : دعه ، فهذا الذي ناجاني به الله ! فقلت : يا أماه ؛ ما الذي ناجاك به الله ؟ فقالت : ليلة جاءني الخاض لم يكن عندي أحد ، فسمعتُ هاتفا يهتف ، فأسمع الصوت ، ولا أرى الشخص ، وهو يقول : يا أمة الله أبشري بالولد العتيق ، اسمه في السماء صديق !



١٤٩ - حذب على إخوته \*

لما ولد لسعيد بن العاص (١) عمرو، وترعرع (٢)، تفرّس فيه النجابة، وكان يفضله على ولده؛ فجمع بنيه - وكانوا يومئذ أكثر من خمسة عشر رجلاً - ولم يدع عمراً معهم، وقال: يا بني، قد عرفتم خيرة الوالد بولده، وإن أخاكم عمراً لدوهمة واعدة (٣)، يسمو جدّه، ويبعد صيدته، وتشدّد شكيمته، وإني أمركم إن نزل بي من الموت مالا محيص عنه أن تظَاهروه وتؤازروه وتعزّروه، فإنكم إن فعلتم ذلك يتألف بكم الكرام، ويخسأ (٤) عنكم اللثام، ويلبسكم عزاً لاتنهجه (٥) الأيام.

فقالوا جميعاً: إنك تُؤثره علينا، وتحابيه دوننا. فقال: سأريكم ما ستره البغي عنكم، وصرّفهم؛ ثم أمهلهم، حتى ظن أن قد ذهلوا عما كان.

وراهق عمرو البلوغ، واستدعاهم دونه، فلما حضروا قال: يا بني، ألم تروا إلى أخيك عمرو، فإنه لا يزال يُدحِفُ في مسألتى مالي، فأحسن عليه لصغره، إلى أن استثبت أن أمه باغيته على ذلك، فزجرتها فلم تكف، وقد جاء يسألني الصمصامة (٦)، كأن لا ولد لي غيره، وقد عزمتُ على أن أقسم مالي فيكم دونه!

فقالوا كلهم: يا أبانا، هذا عملك بإيثارك له علينا، واختصاصك إياه دوننا.

\* أنباء نجابة الأبناء ص ٩٩

(١) سعيد بن العاص: صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين، وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، وكان قويا فيه تجبر وشدة توفي سنة ٥٩ هـ (٢) ترعرع: شب (٣) رجي خيرا، ويقال شجرة واعدة: إذا ظهر لرائيها أن قدحان إثمارها (٤) يخسأ: يبعد ويطرد (٥) لاتخلقه (٦) الصمصامة: يريد سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي يضرب به المثل، وكان فيما يقال قد صار إلى سعيد بن العاص.

فقال : يَا بَنِي ، وَاللَّهِ مَا آثَرْتُهُ دُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي قَطْ ، وَمَا كَانَ مَا قُلْتُمْ لَكُمْ إِلَّا اخْتِلَافًا ، تَسَاهَلْتُمْ فِيهِ لَمَّا أَمَلْتُمْ مِنْ صِلَاحِ أَمْرِكُمْ .

ثم قال : ادخلوا المخدع ، فدخلوا ، ثم أرسل إلى عمرو فأحضره ، فلما حضر قال : يَا بَنِي إِنِّي عَلَيْكَ حَدَبٌ مَشْفُقٌ لَصَغْرِ سِنِّكَ ، وَنَفَاسَةٌ إِخْوَتِكَ عَلَى مَكَانِكَ مِنِّي ، وَإِنِّي لَا أَمْنُ بُغْتَةَ الْأَجْلِ ، وَلِي كَنْزٌ ادخرتُه لَكَ دُونَ إِخْوَتِكَ ، وَهَذَا مَطْلَعُكَ عَلَيْهِ ، فَاتَّكُمُ أَمْرُهُ .

فقال : يَا بَتُّ ؛ طَالَ عَمْرُكَ ، وَعَلَا أَمْرُكَ ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَطِيلَ بِكَ الْإِمْتَاعُ ؛ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ شَأْنِ الْكَنْزِ ؛ فَمَا يَعْجِبُنِي أَنْ أَقْطِعَ دُونَ إِخْوَتِي أَمْرًا ، وَأُزْدِرِعَ فِي صَدْرِهِمْ عَمْرًا (١) .

فقال : انصرف يا بني ، فذاك أبوك ، فوالله مالي من كنز ، ولكنني أردت أن أبلو رأيك في إخوتك ، وبنى أبيك .

فانطلق عمرو ، وخرج إخوته من المخدع ، فاعتذروا إلى أبيهم وأعطوه موثقاً على اتباع مشورته .

---

(١) العمر : الضغن والحقد .

١٥٠ — نافرني إلى فتاك فإنه نجيب \*

كان العباسُ من عبد المطلب نديماً لأبي سفيان بن حرب في الجاهلية على شراب، ومعاوية يسقيهما، وهو إذ ذاك غلامٌ؛ فلما أخذت الحمر منهما تغنى العباس بشعر ابن كعب الخزاعي - وكان قد جاور بني سهم في سنة شديدة، وله بنات، فبرموا به، وأظهروا له ذلك! فخرج عنهم وتحول هو وبناته يحملن الأثاث على ظهورهن، فقال:

يأيها الرجلُ الحوَلُ رَحَلَهُ هَلَّا نزلتَ بآلِ عبدِ منافِ  
 هبلكَ أمُّك<sup>(١)</sup> لو نزلتَ إليهمِ  
 الأخذون العهد من آفاقها<sup>(٢)</sup> وضمونك من جوعٍ ومن إقْراف<sup>(٣)</sup>  
 والملاحقون فقيرهم بغنيهم والظاعنون لرحلة الإيلاف  
 والرائشون<sup>(٤)</sup> وليس يُوجد رأسُ حتى يعودَ فقيرهم كالكاف  
 والضاربون الجيشَ يبرق بيضه<sup>(٥)</sup> والقائلون هلمَّ للأضياف  
 عمرو العلاء<sup>(٦)</sup> هشم الثريد لقومه والماعون البيض<sup>(٧)</sup> بالأسياف  
 ورجال مكة مسنون<sup>(٨)</sup> عجاف

\* أبناء نجباء الأبناء ص ٦٢

(١) الهبل: التلف والهلاك، والعرب تطلق هذه الكلمة ونظائرها، ولا تريد بها شراً، وقد تجرّبها مجرى المدح عند استعظام الأمر، أو تجرّبها مجرى الحض على الفعل والقول (٢) الإقراف هنا: تغيير اللحم، وضئولة الجسم (٣) أخذوا اليهود من ملوك الشام، والحبشة، واليمن، والعراق، فتوجهت قريش لتجارتها في هذه الوجوه (٤) الرائشون: الجاعلون لذوى الفاقة ريشاً، والريش والرياش: أصله اللباس، ثم استعمل للعطية المطلقة (٥) الأبيض: السيف وجمعه بيض (٦) بيضة كل شيء حوزته (٧) كانت قريش قد أصابتهاسنة فنالت منهم فارتحل هاشم بن عبدمناف - واسمه عمرو - إلى الشام، فأوقر عبداً من الكعك، وقدم بها مكة، ونحر الإبل وطبخ لحومها، ثم هشم ذلك الكعك فسمى هاشماً وغلّب على اسمه (٨) مسنون: أصابتهم السنة، وهي الشدة والجماعة.

وإذا معد حصلت أنسابها فهم لعمر كجوه الأصداف  
فحمى أبو سفيان لما سمع هذا الشعر، وجعل يعدد ما أثر حرب بن أمية، وما أثر  
نفسه، وتناقلا<sup>(١)</sup> في المفاخرة إلى أن قال له العباس: نافرني<sup>(٢)</sup> إلى فتاك هذا، فإنه  
نجيب - يعني معاوية - فقال أبو سفيان: قد فعلت - هذا وهند تسمع - فاهتبلت<sup>(٣)</sup>  
الفرصة، وأنشأت تقول مخاطبة لابنها معاوية:

أقضى - فدتك نفسى - لآل عبد شمس  
فهم سراة الحمس<sup>(٤)</sup> على قديم الحرس<sup>(٥)</sup>

فقطع معاوية قولها، وقال:

صه<sup>(٦)</sup> يا بنة الأكارم فعبد شمس<sup>(٧)</sup> هاشم  
هما برغم الراغم كانا كغربي<sup>(٨)</sup> صارم

فلما سمع العباس وأبو سفيان مقالة معاوية ابتدراه أيهما يتناوله قبل صاحبه،  
فتعاوراه ضمًا وتقبيلًا، وافترقا راضيين.

(١) المناقلة في الكلام: أن يقول هذا مرة وهذا مرة فيتداول الكلام بينهما (٢) المناقرة:  
المحاكمة (٣) اهتبلت الفرصة: انتهزتها فبادرت إليها (٤) السراة: جمع سرى، وسراة القوم:  
خيارهم. والحمس: قريش وخزاعة، وكل من قارب مكة من قبائل العرب (٥) الحرس: الدهر  
(٦) صه: أمر بالسكوت (٧) يريد أنهما كالمسمى الواحد (٨) الغربان: الحدان، والصارم: السيف  
القاطع.

١٥١ - أنا أعلم بقريش من قريش \*

لما قدم معاوية<sup>(١)</sup> المدينة منصرفاً من مكة ، بعث إلى الحسن والحسين  
وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن  
صفوان بن أمية بهدايا من كساء وطيب وصلات من المال ؛ ثم قال ارسله :  
ليحفظ كل رجل منكم ما يرى ويسمع من الرد .

فلما خرج الرسل من عنده ، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأناكم بما يكون  
من القوم ؛ قالوا : أخبرنا يا أمير المؤمنين ؛ قال : أما الحسن فلعلة ينيل نساءه شيئاً  
من الطيب ، ويُنهب ما بقي من حضره ، ولا ينتظر غائباً .  
وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفين ؛ فإن بقي شيء نحر به  
الجُرُوسقى به اللبن .

وأما عبد الله بن جعفر فيقول : يا بديح<sup>(٢)</sup> ! اقض به ديني ؛ فإن بقي شيء  
فأنفذ به عِداتي<sup>(٣)</sup> .

وأما عبد الله بن عمر ؛ فيبدأ بفقراء عدي بن كعب ؛ فإن بقي شيء ادخره  
لنفسه ، ومان<sup>(٤)</sup> به عياله .

\* عيون الأخبار ص ٤٠ ج ٣

(١) أسلم معاوية عام الفتح ، وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وولى الشام لعمر وعثمان عشرين  
سنة وولى الخلافة سنة ٤١ ، وتوفى سنة ٦٠ هـ (٢) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر  
(٣) جمع عده (٤) مانه : قام بكفائته .

وأما عبدُ الله بن الزبير؛ فبِأُتِيهِ رَسُولِي ، وَهُوَ يَسْتَبِجُ ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَعَاوِدُهُ الرَّسُولُ ، فَيَقُولُ لِبَعْضِ كَفَاتِهِ : خَدُوا مِنْ رَسُولِ مَعَاوِيَةَ مَا بَعَثَ بِهِ ، وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَجَزَاهُ خَيْرًا ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، وَهِيَ أَعْظَمُ فِي عَيْنِهِ مِنْ أُحُدٍ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَى عَيْنِهِ ، وَيَقُولُ : ارْفَعُوا ؛ لَعَلِّي أَعُودُ بِهَا عَلَى ابْنِ هِنْدٍ يَوْمًا مَّا .

وأما عبد الله بن صفوان فيقول : قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، وَمَا كُلُّ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَصَلَ إِلَيْهِ كَهَذَا ، رُدُّوا عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ رَدَّ قَبِلْنَاهَا .  
فَرَجَعَ رَسُلُهُ مِنْ عِنْدِهِمْ بِنَجْوٍ مِمَّا قَالَهُ مَعَاوِيَةُ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : أَنَا ابْنُ هِنْدٍ !  
أَعْلَمُ بِقُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشٍ !

١٥٢ — أو قد جئتني سالماً \*

لما أسن معاوية<sup>(١)</sup> اعتراه أرق؛ فكان إذا هوّم<sup>(٢)</sup> أيقظته نواقيس الروم،  
فلما أصبح يوماً، ودخل عليه الناس، قال: يامعشر العرب؛ هل فيكم فتى يفعل  
ما أمره، وأعطيه ثلاث دياتٍ أعجلها له، وديتين إذا رجع؛ فقام فتى من غسان  
فقال: أنا يا أمير المؤمنين.

قال: تذهب بكتابي إلى ملك الروم، فإذا صرت على بساطه أذنت! قال:  
ثم ماذا؟ قال: فقط. فقال: لقد كلفت صغيراً، وآتيت كبيراً!  
فكتب له وخرج؛ فلما صار على بساط قيصر أذن؛ فتناجرت<sup>(٣)</sup> البطارقة،  
واختلطوا<sup>(٤)</sup> سيوفهم؛ فسبق ملك الروم، فجتا عليه، وجعل يسألهم بحق عيسى  
وبحقه عليهم أن يكفوا.

ثم ذهب به حتى صعد على سريريه، ثم جعله بين يديه؛ ثم قال: يامعشر  
البطارقة؛ إن معاوية رجل قد أسن، وقد أرق، وقد آذته النواقيس؛ فأراد أن  
نقتل هذا على الأذان فيقتل من قبله منا ببلاده على النواقيس؛ والله ليرجعن إليه  
بخلاف ماظن. فكساه وحمله؛ فلما رجع إلى معاوية قال: أو قد جئتني سالماً؟  
قال: نعم.

\* عيون الأخبار ص ١٩٨ ج ١

(١) أسن: كبرت سنه (٢) التهوم: هز الرأس من النعاس (٣) تناجروا: المناجزة

المقاتلة (٤) اختلط السيف: استتله.

١٥٣ — الأحنف يفهم معاوية \*

جلس معاوية يوماً ، وعنده وجوهُ الناس ؛ وفيهم الأحنف ، فدخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيباً ، فكان آخرَ كلامه أن لعن علياً رضي الله عنه ، فأطرقَ الناس ، وتكلم الأحنف<sup>(١)</sup> ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا القائل لو علم أن رضاك في لعنِ المرسلين لكَفَّ عنهم ، فاتَّقِ الله ، ودَعْ عليّاً ؛ فقد لقي الله ، وأُفرد في حُفْرَتِهِ ، وخلا بعمله ، وكان والله - ماعلنا - الطَّاهر في خُلُقِهِ ، الميمونَ النقيبة ، العظيم المصيبة .

قال معاوية : يا أحنف ؛ لقد أغضبتَ العينَ على القذى ، وقلتَ بغير ما ترى ، وإيم الله لتصعدنَّ المنبرَ فلتلعننَّه طائِعاً أو كارهاً !

فقال الأحنف : إن تُعْفِنِي فهو خيرٌ ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى به شفطاي !

فقال معاوية : قم فاصعد ! قال : أما والله لأنصفنك في القولِ والفعلِ .  
قال معاوية : وما أنت قائل إن أنصفتني ؟ قال : أصعدُ فأحمدُ الله وأثنى عليه ، وأصلى على نبيه ، ثم أقول : أيها الناس ، إن معاوية أمرني أن ألعنَ عليّاً ، ألا وإن عليّاً ومعاوية اختلفا واقتتلا ، وادَّعى كلُّ واحد منهما أنه مَبْعِيُّ اللَّهِ عليه وعلى قَبْتِهِ ؛ فإذا دعوتُ فأمنوا رَحِمَكُمُ اللهُ ، ثم أقول :

\* نهاية الأرب ص ٢٣٧ ج ٧

(١) الأحنف بن قيس : سيد تميم ، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين ، يضرب به المثل في الحلم ، ولد بالبصرة ، وتوفي سنة ٦٧ هـ .



اللهم العنَّ أنتِ وملائكتك وأنبياؤك ورسلك ، وجميعُ خلقك الباغىَ منهما  
على صاحبه ، والفئةَ الباغيةَ على المبعيِّ عليها ، آمينَ يارب العالمين !  
فقال معاوية : إذنْ نُعْفِكَ يَا أَبَا بَحْر !

١٥٤ — نُوطَى عَلَيْهِ يَامَزِينِ التَّمَامَا \*

كان لمعاوية ولد مَضْعُوف اسمه عبد الله ، فبينما معاوية جالسٌ مع أم عبد الله  
مرت بهما أم يزيد - وهى مَيْسُون بنت بَحْدَل السكبية - فهزئتُ بها أم عبد الله ؛  
فقال معاوية : أما والله إن ولدها خيرٌ من ولدك ، فقالت : لا والله ، ولكنك  
تحب ولدها وتحابيه ، فقال : سأريك ذلك عياناً . ثم أرسل إلى ابنها فجاء فقال له :  
يا عبد الله ؛ إني قاض لك كل حاجة فاذا ذكر حوائجك كائنة ما كانت ، فقال :  
يا أمير المؤمنين : اشتري حماراً ، فقال له : يا بنى أنت حمار وأشتري لك حماراً ؟  
ثم استحضر يزيد ، فلما حضر قال : يا بنى ، إن أمير المؤمنين قد بسط لك  
أمله ، فاذا كُر حاجتك ، إن كانت لك حاجة . فاستقبل القبلة ثم سجد ، ثم رفع  
رأسه ، وقال : الحمد لله على جميل رأى أمير المؤمنين فى ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ،  
اجعل إلىَّ العهد ! فقال معاوية : نعم ونعام عين ، وليمتك عهدى .  
فسجد وحمد الله سبحانه ، فقال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : نعم

ياأمير المؤمنين ، يزيد كل رجل من أهل الشام عشرة دنانير في عطائه ، وتعلمهم أن ذلك بشفاعتي . قال : قد فعلت . فهل غير هذا ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، يفرض أمير المؤمنين لأولاد من قُتِلَ معه بصفين وغيرها . قال : قد فعلت . فهل غير هذا . فحمد يزيد الله تعالى ، ثم قال : نعم ، ويجعل أمير المؤمنين غزوه هذا العام إلى بلاد فتتح أمرى بتجهيز الجيوش في سبيل الله تعالى . قال : قد فعلت .

فلما رأت أم عبد الله أن يزيد قد حصل على الخلافة قالت : إن أمير المؤمنين أعلم وأهدى لولده فأوصه بي وبولدى ياأمير المؤمنين ، ثم قام يزيد يدعو لوالده وهو مول ، فتمثل معاوية بقول القائل :

إذا مات لم تُفْلِحْ مزينةُ بعده فنوِطى عليه يا مُزَيْنِ التَّمَامِ

١٥٥ — ذكاء ابن عباس \*

بيننا ابنُ عَبَّاسٍ (١) في المسجد الحرام، وعنده نافع بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمرُ بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مُوردين حتى دخل وجلس، فأقبلَ عليه ابنُ عباس، فقال: أنشدنا، فأنشده:

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتِ غَادٍ فَمَبْكِرُ غَدَاةٍ غَدِ أَمْ رَائِحٍ فَمَهْجِرُ (٢)

حتى أتى على آخر القصيدة؛ فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس! إنا نضرب إليك أكنباًة الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقلُ عنا، ويأتيك غلامٌ مُترفٌ من مترقٍ قریش فينشدك:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزِي وَأَمَا بِالْعَشِيِّ فَيَخْسِرُ

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ (٣)

قال: ما أراك إلا وقد حفظت البيت: قال: أجل! وإن شئت أن أنشدك

القصيدة أنشدتك إياها، قال: فإني أشاء، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها (٤) وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً (٥).

\* الأغانى ص ٧٢ ج ١

(١) هو ثاني ولد العباس بن عبد المطلب، توفي رسول الله وسنه ثلاث عشرة سنة، وكان عليه السلام يحبه ودعاه فقال: اللهم علمه التأويل، فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقهاء في الدين على ما أوتيته من لسان طلق، توفي سنة ٦٨ هـ (٢) هجر: سارفي الهجرة، والهجرة: شدة الحر (٣) يضحى: يظهر للشمس، وعارضت: قابلت، ويخصر: يبرد (٤) كان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئاً قط إلا رويته، وإني لأسمع صوت النائمحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول (٥) صفحاً: مرورا.

١٥٦ — عمران بن حطان يتنقل في القبائل \*

لما أطرد<sup>(١)</sup> الحجاجُ عمران<sup>(٢)</sup> بن حِطَّانَ كان يتنقل في القبائل ، فكان إذا نزل في حيٍّ انتسبَ نسباً يُقربُ منه .

ثم خرج حتى نزلَ عند رَوْحِ بنِ زِنْبَاعِ الجَذَامِي ، فانتمى له من الأزْد ، وكان رَوْحٌ يَقْرِى الأضيَافَ ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً<sup>(٣)</sup> عنده ؛ وكان رَوْحٌ لا يسمع شعراً نادراً ، ولا حديثاً غريباً عندَ عبد الملك ثم يسألُ عنه عمران بن حِطَّانَ إلا عرفه وزاد فيه ، فذكر ذلك لعبد الملك ، فقال : إن لى جاراً من الأزْدِ ما أسمعُ من أميرِ المؤمنين خبراً ولا شعراً إلا عرفه وزاد فيه ! فقال : خبرنى ببعض أخبارِهِ ؛ فخبَّرَهُ وأنشده ؛ فقال : إن اللغة عدنانية ، وإني لأحسبُهُ عمران بن حِطَّانَ !

ثم تذاكروا ليلة قول<sup>(٤)</sup> عمران بن حِطَّانَ يمدح ابنَ مُلْجَمِ<sup>(٥)</sup> :

ياضربةً من تقى ما أرادَ بها      إلا ليبلغَ من ذى العرشِ رضوانا  
إني لأذكرُهُ حيناً فأحسبُهُ      أوفى البريةِ عندَ اللهِ ميزاناً

\* رغبة الآمل ص ٨٤ ج ٧ ، الكامل ص ١٠٨ ج ٢

(١) أطرده : أمر بطرده ، وإخراجه عن البلد (٢) كان عمران بن حطان رجل علم وحديث ، أدرك صدرأ من الصحابة وروى عنهم ، ولما قام الخلاف بين أصحاب علي زعم فرقة من الخوارج اسمها القعد ، وأصبح خطيبها وشاعرها ، ومات سنة ٨٤ هـ بالكوفة (٣) أثيراً : مكرماً عنده (٤) قلبه الفقيه الطبرى فقال :

ياضربة من شقى ما أرادَ بها      إلا ليهدم من ذى العرشِ بنياناً  
إني لأذكره يوماً فأعنه      إليها وأعلن عمرات بن حطانا  
(٥) ابن ملجم : قاتل علي بن أبي طالب .

فلم يدْرِ عبد الملك لمن هو ! فرجع رَوْح إلى عمران فسأله عنه ! فقال : هذا يقوله  
عمران بن حِطَّان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتلَ عليّ بن أبي طالب .  
فرجع رَوْح إلى عبد الملك ، فأخبره ؛ فقال له عبد الملك : ضيفك عمران  
ابن حِطَّان ! اذهب فِجِّئني به ، فرجع إليه ؛ فقال : إن أمير المؤمنين قد أحبَّ  
أن يراك . قال عمران : قد أردتُ أن أسألك ذلك ؛ فاستحييتُ منك فأمضِ ،  
فإني بالأثر ؛ فرجع رَوْح إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : أما إنك سترجع  
فلا تجده ؛ فرجع وقد ارتحل عمران ، وخلف رُقعة فيها :

يَارَوْحَ كَمْ مِنْ أَخِي مَثْوَى <sup>(١)</sup> نَزَلْتُ بِهِ  
حَتَّى إِذَا خِفْتَهُ فَارَقْتُ مَنْزِلَهُ  
قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا مَا تُرَوِّعُنِي  
حَتَّى أَرَدْتُ بِي الْعُظْمَى <sup>(٢)</sup> فَأَدْرَكُنِي  
فَاعْذِرْ أَخَاكَ - ابْنَ زَبَاعٍ - فَإِنَّ لَهُ  
يَوْمًا <sup>(٣)</sup> يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمِينٍ  
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةً <sup>(٤)</sup>  
لَكِنْ أَبْتُ <sup>(٥)</sup> لِي آيَاتُ مَطَهَّرَةٌ

قد ظنَّ ظَنِّكَ مِنْ لَحْمٍ وَغَسَّانٍ  
مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ !  
فِيهِ رَوَائِعٌ <sup>(٦)</sup> مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ  
مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ  
فِي النَّائِبَاتِ خُطُوبًا <sup>(٧)</sup> ذَاتَ الْوَوَانِ  
وَإِنْ لَقِيتُ مَعَدِّيًّا فَعَدَّنَانِي  
كُنْتَ الْمَقْدَمَ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي  
عِنْدَ الْوِلَايَةِ فِي طَهٍ وَعِمْرَانَ

(١) المثوى : منزل الضيافة ، وأخى : صاحب ، وظن ظنك : رأى رأيك من أتى رجل هين ،  
ولحم وغسان من اليمن من كهلان (٢) روايع : الروع : الخوف ، والواحدة رائعة (٣) العظمى  
لقاء عبد الملك ، إذ كان حرباً على الحوارج (٤) الخطوب : الأمور العظيمة (٥) يقول :  
أنا يوماً يمان على الرفع ، يريد أنه متنقل (٦) أى لنفس طاغية : أو يريد بالطاغية المذكور وزاد  
النساء للتوكيد والمبالغة كرواية وعلامة ونسابة . والطاغية : الجبار (٧) أبت لي : منعتني الاستغفار  
لك . وطه وعمران : سورتان في القرآن ، وكانت الحوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

ثم ارتحل حتى نزل بزُفر بن الحارث الكلابي أحد بني عمرو بن كلاب ؛  
فانتسب له أوزاعياً<sup>(١)</sup> ؛ وكان عمران يطيل الصلاة ، وكان غلمان من بني عامر  
يضحكون منه ؛ فأتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زنباع ؛ فسلم عليه ، فدعاه  
زُفر ، فقال : من هذا ؟ قال : رجل من الأزد رأيتُه ضيفاً لروح بن زنباع .  
فقال له زفر : يا هذا ؛ أزد يا مرة وأوزاعيا مرة ؟ إن كنت خائفاً أمناك ، وإن كنت  
فقيراً جبرناك .

فلما أمسى هرب ، وخلف في منزله رُقعةً فيها :

إِنَّ التِّي أَصْبَحَتْ يَعْياً بِهَا زُفْرٌ      أَعَيْتَ عِيَاءَ<sup>(٢)</sup> عَلَى رَوْحِ بْنِ زِنْبَاعِ  
مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخْبَرَهُ      وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ<sup>(٣)</sup> وَخُدَاعِ  
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ<sup>(٤)</sup> عَنِّي وَسَائِلُهُ      كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُؤَلِّعْ بِإِهْلَاعِ<sup>(٥)</sup>  
فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ عَنِّي ؛ إِنِّي رَجُلٌ      إِمَّا صَمِيمٌ<sup>(٦)</sup> ، وَإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ  
وَإِكْفُفْ لِسَانَكَ عَن لَوْمِي وَمَسْأَلَتِي      مَاذَا تَرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعِ<sup>(٧)</sup> ؟  
أَمَا الصَّلَاةُ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا      كُلُّ أَمْرِي لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ سَاعِ  
أَكْرِمُ بَرُوحَ بْنِ زِنْبَاعٍ وَأُسْرَتَهُ      قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمْ<sup>(٨)</sup> لِلْعَلَا دَاعِ  
جَاوَرَتْهُمْ سِنَةً فِيمَا أُسْرُ بِهِ      عَرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعِ<sup>(٩)</sup>  
فَاعْمَلْ ؛ فَإِنَّكَ مَعِي<sup>(١٠)</sup> بِوَاحِدَةٍ      حَسْبُ اللَّيْبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعِ

(١) أوزاعي : نسبة إلى أوزاع بطن من همدان (٢) يعاها : يعجز عنها . وأعيت عليه :  
أعجزته ، والمراد معرفة ذاته (٣) مخدوع : مصدق لما أقول ، وخداع : ماكر محتمل  
(٤) انقطعت عنى وسائله : الوسائل جمع وسيلة وهي الذريعة والسبب (٥) بإهلاعى : بإفزاعى  
وترويعى (٦) الصميم : الخالص من كل شيء ، أى من خالص قومه . ويقال لمن لا أصل له :  
هو فقعة بقاع ، وذلك لأن الفقعة لا عروق لها ولا أغصان ، والفقعة الكمأة البيضاء ، والقاع :  
أرض سهلة (٧) الأوزاع : الجماعات وبطن من همدان (٨) أوليهم : جمع أول أى آباءهم  
فهم أمجاد (٩) تهجاع : نوم خفيف (١٠) مخبر بوفانك .

ثم ارتحل حتى أتى عُمان ؛ فوجدهم يُعظّمون أمرَ أبي بلال ويظهرونه ،  
فأظهر أمره فيهم ؛ فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى أهل عمان ؛ فارتحل عمران هارباً  
حتى أتى قوماً من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات ، وفي نزوله بهم يقول :

نزلنا بحمد الله في خير منزلٍ      نُسرُّ بما فيه من الأُنسِ <sup>(١)</sup> والخَفَرِ  
نزلنا بقومٍ يجمعُ اللهُ شملهمْ      وَايس لهم عودٌ سوى الجِدِ يُعْتَصِرُ  
من الأزدِ إن الأزدَ أكرمُ مَعْشَرِ      يَمَانِيَةِ طابوا إِذَا نُسِبَ البَشَرُ  
فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمَعْشَرِ      أَتَوْنِي فَقَالُوا: من <sup>(٢)</sup> ربيعةَ أومَضْرُ؟  
أم الحَيِّ قحطانٍ فَنيلكمْ سَفَاهَةٌ      كما قال لي رَوْحٌ وصاحبُه زُفْرُ  
وما منهما <sup>(٣)</sup> إلا يُسرُّ بِنِسْبَةٍ <sup>(٤)</sup>      تُقَرِّبُنِي منه وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرُ  
فَنحنُ <sup>(٥)</sup> بنو الإسلامِ واللهِ واحدٌ      وأولَى عبادِ اللهِ باللهِ من شَكَرُ !

(١) نسر . الخ : أصل الحفر شدة الحياء . يقال امرأة خفرة : إذا كانت مستقرة لاستحيائها  
(٢) يريد : أمن ربيعة أم من مضر ؟ (٣) وما منهما واحد ، فيحذف لعلم المخاطب  
(٤) النسبة : بالضم والكسر : النسب (٥) يقول : انقطعت الولاية إلا ولاية الإسلام  
لأن ولاية الإسلام قد قاربت بين الغرباء والله يقول : إنما المؤمنون إخوة .

١٥٧ — دهاء عُمارة بن تميم اللخمي \*

كان الحجاج<sup>(١)</sup> حسوداً لا تيمُّ له صنيعَةٌ حتى يفسدَها ، فوجّه عُمارة بن تميم اللخمي إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ فظفر به ، وصنع به ما صنع ، ورجع إلى الحجاج بالفتح ، فلم ير منه ما أحبّ ، وكره منافرته ، وكان عاقلاً رقيقاً ؛ فجعل يترفق به ، ويداريه ، ويقول : أنت - أيها الأمير - أشرف العرب ، فمن شرفته شرف ، ومن وضعته اتضع ، ومن ينكرُ ذلك ، مع رفقتك ويمتك ومشورتك ورأيك ؟ وما كان هذا كله إلا بصنع الله عز وجل وتديرك ، وليس أحد أحق بشكر صنيعك مني . ومن ابنُ الأشعث ؟ وما خطره ؟

ثم عزم الحجاج على المضي إلى عبد الملك فأخرج عُمارة معه ؛ فلم يزل يلطف بالحجاج في مسيره ، ويعظّمه ، حتى قدموا على عبد الملك .

فلما قامت الخطباء بين يديه ، وأثنت على الحجاج ، قام عُمارة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ سل الحجاج عن طاعتي ومُناصحتي وبلائي ! فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، صنع وصنع ؛ ومن بأسه ونجدته ، وعقله ومكيدته كذا وكذا ، هو أئمنُ الناس تقيّة ، وأعلمهم بتدبيرٍ وسياسة ؛ ولم يُبقِ غايةً في الثناء عليه .

فقال عُمارة : أرضيت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! فرضى الله عنك ، حتى قالها ثلاثاً ، في كلها يقول : قد رضيت !

\* المحاسن والمساوي ص ١٣٩ ، طبع ليزج .

(١) انظر صفحة ٢٢٤



فقال عمارة : فلا رضى الله عن الحجاج يأمر المؤمنين ، ولا حفظه ولا عافاه ، فهو - والله - السيئ التدبير ، الذى قد أفسد عليك أهل العراق ، وألب عليك الناس ، وما أتيت إلا من قلة عقله ، وضعف رأيه ، وقلة بصره بالسياسة ، ولك والله أمثالها ، إن لم تعزله .

فقال الحجاج : مه يا عمارة ! فقال : لا مه ولا كرامة يأمر المؤمنين ، كل مملوك له حر إن سارت تحت راية الحجاج أبداً ! فقال عبد الملك : ما عندنا أوسع لك !

فلما انصرف عمارة إلى منزله بعث إليه الحجاج ، وقال له : أنا أعلم أنه ما خرج هذا عنك إلا عن معتبة<sup>(١)</sup> ، ولك عندى العتبي<sup>(٢)</sup> ، ولك ولك ! فأرسل إليه : ما كنت أظن أن عقلك على هذا ؛ أرجع إليك بعد الذى كان من طعنى وقولى عند أمير المؤمنين ! لا ولا كرامة لك !

(١) المعتبة : العتاب ومخاطبة الإدلال (٢) العتبي : الرضا .

١٥٨ — كيف رأيتم فراستي في الأعرابي \*

قدم على الحجاج<sup>(١)</sup> ابن عم له من البادية ، فنظر إليه يُولّي الناس ؛ فقال له : أيّها الأمير لم لا توليني بعض هذا الحضر ؟ فقال الحجاج : هؤلاء يكتبون ويحسبون ، وأنت لا تحسب ولا تكتب !

فغضب الأعرابي ، وقال : بلى ؛ إني لأحسب منهم حسباً<sup>(٢)</sup> ، وأكتب منهم كتباً ! فقال له الحجاج : فإن كان كما تزعم فأقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس ؛ فما زال يقول : ثلاثة دراهم بين أربعة ، ثلاثة بين أربعة ، لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شيء ! كم هم أيّها الأمير ؟ قال : هم أربعة ، قال : نعم ! أيها الأمير ، قد وقفت على الحساب ؛ لكل واحد منهم درهم ، وأنا أعطى الرابع منهم درهماً من عندي ! وضرب بيده إلى تكته<sup>(٣)</sup> ، فاستخرج منها درهماً ، وقال : أيكم الرابع ؟ فوالله ما رأيت كاللوم زوراً مثل حساب هؤلاء الحضريين ! فضحك الحجاج ومن معه ، وذهب بهم الضحك كل مذهب ، ثم قال الحجاج : إن أهل أصبهان أخروا خراجهم ثلاث سنين ، كلما أتاهم وال أعجزوه ، فلا رمينهم بهذا ، فأخلق به أن يُنجب !

فكتب له عهده على أصبهان !

فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به ، وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله ، وقالوا : أعرابي بدوي ! ما يكون منه !

\* المسعودي ص ١٦٠ ج ٢

(١) انظر صفحة ٢٢٤ (٢) حساباً (٣) التكة : رباط السراويل .

فلما أكثروا عليه ، قال : أما يشقُّ لكم ما أخرجني له الأمير ؟  
فلما استقرَّ في داره بأصحابه جمع أهلها ، فقال : مالكم تعصون ربكم وتغضبون  
أميركم ، وتنتقصون خراجكم ؟ فقال قائلهم : جورٌ من كان قبلك ، وظلمٌ من  
ظلم ! قال : فما الأمرُ الذي فيه صلاحُكم ؟ فقالوا : تؤخِّرنا بالخراج ثمانية أشهر ،  
ونجمعه لك ! قال : لكم عشرة وتأتوني بعشرة ضمناً .

فأتوه بهم ، فلما توثق منهم أمهاتهم ؛ فلما قرب الوقت رآهم غير مكثرين  
لما ندبوا<sup>(١)</sup> إليه من الأجل ! وطال به ذلك ، فجمع الضمَّاء ، وقال لهم : المال !  
فقالوا : أصابنا من الآفة ما نتقض ذلك !

فلما رأى ذلك منهم آلى ألا يفطر - وكان في شهر رمضان - حتى يُجمع ماله  
أو يضرب أعناقهم !

ثم قدم أحدهم وضرب عنقه ، وكتب عليه : فلان ابن فلان أدى ما عليه !  
وجعل رأسه في بَدْرَة<sup>(٢)</sup> ، وختم عليها ! ثم قدم الثاني ففعل به مثل ذلك !  
فلما رأى القوم الرؤوس تجز ، وتجعل في الأكياس بدلاً من البدر ، قالوا :  
أيها الأمير ؛ توقف علينا حتى نحضر لك المال ؛ ففعل ، فأحضره في أسرع  
وقت !

فبلغ ذلك الحجاج فقال : إنا معاشر آل محمد - يعني جدّه - ولدنا نجيب ،  
فكيف رأيتم فراستي في الأعرابي ؟ !  
ولم يزل عليها والياً حتى مات الحجاج !

(١) ندب القوم إلى الأمر ندباً : دعاهم وحثهم (٢) البدر : كيس يوضع فيه عشرة آلاف

١٥٩ — من بدائه الشعراء \*

أُتِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ <sup>(١)</sup> بِأَسَارِي ، وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ حَاضِرًا ، فَأَمْرَهُ سُلَيْمَانُ  
بِضَرْبِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعْفَاهُ فَأَبَى ، وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى سَيْفٍ غَيْرِ صَالِحٍ لِلضَّرْبِ لِيَسْتَعْمَلَهُ ،  
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : بَلْ أَضْرِبُ بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ <sup>(٢)</sup> سَيْفِ مُجَاشِعٍ ، يَعْنِي نَفْسَهُ ، وَكَأَنَّهُ  
قَالَ : لَا يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ السَّيْفَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ ابْنُ ظَالِمٍ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ الْأَسِيرَ ،  
وَاتَّفَقَ أَنْ نَبَأَ السَّيْفَ ؛ فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَمِنْ حَوْلِهِ ؛ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَيَعْجَبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكَتُ سَيِّدَهُمْ      خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطْرُ  
لَمْ يَنْبُ <sup>(٣)</sup> سَيْفِي مِنْ رُغْبٍ وَلَا دَهْشٍ      عَنِ الْأَسِيرِ ، وَلَكِنْ آخِرَ الْقَدْرِ  
وَلَنْ يَقْدَمَ نَفْسًا قَبْلَ مَيْتَتِهَا      جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَالْصَّمَامَةِ <sup>(٤)</sup> الذِّكْرُ  
ثُمَّ أَعْمَدَ سَيْفَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدُهُ إِذَا صَبَا <sup>(٥)</sup>      وَلَا يُعَابُ صَارِمُهُ إِذَا نَبَأَ  
وَلَا يُعَابُ شَاعِرُهُ إِذَا كَبَأَ

ثُمَّ جَلَسَ يَقُولُ : كَأَنِّي بَابِنِ الْمَرَاغَةِ <sup>(٦)</sup> قَدْ هَجَانِي ، فَقَالَ :

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ      ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ

\* أدب الدنيا والدين ص ٧ ، بلوغ الأرب ص ٢٠ ج ١

(١) بولع سليمان بن عبد الملك بالخلافة سنة ٩٦ هـ وكان فصيحًا لبقًا ، كما كان غيورًا شديد  
الغيرة ، اتسعت الفتوح في أيامه وتوفي سنة ٩٩ هـ (٢) رغوان : لقب مجاشع بن دارم بن مالك  
ابن حنظلة ، لقب به لفصاحته ولجهارته صوته . ويقال : قالت امرأة سمعته : ما هذا إلا يرغو ، فلقب  
رغوان (٣) لم ينب : لم يكل عن الضريبة (٤) الصمصامة : السيف لا يثني ، والذكر أبيض الحديد  
وأجوده وأشدّه (٥) صبا : حن (٦) يريد جريرا .

وقام وانصرف .

وحضر جرير ، فخبّر الخبر ، ولم يُشَدَّ الشعر ، فأنشأ يقول :  
سيف أبي رِغوان سيفِ مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم  
فأعجب سليمان ماشاهد ، ثم قال جرير : يا أمير المؤمنين ؛ كأني با بن القين (١)  
قد أجابني فقال :

ولا تقتلُ الأسرى ، ولكن فكهم إذا أثقل الأعناق حملُ المغارم  
ثم أخبر الفرزدق بالهجو دون ماعداه ، فقال مجيباً :  
كذلك سيوفُ الهند ننبؤ طباتها (٢) وتقطعُ أحياناً مناط التمام  
ولن تقتلَ الأسرى ولكن فكهم إذا أثقل الأعناق حملُ المغارم  
وهل ضربةُ الروميِّ جاعلةٌ لكمُ أبا عن كليب أو أخامثل دارم  
وشاع حديثُ الفرزدق بهذا حتى كان زمان المهدي (٣) ، فأثري بأسرى من  
الروم ، وأمر بقتلهم - وكان عنده شبيب (٤) بن شيبه - فقال له : اضرب عنق هذا  
العلاج ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد علمت ما ابتلي به الفرزدق فمثير به قومه إلى  
اليوم ، فقال : إنما أردتُ تشریفك وقد أعفيتك . وكان شاعر حاضراً فقال :

جزعتَ من الروميِّ وهو مقيدٌ فكيف ولولا قيته وهو مطلقُ  
دعاك أميرُ المؤمنين لقتله فكاد شبيبٌ عند ذلك يفرق  
فَنَحَّ شبيباً عن قراعِ كتيبةٍ وأذن شبيباً من كلام يلققُ

(١) القين : العبد والحداد ، وهو يريد الفرزدق (٢) الظبابة : جمع ظبة ، وهي حد السيف (٣) انظر  
صفحة ٢٥٦ (٤) خطيب البصرة في زمانه ، كان في حاشية المهدي حينما كان ولياً للعهد ، وبقي كذلك  
حتى ولى الخلافة فكان من سماره القريين توفي سنة ١٧٠ هـ

١٦٠ — قوة حجة \*

كتب عمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup> إلى عدى بن أرطاة: أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة؛ فوَلِّ القضاء أنفَذَهُمَا .  
فجمع بينهما؛ فقال له إياس: أيُّها الرجل؛ سَلْ عني وعن القاسم فقيهي البصرة: الحسن، وابن سيرين .

وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين، وكان إياس لا يأتيهما، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به؛ فقال: لا تسأل عني ولا عنه؛ فوالله الذي لا إله إلا هو؛ إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء؛ فإن كنت كاذبا فما ينبغي أن توليني، وإن كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل قولي!

فقال له إياس: إنك جئت برجلٍ فأوقفتَه على شفيرِ جهنم، فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفرُ اللهَ منها، وينجو مما يخاف!  
قال عدى: أما إذ فهمتها فأنت لها! فاستقضاه!

\* العقد ص ١١ ج ١

(١) انظر ص ٢٣٢ (٢) عدى بن أرطاة: أمير من أهل دمشق، كان من العقلاء الشجعان، ولاء عمر بن عبد العزيز البصرة، وقتل سنة ١٠٢ هـ .

١٦١ — إياس في مجلس القضاء \*

استودع رجل رجلا مالا ثم طالبه به فجحدته ، فخاصمه إلى إياس<sup>(١)</sup> بن معاوية القاضي ، وقال : دفعت إليه مالا في مكان كذا وكذا ! قال : فأى شيء كان في ذلك الموضع ؟ قال : شجرة !

قال : فانطلق إلى ذلك الموضع ، وانظر إلى تلك الشجرة ، فعمل الله يوضح لك هناك ما تُبينُ به حَقَّك ! أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة ، فنسيت ، فتذكر إذا رأيت الشجرة .

فمضى وقال إياس للمطلوب منه : اجلس حتى يرجع صاحبك ، فجلس وإياس يقضى وينظر إليه بين كل ساعة . ثم قال : ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة ؟ قال : لا ! فقال : يا عدو الله أنت الخائن ! قال : أقلنى أقالك الله ! فأمر بحفظه حتى جاء خصمه ، فقال له : خذ منه بحقك فقد أقر !

\* المحاسن والمساوي ص ٤٣ ج ١

(١) هو من مزينة ، ولاء عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة وكان صادق الظن لطيفا في الأمور ، ومات سنة ١٢٢ هـ .

١٦٢ — من ذكاء إياس \*

استودع رجلٌ أمينَ إياسٍ مالا ، وخرج المودع إلى الحجاز ، فلما رجع طلبه فوجدده ، فأتى إياساً فأخبره ، فقال له إياس : أعلمته أنك أتيتني ؟ قال : لا ، قال : أفنازعته عند غيري ؟ قال : لا . قال : فانصرف ، وأكتم سرّك ، ثم عدّ إلى بعد يومين .

فمضى الرجل ، ودعا إياسُ أمينه ، فقال : قد حضر عندنا مالٌ كثير ، أريد أن أسأله إليك ، أفحصين من ذلك ؟ قال : نعم ! قال : فأعدّ موضعاً للمال ، وقوماً يحملونه .

وعاد الرجلُ إلى إياس ، فقال : انطلقني إلى صاحبك ، فإن أعطاك المال فذاك ، وإن جحد فقل له : إني أخبر القاضى بالقصة .

فأتى الرجلُ صاحبه ، فقال : تعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضى ؟ وأخبره بالحال ، فدفع إليه المال . فرجع الرجلُ ، وأخبر إياسا .

ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به ، فزجره ، وقال له : لا تقرّ بى بعد هذا يا خائن !



١٦٣ — أدبتي فتأدت \*

كان أبو سلمة حفص بن سليمان وسليمان بن كثير.. وهما سيذا دعاة الدولة العباسية - يفدان كل عام على إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فيأتيانه بهدايا أهل الدعوة ، وكُتِبَهم ، ولم يكن أحد من آل إبراهيم يعرفهما ، ولا يعرف الأمر الذي يأتيان له ، فقد ما سنة من السنين فرأيا العباس وأبا جعفر ، فأعجباها ، وهما إذ ذاك غلامان ، فقال سليمان بن كثير لأبي سلمة : إني مسرّ إليك مهمّا من أمر الدين والدنيا ، فاحلف لي على كتمانها ، فحلف له أبو سلمة بأيمان رضىها منه . فقال له سليمان : إني أرى عند هذين الصبيين من أمارات الاستقلال بالخلافة ، مالا كفاء له <sup>(١)</sup> . فقال له أبو سلمة : ها والله أولى بالأمر من صاحبنا - يعنى إبراهيم الإمام - فقال سليمان : مامنعى من ذكر هذا إلا التستّر .

وبينا هما يتفاوضان فى هذا الأمر إذ مر أبو العباس وأبو جعفر وهما يضربان كرة ، فدعاهما أبو سلمة فأتياه ، فقال لهما : إني أنشدت صاحبي هذا شعراً أنا مُعجَبٌ به ، فلم يرضه ، وقد رضىنا بحكمك فيه ، فقالا : أنشده ، فأنشدهما :  
أمسلم <sup>(٢)</sup> إني يابن كل خليفة      ويافارس الهيجا وياجبل الأرض  
شكرتك إن الشكر حبل <sup>(٣)</sup> من التقى      وما كل من أوليته نعمة يقضى  
وشيدت <sup>(٤)</sup> من ذكرى وما كان خاملاً      ولكن بعض الذكرا نبيه <sup>(٥)</sup> من بعض

\* أبناء نجباء الأبناء ص ٩٥

(١) لا كفاء له : لا مثل له يكافئه (٢) أمسلم : يريد أمسامة (٣) حبل من التقى : سبب منه وعهد ، والعهد : الحبل (٤) شيدت : رفعت (٥) أنبه : أرفع .

فقال أبو جعفر: مَنْ قال هذا؟ فقال: قاله أبو نُخَيْلَةَ، فعرض أبو جعفر على إصبعه، ثم قال: أأمنُّ هذا العبد أن تدول لبني هاشم دولة فيولغوا الكلابَ دمه؟ فقال له أبو العباس: مه يا أخى، فإنه يقال: من ظهر غَضْبُهُ ضعف كيدِهِ. ثم أقبل أبو العباس على أبي سلمة، وقال له: هذا شعر أحمق فى أحمق! كيف يقول لرجل هو فى سلطان غيره، وتابع له: يا جبل الأرض؟ أليس جبل الأرض هو مرسيا، ولا يصلح أن يخاطب بهذا من هو تابع لغيره، وأين تفخيمه وتعظيمه من نقص اسمه، إذ يُناديه «أمسلم» وهو مسامة؟

ثم إنَّ العباس ولى، فقال له أبو جعفر: هلمَّ يا أخى ناعب، فقال له أبو العباس: هل أولغت<sup>(١)</sup> الكلابَ دم أبى نخيلة، فقال: لا، ولكنك أدبتي فتأدبت، وذهبا!

فقال أبو سلمة لسليمان بن كثير: بمثل هذا يطلب الملك، ويدرك الثار!

---

(١) معناه: هل شفيت غيظك حتى ناعب.

١٦٤ — مروءة وذكاء \*

لما حجَّ المنصور<sup>(١)</sup> عَرِضَ عليه جوهرٌ نفيس له قيمةٌ عظيمةٌ للبيع ، فعرفه ، وقال : هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان ، فانتقل إلى ابنه محمد بن هشام ، وما بقي من بني أمية غيره ؛ ولا بد لي منه ، ثم التفت إلى حاجبه الربيع ، وقال : إذا صليتُ بالناس غداً في المسجد الحرام ، وحصل الناس كلهم فأغلقُ الأبواب كلها ، ووكل بها جماعة من الثقات ، وافتحُ باباً واحداً وقفُ عليه ، ولا تُخرجُ أحداً حتى تعرفه ، فإذا ظفرتَ بمحمد بن هشام فأنتني به .

فلما كان الغد فعل الربيع ما أمره به المنصور ، وكان محمد بن هشام في المسجد ؛ فعرف أنه المطلوب ، وأيقن أنه مأخوذ مقتول ، فتحيرَ وارتاب واضطرب ؛ فبينما هو على تلك الحال إذ أقبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين فرآه متحيراً - وكان لا يعرفه - فتقدّم إليه وقال : يا هذا ؛ ما بالك ؟ فقال : لا شيء . فقال : خبرني ولك الأمان إن شاء الله على نفسك .

قال محمد بن هشام : فمن أنت ؟ قال : أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين ! فزاد خوفه ، وطار عقله ، وتحقق الموت ؛ فقال له : لا تجزع فإست قاتل أبي ولا جدى ، وليس لي عليك ثأر ، وأنا أجتهدُ في خلاصك إن شاء الله ! ولكن تعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح خطاب ؛ فقال له : افعل ما شئت .

\* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) انظر صفحة ١٠٤

فطرح رداءه على وجهه ، وغطى به رأسه ، وجذبه وسحبه ، إلى أن قرب من الربيع حاجب المنصور ، وهو على الباب ؛ فلما وقعت عين الربيع عليهما لطمه محمد بن زيد لطمات على رأسه ، وجاء به إلى الربيع ، وقال : يا أبا الفضل ؛ إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جمالاً ، فلما دفعت له الكراة هرب مني ، وذهب فأكرى جماله لبعض أهل خراسان ، ولى عليه شهوذاً ، وأريد منك من يوصله معي إلى القاضي ، ويمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين . فرسم الربيع عليه اثنين وقال : لا تفارقه إلى القاضي - ومحمد قابض على الرداء ، وقد استتر وجهه به - فخرجوا جميعاً من المسجد .

فلما بعدوا عن الربيع قال له محمد : اذهب إلى حال سبيلك ، فتمبّل محمد بن هشام يده ورأسه ، وقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ثم أخرج له جواهر قيمتها عظيمة ، وقال : بالله - يا بن بنت رسول الله - شرفني بقبول هذا ، فقال له : اذهب بمتاعك ؛ فنحن أهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة ، واحترز على نفسك من هذا الرجل ، إلى أن يخرج ، فإنه مجدّد في طلبك !

١٦٥ — حذر إبراهيم بن هرمة \*

وجه المنصور رسولا قاصداً إلى ابن هرمة ، ودفع إليه ألف دينار وخِلمة ،  
ووصفه له وقال : امضِ إليه ، فإنك تراه جالسا في موضع كذا من المسجد ،  
فانتسب له إلى بني أمية أو مواليهم ، وسله أن يُنشدك قصيدته الحائية التي يقول  
فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان :

وجدنا غالباً كانت جنأحاً وكان أبوك قادمة الجناح

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضربْ عنقه وجئني برأسه ، وإن  
أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني فيها فادفعْ إليه الألف الدينار والخِلمة ؛  
وما أراه يُنشدك غيرها ولا يعترف بالحائية .

فأتاه الرسولُ فوجده كما قال المنصور ، فجلس إليه واستنشده قصيدته في  
عبد الواحد ؛ فقال : ما قاتُ هذه القصيدة قطّ ولا أعرفها ، وإنما نحلها إيّاي من  
يُعاديّني ، ولكن إن شئت أنشدتك أحسنَ منها ؛ قال : قد شئتُ فها ،  
فألشده :

سرى<sup>(١)</sup> ثوبه عنك الصبأ الممتخايل

حتى أتى على آخرها<sup>(٢)</sup> ؛ ثم قال له : هات ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ ؛

\* الأغاني ص ١١٢ ج ٦

(١) سرى عنه الثوب : كشفه (٢) منها :

إذا كرها فيها عقاب ونائل  
وأم الذي خوفت بالشكل ناكل

له لحظات عن حفافى سريره

فأم الذي أمنت أمنة الردى

ووحفاف المشيء : جانبه .

فقال : أىّ شىء تقول يا هذا ؟ وأىّ شىء دفع إلىّ ؟ فقال : دَعُ ذا عنك ، فوالله ما بعثك إلا أمير المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إلىّ ، وأمرك أن تسألنى عن هذه القصيدة ، فإن أنشدتُك إياها ضربتَ عنقى وحمّلتَ رأسى إليه ، وإن أنشدتُك هذه اللامية دفعتَ إلىّ ما حملك إياه ؛ فضحك الرسول ثم قال : صدقتَ لعمرى ، ودفعَ إليه الألف الدينار والخلعة .

١٦٦ — المنصور ودليله بالمدينة \*

لما حجَّ أبو جعفر المنصور قال للربيع : ابغ لى فتى من أهل المدينة أديباً ظريفاً ، علماً بقديم ديارها ، ورسوم آثارها ؛ فتمدَّ بعدَّ عهدى بديار قومى ، وأريدُ الوقوفَ عليها .

فالتَمَسَ له الربيع فتى من أعلم الناس بالمدينة ، وأعرفهم بظريف الأخبار ، وشريف الأشعار ؛ فعجب المنصور منه ؛ وكان يسايره أحسنَ مُسايرة ، ويحاضره أزينَ محاضرة ، ولا يَبْتَدِئُهُ بخطاب إلا على وجه الجواب ، فإذا سأله أتى بأوضح دلالة ، وأفصح مقالة .

فأعجب به المنصور غاية الإعجاب ، وقال للربيع : ادفع إليه عشرة آلاف درهم ، وكان الفتى مُمْلِقاً مضطراً . فتشاغل الربيع عنه ، فاجتاز مع المنصور بدار عاتكة . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا بيت عاتكة بنتِ يزيد بن معاوية الذى يقول فيه الأحوص بن محمد :

يايبتَ عاتكة الذي أتعزَّلُ<sup>(١)</sup> حذرَ العدا وبه الفؤادُ مَوْكل  
قال المنصور : ما هاج منه ما ليس هو طبعه : من أن يُخبر بما لم يُستخبر  
عنه ، ويجيب بما لم يُسأل عنه ؟ ثم أقبل يردُّ أبيات القصيدة في نفسه إلى أن  
بلغ إلى :

وأراك تفعلُ ما تقولُ ، وبعضهم مَدِقُ<sup>(٢)</sup> اللسان يقولُ ما لا يفعل  
فدعا بالربيع وقال له : هل دفعتَ للمدني<sup>(٣)</sup> ما أمرنا له به ؟ فقال : أخرتني  
علة يا أمير المؤمنين ، قال : أضعفها له وعجلها .

---

(١) تعزل الشيء وتعزل عنه : تنجي (٢) رجل مذاق : كذوب (٣) النسبة إلى مدينة

الرسول : مدني ، وإلى مدينة المنصور مديني .

١٦٧ - فطنة كاتب المنصور\*

قال أبو جعفر المنصور للمهدى يوماً : قد عزمت على أن أوليك الأمر وأردّه إليك ؛ فقد كبرت وعجزت عن مباشرة الأعمال والنظر فيها ، وأحببت الراحة والدعة . فخرج المهديّ إلى أبي عبيد الله<sup>(١)</sup> مستبشراً ، وعرفه ما عرضه عليه أبو جعفر ، فقال له أبو عبيد الله : اتق الله ولا تظهر لأمر المؤمنين قبولاً لما ذاكرك به ، وإذا عاودك قتل له : لا والله ، لا أترض لهذا الأمر ما بقى الله أمير المؤمنين ، ولا أنهض له ؛ فإنه إنما سبرك بما عرض عليك .

فلما دخل المهديّ على أبي جعفر قل له : يا أبا عبد الله ، هل فكرت فيما قلت لك ، أو شاورت أحداً فيه ؟ فقال : ما بي قوّة على ذلك ، ويُبقي الله أمير المؤمنين ، ويمتحننا بحياته ، فقال له : سبحان الله ! من صدك عنه ، ومن ناظرت فيه ؟ فقال له : شاورت معاوية . قال : فأى شيء قال لك ؟ فعرفه ما قال له ، فأطرق هنيئاً ثم قال : على بمعاوية .

فلما دخل عليه قال له : ما هذا الذي ناظرك<sup>(٢)</sup> فيه أبو عبد الله ؟ وكيف رأيت ألاّ يقبل ؟ قال : أأصدّقك وأنا آمن ؟ فقال له : هات ، ولم لا تصدّقني ؟

\* الوزراء والكتاب ص ١٢٨

(١) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار من أهل فلسطين . كان كاتب أبي جعفر في الإنفاق واتصرف في بيت المال وقد ضمه إلى المهديّ حين أنقذه إلى الري (٢) المناظرة : أن تتناظر أحاك في أمر اذا نظرتما فيه معا كيف تأتينا به .



فقال له : إنه والله ما عرضتَ عليه ما عرضته وأنت تريد أن تؤكِّيه ، وإنما أردتُ أن تختبر عقله ، وما كنت لتطيبَ نفساً بترك ما أنت فيه .

فقال له : وكيف توهمتَ ذلك ؟ قال : لأنني سمعتك تقول : إني أستيقظ بالليل فأدعو بالكتب ، فأضعها بين يدي ، وأدعو بوصيف فأمره أن يمرَّخ<sup>(١)</sup> ظهرى بالدهن ، فيفعل ذلك ، وأنا مقبل على كتبي وتدبيرى ، والنظر في أموري ؛ فعلمتُ أنك لاتدعُ شيئاً يكون موقعه منك هذا الموقع ، وتؤثر به غيرك .  
فقال : ما كنتُ أرى أن أحداً يتفقد ما تفقدته ، وقد أصبتَ الرأى وأحسنْتَ .

بارك الله عليك !

---

(١) يمرخ : يدهن .

١٦٨ — حيلة طريفة \*

قال داود بن الرشيد : قلت للهيثم بن عدي : بأى شىء استحق سعيد بن عثمان أن ولّاه المهدي<sup>(١)</sup> القضاء ، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة ؟ قال : إن خبره في اتصاله بالمهدي طريف ، فإن أحببت شرحته لك ! قال : قلت : والله قد أحببت ذلك . قال :

اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي ، فقال : استأذن لي على أمير المؤمنين . فقال له الربيع : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قال : أنا رجل قد رأيت لأمر المؤمنين رؤيا سالحة ، وقد أحببت أن تذكرني له . فقال له الربيع : يا هذا ؛ إن القوم لا يصدقون ما يروونه لأنفسهم ، فكيف ما يراه لهم غيرهم ! فاحتل بحيلة هي خير لك من هذه . فقال له : إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه ، فأخبرته أني سألتك الإذن عليه فلم تفعل .

فدخل الربيع على المهدي ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنكم قد أطعتم الناس في أنفسكم ، فقد احتالوا لكم بكل ضرب . قال له : هكذا صنع الملوك . فما ذاك ؟ قال : رجل<sup>٢</sup> بالبواب يزعم أنه قد رأى لأمر المؤمنين رؤيا حسنة ، وقد أحب أن يقصها عليه . فقال له المهدي : ويحك ياربيع ! إني والله أرى الرؤيا لنفسى ، فلا

\* الأذكياء ص ٥٩

(١) انظر صفحة ٢٥٦

تصح لي ، فكيف إذا ادّعاها مَنْ لَعَلَّه قد افتعلها . قال : والله قلت له مثل هذا فلم يقبل . قال : هات الرجل .

فأدخل إليه سعيد ، وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ، ولحية عظيمة ، ولسان ، فقال له المهدي : هات . بارك الله عليك ! ماذا رأيت ؟ قال : رأيتُ يا أمير المؤمنين آتياً أتاني في منامي فقال لي : أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة ، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقبل يواقيت ، ثم يعدها فيجدها ثلاثين ياقوتة ، كأنها قد وهبت له .

فقال المهدي : ما أحسن ما رأيت ، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به ، فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك ماتريد ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلنا أن الرؤيا ربما صدقت ، وربما اختلفت .

قال له سعيد : يا أمير المؤمنين ؛ فما أنا صانع الساعة إذا صرتُ إلى منزلي وعيالي فأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ، ثم رجعت صِفْراً ؟ قال له المهدي : فكيف نعمل ؟ قال : يجعل لي أمير المؤمنين ما أَحَبَّ ، وأحلف له أني قد صدقت . فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يؤخذ منه كفيلاً ليحضر من غد ذلك اليوم . فقبض المال ، وقيل له : من يكفُلُ بك ؟ فمد عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه والزّي . فقال : هذا يكفلُ بي . فقال له المهدي : أتكفلُ به ؟ فاحمرَّ وخجل ، وقال : نعم وكفلُ به وانصرف .

فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً بجحرف ، وأصبح سعيد في الباب ، واستأذن فأذن له ، فلما وقعت عينُ المهدي عليه قال : أين

مِصْدَاقُ مَا قَلَّتْ لَنَا؟ قَالَ لَهُ سَعِيدٌ : وَمَا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : قَدْ  
وَاللَّهِ رَأَيْتُ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فَأَنْجِزْ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَعَدْتَنِي بِهِ .  
قَالَ لَهُ : حَبِيبًا وَكِرَامَةً ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَعَشْرَةَ تَخْوَتِ ثِيَابٍ ،  
وِثْلَاثَةَ مِرَاكِبٍ مِنْ أَنْفُسِ دَوَابِهِ مُخَلَّلَةٍ ، فَأَخَذَ ذَلِكَ وَانصَرَفَ .

فَلَحِقَ بِهِ الْخَادِمُ الَّذِي كَانَ قَدْ كَفَلَ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ : هَلْ كَانَ لِهَذِهِ  
الرُّؤْيَا الَّتِي ذَكَرْتَهَا مِنْ أَسْوَاقٍ ؟ قَالَ لَهُ سَعِيدٌ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ الْخَادِمُ : كَيْفَ وَقَدْ  
رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَكَرْتَهُ لَهُ ؟ قَالَ : هَذَا مِمَّا لَا يَأْبَاهُ بِهِ أَمْثَالُكُمْ ، وَذَلِكَ أَنِّي لَمَّا  
أَقْبَيْتُ إِلَيْهِ هَذَا الْكَلَامَ خَطَرَ بِيَالِهِ ، وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَشَغَلَ بِهِ فِكْرَهُ ، فَسَاعَةَ  
نَامَ خَيْلٌ لَهُ مَا حَلَّ فِي قَلْبِهِ ، وَمَا كَانَ شَغَلَ بِهِ فِكْرَهُ فِي الْمَنَامِ .

فَبَيَّهتُ الْخَادِمَ ، وَتَعَجَّبْتُ ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : قَدْ صَدَقْتُكَ ، وَجَعَلْتَ صَدِيقًا لَكَ  
مَكَافَأَتَكَ عَلَى كِفَائَتِكَ ، فَاسْتِرْ عَلَى ذَلِكَ . فَفَعَلَ .

ثُمَّ طَلَبَهُ الْمَهْدِيُّ لِمَنَادِمَتِهِ ، فَنَادَمَهُ ، وَحَظَى عِنْدَهُ ، وَقَلَدَهُ الْقِضَاءَ عَلَى عَسْكَرِهِ .  
فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ الْمَهْدِيُّ !

١٦٩ - الأمين والمأمون بين يدي الرشيد\*

قال محدث : إن الرشيد ناظر يحيى بن خالد أى ولديه يعهد إليه ، وعلم يحيى بن خالد ميله إلى أم جعفر وإيثاره هواها ، فقال : أمير المؤمنين أعلم بولده ، وكان المأمون والأمين حاضرين ، فأغرى<sup>(١)</sup> كل واحد منهما بالآخر ، فأسرع<sup>(٢)</sup> الأمين وحلم المأمون ، ثم أمرهما بالمصارعة ، فوثب الأمين ، وثبت المأمون جالساً ، فقال له الرشيد : مالك اليوم يا عبد الله ، أخفت ابن الهاشمية ؟ أما إنه لأيد<sup>(٣)</sup> ، فقال المأمون : هو كما ذكر أمير المؤمنين ، ولكننى لم أخفه ، ولكن قبض يدي عنه ما قبض لسانى حين نال منى . فقال الرشيد : وما الذى قبض يدك ولسانك عنه ؟ قال : قول الأموى لبنيه متمثلاً<sup>(٤)</sup> :

أنفوا الضغائن <sup>(٥)</sup> بينكم وتواصلوا	عند الأبعد والحضور الشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم	ودماركم بتقطع وتقرّد
إن القداح إذا جمعن ورامها	بالكسر ذو حنق وبطش أيد
عزت ولم تكسر وإن هى بددت	فالوهن والتكسير للمتبدد
فمثل ريب الدهر ألف بينكم	بتعاطفٍ وتراحمٍ وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم	لسود منكم وغير مسود

✽ أنباء نجاء الأبناء ص ١١٣

- (١) أغرى بينهم : ساط أدهم على الآخر  
(٢) أسرع : أى أسمعته قولاً مكروهاً  
(٣) أيد : شديد . والأيد : القوة . (٤) الأبيات أنشدها عبد الملك يوصى بها ولده  
(٥) الضغائن : الأحقاد .

فرق الرشيد رقة شديدة ، واغرورت عيناه بالدموع ، ثم تشدد وكفكفها ،  
وأقبل على الأمين ، وقال : يا محمد؛ ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة ؟  
قال : أكون مهديها يا أمير المؤمنين ، فقال الرشيد : إن تفعل فأنت أهل لذلك .  
ثم أقبل على المأمون وقال له : يا عبد الله ؛ ما أنت صانع إن صرف الله إليك  
أمر هذه الأمة ؟ فابتدرت دموع المأمون ، وفضن الرشيد لما أبكاه ، فلم يملك عينيه ،  
فأرسلهما ، وبكى يحيى ، فلما قضا من البكاء أرباباً بكى الأمين لبكائهم ، فأعاد  
الرشيد المسألة للمأمون ، فقال : اعفنى يا أمير المؤمنين من ذلك . فقال : عزمت  
عليك لتقولنّ ، فقال : إن قدر الله ذلك أجعل الحزن شعراً<sup>(١)</sup> والحزم دثاراً ،  
وسيرة أمير المؤمنين مشعراً ، لا تستحل حرماته ، وكتاباً لا تبدل كلماته .  
فأشار إليهما بالانصراف ، فذهبا ، ثم أقبل على يحيى بن خالد فأنشد بيت  
صخر بن عمرو بن الشريد السلمي أخى الخنساء ، وهو قوله :  
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير<sup>(٢)</sup> والنزوان  
فقال يحيى بن خالد : هيا الله لأمر المؤمنين من أمره رشداً .

(١) - الشعار : ماولى الجسد من الثياب ، والدثار : ما فوق ذلك (٢) العير : حمار الوحش .  
النزوان : الوثوب .

١٧٠ - قرا مجد وفرعا خلافة \*

قال الكسائي<sup>(١)</sup> :

دخلتُ على الرشيد ، فلما قضيتُ حقَّ التسليم والدعاء ، وَثَبْتُ للقيام ، فقال :  
اقعدُ ، فلم أزل عنده حتى خفَّ عامةٌ مِنْ كان في مجلسه ، ولم يبق إلا خاصتهُ ،  
فقال لي : يا عليُّ ، ألا تحبُّ أن ترى محمداً وعبد الله<sup>(٢)</sup> ؟ قلت : ما أشوقني إليهما  
يا أمير المؤمنين ، وأسرتني بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما !

فأمر بإحضارهما ، فلم ألبثُ أن أقبلتُ ككوكبي أفق ، يزينهما هدوء ووقار ،  
وقد غَضَّما أبصارهما ، وقارا بخطوَّهما ، حتى وقفا على باب المجلس ، فسألتُ عليَّ أيهما بالخلافة ،  
ثم قال : تمَّ الله على أمير المؤمنين نعمة ، وشفعها بشكره ، وجعل ما قلده من هذا  
الأمر أحمد عاقبة ، ولا كدر عليه منه ماصفاً ، فقد صرتُ للمسلمين ثقة ، إليك يفزعون  
في أمورهم ، ويقصدون في حوائجهم .

فأمرها بالدنوِّ منه ، فصير محمداً عن يمينه وعبد الله عن يساره ، ثم التفت إليَّ  
فقال : يا عليُّ ؛ ما زلتُ ساهرا مفكرا في معاني أبياتٍ قد خفيتُ عليَّ ! قلت : إن  
رأى أمير المؤمنين أن ينشدنيها . فأنشدني :

قَدِ قُلْتُ قَوْلًا لِلْغُرَابِ إِذْ حَجَلْ :      عَلَيْكَ بِالْقُودِ الْمَسَانِفِ الْأَوَّلِ

تَغَدَّ مَاشَتْ عَلَى غَيْرِ عَجَلْ

\* السعودي ص ٢٧١ ج ٢ ، معجم الأدباء ص ١٧٣ ج ١٣ ، المحاسن والمساوي ص ٤٤٠  
(١) اسمه علي بن حمزة وأصله من فارس ، أشهر نجاة الكوفة وأحد القراء السبعة ، استقدمه  
الخلفاء العباسيون ليعلم أبناءهم ، وألف كثيرا من الكتب في النحو والقراءات والأدب والنوادر ،  
توفي سنة ١٨٩ هـ (٢) محمد الأمين وعبد الله المأمون ابنا الرشيد .

فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ إن العير إذا فصلت من خَيْبَر ، وعليها التمرُ ، يقع الغراب على آخر العير فيطردها السَّوَّاق ؛ يقول هذا : تقدم إلى أوائل العير ؛ فَكُلْ على غير عَجَل . والقود : الطَّوَال الأعناق . والمسائيف : المقدمة .  
ثم أنشدني :

لَعَمْرِي لئن عَشَرْتُ من خَشِيَّةِ الرَّدَى    نهَّاقَ الحِمَارِ إنني لَجَهْلُ  
قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كان الرجل من العرب إذا دخل خَيْبَر أ كَبَّ على أربع وعشرَ تعشيرَ الحمار ؛ وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات ، يفعل ذلك ليدفع عن نفسه حُمَى خيبر . ثم أنشدني قول الآخر :

أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيَقُورًا <sup>(١)</sup> مُضَرَّمَةً    ذريعةً لك بين الله والمطرِ  
قلت : نعم ، كانت العرب إذا أبطأ المطر شدت العُشْرَ <sup>(٢)</sup> والسَّلَعَ ، وهما ضربان من النبت في أذنان البقر وألهبوا فيه النار ، وشرّدوا البقر تقاؤلاً بالبرق والمطر .

ثم أنشدني لرجلٍ آخر :

وسِرْبٍ مِلاحٍ قد رأيتُ وجوهَهُمْ    إناثٌ أدانيهِ ذُكُورٌ أوَاخِرُهُ  
فقلت : إنه يعني الأضراس .

ثم أنشدني لآخر :

فإني إذن كالثور يُضْرَبُ جَنْبُهُ    إذا لم يعفْ شُرْبًا وعافَتْ صَوَاحِبُهُ  
قلت : نعم ، كانت العرب إذا أوردتِ البقرَ الماء ، فشربت الثيران وأبَّتِ البقرُ ، ضربت الثيران حتى تشربَ البقر ، وهو كما قال : كالثور يُضْرَبُ لما عافَتْ البقر .

(١) اسم جمع لبقرة (٢) شجر لم يقتدح الناس في أجود منه .



ثم أنشدني :

وَمُنْجِدٍ مِنْ رَأْسِ بَرْقَاءِ حَطَّهُ      مَخَافَةُ بَيْنِ أَوْ حَبِيبُ مُزَايِلُ  
قلت : نعم ، يعنى الدموع ، والبرقاء : العين ؛ لأن فيها سواداً وبياضاً . وحطه :  
أسأله ، وحبيب : محبوب ، ومزاييل : مفارق .

فوثب الرشيد فجدبني إلى صدره ، وقال : لله درّ أهل الأدب ! ثم دعا بجارية ،  
فقال لها : احملي إلى منزل الكسائي خمس بدر على أعناق خمسة أعبد يلزمون خدمته .  
ثم قال لي : استنشدهما - يعنى ابنيه - فأنشدني محمد الأمين :

وَإِنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى      وَتَارِكُ شَكْلِ لَأْيُوفِقَهُ شَكْلِي  
وَشَكْلِي شَكْلٌ لَا يَقُومُ بِمِثْلِهِ      مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَلْذِي نَيْقَةٍ<sup>(١)</sup> مِثْلِي  
وَلِي نَيْقَةٌ فِي الْمَجْدِ وَالْبَدْلِ لَمْ يَكُنْ      تَأْتِقَهَا فِيمَا مَضَى أَحَدٌ قَبْلِي  
وَأَجَلُ مَالِي دُونَ عَرَضِي جُنَّةً      لِنَفْسِي وَأَسْتَعْنِي بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِي  
وَأُنشَدني عبد الله المأمون :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ مَطَاعَ الْفَجْرِ      وَلَقَدْ تَلُومَ بغيرِ مَا تَدْرِي  
مَا إِنْ مَلَكَتْ مَصِيبَةً نَزَلَتْ      إِذْ لَا يُحْكَمُ<sup>(٢)</sup> ظَالِعًا أَمْرِي  
مَلِكُ الْمُلُوكِ عَلَيَّ مُقْتَدِرٌ      يُعْطَى إِذَا مَا شَاءَ مِنْ يُسْرٍ  
فَلَرَبٌّ مُعْتَبِطٌ بِمَرْزُوتِهِ      وَمُفَجَّعٌ بِنَوَائِبِ الدَّهْرِ  
وَمُكَاشِحٌ لِي قَدْ مَدَدَتْ لَهُ      نَحْرًا بِلا ضَرَعٍ<sup>(٣)</sup> وَلَا غَمْرِ  
حَتَّى يَقُولَ لِنَفْسِهِ لَهْفًا :      فِي أَيِّ مَذْهَبٍ غَايَةٍ أُجْرِي

(١) النيقة : اسم من تنوق في الأمر : تجودونأثق فيه (٢) حكم الأمر : أحكمه (٣) الضرع :  
من ضرع : إذا ذل وخضع . والغمر : من لم يجرب الأمور وبالتحريك الحقد .

وترى فَنَاتِي حِينَ يَغْمِزُهَا غَمَزَ التَّقَافِ بِطَيْئَةِ الْكَسْرِ  
ثم أمرني أن أسألَهُمَا ، ففعلت ؛ فمَسَأَلْتُهُمَا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ فِيهِ وَالخُرُوجَ  
منه ، فَسَرَّ بِذَلِكَ الرَّشِيدَ ، حَتَّى تَبَيَّنَتْهُ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيُّ ، كَيْفَ تَرَى مَذْهَبَهُمَا  
وَجَوَابَهُمَا ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُمَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَرَى قَمْرِي مَجْدٍ وَفِرْعَى خِلَافَةٍ يَزِينُهُمَا عِرْقُ كَرِيمٍ وَحَتِيدُ  
يَسْدَانِ آفَاقِ السَّمَاءِ بِشِيمَةٍ يُؤْيِدُهَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مُهَنْدُ  
سَلِيلِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَائِزِي مَوَارِيثِ مَا بَقِيَ النَّبِيِّ مُحَمَّدُ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَا فِرْعَازُكَ أَصْلَهُ ، وَطَابَ مَغْرَسُهُ ، وَتَمَكَّنْتُ فِي التَّرَى  
عَرُوقَهُ ، وَعَذَّبْتُ مَشَارِبَهُ ، أَبُوهُمَا مَلِكٌ أَغْرُ نَافِذِ الْأَمْرِ وَاسِعِ الْعِلْمِ ، عَظِيمِ الْحِلْمِ ،  
فَهُمَا يَسْتَضِيئَانِ بِنُورِهِ ، وَيَنْطِقَانِ بِلِسَانِهِ ، وَيَتَقَلَّبَانِ فِي سَعَادَتِهِ ، فَأَمْتَعَ اللَّهُ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمَا ، وَأَنَسَ جَمِيعَ الْأُمَّةِ بِبِقَائِهِ وَبِقَائِهِمَا ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ  
وَأَغْصَانِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ أَذْرَبَ<sup>(١)</sup> مِنْهُمَا لِسَانًا ، وَلَا أَعَذَبَ كَلَامًا ، وَلَا أَحْسَنَ  
أَلْفَاظًا ، وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا ؛ وَدَعَوْتَ لَهُمَا دَعَاءَ كَثِيرًا ، وَأَمَّنَ  
الرَّشِيدَ عَلَى دَعَائِي ، ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ ، وَجَمَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمَا فَلَمْ يَسْطِمْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمْعَ  
تَفْحَدُ عَلَى صَدْرِهِ ؛ رَقَّةً عَلَيْهِمَا وَإِشْفَاقًا . ثُمَّ أَمَرَهُمَا بِالخُرُوجِ .

فَلَمَّا خَرَجَا أَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : كَأَنَّكَ بِهِمَا وَقَدْ حُمَّ الْقَضَاءُ ، وَنَزَلَتْ مَقَادِيرُ السَّمَاءِ ، وَبَلَغَ  
الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَانْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى وَقْتِهِ وَالْحُدُودُ وَحِينِهِ الْمَسْطُورَ الَّذِي لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ ، وَلَا  
يَمْنَعُ مِنْهُ مَانِعٌ - قَدْ تَشَتَّتْ أَمْرُهُمَا ، وَافْتَرَقَتْ كَلِمَتُهُمَا ، وَظَهَرَ تَعَادِيهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَبْرَحْ ذَلِكَ بِهِمَا  
حَتَّى تَسْفَكَ الدَّمَاءَ ، وَتَكْثُرَ الْقَتِيلَ ، وَتُهْتَكَّ سُتُورُ النِّسَاءِ ، وَيَتَمَنَّى كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْيَاءِ

(١) الذرب : الحديد اللسان .

أنهم في عداد الموتى ، قلت : أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لأمر رأيته ، أو لرؤيا ،  
أو لشيء تبين لك في أصل مولدها ، أو لآثر وقع لأمير المؤمنين في أمرهما ؟ فقال :  
لا ، بل أثر صحيح ، حملته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء !

١٧١ — قُرَّتَا عَيْنِ \*

قول محمد بن عبد الرحمن الهاشمي (١) :

كانت أمُّ جعفر بن يحيى تزورُ أُمِّي ، وكانت لبيبةً من النساء ، حازمةً فصيحةً  
برَزَّةً ، يُعجبني أن أجدَها عند أُمِّي فاستكثرَ من حديثها ، فقلت لها يوما : يا أمَّ جعفر ،  
إن بعضَ الناس يُفضِّل جعفرا على الفضل ، وبعضهم يُفضِّل الفضلَ على جعفر ،  
فأخبريني . فقالت : مازلنا نعرفُ الفضلَ للفضل . فقلت : إن أكثرَ الناس على  
خلاف هذا . فقالت : سأحدثُك واقصِّ أنت - وكان ذلك الذي أردتُ منها .

قالت : كانا يوما يلعبان في داري ، فدخل أبوهما فدعا بالغداء وأحضرهما ،  
فطعما معه ، ثم آتسهما بحديثه ، وقال لهما : أتلعبان بالشطرنج ؟ فقال جعفر - وكان  
أجرأهما : نعم ! قال : فهل لاعبت أخاك بها ؟ قال جعفر : لا . قال : فألعبا بها بين  
يدي لأرى لمن الغلب ، فقال جعفر : نعم ! وكان الفضلُ أبصرَ منه بها ، فجىء  
بالشطرنج ، فصفت بينهما ، وأقبل عليها جعفر ، وأعرض عنها الفضل .

فقال له أبوه : مالك لاتلعب أخاك ؟ فقال : لأحب ذلك ، فقال جعفر : إنه

\* أبناء نجباء الأبناء ص ١٣٠

(١) هو محمد بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفة .

يرى أنه أعلم بها مني فيأْتف من مُلَاعِبتي ، وأنا الأعبه مخاطرة<sup>(١)</sup> .  
فقال الفضل : لأفعل ، فقال أبوه : لأعبه وأنا معك ، فقال جعفر : رضيتُ ،  
وأبي الفضل واستعفى أباه فأعفاه .

ثم قالت لي : قد حدثتُ فاقضِ ، فقلت : قد قضيتُ بالفضل للفضل على أخيه ،  
فقلت : لوعلمتُ أنك لا تحسنُ القضاء لما حكمتك ، أفلا ترى أن جعفرًا قد سقط  
أربع سقطات تنزه الفضلُ عنهنَّ : فسقط حين اعترفَ على نفسه بأنه يلعب بالشطرنج ،  
وكان أبوه صاحبَ جدِّ ، وسقط في التزَام مُلَاعِبة أخيه ، وإظهار الشهوة لعلبهِ ،  
والتعرُّض لِعَضْبهِ ؛ وسقط في طلب المُقَامرة وإظهار الحرص على مال أخيه ؛ والرابعة  
قاصمة الظهر حين قال أبوه لأخيه : لأعبه وأنا معك ، فقال أخوه : لا ، وقال هو :  
نعم ؛ فناصر<sup>(٢)</sup> صفاً فيه أبوه وأخوه .

فقلت : أحسنتِ والله ، وإنك لأقضى من الشعبي<sup>(٣)</sup> . ثم قلت لها : عزمتُ عليك  
أخبريني : هل خفي مثلُ هذا على جعفر وقد فطن له أخوه ؟ فقلت : لولا العزيمةُ  
لما أخبرتكُ ، إن أباهما لما خرج قلتُ للفضل خاليةً به : مأمْنعك من إدخال السرور  
على أبيك بملاعبة أخيك ؟ فقال : أمران ؛ أحدهما أني لو لاعبته لعلبته فأخجلته ،  
والثاني قول أبي : لأعبه وأنا معك ، فمايسرني أن يكون أبي معي على أخى . ثم  
خَلَوْتُ بجعفر فقلت له : يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج فيصمتُ أخوك وتعترفُ ،  
وأبوك صاحبُ جدِّ ! فقال : إني سمعتُ أبي يقول : نِعْم لهو البالي المسكدود<sup>(٤)</sup> .  
وقد علم مانلقاه من كدِّ التعلم والتأدب ، ولم آمن أن يكون بلغه أننا نلعبُ بها ولا

(١) المخاطرة : المراهنة (٢) ناصر : أجهده وأتعبه .  
(٣) الشعبي : أحد رجال الحديث والقضاء (٤) كده : أجهده وأتعبه .

أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكَرَ؛ فَبَادَرْتُ بِالْإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وَعَلَيْهِ ، وَقَلْتُ : إِنْ كَانَ تَوْبِيخٌ فِدَيْتُهُ مِنَ الْمُؤَاجَهَةِ بِهِ .

فَقُلْتُ لَهُ : يَا بُنَيَّ ! فَلِمَ تَقُولُ الْأَعْبَهُ مُخَاطِرَةً ؟ كَأَنَّكَ تَقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ !  
فَقَالَ : كَلَّا ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ الَّتِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ ، فَأَبَى قَبُولَهَا ، وَطَمِعْتُ أَنْ يَلَاعِبَنِي فَأَخَاطِرَهُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ يَغْلِبُنِي فَتَطْيِبُ نَفْسَهُ بِأَخْذِهَا .  
فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ ، مَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوَاةُ ؟ فَقَالَتْ : إِنْ جَعَفَرًا دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاةً مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ مَحَلَّلَةً بِالْيَالِيَا قَوْتَ الْأَزْرَقِ وَالْأَصْفَرِ ؛ فَرَأَاهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَوَهَبَهَا لَهُ . فَقُلْتُ : إِيهِ .

فَقَالَتْ : ثُمَّ قُلْتُ لَجَعْفَرٍ : هَبْكَ اعْتَذَرْتُ بِمَا سَمِعْتُ ، فَمَا عَذْرُكَ مِنَ الرِّضَا بِمَنَاصِبَةِ أُمِّيكَ حِينَ قَالَ : لِأَعْبِهِ وَأَنَا مَعَكَ ؟ فَقُلْتُ أَنْتَ : نَعَمْ ، وَقَالَ هُوَ : لَا . فَقَالَ : عَرَفْتُ أَنَّهُ غَالِبِي ، وَلَوْ فَتَرَ لَعَبِهِ لَتَغَالَبْتُ لَهُ ، مَعَ مَالِهِ مِنَ الشَّرْفِ وَالسَّرُورِ بِتَحْيِيزِ أَبِيهِ إِلَيْهِ .  
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : بَخَّ بَخَّ (١) هَذِهِ وَاللَّهُ السِّيَادَةُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ ، أَمْ كَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحُلْمَ ؟ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ ؛ أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ ؟ أَخْبِرْكَ عَنْ صَبِيئِينَ يَلْعَبَانِ فَتَقُولُ : أَمْ كَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحُلْمَ ! لَقَدْ كُنَّا نَنْهَى الصَّبِيَّ إِذَا بَلَغَ الْعَشْرَ وَحَضَرَ مَنْ يُسْتَحَى مِنْهُ أَنْ يَبْتَسِمَ !

(١) يقال : بخ بخ ، إعجابا بالشيء وإظهارا للسرور به .

١٧٢ — حيلة وآل \*

بلغ الرشيد أن موسى بن عيسى<sup>(١)</sup> - وكان أميراً على مصر من قبله - عازم على خلعه ، فقال : والله لأعزله بأخس من على بابي ! وقال ليحيى<sup>(٢)</sup> بن خالد : اطلب لي كاتباً عفيفاً يصلح لعمل مصر ، واكتم خبره ، فلا يشعر به موسى حتى يفجأه ، فقال : قد وجدته ، قال : من هو ؟ قال : عمر بن مهران<sup>(٣)</sup> .

فكتب له بخطه كتاباً إلى موسى بتسليم العمل إليه ، فسار وليس معه غير غلامٍ أسود ، على بغل استأجره ، ومعه خُرُجٌ فيه قميص وطيلسان<sup>(٤)</sup> وخف ! فلما وصل إلى مصر نزل خاناً ، فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد ، وعَمَّن فيه من العمال ، وأخبر من كانوا بجواره في الخان أنه قد ولى مصر ، واستعمل منهم كاتباً وحاجباً وصاحبَ شرطة ، وقد آخر بيت المال ؛ وأمر من تبعه ووَثِقَ به أن يدخلَ معه على موسى ، فإذا سمِعُوا حركة في دار الإمارة قبضوا على الديوان .

فلما أبرم أمره بكرَّ إلى دار الإمارة ، فأذن موسى للناس إذناً عاماً ، فدخل في

\* غرر الخصائص ص ٤٤ ، النجوم الزاهرة ص ٧٨ ج ٢

(١) هو موسى بن عيسى الأمير العباسي ، ولى إمرة مصر على الصلاة سنة ١٧١ ، ثم عزله الرشيد وولاه ثانية سنة ١٧٤ هـ وعزل سنة ١٧٦ هـ ، وكان عاقلاً جواداً ممدوحاً (٢) يحيى ابن خالد : وزير هارون الرشيد (٣) كان عمر قائداً للجيش وكاتباً للخارج كما كان مديراً لأملاك الدولة (٤) الطيلسان : نوع من الأكسية .

جملتهم ومن اتفق معهم ، وموسى جالس في دَسْتِه<sup>(١)</sup> ، والقوادُ بين يديه ، وكلُّ مَنْ قُضِيَتْ حاجتُه ينصرف . وعمرُ جالس ، والحاجبُ ساعة بعد ساعة يسأله عن حاجته ، وهو يَتَغَافَلُ ، حتى خفَّ الناس ، فتقدَّم ، وأخرج كتابَ الرشيد ودفعه لموسى ؛ فقَبَّلَه ووضعَه على رأسه ، ثم فَتَحَه وقرأه فانتَقِعَ<sup>(٢)</sup> لونه ، وقال : السمع والطاعة .

ثم قال : أقرئُ أبا حفص السلام ، وقل له : كُنْ بموضعك حتى نتخذَ لك منزلاً ، ونأمر الجند يستقبلونك ! قال : أنا عمر بن مهران ، وقد أمرني أميرُ المؤمنين أن أقيمك للناس ، وأنصف المظلوم منك ، وأنا فاعل ما أمرني به أميرُ المؤمنين ! فقال له موسى : أنت عمر بن مهران ! ؟ قال : نعم ! قال : لعن الله فرعون . حيث قال : أليس لي ملكُ مصر ؟ ! واضطرب المجلس !

فقبض على الديوان ؛ ونزل موسى عن فرشه ، وقال : لا إله إلا الله ! هكذا تقوم الساعة ! ماظننتُ أن أحداً بلغ من الخيلة والحزم ما بلغت ؛ تسلمت مني العمل ، وأنت في مجلسي !

ثم نهض عمر إلى الديوان ، ونظر فيه ، وأمر ونهى ، وعزل وولّى .

---

(١) الدست : صدر البيت (٢) انتقع لونه : تغير .

١٧٣ — أعطني على قدرى \*

دخل رجلٌ بدوىٌّ عليه شَعَثُ السفر ، على داود<sup>(١)</sup> المَهَلبيّ - وكان إذا حضرَ الطَّعامُ يتقدَّمُ بصرفِ البوابين ، ولا يمنعُ من الوصولِ إلى طعامه - فلما فرغ من الطعام وثب قائماً وأومى إليه ، وقال : من أنت يا قتي ؟ قال : شاعر ، قصَّدْتُكَ بأبياتٍ من الشعر . قال داود : مهلاً قليلاً ، ثم دعا بقوس فأوترها<sup>(٢)</sup> ، وأومى إليه ، وقال له : قل ، فإن أنت أحسنتَ خدمتُ وأجزلتُ ، وإن أخطأتَ رميتك بهذا السهم يقع في أى موضعٍ يقع فيه ، فتبسّم البدوى ، وقال :

أمنتُ بدويدٍ وجودٍ يمينه      من الحدّثِ المرهوبِ والبؤسِ والفقيرِ  
وأصبحتُ لا أخشى بدوادِ نبوةً      ولا حدّثاناً إن شدّدتُ به أزرى  
له حكمُ أُلَتمانٍ وصورةُ يوسف      ومُلكُ سليمانٍ وصدقُ أبي ذرِّ  
فتى تهربُ الأموال من جودِ كَفِّه      كما يهربُ الشيطانُ من ليلَةِ أُلَقدَرِ  
فقوُّسُك قوسُ الجودِ ، والوترُ الندى      وسهمُك فيه الموتُ فاقتل به فقري  
فضحكَ داود ورمى بسهمه مع القوس من يده ، وقال : يا قتي العرب ، بالله

\* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) هو داود بن يزيد بن حاتم المهلبى أمير من الشجعان الغلاء ، كان والياً على إفريقية ، وبقي في إمارتها تسعة أشهر ، ثم ولاة الرشيد السند ، فانتقلت له أمورها ، واستمر بها إلى أن توفي سنة ٢٠٥ هـ (٢) أوتر قوسه : جعل لها وترأ .



هل كان ذكرُ القوس في الأبيات؟ فقال: لا والله! وفرح بذلك، وقال: يافتي  
العرب بالله أيما أحب إليك: أعطيك على قدرِك أم على قدرِي؟ قال: بل على  
قدرِي! قال: كم على قدرِك؟ قال: مائة ألف درهم، فأمر له بها.

ثم قال: مامنك أن تقول على قدرِي؟ فقال: أيها الأمير، أردت أن أقول  
ذلك، فإذا الأرض لم تُساو قدرَ الأمير، فطلبتُ على قدرِي! فقال: لله درُّك!  
والله إنَّ نثرَك لأحسنُ من نظْمِك! وأمر له بمائة ألف ثانية، وأمره ألا ينقطعَ  
عنه.

١٧٤ — طاهر بن الحسين والمأمون \*

لما انقبضَ طاهرُ<sup>(١)</sup> بن الحسين بخراسان عن المأمون ، وأخذ حِذْرَهُ أَدَبَ لَهُ المأمون وَصَيْفًا<sup>(٢)</sup> بأحسنِ الآداب ، وعَلَّمَهُ فنونَ العلم ، ثم أهْدَاهُ إِلَيْهِ مع أطافِ كثيرة من طرائف العراق ، وقد واطَّاهُ على أن يَسْمَهُ ، وأَعْطَاهُ سُمَّ ساعة ، ووَعَدَهُ على ذلك بأموالٍ كثيرة .

فلما انتهى إلى خراسان ، وأوصل الهدية ، قبل طاهر الهدية ، وأمر بإنزال الوصيف في دار ، وأجرى عليه ما يحتاجُ إليه من التوسعة ؛ وتركه أشهراً . فلما برم الوصيف بمكانه كتب إليه :

ياسيدي : إن كنتَ تقبلني فاقبلني ، وإلا فردني إلى أمير المؤمنين ! فأرسل إليه ، وأمر بإدخاله ؛ فلما انتهى إلى باب المجلس الذي كان فيه أمره بالوقوف عند باب المجلس ، وقد جلس على لُبْدٍ أبيض ، وقرع<sup>(٣)</sup> رأسه ، وبين يديه مصحفٌ منشور ، وسيفٌ مسلول . فقال : قد قبلنا ما بعثَ به أميرُ المؤمنين غيرك ؛ فإنَّا لا نقبلك ، وقد صرفناك إلى أمير المؤمنين ، وليس عندي جوابٌ

\* العمدة الفريد ص ٢٥٩ ج ١

(١) كان طاهر بن الحسين أكبر من اشتهر في عهد المأمون بقيادة الجيوش ويمين النخبة وبعد الصيت ، وهو الذي قتل الأمين سنة ١٩٨ ، وولاه المأمون خراسان ، وكان مستقلاً بها ، يؤدي الحراج عن عملها ، وتغير عليه المأمون حينما بلغه أنه امتنع عن الدعاء له على المنبر ، وتوفى بمرور سنة ٢٠٧ هـ (٢) الوصيف : الخادم والخدمة (٣) قرع رأسه : ضربه بالعصا .

أكتبه إلاماترى من حالى ؛ فأبلغ أمير المؤمنين السلام ، وأعلمه بالحال التى رأيتنى فيها .

فلما قدم الوصيف على المأمون ، وكلمه بما كان من أمره ، ووصف له الحال التى رآه فيها شاور وزراءه فى ذلك ، وسألهم عن معناه ، فلم يعلمه واحد منهم ؛ فقال المأمون : لكنى قد فهمت معناه : أما تقرىءه رأسه وجلوسه على اللبّد الأبيض فهو يخبرنا أنه عبد ذليل . وأما المصحف المنشور فإنه يذكركنا بالعهود التى له علينا ، وأما السيف المسلول فإنه يقول : إن نكثت تلك العهود ، فهذا يحكم بينى وبينك . أغلقوا عننا باب ذكره ، ولا تهيجوه فى شئ ؛ فلم يهجه المأمون حتى صات !

١٧٥ — هَمَّتْ بِالْأُوطَانِ وَجَدًّا بِهَا\*

سمع طاهرُ بن الحسين عوف بن مُحَلِّم<sup>(١)</sup> الخزاعي ، ينشد شعراً يقول فيه :

عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ ابْنِ الحَسِيهِ      نَ كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَعْرِقُ

وَبِحِزَانٍ : مِ نْ تَحِيَّتِهَا وَاحِدٌ      وَآخِرُ مِ نْ فَوْقِهَا مُطَبِقُ

وَأَعْجَبُ مِ نْ ذَاكَ عِيدَانِهَا      وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ ؟

فأدخله ، وأنشده إياها ؛ ثم اختصه بمناذمته ، واختاره لمسامرته ، وكان لا يخرج في سفرٍ إلا أخرجه معه ، وجعله زميله وأنيسه وعديله ، وكان عوف يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه ، فلا يأذن له ، ولا يسمحُ به . فلما مات طاهرُ ظنَّ أنه قد تخلص ، وأنه يلحقُ بأهله ، ويرجعُ إلى وطنه ، فقرَّبه عبد الله بن طاهر من نفسه ، وأنزله منزله من أبيه — وكان عبدُ الله أديباً فاضلاً عالماً بأخبار الناس — فلما وقف على أدب عوف وفضله تمسك به ، وأفضلَ عليه حتى كثر ماله ، وحسُنَ حاله ؛ وتلطفَ بجهده أن يأذن له عبدُ الله في العودِ إلى وطنه ، فلم يكن إلى ذلك سبيل !

وحفزه الشوقُ إلى أهله ، وأهمه أمرهم ؛ فاتفق أن خرج عبد الله من بغداد

\* معجم الأدباء ص ١٤٠ ج ١٦

(١) أحد العلماء الأدباء الرواة الندماء الشعراء اختصه طاهر بمناذمته فبقى معه ثلاثين سنة

لايفارقه . وتوفي نحو سنة ٢٢٠ هـ .

يريد خراسان ، فصيرَ عوفاً عدليه<sup>(١)</sup> ، يستمتع بمسامرته ، ويرتاحُ إلى محادثته ، إلى أن دنا من الرّسى<sup>(٢)</sup> ؛ فلما شارفها سمع صوتَ عُنْدَالِيْبٍ يغرّد بأحسنِ تغريد ، وأشجى صوت ؛ فأعجبَ عبدُ الله بصوته ، والتفت إلى عوف بن محمّ ، فقال له : يا بن محمّ ؛ هل سمعتَ قطُّ أشجى من هذا الصوت وأطربَ منه ؟ فقال : لا والله أيها الأمير ! وإنه لحسنُ الصوتِ شجى النّعمة ، مُطربُ التغريد ، فقال عبد الله : قاتلَ الله أبا كبيرٍ حيث يقول :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِنْكَ حَاضِرُهُ      وَغُضُنْكَ مَيَّادُ فَقِيمِ تَنُوحُ  
أَفِقْ ! لَا تَنْحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ! فَإِنِّي      بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ  
وَلُوعًا<sup>(٣)</sup> فَسَطَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ      فَهَإِنَّا أَبْكِي وَالْفَوَادُ قَرِيحُ

فقال عوف : أحسنَ والله أبو كبير وأجاد . ثم قال : أصلح الله الأمير ؛ إنه كان في الهدّالين مائةً وثلاثون شاعراً ، ما فيهم إلا مُفلق ، وما كان فيهم مثلُ أبي كبير ؛ فإنه كان يُبدعُ في شعره ، ويُفهمُ آخرُ قوله وأوله ، وما شيء أبلى في الشعر من الإبداع فيه !

قال عبدُ الله : أقسمتُ عليك إلا أجزتَ شعرَ أبي كبيرٍ ! قال عوف : أصلح الله الأمير ! قد كبرتَ سنّي ، وفنى ذهنى ، وانكرتُ كلَّ ما كنتُ أعرفه ! قال عبدُ الله : سألتك بحقِّ طاهرٍ إلا فعلت ! وكان لا يُسألُ بحقِّ طاهرٍ شيئاً إلا ابتدرَ إليه . فلما سمعَ عوفٌ ذلك أنشأ يقول :

(١) عدليه : يقال عادله في الحمل ، أى ركب معه (٢) كانت مدينة عظيمة فتحها نعيم بن مقرن في خلافة عمر ، وهى الآن أطلال على مسافة خمسة كيلومترات من طهران (٣) ولوعا : مصدر ولع به : استخف شوقاً .

أَفَى كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَنُزُوحٌ      أَمَّا لِلنَّوَى مِنْ وَنِيَّةٍ <sup>(١)</sup> فَتَرْيْحُ  
لَقَدْ طَلَحَ <sup>(٢)</sup> الْبَيْنُ الْمَشِثُ رِكَابِي      فَهَلْ أُرِينَّ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ  
وَأَرْقِنِي بِالرَّيِّ نُوْحُ حَمَامَةٍ      فَنُحْتُ وَذَوَالْبَثِّ الْغَرِيبِ يَنُوْحُ  
عَلَى أَهْمَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذَرِ <sup>(٣)</sup> دَمَعَةً      وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدَّمُوعِ سَفُوحُ  
وَنَاحَتْ وَفَرَاخَهَا بِمِثِّ تَرَاهَا      وَمَنْ دُونَ أَفْرَاحِي مَهَامُهُ فَيُفِيحُ  
أَلَا يَا حَمَامَ الْآيِكِ الْإِفْكَ حَاضِرُ      وَغُصْنُكَ مَيَّادُ فَقِيمَ تَنُوْحُ  
عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَعْكِسَ النُّوَى      فَيُلْقِي عَصَا التَّطَوَّافِ وَهِيَ طَرِيحُ <sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ الْغَنَى يُدْنِي النَّتَى مِنْ صَدِيقِهِ      وَعُمُّ الْغَنَى بِالْمُقْتَرِينَ طَرُوحُ <sup>(٥)</sup>

فاسْتَعْبَرَ <sup>(٦)</sup> عَبْدَ اللَّهِ ، وَرَقَّ لَهُ ، وَجَرَتْ دَمُوعُهُ ، وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَضَيْنٌ  
بِمَفَارِقَتِكَ ، شَحِيحٌ عَلَى الْفَائِتِ مِنْ مُحَاضِرَتِكَ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا أَعْمَلْتُ مَعِيَ خُفَاوَالًا  
حَافِرًا إِلَّا رَاجِعًا إِلَى أَهْلِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ . فَقَالَ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ وَأَبَاهُ :

يَا بِنَ النَّوَى دَانَ لَهُ الْمَشْرِقَانِ      وَالْبَيْسَ الْأَمْنَ بِهِ الْمَغْرِبَانِ <sup>(٧)</sup>  
إِنْ الثَّمَانِينَ - وَبُغَّتْهَا -      قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانِ  
وَأَبْدَلْتَنِي بِالشَّطَّاطِ الْخَنَاءِ      وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ <sup>(٨)</sup>

(١) الونية : الفترة (٢) طلع : أعيان (٣) لم تذر : لم ترسل من عينها دَمَعَةً ، وأسراب  
الدُمُوعِ جماعاتها . سفوح : مصدر سَفَحَ الدَمْعَ كَمَنَعَتْ : صَبَبَتْهُ ، أَوْ سَفَحَ الدَمْعَ : انصَبَ  
(٤) التطواف : مصدر طَافَ ، وَإِلْقَاءُ عَصَا التَّطَوَّافِ : كِتَابَةٌ عَنِ الْإِسْتِقْرَارِ وَتَرْكِ السَّفَرِ ، وَطَرِيحُ  
بِمَعْنَى مَطْرُوحُ (٥) طروح : رام وقاذف ، صيغة مبالغة . والمفترين : المضيقين على عيالهم في النقمة  
(٦) استعبر : جرت عبرته أي دَمَعَتُهُ وَحَزَنُ (٧) يا بن من حكم المشرقين ، وأحل الأمن في  
المغربين (٨) الشطاط : الطول وحسن القوام أو اعتداله . والخناء : الأنحاء ، يريد تقوس  
الظهر ، والصعدة : الفناة المستوية ، والسنان : حديدتها .

وعوّضتني من زَمَاعٍ (١) الفتي وهمتي همّ الحَبَانِ الْهَدَانِ  
وقاربت مني خطأً لم تَكُنْ مُقَارِبَاتٍ وَثَنَتْ مِنْ عِنَانٍ (٢)  
ولم تدع فيّ المُسْتَمْتِعِ إِلَّا لِسَانِي ، وَبِحَسْبِي لِسَانُ  
أَدْعُو بِهِ اللَّهُ وَأُثْنِي بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْعَبِيِّ الْهَجَانِ (٣)  
وهِمَّتُ بِالْأَوْطَانِ وَجِدًّا بِهَا وَبِالْعَوَانِي ، أَيْنَ مَنِّي الْعَوَانُ (٤)  
فَقَرَّبَانِي - بِأَبِي أَنْتُمَا - مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفَرَارِ الْبَنَانِ (٥)  
ثم ودّع عبد الله ، وسار راجعاً إلى أهله ؛ فمات قبل أن يصل إليهم !

---

(١) الزماع : المضاء في الأمر ، والزميع : الشجاع الذي يزعم بالأمر ، ثم لا يثنى عنه ، والهدان :  
الأحمق الثقيل (٢) العنان : سير اللجام (٣) الهجان : الحسيب (٤) همت بالأوطان : أحببتها  
وتعلقت بها من الوجد والحزن ، والعوانى : جمع غانية ، وهي المرأة الجميلة الناعمة المستغنية بجمالها  
(٥) كناية عن الموت .

١٧٦ — فراسة أعرابي \*

قال أبو السمراء :

خرجنا مع الأمير عبد الله بن طاهر متوجهين إلى مصر ، حتى إذا كنا بين الرملة<sup>(١)</sup> ودمشق إذا نحن بأعرابي قد اعترض ، فإذا شيخ فيه بمية ، على بعير له أوزق<sup>(٢)</sup> ، فسلم علينا فرددنا عليه السلام ، وكان معنا إسحاق بن إبراهيم الرافقي ، وإسحاق بن أبي ربيع ، ونحن نساير الأمير ، وكنا يومئذ أفره من الأمير دواب ، وأجود منه كساء<sup>(٣)</sup> .

فجعل الأعرابي ينظر في وجوهنا ، فقلت : يا شيخ ، قد ألححت في النظر ! أعرفت شيئاً أم أنكرته ؟ قال : لا والله ما عرفتم قبل يومى هذا ، ولا أنكرتكم لسوء أراه فيكم ؛ ولكنى رجل حسن الفراسة في الناس ، جيد المعرفة بهم ؛ فأشرت له إلى إسحاق بن أبي ربيع ، فقلت : ماتقول في هذا ؟ فقال :

أرى كاتباً دأهى الكتابة بين  
عليه وتأديب العراق منير  
له حركات قد يشاهدن أنه  
علم بتقسيم الخراج بصير  
ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الرافقي ، فقال :

ومظهر نسك ما عليه ضميره  
يجب الهدايا بالرجال مكور

\* عصر المأمون ص ١٣٤ ج ١

(١) الرملة : خمسة مواضع أشهرها بلد بالشام (٢) الأوزق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل لحماً لاسيراً (٣) جمع كساء .



إِخَالٌ بِهِ جَبْنًا وَبُحْلًا وَشِيمَةً تَجَبَّرُ عَنْهُ أَنَّهُ لَوْزِيرٌ  
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَهَذَا نَدِيمٌ لِلْأَمِيرِ وَمُؤْنَسٌ يَكُونُ لَهُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ سُرُورٌ  
وَأَحْسَبُهُ لِلشَّعْرِ وَالْعِلْمِ رَاوِيًا فَبَعْضُ نَدِيمٍ مَرَّةً وَسَمِيرٌ  
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْأَمِيرِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَهَذَا الْأَمِيرُ الْمُرْتَجَى سَيْبُ كَفِّهِ فَمَا إِنَّ لَهُ فِيمَنْ رَأَيْتُ نَظِيرَ  
عَلَيْهِ رَدَاءٍ مِنْ جَمَالٍ وَهَيْبَةٍ وَوَجْهٌ بِإِذْرَاكِ النَّجَاحِ بِشِيرِ  
لَقَدْ عَصِمَ الْإِسْلَامُ مِنْهُ بِذَائِدِ بِهِ عَاشَ مَعْرُوفٌ وَمَاتَ نَكِيرِ  
أَلَا إِنَّمَا عَبْدُ الْإِلَهِ بْنِ طَاهِرٍ لَنَا وَالِدٌ بَرٌّ بِنَا وَأَمِيرِ

فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ ، وَأَعْجَبَهُ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِ مِائَةِ  
دِينَارٍ ، وَأَمَرَ أَنْ يُصَحِّبَهُ .

١٧٧ — ثابت الجنان \*

قال أحمد بن أبي دواد :

ما رأيت رجلاً عُرِضَ على الموت ورأى النطع مفروشاً والسيف مسلولاً ، ولم يكثرثُ لذلك ، ولا عدل به عما أراد إلا تميم بن جميل ، وقد كان خرج على المعتصم <sup>(١)</sup> في أيام دولته ، ونزع يده عن الطاعة ، وانقطع إلى بعض النواحي ، وكان قد عظم أمره على المعتصم ، ولقد رأيته وقد جرى به مكتوفاً أسيراً ، وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم ، وكان المعتصم قد جلس له مجلساً منكرًا ، وأمر الناس بالدخول .

ودخل تميم ، وحضر السيّاف ، وفرش النطع ، وكان تميم جميل الوجه تام الخلقة ، عذب المنطق ، فرآه المعتصم غير دهش ولا مكترثٍ لِمَا نزل به . فأراد أن يستنطقه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت ، فقال له : يا تميم ، إن كان لك عُذْرُ فَأْتِ به ، فقال :

أما إذ أذن أميرُ المؤمنين فالحمد لله الذي جبر بك صدع <sup>(٢)</sup> الدين ولم يك شعَثَ المسلمين ، وأنار بك سبيل الحق ، وأحمد بك شهَابَ الباطل ؛ إن الذنوب يا أمير المؤمنين تُخْرَسُ الألسنةَ النصيحة ، وتُعي الأفتدةَ الصحيحة ، والله لقد كبر الذنب ، وعظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأنت إلى العفو أقرب ، وهو بك أشبه وأليق ، ثم أنشد :

\* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط ، نهاية الأرب ص ٦١ ج ٦

(١) الصدع: الشق (٢) انظر صفحة ٥٥

أرى الموتَ بين السَّيفِ والنَّطعِ كامنًا  
وأكبرَ ظنِّي أنكَ اليومَ قاتلي  
وأى امرئٍ يأتى بعذرٍ وحُجَّةٍ  
وما جَزَعنى من أن أموتَ وإننى  
ولكنَّ خلفي صبيبةٌ قد تركتهمُ  
كأنى أراهم حين أنعى إليهم  
فإن عشتُ عاشوا سالمين بغيطةٍ  
قال : فبكا المعتصم حتى ابتلتَ لحيته ، وقال : إن من البيان لسحراً ، ثم قال :  
ياتمِّم ، كاد السيف أن يسبق العفو ، وقد وهبتك لله تعالى ولصبيتك ، وغفرت لك  
الصَّبوة<sup>(٥)</sup> ، ثم أمر بفك قيوده ، وعقد له الولاية على موضعه الذى كان خرج منه ،  
ووصله بشئ كثير .

(١) أفلت : تخلص ونجا (٢) مصلت : أصلت السيف : استله من غمده (٣) خمس وجهه :  
لطمه (٤) موتوا : كثر فيهم الموت (٥) الصبوة : الزلة .

١٧٨ — إسحاق الموصلي حكم بين أبيه وابن جامع\*

أتى إسحاق<sup>(١)</sup> أباه إبراهيم الموصلي يوماً مساماً ، فقال له أبوه : يا بني ! ما أعلم أحداً بلغ من برِّ ولده ما بلغته من برِّك ، وإني لأستقلُّ ذلك لك ؛ فهل من حاجة أصيرُ فيها إلى محبتك ؟ فقال : قد كان - جعلت فداك - كلُّ ما ذكرت ؛ فأطال الله بقاءك ! ولكني أسألك واحدة : يموت هذا الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمع به ؟ فيقول الناس لي ماذا - وأنا أحلُّ منك هذا الحل ! قال لي : ومن هو ؟ قلت : ابن جامع ، قال : صدقت يا بني ، أسرجوا<sup>(٢)</sup> لنا .

فجئنا ابن جامع ، فدخل عليه أبي وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم قد جئتك في حاجة فإن شئت فاستمني ، وإن شئت فاقدني غير أنه لا بد لك من قضاءها ، هذا عبدك وابن أخيك إسحاق قال لي كذا وكذا ، فركبت معه أسألك أن تسعفه فيما سأل ، فقال : نعم على شريطة : تقيمان عندي ، أطعمكما مشوشة<sup>(٣)</sup> وقلية<sup>(٤)</sup> ، وأسقيكما وأغنيكما ؛ فإن جاءنا رسول الخليفة مضيئاً إليه وإلا أقمنا يومنا ، فقال أبي : السمع والطاعة ، وأمر بالدواب فرُدَّت .

فجاءنا ابن جامع بالمشوشة والقلية فأكلنا وشربنا ؛ ثم اندفع فغفَّانا ، فنظرت إلى أبي يَقِلُّ في عيني ، ويعظُم ابن جامع حتى صار أبي في عيني كلاً شيء ! فلما

\* الأغاني ص ٩ ج ١

(١) انظر صفحة ٤٩ (٢) أسرجوا لنا : شدوا على الخيل سروجها انركبها (٣) المشوشة : زيت يضرب مع بياض البيض فيصنع منه طعام دسم (٤) القلية : مرقعة تتخذ من أكباد الجوز ولحومها .

طربنا غايةً الطرب جاء رسولُ الخليفة ، فركبًا وركبتُ معهما ؛ فلما كنا في بعض الطريق ، قال لي أبي : كيف رأيتَ ابنَ جامعِ يابني ؟ قلتُ له : أوْ تُعَفِّينِي - جعلتُ فداك ! قال : لستُ أُعَفِّيكُ فقل . فقلتُ له : رأيتُك - ولا شيءَ أكبرَ عندي منك - قد صَغُرَتْ في عيني في الغناء معه حتى صرتُ كِلاشيء .

ثم مضيا إلى الرشيد وانصرفتُ إلى منزلي - وذلكَ لأنني لم أكن بعد وصلتُ إلى الرشيد - فلما أصبحتُ أرسلُ إلى أبي فقال : يابني ، هذا الشتاء قد هجم عليك وأنت تحتاج فيه إلى معونة - وإذا مالٌ عظيم بين يديه - فاصرف هذا المال في حوائجك ، فقامت فقبلتُ يده ورأسه ، وأمرت بحمل المال واتبعته ، فصوتُ : يا إسحاق ، ارجع ، فرجعت ؛ فقال لي : أتدري لِمَ وهبتُ لك هذا المال ؟ قلتُ : نعم ؛ جعلتُ فداك ! قال : لِمَ ؟ قلتُ : لصِدْقِي فيك وفي ابن جامع ، قال : صدقتُ يابني ، امضِ راشداً .

١٧٩ — البُحْتَرِيُّ وأبو تمام \*

حدث البحتري<sup>(١)</sup> قال: أول ما رأيتُ أبا تمام<sup>(٢)</sup> أني دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدة فسُرَّ بها أبو سعيد وقال: أحسنت يافتي، وأجدت.

وكان في مجلسه رجلٌ نبيلٌ رفيعُ المجلس فوق مَنْ حضر عنده تكادُ تَمَسُّ ركبته ركبته. فأقبلَ عليّ، ثم قال: يافتي أَمَا تستحي مني؟ هذا شعري لِي تَنَحَّلْه وتشدّه بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقًّا تقول؟ قال: نعم! وإنما أخذه مني فسبقني به إليك وزاد فيه. ثم اندفع فأنشداً أكثرَ هذه القصيدة حتى شكَّكتني - علم الله - في نفسي وبقيتُ متحيراً.

فأقبل عليّ أبو سعيد فقال: يافتي قد كان في قرابتك لنا وودنا لك ما يُعْنِيكَ عن هذا. فجعلتُ أحلفُ له بكل محرجة من الأيمان أن الشعرَ لي ماسمبِقَني إليه أحدٌ ولا سمعتهُ منه ولا انتَحَلتهُ. فلم يَنْفَعْ ذلك شيئاً.

وأطرق أبو سعيد، ثم لامني حتى تمنيتُ أني سُخْتُ في الأرض؛ فقامتُ مُنْكَسِرَ البالِ أجز رجلِيَّ فخرجت.

فما هو إلا أن بلغتُ الدارَ حتى خرج الغلمانُ فرَدُّوني. فأقبل عليّ الرجلُ فقال:

\* الأغاني ص ١٦٩ ج ١٨

(١) هو الوليد بن عباد الطائي، كان شاعراً مطبوعاً، قيل: إنه أشهر من استحق لقب شاعر بعد أبي نواس. مات سنة ٢٨٤ هـ (٢) هو حبيب بن أوس، كان يعد رأس الطبقة الثالثة من الشعراء المحدثين، وإليه انتهت معاني المتقدمين والمتأخرين، وولاه الحسن بن وهب بريد الموصل، فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ هـ.

الشعرُ لك يا بني ، والله ماقلتُه قط ولا سمعتهُ إلا منك . ولكنني ظننتُ أنك تهاونت  
في موضعي ؛ فأقدمتَ على الإنشادِ بِحَضْرَتِي ، من غير معرفة كانت بيننا ، تريدُ  
بذلك مُضاهاتي ومُكاثرتي حتى عرفني الأميرُ نسبَكَ وموضعك . ولوددتُ ألا  
تلدَ أبداً طائيةً إلا مثلك .

وجعل أبو سعيد يضحك . ودعاني أبو تمام وضَمَّنِي إليه وعانقني وأقبل يقرِّطُنِي .  
ولزمتهُ بعد ذلك وأخذتُ عنه . واقتديتُ به .

١٨٠ — فراسة عضد الدولة \*

قدم رجل إلى بغداد للحج ، وكان معه عقد يساوي ألف دينار ، فاجتهد في  
بيعه ، فلم ينفق ؛ فجاء إلى عطار موصوف بالخير ، فأودعه إياه ، ثم حج ، وعاد ،  
فأتاه بهدية ، فقال له العطار : من أنت ؟ وما هذا ؟ فقال : أنا صاحب العقد الذي  
أودعتك إياه ؛ فما كلمه حتى رَفَسَهُ رَفْسَةً رماه عن دُكَّانِهِ ، وقال : تدعى عليٌّ  
مثل هذه الدعوى !

فاجتمع الناس ، وقالوا للحاج : ويحك ! هذا رجل خير ، ما وجدت من تدعى  
عليه إلا هذا ! فتحير الحاج وتردَّد إليه ، فما زاده إلا شتما وضربا . فقيل له : لو  
ذهبت إلى عضد الدولة ؛ فله في هذه الأشياء فراسة .

فكتب قصته ، ورفعها لعضد الدولة ، فصاح به فجاء ، فسأله عن حاله ، فأخبره  
بالقصة ، فقال : اذهب إلى العطار بُكْرَةً ، واقعد على دكته<sup>(١)</sup> ، فإن منعك فاقعد

\* الأذكياء ص ٣١

(١) الدكة : بناء يسطح أعلاه للقعود .

على دكة تقابله من بكرة إلى المغرب ولا تكلمه ، وافعل هكذا ثلاثة أيام ، فإني سأمر عليك في اليوم الرابع ، وأقف وأسلم عليك ، فلا تقم لي ولا تزديني على ردّ السلام ، وجواب ما أسألك عنه ، فإذا انصرفت فأعد عليه ذكر العقد ، ثم أعلمني ما يقول لك ، فإن أعطاكه فجيء به إليّ .

فجاء إلى دكان العطار ليجلس فمنعه ، فجلس على دكة تقابله ثلاثة أيام ، فلما كان في اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم ؛ فلما رأى الخراساني وقف وقال : سلام عليكم ؛ فقال الخراساني - ولم يتحرك : وعليكم السلام . فقال : يا أخي تقدم فلا تأتي إلينا ولا تعرض حوائجك علينا ! فقال : كما اتفق ؛ ولم يشبعه الكلام ، وعضد الدولة يسأله ، ويستحفي وقد وقف ، ووقف العسكر كله ، والعطار قد أغمى عليه من الخوف .

فلما انصرف التفت العطار إليه . فقال : ويحك ! متى أودعتني هذا العقد؟ وفي أي شيء كان ملفوفاً ؟ فذكرتني لعلني أذكره ؟ فقال : من صفته كذا وكذا ، فقام وفتش ، ونفض جرة عنده ، فوقع العقد ، فقال : قد نسيت ، ولولم تذكرني الحال ما ذكرت ؛ فأخذ العقد ، ثم قال : وأي فائدة لي في أن أعلم عضد الدولة ؟ ثم قال في نفسه : لعله يريد أن يشتريه ، فذهب إليه فأعلمه ، فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطار ، فعلق العقد في عنق العطار ، وصلبه بباب الدكان ، ونودي عليه : هذا جزاء من استودع فيجحد . فلما ذهب النهار أخذ الحاجب العقد ، فسلمه إلى الحاجب ، وقال : اذهب به !



١٨١ — ملك لا تعصم الطيور منه \*

قصد المنصورَ بنَ أبي عامر رجل جوهري من تجار المشرق من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة ، فأخذ المنصورُ من ذلك ما استحسنه ، ودفع إلى التاجر الجوهري صُرته - وكانت قطعة يمانية - فأخذ التاجرُ في انصرافه طريق الرملة على شط النهر ، فلما توسطها واليوم قانظ ، وعرقه منصب ، دعته نفسه إلى التبرُّد في النهر . فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط ؛ فمرت حدأة فاختطفت الصرة ، تحسبها لحما ، وطارَت في الأفق ذاهبةً بها .

فقامت قيامةُ التاجر ، وعلم أنه لا يقدر أن يستدفعَ ذلك بحيلة ؛ فأسرَّ الحزنَ في نفسه ، ولحقه لأجل ذلك علةٌ اضطرب فيها ، واستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة ، ووقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة ؛ فسأله المنصورُ عن شأنه فأعلمه بقصته ، فقال له : هلا أتيتَ إلينا حين وقوع الأمر فكنا نستظهِرُ على ذلك بالحيلة ! فهل هُديتَ إلى الناحية التي أخذَ الطائرُ إليها ! قال : مرَّ شرقاً على سمْتِ هذا الجبل الذي يلي قصرِك - يعني الرملة .

فدعا المنصورُ شرطيه الخاصَّ به ؛ فقال : جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة ؛ فمضى وجاء بهم سريعاً . فأمرهم بالبحث عن غير حال الإقلال منهم سريعاً ، وانتقل عن الإضاعة دون تدريج ؛ فتناظروا في ذلك ، ثم قالوا : يامولانا ؛ ما نعلم

إلا رجلاً من ضعفائنا كان يعملُ هو وأولاده بأيديهم، ويتناولون السبق بأقدامهم؛  
عجزاً عن شراء دابة؛ فابتاع اليوم دابةً، واكتسى هو وولده كسوةً متوسطةً.

فأمر بإحضاره من الغد، وأمر التاجرَ بالغدوِّ إلى الباب، فحضر الرجلُ بين  
يدى المنصور فاستدناه، والتاجرُ حاضر، وقال له: سببُ ضاع منا وسقطَ إليك،  
ما فعلتَ به؟ قال: هاهو ذا يامولاي، وضرب بيده إلى حُجْزَةٍ<sup>(١)</sup> سراويله، فأخرج  
الصُّرَّةَ بعينها، فصاح التاجرُ طرباً، وكاد يطير فرحاً.

فقال له المنصور: صف لي حديثها. فقال: بينا أنا أعمل تحت نَخْلَةٍ إذ سقطت  
أمامي فأخذتها، وراقني منظرها؛ فقلت: إن الطائر اختلسها من قصرِكَ تُقْرُبِ  
الجوار، فاجتزتُ بها، ودعتني فاقني إلى أخذ عشرة مثاقيل كانت معها مصرورة،  
وقلت: أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها.

فأعجب المنصور ما كان منه، وقال للتاجر: خذُ صُرَّتَكَ، وانظرها، واصدقني  
عن عددها. ففعل وقال: وحَقِّكَ يا مولاي، ماضع منها شيء سوى الدنانير التي  
ذكرها وقد وهبتهَا له.

فقال له المنصور: نحن أولى بذلك منك، ولا نُنْقِصُ عليك فرحك؛ ثم أمر  
للتاجر بعشرة دنانير عوضاً عن دنانيره، وللرجل بعشرة دنانير ثواباً له، وقال: لو  
بدأنَا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناهُ جزاءً.

فأخذ التاجر في الثناء على المنصور، وقد عاوده نشاطه. وقال: لأُبَيِّنَ في  
الأقطار عِظَمَ ملكك، ولأُبَيِّنَنَّ أنك تملك الطير، فلا تعصم منك، ولا تؤذى  
جارك.

(١) الحجزة من السراويل: موضع النكة.

فضحك المنصور ، وقال : اقصد في قولك يغفر الله لك ! فعجب الناس من  
تلطف المنصور في أمره وحييلته في تفريج كرتيه !

١٨٢ — صبي يهجو صبيا \*

كان أبو بكر بن المنخل وأبو بكر الملاح متآخين متصافيين ، وكان لهما ابنان  
صغيران قد برعا في الطلب ، وحازا قصب السبق في حلبة الأدب ، فتهاجى الابنان  
بأقذع الهجاء ؛ فركب ابن المنخل في سحر من الأسحار مع ابنه عبد الله ، فجعل  
يعتب عليه على هجاء بنى الملاح ، ويقول له : قد قطعت ما بيني وبين صديق و صفي  
أبي بكر في إقذاعك بابنه !

فقال له ابنه : إنه بدأني والبادي أظلم ، وإنما يجب أن يلحى<sup>(١)</sup> من بالشر  
تقدّم ؛ فعذره أبوه !

فبينما هما على ذلك إذ أقبلا على واد تنقّ فيه الضفادع ، فقال أبو بكر لابنه  
أجز :

تنقّ ضفادعُ الوادي

فقال ابنه :

بصوت غير معتاد

فقال الشيخ :

\* فتح الطيب ص ٣٠١ ج ٢

(١) يلحى : يلام ويعنف .

كَأَنَّ تَقِيْقَ مَقَوْلَهَا

فَقَالَ ابْنُهُ :

بَنُو الْمَلَّاحِ فِي الْوَادِي

فَلَمَّا أَحْسَتِ الضَّفَادِعُ بِهِمَا صَمَّتَتْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

وَتَصَمَّتْ مِثْلَ صَمَّتِهِمْ

فَقَالَ ابْنُهُ :

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى زَادٍ

فَقَالَ الشَّيْخُ :

فَلَا غَوْثَ لِمَلِكُوهُوفٍ

فَقَالَ الْإِبْنُ :

وَلَا غَيْثَ لِمُرْتَادٍ !

١٨٣ - رسولان \*

أقبل المستكفي يوما على محمد بن محمد بن يحيى الكاتب ، فقال له : أتعرفُ  
خير الحجاج بن يوسف مع أهل الشام ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ! قال : ذكروا  
أن الحجاج كان قد اجْتَبَى<sup>(١)</sup> قوماً من أهل العراق وَجَدَ عندهم من الكفاية ما لم  
يَجِدُ عند مَخْتَصِيهِ من الشاميين ؛ فشَقَّ ذلك على الشاميين ، وتكلموا فيه .

فبلغ إليه كلامهم ؛ فركب في جماعة من الفريقين ، وأوغل بهم في الصحراء ،  
فلاح لهم من بُعد قطارِ إبل ، فدعا برجلٍ من أهل الشام ، فقال له : امضِ فاعرف  
ماهذه الأشباح ؟ واستقصِ خبرها . فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها إبل ، فقال :  
أحملةٌ هي أم غيرُ حملة ؟ قال : لأدرى ! ولكنى أعود وأتعرفُ ذلك !

وقد كان الحجاج أتبعه برجلٍ آخر من أهل العراق ، وأمره بمثل ما كان قد  
أمر به الشامى ، فلما رجع العِراقى ، أقبِلَ عليه الحجاج - وأهلُ الشام يسمعون - فقال :  
ماهى ؟ قال : إبل . قال : وكم عددها ؟ قال : ثلاثون . قال : وما تحمل ؟ قال :  
زيتا . قال : من أين صدرت ؟ قال : من موضع كذا . قال : ومن ربها ! قال :  
فلان .

فالتفت إلى أهل الشام فقال :

ألام على عمرو ولو مات أو نأى      لقلّ الذى يُغنى غناءك يا عمرو

\* المسعودى ص ٥٤١ ج ٢

(١) اجتياه : اختاره .

فقال ابن يحيى : قد قال يأمير المؤمنين بعض أهل الأدب في هذا المعنى :  
شرُّ الرسولين من يحتاجُ مُرْسَلَهُ منه إلى العَوْدِ ، والأمران سيَّان  
كذاك ما قال أهل العلم في مَثَلٍ : طريقُ كلِّ أخى جهلٍ طريقان  
ثم قال المستكفي : ما أحسن ما وصف به حتى الرسولَ بالذكاء بقوله :  
وكانَ الذِّكَاءُ يَبْعَثُ منه في سَوَادِ الأمورِ شُعْلَةً نارِ

---

انتهى الباب الخامس

## فهرس الأعلام

- ( ١ )
- آمنة بنت وهب : ٩٧
- إبراهيم النبي عليه السلام : ٦٨ ، ٧٩
- إبراهيم بن سليمان : ٢٤٢ ، ٢٤٣
- إبراهيم بن محمد الإمام : ٣٧١
- إبراهيم بن المهدي : ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
- ٥٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
- ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
- إبراهيم الموصلي : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
- ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٤٠٦
- إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة
- ابن البواب ( حاجب المأمون ) : ٣١٩
- ابن جامع : ٤٠٦ ، ٤٠٧
- ابن الرومي : ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤
- ابن سريج المغني : ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٥
- ابن سيرين : ٣٦٨
- ابن عائشة : ٢٥ ، ٣٥
- ابن كعب الخزاعي : ٣٤٩
- ابن محرز المغني : ٢٢ ، ٢٥
- ابن المقفع : ٤٠
- ابن اللبانة : ١١٤
- ابن هرمة : ٢٥٣ ، ٢٥٤
- أبو إسحق بن المأمون : ٣٠٩
- أبو بكر بن أبي قحافة الصديق : ١٣٥ ،
- ١٨٥ ، ٣٤٦
- أبو بكر الإشبيلي : ١١٤
- أبو بكر الملاح : ٤١٣
- أبو بكر بن المنخل : ٤١٣
- أبو بلال مرداس بن أديه : ٣٦١
- أبو تمام : ٤٠٨ ، ٤٠٩
- أبو حذيفة الطرطوسي : ١١٣
- أبو حنيفة : ٢٥٥
- أبو خالد ( وزير المهدي ) : ٣١٥
- أبو دؤاد الأيادي : ١٩٥

الأحف بن قيس : ٣٥٥ ، ٣٥٤  
الأحوص بن محمد : ٣٧٦  
الأخطل : ٢٢١  
الأزد ( قبيلة ) : ٣٦١ ، ٣٥٨ ، ٧٤  
إسحق بن إبراهيم الرافق : ٤٠٢  
إسحق بن إبراهيم الموصلي المغني : ٤٩ ،  
١٢٧ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠  
١٣٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،  
٤٠٧ ، ٤٠٤  
إسحق بن أبي ربيع : ٤٠٢  
إسماعيل ( النبي عليه السلام ) : ٩٣ ، ٧٩  
إسماعيل بن أحمد التجيبي : ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢  
إسماعيل بن صليح : ١٢٧  
أسد بن خويلد : ٩٥  
الأسود بن عبد المطب : ٩٠  
الأسود العنسي : ١٦٨  
الأصمعي : ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٥٥  
أعشى قيس : ٢٨ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨  
١٦٨  
أعشى همدان : ٣٩  
الأفعي الجرهمي : ١١٨

أبو دلف العجلي : ٣١٢ ، ٣١١  
أبو ذؤيب الهذلي : ١٣٥ ، ١٣٤  
أبو ذر الغفاري : ١٨٤ ، ١٨٣  
أبو سفينان بن أمية : ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٢  
١٠٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،  
٣٥٠ ، ٣٤٩  
أبو طالب بن عبدالمطلب : ٨٩ ، ٧٨  
١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩  
أبو عبيدة بن الجراح : ١٣٥  
أبو علي القالي : ٦٠  
أبو عمر يوسف الرمادي : ٣٢٤ ، ٣٢٣  
أبو العيناء : ٣١٨  
أبو قحافة : ٣٧٦  
أبو كبير الهذلي : ٣٩٩  
أبو النشاش ( أحد لصوص بني تميم ) :  
١٣٨  
أبو نصر الفارابي : ١٤٥ ، ١٤٤  
أحمد بن أبي خالد : ٢٨٩ ، ٢٨٨  
٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣٠٩ ، ٢٩٣  
أحمد بن دؤاد : ١٤٢  
أحمد بن اسماعيل بن علي : ٢٤٤ ،  
٢٤٦ ، ٢٤٥



بديح المغنى : ١٩ ، ٢٦ ، ٣٥١  
البراض بن قيس : ٤ ، ٥  
البراجم : ١٥٥  
البرامكة : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،  
٤٦ ، ٥١ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨  
برد الفؤاد ( مغنية ) : ٢٨  
برذعة الموسوس : ١١٣  
برق الأفق ( مغنية ) : ٣٦  
بشر بن أبي خازم : ١٦٦ ، ١٦٧  
بشر المريسي : ١٤٠  
بشر ( خادم أبي ذئف ) : ٣١١  
بغويض ( قبيلة ) : ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١  
بلبله ( مغنية ) : ٣١  
بكر بن وائل : ٢ ، ٣٣٧  
البلجاء ( امرأة من الخوارج ) : ٢٠٨  
بنو أبي طالب : ٣١١  
بنو الأصفر : ١٧٢  
بنو أمية : ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٢٤٢  
بنو جفنة : ٦ ، ٣٤٣  
بنو زرارة : ٢ ، ٣  
بنو ساعدة : ١٣٤  
بنو سهم : ٩٠

امرؤ القيس : ١٥٢ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،  
٣٤٠ ، ٣٤١  
الأمين بن الرشيد : ١١٠ ، ٢٤٥ ،  
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،  
٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،  
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩  
أم الحويرث ( امرأة من خزاعة ) :  
١٣٦ ، ١٣٧  
أم شدرة : ١٨١ ، ١٨٩  
أمية بن أبي الصلت : ٨٥ ، ٨٦ ،  
٨٧ ، ٨٨  
أمية بن عبد شمس : ٩٥  
أنف الناقة ( قبيلة ) : ١٨٩  
أثمار بن نزار : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠  
أوس بن حارثة : ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧  
أوزاع ( قبيلة ) : ٣٦٠  
إياس بن معاوية : ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠  
( ب )  
البحترى : ٤٠٨ ، ٤٠٩  
بحيرى ( الراهب ) : ٩٩ ، ١٠٠  
بجرة بن قيس القشيري : ١٦ ، ١٧

جرير بن عطية: ٢٣٧، ٣٦٧، ٣٦٨

جشم: ١٧٤

جعفر بن أبي طالب: ١٤

جعفر بن محمد الأنمطي: ١٤٢

جعفر بن يحيى: ٤٢، ٥٠، ٥٣،

٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٦٠

٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٩،

٢٩١، ٢٩٣، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١

جميلة المغنية: من ٢٢ إلى ٣٥

(ح)

حاتم الطائي: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧،

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٦،

حاجب بن زرارة: ٢، ٣،

الحارث بن جفنة: ١٦٩، ١٧٠، ١٧١،

١٧٢، ١٧٣،

الحارث بن خالد المخزومي: ٢٢

الحارث بن ظالم: ١٧٣

الحارث بن عبد المطلب: ٩٣

الحارث بن عوف: ١٧٣

الحارث بن كلدة: ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤،

١٢٥، ١٢٦،

بنو شيبان: ١٥٤

بنو عبد المطلب: ١٦، ١٧،

بنو عبد مناف: ٩٣

بنو كعب بن ربيعة: ١٦

بنو مخزوم: ٧٨، ٧٩، ٨٩، ٩٠،

بنو المغيرة: ٨٩، ٩٠،

بهدة بن عوف: ٩٠

(ت)

تميم بن جميل: ٤٠٤، ٤٠٥،

تميم (قبيلة): ١٥٦، ١٧٥،

(ث)

ثقيف: ٨٧

(ج)

جبريل بن بختيشوع: ١٠٧، ١٠٨،

جبله بن الأيهم: ٦

جذام (قبيلة): ١٧١

الجرادتان (مغنيتان): ٦٦، ٦٧،

جرول بن أوس = الخطيئة

حمدون بن إسماعيل النديم : ٥٥ ،

٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦

حنظلة بن أبي سفيان : ١٠١

حنظلة (مُضيف النعمان) : ١٦١ ،

١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢

حنين المغنى : ٣٩

(خ)

خارجة بن يزيد : ٦

خالد بن برمك : ١٤٠ ، ١٤١ ،

١٤٣

خالد بن عبد الله القسرى : ٢٣٨ ،

٢٤٠ ، ٢٣٩

خالد بن عتاب : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

خالد بن الوليد : ١٥ ، ٨٤ ،

خزيم بن نوفل : ١٤٩ ، ١٥٠ ،

خليدة (مغنية) : ٣٠

خماعة بنت عوف بن محلم : ١٥٣

الخنساء : ١٠ ، ١١

(د)

داود بن سلم : ٢٢٠

حباية المغنية : ٣٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٣٩ ،

١٤٠ ، ١٤٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

٢٢٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،

٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٥

حرب بن أمية : ٤

حرب بن خالد : ٢٢٠

حسان بن ثابت : ٦ ، ١٠ ، ١١ ،

١٣٥ ، ١٩٢

الحسن بن سهل : ٣١٥

الحسن بن علي : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٣٥١ ،

الحسين بن الضحاك : ٣١٩ ، ٣٢٠ ،

الحسين بن علي : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٣٥١

الحصين بن بدر = الزبرقان بن بدر

الحصين بن الحمام : ١٧٣

الخطيئة : ١٦٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦

حفص بن سليمان : ٣٧١ ، ٣٧٢

الحكم بن عبد الرحمن الناصر : ٦٠ ، ٦١

رستم (قائد الفرس) : ١٧٨

روح بن زنياع : ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،

٣٦٠

(ز)

الزبرقان بن بدر : ١٨٨ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

١٩٤

الزبرقي القاضي : ٤٤

الزرقاء المغنية : ٣١

زرياب : ٤٨

زفر بن الحارث الكلابي : ٢٢٧ ،

٣٦٠

زياد بن أبيه : ٢٠٤

زياد بن عميد الله : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠

زيد بن عمرو : ٦٨

(س)

ساعدة بن النعمان بن ثواب :

١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠

سالم بن عبد الله : ٢٨٠

داود بن يزيد المهلبى : ٣٩٤ ، ٣٩٥

ديبة بن حرمى الشيبانى : ٨٤

دحمان الأشقر : ٣٦

دريد بن الصمة : ١٦٩

الدلال المغنى : ٢٨

(ذ)

ذؤاب بن أسماء : ١٥٧

(ر)

رائمة المغنية : ٦

رافع بن الليث : ١٠٨

الربيع بن يونس : ١٠٤ ، ٢٥١ ،

٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،

٣٨٠ ، ٣٨١

ربيعة بن نزار : ١١٨ ، ١١٩ ،

١٢٠

ربيعة (قبيلة) : ٢٥١

رجاء بن حيوة : ٢٨٠

رحمة المغنية : ٢٨

الرشيد بن المعتمد : ١١٤

سفيان بن عيينة : ٢٧٩  
سلامة المغنية : ٣٠  
سليم الأسود (خادم المنصور) : ٢٤٤  
سليمان بن عبد الملك : ٢٢٤، ٢٢٥ ،  
٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،  
٣٣٦ ، ٣٣٧  
سليمان بن كثير : ٣٧١ ، ٣٧٢  
السموئل : ١٥٢ ، ١٥٣  
سنان بن أبي حارثة : ١٧٣  
سنان (وصيف طريفة الكاهنة) : ٧٠  
سواده بن الخطيئة : ١٨٨  
سوار : ٢٥٦ ، ٢٥٧

(ش)

شبيب بن شيبة : ٤٠ ، ٣٦٧  
شرحبيل بن السمط : ٢٠١  
الشريف الرضي : ٣٢٦ ، ٣٢٧  
الشريف المرتضى : ٣٢٦ ، ٣٢٧  
شريك بن عمرو : ١٦٢ ، ١٦٣  
شماس بن لأى : ١٩٠  
الشامسية المغنية : ٣٠

سالم (مولى أبي حذيفة بن عتبة) :  
١٣٥  
سبأ : ٧٠  
سطيح الكاهن : ٨٢ ، ٨٣  
سعد بن عبادة : ١٣٥  
سعد بن مالك : ٣٤٤  
سعد بن النعمان بن ثواب : ١٨٤  
سعد (قبيلة) : ١٧٥  
سعدلة (مغنية) : ٣١  
سعدى أم أوس بن حارثة : ١٦٦ ،  
١٦٧  
سعيد بن العاص : ١٩٥ ، ١٩٦ ،  
١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،  
٢٠١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨  
سعيد بن عثمان : ٣٨٠ ، ٣٨١ ،  
٣٨٢  
سعيد بن مسجح : ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٦ ،  
٣٧ ، ٣٨  
سعيد بن النعمان بن ثواب العبدي :  
١٤٨ ، ١٤٩  
السفّاح (الخليفة العباسي) : ٢٤٢ ،  
٣٧١ ، ٣٧٢

عاتكة بنت يزيد بن معاوية : ٣٧٦

عاد : ٦٦ ، ٦٧

العاص بن وائل : ٨٩ ، ٩٠

عامر بن صعصعة ( قبيلة ) : ١٦ ، ١٧

عامر بن الطفيل : ٢١ ، ١٦٨

عامر بن الظرب العدواني : ٣٣٢ ،

٣٣٣

عامر بن مالك : ١٦٩ ، ١٧٠

العباس بن عبد المطلب : ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢٨١ ، ٣٤٩ ،

٣٥٠

العباس بن المأمون : ٣٠٩

العباس (صاحب شرطة المأمون) : ٢٨٩

عبد الرازيق بن همام : ٢٧٩

عبد الرحمن بن إبريق الأزدي : ١٣٦

عبد الرحمن بن الأشعث : ٣٦٢

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ٦

عبد الرحمن بن ملجم : ٣٥٨ ، ٣٥٩

عبد الرحمن الناصر : ٥٩ ، ٦١

عبد عمرو (ابن عم طرفة) : ٣٤٢

عبد قيس بن خفاف البرجمي : ١٥٥ ،

١٥٦

شمول ( غلام صقلبي ) : ٦٤

شن ( صاحب طبقة ) : ٣٣٤ ، ٣٣٥

( ص )

صخر بن عمرو : ١١

( ض )

ضباغة بنت عامر بن قرط : ١٧

ضعف المغنية : ١٠٩

( ط )

طاهر بن الحسين : ٣٩٦ ، ٣٩٧

طبقة ( صاحبة شن ) : ٣٣٤ ، ٣٣٥

طرفة بن العبد : ٣٤٢ ، ٣٤٣

طريفة الكاهنة : ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٣ ، ٧٤

طلحة بن عبد الله : ٢٣٠ ، ٢٣١

طويس المغني : ٢٧

طي : ١٧٦

( ع )

عائشة بنت جعفر البرمكي : ٤٤

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز: ٢٣٥

عبد الملك بن عمير: ٣٣٨، ٣٤١

عبد الملك بن مروان: ٣٦، ٣٨،

٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧،

٢٣٣، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٣

عبد الواحد بن سليمان: ٢٥٣، ٢٥٤

عبيد بن الأبرص: ١٩٥

عبيد الله بن زياد: ٢٠٨، ٢٠٩،

عبيد الله بن العباس: ٢٠١، ٢١١،

٢١٢، ٢١٣، ٢١٤

عبس: ١٥٣

عتيبة بن النہاس: ١٩٥، ١٩٦

عثمان بن حيان المرسي: ٢٢٨، ٢٢٩

عثمان بن عفان: ٨٣، ٨٥

عثمان بن سليمان: ٢٥٨

عدى بن أرطاة: ٣٦٨

عدى بن حاتم: ١٥٧، ١٥٩، ١٧٦،

١٧٧

عدى بن زيد: ٣٩، ٦٩

عرابة الأوسى: ٢١٧، ٢١٨

عرار بن عمرو بن شأس: ٢٥

عبد الله بن أبي ربيعة: ٩١

عبد الله بن جدعان: ٩٥

عبد الله بن جعفر: ١٨، ١٩، ٢٦،

٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩

عبد الله بن حاتم: ١٥٧

عبد الله بن حذافة السهمي: ١٠٢

عبد الله بن الزبير: ٣١٥، ٣٥٢

عبد الله بن زياد: ٢٠٨، ٢٠٩

عبد الله بن صفوان: ٣٥١

عبد الله بن طاهر: ٣١٢، ٣١٣،

٣١٤، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١

عبد الله بن عباس: ٣٥٧

عبد الله بن عمر: ٣٥١

عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان:

٣٥٥

عبد المسيح بن عمرو: ٨١، ٨٢،

٨٣

عبد المطالب بن هاشم: ٧٨، ٧٩،

٨٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦،

٩٧، ٩٨

عبد الملك بن صالح: ١٢٧

١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٣٤٦  
عمر بن عبد العزيز : ٢٣٢، ٢٣٣،  
٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧،  
٢٨١، ٣٦٨  
عمر بن هبيرة : ٢٢٨ - ٣٣٨، ٣٤١  
عمرو بن أمية الضمري : ١٤  
عمرو بن سعيد بن العاص : ١٩٩،  
٢٢٠، ٣٤٧، ٣٤٨  
عمرو بن شأس : ٢٥  
عمرو بن العاص : ١٤، ١٥، ٨٩،  
٩٠، ١٩٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦،  
عمرو بن عامر مزقييا : ٧٠، ٧١، ٧٢،  
٧٣، ٧٤  
عمرو بن قارب : ١٥٣  
عمرو بن مالك : ٣٤٥  
عمرو بن مسعدة : ٤٦  
عمرو بن هند : ١٥٤، ٣٤٢  
عمران بن حطان : ٣٥٨، ٣٥٩،  
٣٦٠، ٣٦١  
عمران بن مهران : ٣٩٢، ٣٩٣  
عوف بن محلم : ١٥٤  
عويف القوافي : ٢٣٠، ٢٣١

العرجي : ٢٢  
عروة بن عتيبة بن جعفر (الرحال) :  
٥٤٤  
عزّة (مغنية) : ٦، ٢٩، ٣٠  
عطارد بن حاجب : ٣  
غفراء الكاهنة : ٧٤، ٧٥، ٧٧  
عقيل بن أبي طالب : ٢٠٣  
عقيلة المغنية : ٣٠  
عاقمة بن علاثة : ١٦٨  
علويه : ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٤  
علي بن ابراهيم : ١١٢  
علي بن أبي طالب : ١٧٦، ١٨٣،  
١٨٤، ٢١٧، ٣٥٤  
علي بن محمد : ٤٢  
عمارة بن تميم اللخمي : ٣٦٢، ٣٦٣  
عمارة بن حمزة : ١٤٠، ١٤١، ٢٦٧،  
٢٦٨  
عمارة الفقيه : ٢٢٢، ٢٢٣  
عمارة بن الوليد : ٨٩، ٩٠، ٩١  
عمر بن أبي ربيعة : ٢٢، ٢٣، ٢٤،  
٢٩، ٣٥٧  
عمر بن الخطاب : ٩١، ١٣٥، ١٧٨،



الفضيل بن عياض : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،

٢٨٢ ، ٢٨١

(ق)

القاسم بن ربيعة : ٣٦٨

قواد بن أجدع : ١٦٣ ، ١٦٤ ،

قريش : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٧٩ ،

١٠٠ ، ٩٨ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٩ ،

١٨٤ ، ١٧٩ ، ١٠٢

القرعبيون : ١٩٠

قس بن ساعدة : ١٢٧ ، ١٢٨ ،

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،

القعقاع بن حبيب : ٢٢٨

قيس بن سعد : ٢١٧ ، ٢١٨ ،

قيس بن عاصم المنقري : ١٧٣

قيس (قبيلة) : ٢٢٨

قيصر (ملك الروم) : ١٥٢

قيل بن عنق : ٦٦ ، ٦٧ ،

(ك)

كافور الإخشيدى : ٣٢١ ، ٣٢٢ ،

كثير عزة : ١٢٦ ، ١٢٧ ،

عيسى (النبي عليه السلام) : ٦٩

(غ)

الغريض : ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٤ ،

غسان : ٣٥٩

غفار : ١٨٣ ، ١٨٤ ،

غيلان بن سلامة : ١٢ ، ١٣ ،

غيلان بن خرشة : ٢٠ ، ٢٠٨ ،

(ف)

فاطمة (زوج عمر بن عبد العزيز) :

٢٣٣

الفرزدق : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣٦٧ ،

الفضل بن الربيع : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٥٣ ، ٥٤ ، ١٠٦ ، ٢٦٦ ، ٢٧٩ ،

الفضل بن يحيى : ٤٥ ، ٥٠ ، ١٢٧ ،

١٣٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ،

٢٧٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٥ ،

٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ،

٣٠٩، ٣١٠، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠،

٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧،

٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٦، ٣٩٧،

مازن (قبيلة) : ٢٥٨

مالك بن أبي السمح المغني : ٣٥، ٢٧

مالك (ابن عم حاتم) : ١٥٩

ماوية (زوج حاتم الطائي) : ١٥٧،

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠،

مبارك التركي : ١٤١

المتلمس : ٣٤٢، ٣٤٣

الحلق : ١٠، ٩، ٨

محمد بن إبراهيم الإمام : ٢٦٥، ٢٦٦

محمد بن أبي الأزهر : ٣١٩

محمد بن حميد الطوسي : ٢٩٤

محمد بن خلف (وزير بهاء الدولة) :

٣٢٦، ٣٢٧

محمد بن زيد بن علي : ٣٧٣، ٣٧٤

محمد بن عبد البر الكيساني : ٢٦٠

محمد بن عبد الرحمن الهاشمي : ٣٨٩

٣٩٠، ٣٩١

محمد بن عبد الله (الرسول ﷺ) :

١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠،

الكسائي : ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨

٣٨٩

كسري : ٣، ١٢، ١٣، ٨١، ٨٢، ٨٣،

١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦،

كعب بن مامة : ١٥١

كعب (صحابي) : ١٣٥

كندة : ١٥٢

(ل)

لؤي : ٢٠٦

لييد بن ربيعة : ١٧٦، ١٨٧

لخم : ٣٥٩

لقمان بن عاد : ٦٦

لهب : ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨

ليث بن مالك : ١٥٣

(م)

المأمون (الخليفة) : ٤٢، ٤٣، ٤٦،

٤٧، ٤٩، ١٢٧، ١٤٢، ١٤٣، ٢٤٥،

٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦،

٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨،

مسرور (خادم الرشيد) : ١٠٨  
مسلم بن عقبة المرسي : ٢٠٢، ٢٠١  
مسلم بن عقيل : ٢٠٤، ٢٠٣  
المسيب بن زهير : ١٤١  
مضر بن نزار : ١٢٠، ١١٩، ١١٨  
مضر (قبيلة) : ١١، ٢  
معاوية بن أبي سفيان : ١٩، ١٨  
٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١  
٢١٣، ٢١٢، ٢١٠، ٢٠٧، ٢٠٦  
٣٥٥، ٣٥٣، ٣٥٢، ٣٥١، ٣٥٠  
٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٥٦  
معاوية بن بكر : ٢٦٦  
معاوية بن عبيدالله بن يسار : ٣٧٨  
٣٨٩  
معبد المغني : ٣٤، ٢٧، ٢٤  
المعتصم (الخليفة) : ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥  
٤٠٥، ٤٠٤  
معن بن أوس : ٢٤  
معن بن زائدة : ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨  
٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩  
مكشوح المرادي : ١٧٤، ١٦٩  
ملاعب الأسنة — عامر بن مالك

١٧٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٠١، ١٠٠، ٩٩  
٣٤٦، ٢٨١، ١٨٤، ١٧٩  
محمد بن عبدالله (مولى يحيى بن خالد) :  
٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨  
محمد بن الفضل الخراساني : ٣٧٤، ٣٧٣  
محمد بن محمد بن يحيى : ٤١٦، ٤١٥  
محمد بن هشام بن عبد الملك : ٣٧٣  
٣٨٤  
محمد بن يزيد الأموي الحنفي : ٣١٢  
٣١٤، ٣١٣  
مخارق المغني : ٢٧٠، ٢٦٩، ٤٩  
٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧١  
مذحج : ١٧٣  
مرثد بن عبد كلال : ٧٦، ٧٥، ٧٤  
٧٧  
مرداس بن حدير : ٢٠٩، ٢٠٨  
مروان بن الحكم : ١٣٨  
مروان بن زنباع : ١٥٤، ١٥٣  
مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :  
٢٣٥  
المستكفي بالله : ٤١٦، ٤١٥

نافع بن الأزرق : ٣٥٧

نافع بن طنبورة المغنى : ٢٦

نزار بن معد : ١١٨

النعمان بن ثواب العبدى : ١٤٨ ،

١٤٩

النعمان بن المنذر : ٤ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،

١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

النمر بن قاسط (قبيلة) : ١٩٠

نومة الضحى (مغنية) : ٢٨

( ه )

هارون الرشيد : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ،

٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ،

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣١٥ ، ٣٨١ ،

٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ،

٣٩٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ،

هاشم بن حرملة : ١٧٣

هبة الله (مغنية) : ٢٨

هذيل بن زفر : ٢٢٨

هذيل (قبيلة) : ٢٥٨

مليكة بنت الخطيئة : ١٨٩

المنذر بن سعيد : ٦١ ، ٦٠

المنذر بن المغيرة : ٤٣

المنصور بن أبي عامر : ٦٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،

٣٢٥ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،

منصور بن زياد : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،

المنصور العباسى ( الخليفة ) : ١٠٤

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٤٢ ،

٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ،

٢٥٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ،

٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،

المهدى العباسى ( الخليفة ) : ٢٥٦ ،

٢٥٧ ، ٣١٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ،

٣٨١ ، ٣٨٢ ،

موسى ( النبي عليه السلام ) : ١٠٢

موسى بن عيسى : ٤١٥ ، ٤١٦ ،

موسى بن يحيى البرمكى : ٤٥

( ن )

النابغة الجعدى : ١٠٩

النابغة الذبياني : ١٠ ، ١١ ، ٢٥ ، ٢٢٦ ،

٢٦٧

(ى)

يحيى بن أكرم : ٣١٨

يحيى بن خالد البرمكى : ٤٥، ٤٤، ٤٢

، ٢٦٨، ٢٦٧، ١٤١، ١٤٠، ٥٣

، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٤، ٢٧١، ٢٦٩

، ٣١٧، ٣١٦، ٣١٥، ٢٩١، ٢٩٠

٣٨٩، ٣٨٤، ٣٨٣

يحيى (حاجب يزيد بن المهلب) :

٢٢٨

يزيد بن المهلب : ٢٢٨، ٢٢٥، ٢٢٤

٢٢٩

يزيد بن عبد المدان : ١٧٠، ١٦٩

١٧٥، ١٧٤، ١٧١

يزيد بن عمرو : ١٦٩

يزيد بن شجرة الزهرى : ٢٠١

يزيد بن معاوية : ٣٥٦، ٣٥٥

يهود : ١٨٠، ١٧٩، ١٠٣، ١٠٢، ١٠٠

هرقل : ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩

الهرمزان : ١٧٨

هشام بن عبد الملك : ٢٥٢، ٢٣٨

٣٧٣

هند (أم معاوية بن أبي سفيان) :

٣٥٠

هنيدة : (زوج الزبرقان بن بدر) :

١٨٩

هود (النبي عليه السلام) : ٦٦

(و)

الواقدى : ٢٠٤

الوليد بن عبد الملك : ٢٢٥، ٢٢٤

٢٣٦، ٢٣٣، ٢٣٠، ٢٢٨

الوليد بن عقبة : ١٨٦

# فهرس الأماكن

(ح)

الحبشة : ٩٥ ، ٩٠ ، ١٥

الحجاز : ٢٢ ، ١٨٠

الحديبية : ١٧٩

الحرّة : ٢٢٦

حمص : ١٧٩

الحيرة : ٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣

(خ)

خراسان : ٣٩٦ ، ٣٩٩

خير : ٥

خيف : ٢٣

(د)

دمشق : ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ١٤٤ ،

٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٥٣ ، ٢٩٩ ،

٣٠٣ ، ٤٠٢

الدهناء : ٣٣٨

دومة الجندل : ٣٣٨

(ذ)

ذومرخ : ١٩٢

(ا)

أجباد : ٢٣

أصبهان : ٣٦٥ ، ٣٦٦

الأنبار : ٣٠٢

(ب)

البحرين : ٣٤٢ ، ٣٤٣

البصرة : ٢٠٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩

بصرى : ٢٦ ، ٩٩ ، ١٠٨

بطن نخلة : ٨٤

بنداد : ٤٤ ، ١٠٤ ، ١٤٢ ، ٢٩٨ ،

٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٤٠٨

البيقع : ١٩٩

(ت)

تهامة : ٤ ، ٩٧

(ج)

جاسم : ٢٦

الجدّين : ٢٨

جمع : ٣٤

طوس : ١٠٨

(ع)

عدن : ٢٣

العراق : ١٢، ١١٨، ٢٠٤، ٢٢٨، ٢٣٨

عمان : ٣٦١

(غ)

غرناطة : ١١٤

غزة : ١٧٩، ١٨٠

(ف)

الفرع : ٢٨

(ق)

قرطبة : ٥٩

قرقرى : ١٨٨

قصوان : ٢

(ك)

كافر (نهر) : ٣٤٣

كداء : ١٠٣

(ل)

لحج : ٢٣

(ر)

الرقعة : ١٠٧، ١٠٨، ٢٤٥

الرملة : ٤٠٢

الرى : ٢٦٦، ٢٤٠، ٣٠٤، ٣٩٩

(ز)

الزهراء : ٥٩، ٦١

(س)

ساوة : ٨١، ٨٢

الساوة (واد) : ٨٢

(ش)

الشام : ١٨، ٣٧، ٤٧، ٦٨، ٧٩، ٨٢

١٨٠، ١٧٩، ١٠١، ٩٩، ٩٣، ٨٧

٢٢٦، ٢٢٤، ٢٢١، ٢٠١، ١٨٥

٣٤٣، ٣٢١، ٢٣٨

(ص)

صفين : ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٥٦

الصمان : ٣٣٨

(ط)

الطائف : ١٣، ١٢٢

(م) الموصل : ١١١

(ن)

نجد : ٤

نجران : ١١٨ ، ١٧٥

نهر عيسى : ٣٢٧

(ي)

يثرب : ٩٨

اليمامة : ٨

اليمين : ٢٤ ، ١٠١

(م)

مأرب : ٧٤ ، ٧٣

مالقة : ٦٢

محسر : ٣٤

المدينة : ٢٨ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢١١ ،

٢١٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣

المربد : ٤٠

مصر : ٢٣٢ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٢١

٤٠٢

مكة : ٥ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٦٦ ،

١٨٧ ، ١٠٣ ، ١٠١ ، ٩٠

( انتهى الجزء الأول )



# استدراك

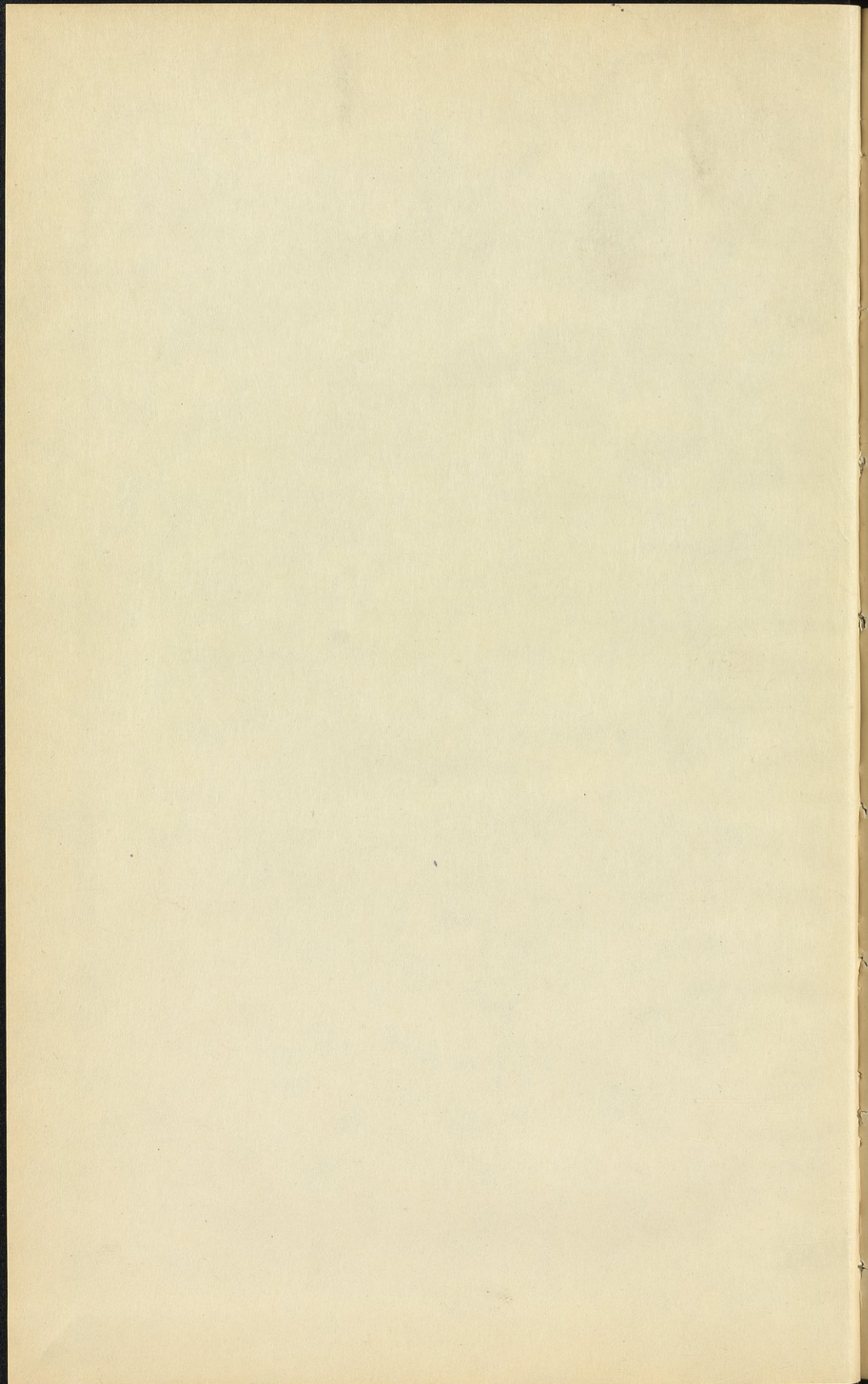
وقع في أثناء الطبع بعض غلطات مطبعية نذكرها هاهنا ليستدركها القارئ قبل أن يمضي في قراءة الكتاب :

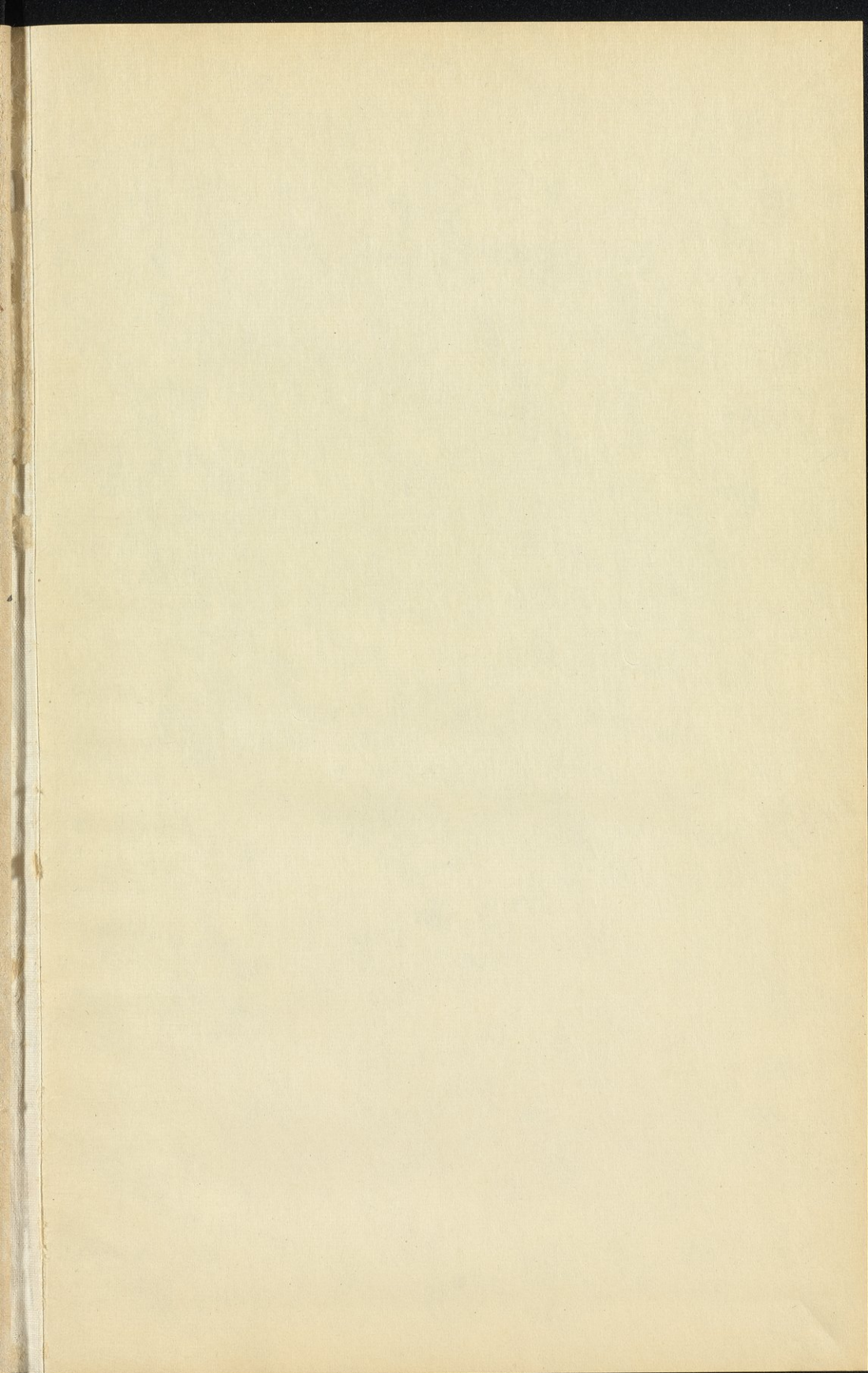
الصواب	الخطأ	الصفحة	الصفحة	الصواب	الخطأ	الصفحة	الصفحة
أخلف	أخلف	٨	١٦٤	فصر به	فصر به	١٢	٥
الخالى	الخالى	٨	١٦٤	جفنة	جفنة	١	٦
بشر بن أبي خازم	بشر بن أبي خازم	١٥	١٦٦	اللين	اللين	٢٠	٨
بشر بن أبي خازم	بشر بن أبي خازم	١٦	١٦٦	بمينك	بمينيك	١٢	١٠
عويت عواء	عديت عداء	١٤	١٩٥	الترجمان	الترجمان	١٢	١٢
عمرو بن سعيد	عمرو بن سعيد	١١	١٩٩	فغنيت	فغنيت	١٢	٣٧
أخذته	أخذته	١١	١٩٩	وابن أستاذنا	وابن أستاذنا	٩	٥٤
صفين	صفين	١٣	٢٠٤	وهو	وهى	١٨	٥٩
حجاجا	حجاجا	١	٢١٥	فاغروقت	فاغروقت	٥	٦٤
فإن ينصفك	فإن لم ينصفك	٤	٢٤١	يمنتنا	يمنتنا	٥	١٠٢
جملا	جملا	٣	٢٤٨	قلت	قال	٤	١٠٤
فحدته	فحدته	٨	٢٧١	حجاجا	حجاجا	١	١١٦
على غدائه	على غدائه	١	٢٩٤	لاخذن	لاخذن	٥	١٤٩
بتي	بنات	١٢	٣٢٢	السموأل	السموأل	١	١٥٢
عمر بن هبيرة	عمرو بن هبيرة	٦	٣٢٨	السموأل	السموأل	١	١٥٣

# قال ركنيا

قال ركنيا قال ركنيا قال ركنيا قال ركنيا قال ركنيا  
قال ركنيا قال ركنيا قال ركنيا قال ركنيا قال ركنيا

رقم	الاسم	اللقب	المنزل	ملاحظات
1	أحمد	بن محمد	بدر	معلم
2	عبدالله	بن علي	سليمان	طبيب
3	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
4	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
5	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
6	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
7	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
8	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
9	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
10	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
11	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
12	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
13	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
14	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
15	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
16	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
17	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
18	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
19	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم
20	عبدالمجيد	بن عبدالمجيد	عبدالمجيد	معلم









COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0315334589

893.78

Q48

v.1

893.78

Q48

v.1

Qisas al-arab.

Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim ...

JUL 1 '47

BINDER

JUN 19 '50

SPECIAL COLLECTION

Exhibit

SEP 19 1947

